

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية



مجموع
جميع حقوق
محموظة

2015

طرابلس - لبنان

جامعة الجنان

ص.ب.: 818

هاتف: 909 447 6 - 961 +

فاكس: 900 447 6 - 961 +

e-mail: aljina.n.mag@jina.n.edu.lb

jina.n@jina.n.edu.lb

website: www.jina.n.edu.lb

ISSN 2308 - 0671

صَدَرَ فِي لَبْنَانَ عَن
دَارِ الْمَنَى لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ
70/711442

تصميم وطباعة: وليد محمود شكشك
03/217643

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد السابع



الجنان

مجلة علمية محكمة – فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في جامعة الجنان

المشرف العام: أ. د. عابد أمين يكن / رئيس الجامعة

نائب المشرف العام: أ. د. علي لاغا / مدير مركز البحث العلمي

هيئة التحرير:

- أ. م. د. رياض عثمان رئيس التحرير
أ. د. كلوديا شحادة اللغة الفرنسية
أ. د. لين الجراح مساعداً للغة الفرنسية والإنكليزية
أ. مالك خليل مساعداً للغة العربية
أ. د. الحبيب عبد الغني مساعداً للغة العربية
أ. أمين سر التحرير: أ. عايدة كباره

المستشارون:

- أ. د. انطوان ديري: هندسة
أ. د. ربي شعراني: تربية
أ. د. أحمد سفر: إقتصاد إسلامي
أ. د. ريماء بركة: لغة فرنسية
أ. د. أسامة كباره: صحافة وإعلام
أ. د. سعدي ضناوي: لغة عربية
أ. د. بشار الحسن: هندسة
أ. د. ناصر علوان: صيدلة
أ. د. جوزيف فاضل: علوم سياسية
أ. د. عبد الغني عماد: علم إجتماع تربوي
أ. د. حسام سباط: أصول الفقه وحضارة
أ. د. عمار يكن: هندسة وإدارة أعمال
أ. د. حسن الرفاعي: إقتصاد إسلامي
أ. د. غادة صبيح: لغة فرنسية
أ. د. خالد حسين:
أ. د. فواز حلاب: طبيب نسائي
أ. د. منذر حمزة: مايكروبولوجي
أ. د. مهى خير بك: لغة عربية
أ. د. محمد عبود: فقه وأصوله
أ. د. ماجد الدرويش: علوم الحديث
أ. م. د. محمد خالد: صحة عامة

قواعد النشر:

«الجنان» مجلّة علميّة محكمة، تصدر عن مركز البحث العلمي - جامعة الجنان، غايتها نشر الأبحاث العلميّة والمحكمة في مختلف الاختصاصات، وتُنشر باللغات العربية، والإنكليزية، والفرنسية، تُفضّل الأبحاث التي تُعالج مشاكل تحتاج إلى حل أو تطرح نظريات افتراضية.

هدف المجلة:

إنّ هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة للعلوم الإنسانية أو العلمية، فالماضي هو هذا الحاضر، وبما أن العلم تراكمي فإنّ علينا واجب القيام بهذا الدور، لذلك فإن سياسة المجلة هي على الوجه التالي:

١. تقسيم العدد إلى محاور خمسة: إسلاميات، إدارة، لغويات، تربية، إعلام.
٢. تخصيص محور واحد لكل عدد من أعدادها إذا أمكن، وإلا تنوّعت أبحاث العدد.
٣. يُطرح الموضوع العام والمحاور التي يمكن للباحثين الكتابة فيها، مع حرية التنوع، فالعناوين المطروحة هي لاستدراج الأفكار وإثارة التنافسية العلمية.
٤. لا تُنشر الأبحاث إلا بعد خضوعها للتحكيم، وإدارة المركز غير ملزمة بإعادة الأبحاث التي لم تقبل وذلك دون تعليل لسبب عدم قبولها.

شروط أساسية:

١. الجدّة في البحث، والتوثيق في الهامش وفق قواعد البحث العلمي (يرفق دليل الباحث).
٢. ألا تزيد عدد صفحات البحث على ٣٠ صفحة.
٣. التعهّد بالأ يكون البحث قد نُشر من قبل ولن يُنشر إلا بعد تصريح من هيئة المجلة.
٤. إرسال البحث على عنوان المجلة الإلكتروني وعند عدم تسلّم إشعار بالاستلام فلا بد من إرساله مرّة أخرى.
٥. تزويد إدارة المجلة بالسيرة الذاتية مع صورة شخصية للباحث.
٦. مقدمة تبين الحقل الذي يعالجه البحث مع تحديد للمشكلة والأهداف المفترضة.
٧. المنهجية المتّبعة في البحث مع ذكر لكل الوسائل المستعملة والمراحل المتبعة، وقائمة بالمراجع في آخر البحث.
٨. على الباحث مراعاة سلامة اللغة والتدقيق قبل الإرسال.

خطوات التحكيم:

يحوّل البحث المقبول شكلاً إلى أستاذين متخصصين في المادة التي حوتها الدراسة. ويكون البحث مقبولاً للنشر بموافقة كلا المحكمين، وإذا تناقض تقييم المحكمين يتم ارسال البحث لمحكم ثالث من ذات الاختصاص ويؤخذ القرار حسب الأكثرية.

وفي النهاية:

إنّ مجلة الجنان جاءت للإسهام بجديد وتَشُقُّ الطريق أمام الباحثين الجادين، أمله التوصل إلى بحثٍ علمي نموذجي يستخدم الطاقات المحلية ويكون رِفْداً للثروة الوطنية، من مُنطلق المنافسة والسعي إلى الأفضل إن شاء الله تعالى.

مقدمة

أ.د. علي لاغا

مدير مركز البحث العلمي

اقتصاد المعرفة أو الرأسمال الفكري هو مصدر الثروة وعامل ديمومتها وليس امتلاك العقارات وتخزين الأموال في المصارف، لقد هزني هذا الكلام وأنا أستمع لأحد الأردنيين ممن يعملون في برامج تنمية المعرفة وهو يقول: إن المملكة الأردنية الهاشمية تشبه دولة (فنلندا) في تعداد السكان والمساحة، والمملكة تتفوق على فنلندا بمصادر متعددة من الخامات كالفسفات وغيره وعلى مناخ أفضل بكثير، إن الثلج يغطي (فنلندا) فترات طويلة، ومع ذلك فإن الدخل القومي للفلنديين هو ١٤٠ مليار دولار في السنة، بينما الناتج القومي في المملكة الأردنية لا يزيد عن أربعين مليار دولار، والسبب في ذلك أن اقتصاد فنلندا يتركز على اقتصاد المعرفة أي الرأسمال الفكري بينما الأردن لا زال في البدايات واقتصاد المواد الخام والسياحة وغيرها من المصادر التقليدية.

إن شخصاً واحداً، يقبع في غرفة ويمتلك جهاز كمبيوتر على إتصال بشبكة الإنترنت، يُمكنه أن يُنتج برنامجاً يعود عليه بمليارات الدولارات، ومنتج برنامج (الواتساب) خير مثال على ذلك. إن من خصائص اقتصاد المعرفة لا يلزم إلا معرفة فنية وإبداع وذكاء ومعلومات^(١). «وصار للذكاء المتجمد في برامج الكمبيوتر والتكنولوجيا عبر نطاق واسع من المنتجات أهمية تفوق أهمية رأس المال والأرض أو العمالة. وتقدر الأمم المتحدة أن إقتصادات المعرفة تستأثر الآن بـ: ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي وتتمو بمعدل ١٠٪ سنوياً، وجدير بالذكر أن ٥٠٪ من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات».

١- بتصرف من: [http:// ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org)

ومن أهم خصائص المعرفة:

١- الابتكار.

٢- التعليم الذي يستوجب دمج التكنولوجيا الحديثة في العمل وتنامي الحاجة إلى دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فضلاً عن المهارات الإبداعية في المناهج التعليمية وبرامج التعلم مدى الحياة.

٣- حوافز تقوم على أسس اقتصادية قوية تستطيع توفير كل الأطر القانونية والسياسية التي تهدف إلى زيادة الإنتاج والنمو.

كما أن إقتصاد المعرفة لم يعد بحاجة إلى تهجير رؤوس المال الفكرية، فالمخزون هو عالمي ويمكن للشركات العالمية أن تصل إليه من خلال استعمال الإنترنت وكذلك من خلال مورديها وعملائها. «إنَّ إقتصاد المعرفة ثروة لا تتضَب علينا إحلالها مكان الثروة الناضبة»^(١).

هذا هو المرتجى، إلا أن الواقع لا زال أمامه مُعَوَّقاتٌ كثيرةٌ، في أسسها، منهجية التفكير في تصورنا للأمر، فإنه حتى الآن يسيطر جو من الجمود والحنين في أن معاً في تركة عقيمة، كانت سمة أبناء الأثرياء بينما حالنا أننا فقراء بنفسية أغنياء... وطوطمية الوفاء إلى الماضي دون جرحه وتعديله قابعة في أعماق وجداننا، إننا نتعاطف أكثر مما نعقل، وشتان ما بين سيطرة العاطفة واستجداء العقل لها...

ومع ذلك، ونزولاً عند الجود بما هو موجود، نقدم العدد السابع من مجلة الجنان المُحكَّمة بزادها الوضع، أو على الأقل محاولات لدقِّ أبواب النهضة، وإرهاصات للخروج من المأزق الذي نحاول أن نفتح فيه كُوَّةً للاتجاه نحو الفجر الموعود، والنور الساطع، ونحسب أن ذلك ليس بعيداً، إنَّ جهود مفكرين تضطرد، إبداعاتهم تتطور، وانتظار ولادة إقتصاد المعرفة بدأت ملامحه تظهر في عدد من الدول العربية مثل قطر والأردن...

وفي كل حال، فإن محتويات هذا العدد جاءت كالآتي:

في مجال الإسلاميات: «ضوابط الفتيا»، «والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً».

آملين من هذه الجهود عودة مجتمعتنا إلى الهدوء والرصانة والخروج من حالة الاضطراب المستمر...

١- د. فهد بن محمد جمه، الرياض الإقتصادي، إقتصاد المعرفة، نهاية ندرة ثروتنا، www.alraidh.com

وفي مجال إدارة الأعمال: فقد اشتملت الأبحاث على:

إدارة مخاطر السيولة النقدية على أداء القطاع المصرفي التجاري في ظل المعايير الدولية. بحث في ترشيد كلفة الإنفاق في الجامعات الأردنية، أثر العوامل الشخصية في التمكين والنهوض بالمصارف الأردنية.

وفي مجال التربية:

توجيهه إلى تنمية قدرات معلمي الفيزياء، وبرنامج لتنمية مهارات التحدث والكتابة في الثقافة العربية، وبرنامج قائم على اللعب لتعليم أطفال الروضات، والتعليم المعولم وأثره على تحصيل الطلاب.

وفي مجال اللغة:

بحث في دار الإمارة الأموية، التقيض في الميزان دراسة وصفية تحليلية، ومسك الختام بحث للأستاذ الدكتور سعدي ضناوي: هل نحن معولمون؟

هذا ما نقدمه بانتظار أي نقد يُرشد عملنا، وأبحاث جديدة توجه إلى إقتصاد المعرفة.

وإلى اللقاء في العدد الثامن قريباً إن شاء الله تعالى

أ.د. ماجد الدرويش

أستاذ الحديث الشريف وعلومه
جامعة الجنان

ضوابط الفتيا عند الفتن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد ولدِ عدنان، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه البدور الزاهرة ما تعاقب الملوان، وبعد:

مقدمة:

يكاد يكون الكلام في قضية (الفتيا) وضوابطها اليوم، ونحن تَحَوَّشْنَا الفتن من كل جانب، من أوجب القضايا لما لذلك من أثر على المجتمعات، وبخاصة أن الناس تنظر إلى الفتيا على أنها حكم الشرع، وأن الناطق بها مُبَيَّنُّ لهذا الحكم.

المقصود بالفتن

والفتنُ جَمْعُ فتنة، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٦هـ) رحمه الله تعالى: «قال الراغب - الأصبهاني - : أصلُ الفتنِ إدخالُ الذهبِ في النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب: كقوله: ﴿ذوقوا فِتْنَتَكُمْ﴾، وعلى ما يحصل عند العذاب: كقوله تعالى ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾، وعلى الاختبار، كقوله: ﴿وفتناك فتونا﴾، وفيما يُدْفَعُ إليه الإنسان من شدة ورخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، ومنه قوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ أي: يُوقِعونك في بليّةٍ وشدةٍ في صرْفِكَ عن العمل بما أوحى إليك.

وقال - أي الراغب - أيضاً: الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله ومن العبد: كالبليّة، والمصيبة، والقتل، والعذاب، والمعصية، وغيرها من المكروهات. فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة، فقد ذمَّ الله الإنسانَ بإيقاع الفتنة كقوله: ﴿والفتنة أشدُّ من القتل﴾، وقوله: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾، وقوله: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾، وقوله: ﴿بأيكم المفتون﴾، وكقوله: ﴿واحدزهم أن يفتنوك﴾.

وقال غيره^(١): أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو أيل إليه: كالكفر، والإثم، والتحريق، والفضيحة، والفجور، وغير ذلك^(٢).

هذا وقد تعمى الفتن على الناظر فيها، فلا يظهر له وجه الفتنة بل يظن أنه على الحق المبين، فيغفل عما يجب في مثل هذه المواضع.

يقول التابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير: قلنا للزبير - بن العوام رضي الله عنه - يا أبا عبد الله، ما جاء بكم! ضيعتم الخليفة حتى قتل - أي عثمان بالمدينة -، ثم جئتم تطلبون بدمه - أي بالبصرة -؟ فقال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ^(٣).

وعليه فلا بد من التأني جدا في قضية الفتيا، وبخاصة في زمن الفتن التي تلتبس فيها الأمور ويحتاج الإنسان إلى تسديد إلهي أكثر منه إلى حفظ النصوص، وقد قيل للإمام أحمد رضي الله عنه: من نَسألَ بعدك؟ فقال: سلوا عبد الوهاب الوراق، فإنه رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق^(٤).

يزداد الأمر طلبا للتحري والتأني عندما تدلهم الخطوب وتشتد، ويكثر الهرج. وقد حدث أسيد بن المشمس من التابعين، أن الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، قال يوماً: «ألا أحدثكم حديثاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا»، قلنا: بلى، قال: (بين يدي الساعة الهرج)، قلنا: ما الهرج؟ قال: (القتل والكذب)، قلنا للأشعري: أكثر مما نقتل اليوم؟ قال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، فَسَكْتْنَا فَمَا يَبْدِي أَحَدٌ مِنَّا عَنْ وَاضِحَةٍ، قَالَ: قُلْنَا فَمَاذَا؟ قَالَ: قَتْلُ الرَّجُلِ أَخَاهُ»، قلنا: ومعنا عقولنا يومئذ، قال: «لا، تنزع عقول أكثر زمانكم أو أكثر أهل زمانكم، ويخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء، والذي نفسي بيده لقد خشيت أن يدركني وأياكم تلك الأيام، وما أعلم لي ولكم منها مخرجاً فيما عهد إلينا نبينا صلى الله عليه وسلم، إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها لا نحدث فيها شيئاً»^(٥).

١- وهو ابن الأثير الجزري في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر).

٢- ينظر كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني: ٢/١٣.

٣- مسند الإمام أحمد (٣/٢١) حديث رقم: (١٤١٤).

٤- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٦٧٩.

٥- أخرجه البزار في مسنده: ٨ / ٥٦ حديث رقم (٢٠٤٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث حطان بن عبد الرقاشي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ٢٢ / ٤٩٠ حديث رقم (١٩٧٧).

من هنا كان المعوّل في الفتن على أهل العلم النافع، الذين يعلمون ليعملوا لا ليعلوا بين الناس، فإذا انحرف حَمَلَةُ العلم حينها تكون الطائفة الكبرى، ذلك أن غالب أدواء الأمة اليوم ترجع إلى ما أصاب الجسم العُلَمَائِي من اضطراب وخلل.

دور العلماء في الفتن

العلماء كانوا، ولا يزالون، العمود الفقريّ للأمة عبر التاريخ، وصمامات الأمان في كل مجتمع حلوا فيه، وذلك بما حياهم الله تعالى من علم، وعقل، وفهم، وإدراك لعصرهم، وحرص على مصالح الناس وعلى ألا يصيبهم عنت أو مشقة.

فكانوا دائما يحملون لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... بتماسكهم يتماسك المجتمع، وباختلافهم يختلف، لأنهم الموجهون، والناصحون، ولأن لهم في وحي الأمة مكانة جعلها الله تعالى لهم، حيث قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

لذلك فإن أصابهم المرض فهذا يعني أنه قد أصاب العمود الفقري للمجتمع الأمر الذي قد يصيبه بالشلل، وليس أدل على ذلك من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٣).

«فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فیسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار في نفوس المفتين من الأغنياء وأرباب الوقوف والتراب المزخرفة، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمرء والمجاهدين، فتراهم يلتقون العدو، ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبات وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال، والعجب، ولبس القراقل^(٤) المذهبة، والجود المزخرفة، والعدد المحلاة، على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فإني ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك، ووفق عبادك.

١- من الآية ١١ من سورة المجادلة.

٢- من الآية ٩ من سورة الزمر.

٣- متفق عليه.

٤- القراقل جمع قرقل: وهي قمصان النساء التي تلبس للزينة ..

فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ كَسَرَهُ الْعِلْمُ، وَبَكَى عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَدَارِسِ وَالْإِفْتَاءِ وَالْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ، تَحَامَقَ، وَاحْتَأَلَ، وَازْدَرَى بِالنَّاسِ، وَأَهْلَكَهُ الْعُجْبُ، وَمَقْتَتَهُ الْأَنْفُسُ»^(١).

فَقَوْلُ الْحَقِّ لَهُ أَوَانُهُ، وَرَبِمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنْهُ فِي مَوَاطِنِ الْفِتَنِ أَسْلَمَ، كَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الْحَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمَ جَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَخَطَبَ فِي النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلْيُطَلِّعْ لَنَا قَرْنَهُ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ»، فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو: فَهَلَّا أُجِبْتَهُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «فَحَلَلْتُ حُبُوتِي، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ، وَيَحْمِلُ عَنِّي غَيْرَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجَنَانِ». قَالَ حَبِيبٌ: حُفِظَتْ وَعُصِمَتْ»^(٢).

وما تشهده بعض دُولنا الإسلامية من قلاقل تحت عناوين «الجهاد» مبينٌ وبوضوح لخطورة الأمر.

من هنا كان حرص خامس الخلفاء الراشدين، المجدد على رأس المئة الثانية، أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، المتوفى سنة (٥١٠) هـ، على كتابة العلم؛ فكتب إلى عامله على المدينة المنورة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المتوفى سنة (٥٢٠) هـ رحمه الله تعالى: «انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس^(٣) العلم وذهاب العلماء. ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفتشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا^(٤)».

هذا الفقه العظيم من أمير المؤمنين يعطينا فكرة عن الدور الكبير الذي يقوم به العلم في المجتمع من حيث مساهمته في استتباب الأمن.

ليُنْظَرَ إِلَى قَوْلِهِ: «فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، كيف ربط بين ذهاب العلماء وذهاب العلم تبعاً للربط النبوي بينهما.

وما الأثر الذي يمكن أن يتركه العلم بين الناس؟

إنَّه يُسَاهِمُ فِي ثِقَافَةِ الْإِعْذَارِ لِلْمُخَالَفِ، وَهَذِهِ الثَّقَافَةُ هِيَ أَهْمُ عُنْصُرٍ فِي اسْتِقْرَارِ الْمَجْتَمَعَاتِ. وَإِذَا كَانَ هَلَاكُ الْأُمَّةِ مُرْتَبِطًا بِذَهَابِ الْعِلْمِ، فَالْحَلُّ إِذْنٌ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ أَيُّ

١- سير أعلام النبلاء: ١٨ / ١٩١.

٢- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق، حديث رقم ٤١٠٨.

٣- درس العلم: انتهى - وذهب

٤- البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب: كيف يُقبض العلم. ١ / ١٧٥.

علم؟ إنه العلم الصحيح الذي جعله الله تعالى سبباً لرفع الخلاف، لا أن يُستغلَّ العلم للوصول إلى المصالح والأهواء الشخصية؟ ولا يستباح أمن الناس ودمائهم وأموالهم، بمسميات دينية، ولكنها ذات حقائق جاهلية؟ فهذا يدخل تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (هلاك أمتي على يدي أُغِيلِمَةَ سُفْهَاء)^(١) الحديث.

والأغيلمَة تصغير غلام: وهو من لم يبلغ الحلم. والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف، فهم سفهاء الأحلام صغار السن، إما حقيقة أو عقلاً.

فما أظن أنه يوجد في الإسلام أشرف من مسمى «المهاجرين والأنصار»، فهي أسماء سمّاهم الله تعالى بها، ولكنها يوم غزوة بني المصطلق سماها النبي صلى الله عليه وسلم (بدعوى الجاهلية) لأنها تحولت إلى عصبية، وكادت أن تكون فتنة تحت شعار: يا للمهاجرين، يا للأنصار^(٢). فليس التفاضل بالمسميات؛ وإنما بمضامينها وتطبيقاتها.

إذن لا بد من العمل على نشر العلم وضبطه، وهو بدوره سبيل للأخذ على يدي السفهاء الذين يتسورون الفتياً تسوراً. وفي الحديث الحسن: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوَّهُ: يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)^(٣).

حقيقة الفتيا

والفتيا، مع هذا، هي حلُّ لمشكلة تعرض للمُستفتي، وبالتالي هي جواب لمسألة يُفترض أن تصوّر على حقيقتها وواقعها؛ فإذا كان التصوير للمسألة سليماً كان الجواب أقرب إلى السداد، وإذا كان غير سليم كان الجواب أقرب إلى الفساد.

كما أن الفتيا يتعرّض فيها المفتي لأحكام النوازل، وهو أهم عمل للمفتي اليوم، لأن المسائل المشاكلة يحكم فيها بالقياس غالباً، ولا يلجأ المفتي إلى التخريج إلا بعد استنفاد الجهد في القياس.

أما النوازل فتحتاج إلى عقول مدركة، وقلوب واعية، وفهم دقيق لمقاصد الشريعة وأصول المذاهب، وإمام شبه تامّ بمسائل الفقه وأدلتها، حتى يُنزل الشيء على شبيهه في التصور فيماثلته في الحكم، وهذا هو تخريج المسائل النازلة على أصول المذاهب المعتمدة.

وبقدر ما يكون المفتي مستجمعاً لما ذكر، حاضر الذهن، عارفاً بمقاصد الأمور ومقاصد

١- البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (هلاك أمتي على يدي أُغِيلِمَةَ سُفْهَاء).

٢- يراجع في ذلك خبر هذه الغزوة في (سيرة ابن هشام) تحت عنوان (الفتنة بين المهاجرين والأنصار)

٣- أخرجه البزار في مسنده (١٦ / ٢٤٧) من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

السائل وخلفيات النوازل، بقدر ما يكون إفتاؤه مقارِباً لحكم الله تعالى في المسألة، مع بقاء هامش ضيقٍ للخطأ كونه مجتهداً. وبقدر ما يَضَعُ ذلك عنده؛ بقدر ما يجانبُ حكمَ الله تعالى في المسألة، ويأتي كلامه خارج حدود الزمان والمكان.

قواعد التخريج ... من ضوابط الفتيا

لذلك تكلم العلماء في شروط التخريج، ومن ذلك ما قاله الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة (٦٨٤هـ) رحمه الله تعالى في كتابه «الفروق» عندما تكلم في «الفرق الثامن والسبعين بين قاعدة مَنْ يجوزُ له الفتيا ومن لا يجوزُ»، فتكلم عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المقلد، بل وما الذي ينبغي عليه حيالَ مذهبِ إمامه، ومتى يجوز له أن يُخَرِّجَ على مذهب إمامه، وأن ذلك إنما يكون بعد استفاد الوُسْعِ في القياس على مسائل إمامه، ذاكراً أن نِسْبَتَهُ إلى مذهب إمامه كِنِسْبَةِ إمامه إلى صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام في بيان الأحكام، ثم ذكر ضابطاً كلياً ينتظم عمل المجتهد والمقلد فقال: «والضابطُ له وإمامه في القياس والتخريج: أنهما متى جَوَّزَا فارقاً^(١)؛ يجوز أن يكون معتبراً؛ حرَمَ القياس، ولا يجوزُ القياس إلا بعد الفحص المنتهي إلى غاية أنه لا فارق هناك ولا معارض ولا مانع يمنع من القياس.

وهذا قدرٌ مشترك بين المجتهدين والمقلدِين للأئمة المجتهدِين، فمهما جَوَّزَ المقلدُ في معنى ظفرَ به؛ في فحصه واجتهاده أن يكون إمامه قصده؛ أو يراعيه؛ حرَمَ عليه التَّخْرِيجَ، فلا يجوز التخريج حينئذٍ إلا لمن هو عالم بتفاصيل أحوال الأقيسة، والعلل، ورُتَبِ المصالح، وشروط القواعد، وما يصلح أن يكون معارضاً وما لا يصلح، وهذا لا يعرفه إلا من يعرف أصول الفقه معرفة حسنة، فإذا كان موصوفاً بهذه الصفة؛ وحصل له هذا المقام؛ تعيَّن عليه مقامٌ آخر، وهو النَّظَرُ وبذل الجهد في تصفح تلك القواعد الشرعية وتلك المصالح، وأنواع الأقيسة وتفاصيلها، فإذا بذَلَ جهده فيما يعرفه؛ ووجد ما يجوز أن يعتبرهُ إمامهُ فارقاً، أو مانعاً، أو شرطاً، وهو ليس في الحادثة التي يروم تخريجها؛ حرَمَ عليه التخريج، وإن لم يجد شيئاً بعد بذل الجهد وتمام المعرفة جاز له التخريج حينئذٍ^(٢) انتهى.

مكانة المفتي بين الناس

كون المفتي مخبراً عن حكم الله تعالى في المسائل، فإن له في وجدان الأمة مكانة سامية لشرف ما يُمْتَلُّ، فليس كل الناس عندهم القدرة على التعرف على أحكام الله سبحانه، لذلك

١- يُقصد بالفارق في علّة الحكم، فإذا وقع فارق في العلة اختلف الحكم.
٢- الإمام القرافي، كتاب (الفروق)، الفرق الثامن والسبعين. ٣ / ٢٤٦.

هم يَسْلَمُونَ (للمفتي) الذي يُفْتَرَضُ أنه أمينٌ على الحكم، حريصٌ على مناصحة الناس، قصده الصالحُ العام؛ بعيداً عن أي هوىٍ لنفسٍ أو جاه، مهما كان هذا الجاه؛ وإلا فهو خائنٌ لله تعالى ولسوله وللمؤمنين.

وقد حذر الله تعالى من ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وأيةٌ خيانةٌ أعظمٌ من أن يقول الرجل في دين الله ما لا يعلم، أو أن ينسب للدين ما ليس منه، والناس يرون أنه مُبَلَّغٌ عن الله تعالى؟! أو يظن أنه يراعي الشرع فيتنطع ويخرج عنه؟! كمن سأله أميرٌ عن كفارة اليمين: فأفتاه بوجوب الصيام في حقه لسهولة دفع المال عنده^(٢)!!..

وقد وُجِدَ بين المفتين من يَنْزِلُونَ عند هوى السلطان وهم يعلمون. ووجد من يتشدّد ضد السلطان لأنه سلطان دون نظّر إن كان محقّاً أم مُبْطِلاً؛ وهذان المسلكان خطأً في السلوك... والإسلام بين الغالي فيه والجافي عنه: فالأول مجافاةٌ وتسيبٌ، والثاني غلو، وهما من التنطع الذي جاء على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم هلاكٌ صاحبه، حيث قال: (هَلَكَ الْمُتَنْطِعُونَ - قالها ثلاثاً -)^(٣) والمتنطعون: المتعمّقون المشدّدون في غير موضع التشديد^(٤).

فلا يُعْقَلُ أن ينساق المفتي وراء هوى السلطان فيفتيه بكل ما يريد ويهوى، ويسهل له أمر المخالفة، ويتكلف له ما يظنّه مستنداً شرعياً ليكون مسْتَبِداً ظالماً.

وإذا كان علماؤنا رضوانُ الله تعالى عليهم قرّعوا على من حدّث سلطانا غشوماً بحديث صحيح قد استخدمه السلطان استخداماً غير صحيح؛ كما حصل مع إمام السلف الصالح الحسن البصري رحمه الله عندما أنكر على الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحديته الحجاج بحديث العُرَيْبِيِّين^(٥)، قائلاً له: «وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يُحَدِّثْهُ،

١- الآية ٢٧ من سورة الأنفال.

٢- قال الإمام الأمدي في كتابه: (الإحكام في أصول الأحكام) ٢/٣١٥. الفصل السابع من أقسام المناسب بالنظر إلى اعتباره وعدم اعتباره: «القسم الخامس: المناسب الذي لم يشهد له أصل بالاعتبار بوجه من الوجوه، وظهر مع ذلك الغاؤه وإعراض الشارع عنه في صورته: فهذا مما اتفق على إبطاله وامتناع التمسك به، وذلك كقول بعض العلماء لبعض الملوك لما جامع في نهار رمضان وهو صائمٌ: يجب عليك صوم شهرين متتابعين، فلما أنكر عليه؛ حيث لم يأمره بإعتاق رقبة مع اتساع ماله؛ قال: «لو أمرته بذلك لسهل عليه ذلك، واستحقر إعتاق رقبة في قضاء شهوة فرجه. فكانت المصلحة في إيجاب الصوم مبالغة في زجره». فهذا، وإن كان مناسباً، غير أنه لم يشهد له شاهد في الشرع بالاعتبار مع ثبوت الغاية بنص الكتاب. اهـ.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب اتباع سنن اليهود والنصارى، باب: هلك المتنطعون.

٤- يُنظَر: رياض الصالحين للإمام النووي، باب الاقتصاد في العبادة.

٥- العُرَيْبِيُّونَ قومٌ من وادي عُرَنة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين فاجتوا المدينة فأقامهم النبي صلى الله عليه وسلم ناحية المدينة ووكّل بهم من يخدمهم ويسقيهم لبن النوق وأبوالها للاستشفاء، فقتلوا الراعي، ونكّلوا به، وسرقوا الإبل، وهي من

لأن هذا كان قبل أن تنزل الحدود»^(١).

ووجه كراهة الحسن لهذا الخوف من أن يتخذ الحجاج ذريعة للإسراف في الدماء.

هذا والحديث صحيح، ولكنَّ الخَوْفَ من مثل الحجاج أن يسيء فهمه وتطبيقه؛ وبخاصة أنه منسوخ بالحدود التي نُصَّ عليها، كما هو فقه الإمام حسن البصري رحمه الله تعالى، فما بالكم بمفت يولي أعناق النصوص الشرعية ويحملها ما لا تحتل لهوى سلطان غشوم!!!

وبالمقابل لا يجوز أن نقف من كل ما يصدره السلطان لأنه سلطان، وهو إنما يصيب ويخطئ، والأصل أن يكون صوابه أكثر من خطئه، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم نبهنا أنه لن يصفو لنا سلطان إلا ما ندر، وأنه سيكون علينا أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، ويضيعون على الناس حقوقها، فلما سئل صلى الله عليه وسلم عن الواجب تجاههم، قال: (أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)^(٢)، وحقهم أن يطاعوا في غير معصية الله تعالى، ولا يجوز منا بدتهم بالسيف إلا إذا وجدنا كفراً بواحا عندنا فيه من الله برهان^(٣)، فحينها يُقدَّر لكل حال قدره.

إذن العلاقة بين المفتي والناس ينبغي أن يحكمها الشرع لا العلاقات الخاصة، وإلا لم يكن أميناً على دين الله تعالى. وإذا مال المفتي فقد يميل بميله كثيرون يرون أنه مبيِّن لحكم الشرع، وكفى بهذا فتنة في المجتمع، وهو ما عبّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بزلة العالم^(٤)، فإنها أصعب من زلة العابد. ورحم الله تعالى إمام أهل المدينة في وقته، وسيد علماء زمانه، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، المتوفى سنة (١٠٧هـ)، عندما قال: «لأن يعيش الرجل جاهلاً خيراً له من أن يُفتي بما لا يعلم»^(٥).

من ضوابط الفتيا ... فقه الموازنات

ولعلَّ أصعب ما يواجه المفتي هو التوازن بين الفتيا والأمن الاجتماعي، وبعبارة أخرى الموازنة بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية. فقد نقل الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، عن الإمام أبي القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمري،

إبل الصدقة، فنكّل بهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبب غدرهم. وحديثهم في الصحاح.

١- البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب: الدواء بألبان الإبل. حديث رقم: ٥٢٥٢.

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أثرة وأمورا تتكرونها)

٣- راجع في ذلك كتاب الفتن من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ففيه من الفقه السياسي الراقي الشيء الكثير.

٤- أخرج البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٥٦) عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالَمِ، وَانْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ). وفي سنن الدارمي (١ / ٢٩٥) عن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟» قال: قلت: لا، قال: «يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين».

٥- ينظر (كتاب العلم) للحافظ زهير بن حرب أبي خيثمة النسائي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، ص ٢٢.

إمام الشافعية في وقته، المتوفى سنة (٢٨٦هـ) رحمهما الله تعالى، في مقدمة المجموع شرح المهذب^(١)، عن ابن عباس؛ رضي الله عنهما؛ أنه سُئِلَ عن توبة القاتل، فقال: لا توبة له. وسأله آخر، فقال: له توبة. ثم قال: «أما الأول فرأيتُ في عينيه إرادة القتل فَمَعَتَهُ. وأما الثاني فجاء مُسْتَكِينًا فَدَفَّتْ، فلم أَقْطُه».

هكذا يكون الفقيه الواعي الذي يُحَسِّنُ تمثيل الشريعة، فلا يقف عند ظواهر الأمور وإنما يَسْبِرُ أغوارها بحثاً عن مقاصدها في الناس وفي المجتمع، وهو الذي نحتاجه اليوم في هذا الهرج الذي نعيشه، والذي يساهم فيه كثيرون يتبرعون بالإفتاء في سفك الدماء وانتهاك الأعراض وسرقة الأموال، وهي أمور الأصل فيها العصمة.

وقد يجد المفتي أنه من الحكمة عدم جواب المستفتي في مسألته، وبخاصة إذا كان يطلب من ورائها السعي في هرج الناس ومَرَجِهِم، فهذا يتطلب منه السكوت وعدم إعطاء أمثال هذا السائل مبتغاه.

وفي كتاب «العلم» للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي المتوفى سنة (٢٣٤هـ)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قوله: «والله إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون». قال الإمام الأعمش سليمان ابن مهران، المتوفى سنة (١٤٨هـ) رحمه الله تعالى: «قال لي الحكم - بن عتيبة عالم أهل الكوفة المتوفى سنة (١١٥هـ) رحمه الله تعالى - : لو كنت سمعت بهذا الحديث منك قبل اليوم ما كنت أفتي في كثير مما كتبت عنك»^(٢)؛ هذا والقوم على جانب كبير من العلم والورع، فكيف بنا اليوم وقد أحاطت بنا الأهواء من كل جانب؟! وصدق فينا قول التابعي الجليل مجاهد بن جبر المتوفى سنة (١٠٣هـ) رحمه الله تعالى: «ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم»^(٣).

من ضوابط الفتيا .. مراعاة الخلاف

ومن الأمور التي ينبغي أن يراعيها المفتي مسائل الخلاف بين العلماء، فلا يتشدد حيث يوجد مخرج شرعي معتبر، وبخاصة في مسائل المعاملات والحج، ويزداد الأمر صعوبة إذا كان في مسائل فيها قضاء بالدماء والأموال، ومن المعلوم أن أول ما يقضى يوم القيامة بالدماء، فلما كان الأصل فيها العصمة فلا ينبغي أن تُهدر إلا بقطعي من الشرع لا شبهة فيه، لذلك قال الفقهاء: «تُدْرَأُ الحدود بالشبهات»، لأن الحدود فيها زهق الأرواح وقطع الأعضاء، وهو تعد على بنیان الله

١- ١ / ٥٠ . فصل في آداب الفتوى.

٢- كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي ص ٨.

٣- المرجع السابق، ص ١٩ .

تعالى وهو الإنسان^(١)، فلما كانت الشُّبُهَةُ صارفةً للأمر عن قطعيتها، توقَّفنا في إقامة الحدود ترجيحاً لجانب الخطأ اليسير في مثل هذا الأمر الخطير، فإذا كان الخطأ اليسير يدرأ الحدَّ، فما بالك بالخطأ في الفتيا الذي تراق به الدماء المحرَّمة!!!

من هنا كان لا بد لمن يتعرَّض للفتيا أن يكون من أهل العلم والدين والورع، فلا يكفي العِلْمُ وحده دون الورع، ولا الورع وحده بدون العِلْمِ، وإلا لكان الأمر على ما قاله الشاعر:

لو كان في العِلْمِ دون التُّقَى شرفٌ لكان أشرفَ خلقِ الله إبليسُ

يقول الإمام سفيان بن سعيد الثوري، فقيه المحدثين المتوفى سنة (١٦١هـ) رحمه الله تعالى: «العلم عندنا الرُّخْصَةُ عن الثُّقَّة؛ فأما التشديدُ فكلُّ إنسانٍ يُحسنه»^(٢).

والعلم هنا ينصرف إلى الفتيا خاصة لأن مبنائها على الترخص بشرط صدورها عن يوثق بدينه، لا عن كثر حُجَّده على الناس بذرائع واهية على طريقة الخوارج!!!.

من ضوابط الفتيا .. عدم الخروج على اتفاق المذاهب الأربعة

وهذا يستلزم من المفتي أن يكون عالماً بمذاهب العلماء وبأدلتها واعتراضاتها والأجوبة عليها؛ وعالماً بمسائل الإجماع ومسائل الاتفاق بينهم رضي الله عنهم، ليتمكن من البحث في ثناياها عما يصلح حلاً للمشكلة المعروضة مع مراعاة جوانب الاتفاق والافتراق.

فقد ذكر الحافظ الذهبي؛ عثمان بن قايماز المتوفى سنة (٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى؛ في ترجمة الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يَحْمَد المتوفى سنة (١٥١هـ) رحمه الله تعالى؛ من السير^(٣) أنه: «لا يكاد يوجد الحق فيما اتفق أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه، مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع أمة، ونهابٌ أن نجزم في مسألة اتفقوا عليها بأن الحق في خلافها». اهـ.

وقال تعليقا على مقولة الإمام الظاهري أبي محمد علي بن حزم المتوفى سنة (٤٥٦هـ) رحمه الله تعالى: «أنا أتبع الحقَّ، وأجتهدُ، ولا أتقيَّدُ بمذهب».

قلت -القائل الحافظ الذهبي-: «نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدَّة من الأئمة، لم يسعَّ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه لا يسوغ له

١- يورد المفسرون حديثاً يرفعونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ (إنَّ هذا الإنسانُ بُيِّنَ اللهُ، ملعونٌ من هدمَ نبيانَ الله). وقد ذكر الحافظ الزيلعي والحافظ ابن حجر أنه غريب جدا. ولا يُعرف له إسناد.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ٦ / ٢٧٦

الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد، وما الذي يقول؟ وعلام بيني؟ وكيف يطير ولما يريش؟

والقسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقْظُ الفَهْمُ المُحَدَّثُ، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل، مع حفظه لكتاب الله، وتشاغله بتفسيره، وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضع له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام: كأبي حنيفة مثلاً، أو كمالك، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فليتبّع فيها الحق ولا يسلك الرُخْصَ، وليتورّع، ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليد^(١).

وهذا يعطينا ضابطاً مهماً من ضوابط الفتيا لا بد من اعتباره؛ وهو عدم الخروج على ما اتفقت عليه كلمة الأئمة، بل وعدم القول بما يخرج عن أقوالهم لغير المتأهل لذلك. وبالأخص عندما تتعلق الفتيا بحركة المجتمع وأمن الناس فيه. كمسألة الخروج على الإمام، والتي يمكن أن نسميها اليوم: «الخروج على الانتظام العام».

ونحن نعلم بأن كلمة الأئمة الأربعة المتبّعين قد اتفقت على عدم الخروج العسكري على الحاكم المسلم وإن كان ظالماً، فاجراً، فاسقاً، متغلباً، إذا كان هذا الخروج سيفضّي إلى سفك الدماء وتعطيل المصالح العامة. أما إذا أمن ذلك المحذور فلا مانع.

فالأئمة الأربعة، رضوان الله عليهم، وبسبب التقلبات السياسية التي عاشوها، أفتوا بعدم جواز الخروج على الإمام المتغلب، وأقروا بخلافته قضاءً، وإن كرهوها ديانةً، كونه متغلباً، غاصباً لحق غيره.

ولو أننا مع كل متغلب أفتينا بالمواجهة لانقلابت حياة الناس جحيماً لا يُطاق من كثرة الحروب، وهو عكس المراد من تنصيب الإمام، فهو لا يراد لذاته وإنما ليقيم شعائر الدين، ويحفظ أمن المواطنين ومصالحهم. فظالماً أن المتغلب لا يخرج عن الأطر العامة للسياسة الشرعية فلا ضير في بقائه، وبخاصة أن القوة بجانبه.

والبعض يرى أن هذا من قبيل الخنوع، ويسمّون أصحاب هذه المدرسة، وهم السواد الأعظم من المسلمين، يسمونهم بحزب السلطة، فإذا كان السواد الأعظم «حزب السلطة»؛ فإن هؤلاء «طلاب سلطة»، وجدوا أن الشريعة لا تقف مع أهوائهم؛ وقد هابوا النيل منها، فالتفتوا إلى الملتمزين بها فاتهمهم بالخنوع والاتباع الأعمى للسلطان، والحقيقة عكس ذلك تماماً، فهؤلاء (الخانعون) بزعمهم؛ ما هم سوى أناس يريدون طاعة ربهم في الدنيا ليفضوا إلى الآخرة بسلام،

لذلك لم ينافسوا أحداً على سلطان، ولم تتطلع نفوسهم إلى ولاية، وإنما وقفوا عند حدود الشريعة، مع قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من هنا نستطيع أن نفهم لماذا اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن جماعة المسلمين هم السواد الأعظم!!.

ورضى الله عن فقيه المحدثين وأميرهم سفيان بن سعيد الثوري القائل: «ما رأيت الزُّهْدَ في شيءٍ أقلَّ منه في الرئاسة: ترى الرجلَ يزهدُ في المطعم والمشرب والمال والثياب؛ فإذا نُزِعَ الرئاسة حامياً عليها وعادى»^(١).

نعم لو سكت هؤلاء عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمكننا حينها القول إنهم حزب السلطة، وأما مع القيام بهذا الواجب فلا..

من ضوابط الفتيا.. النظر في مقاصد الشريعة

إن من أهم مقاصد الشريعة ائتلاف الناس وحفظ أمنهم، وأموالهم، ودمائهم، كما في حديث حجة الوداع، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام..)^(٢)، ففي الحديث دلالة على أن هذه المذكورات «ضرورية لاستقامة الحياة والتنعم فيها، ولبناء كيان حضاري يتقدم في مجالات الحضارة، فضلاً عن أنها أساس لاستقرار أمن الدين»^(٣). يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

هذه السورة مدنية باتفاق. وقد ذكر العلماء في الفروق بين القرآن المكي والمدني أن كل آية تبدأ بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهي مكية، وكل آية تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مدنية، وهذه الآية من سورة الحجرات هي مدنية ومع ذلك تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

وعندي أن فيها إشارة إلى تنوع المجتمعات، ففيها المسلم وغير المسلم، ومع ذلك فإن طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تسود بينهم هي (التعارف)، وهي صيغة مفاعلة تستلزم أن يتعرف كل طرف على الطرف الآخر فيتولد عن ذلك نوع من التألف، وفي الحديث (الأرواح جنود مجنّدة: ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف)^(٥).

١- سير أعلام النبلاء: ٧ / ٢٦٢.

٢- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤/٢٣٧ رقم: ١٨٩٨٦ من حديث حذيم بن عمرو السعدي رضي الله عنه. وليس له غير هذا الحديث.

٣- على ما قاله أستاذنا الكبير الدكتور نور الدين عتر حفظه الله تعالى في شرحه على هذا الحديث من كتابه: (إعلام الأنام شرح بلوغ المرام).

٤- الآية ١٢ من سورة الحجرات.

٥- البخاري، كتاب الأدب المفرد، باب: الأرواح جنود مجنّدة. حديث ٩٠٠، ج ١ / ص ٣٠٩.

هذا الأمر يستلزم أيضاً تجرّداً من قبل سائر شرائح المجتمع، فكيف إذا كانوا على مشرب واحد؟ وهو الأصل، إلا أن إبليس صدّق في الناس ظنه، وأوقع بينهم العداوة والبغضاء ليصدهم عن ذكر الله تعالى من خلال خلق الحسد والبغضاء، لأجل ذلك كانت الرسالة والرسول والنبوة والأنبياء. قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

يقول عالم الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة (١٣٢٢هـ) رحمه الله تعالى، في تفسير هذه الآية^(٢): «﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: وجدوا أمة واحدة تتحد مقاصدها ومطالبها ووجهتها لتصلح ولا تُفسد، وتحسن ولا تُسيء، وتعديل ولا تظلم، أي ما وجدوا إلا ليكونوا كذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٣)، أي: انحرفوا عن الاتحاد والاتفاق الذي يثمر كل خير لهم وسعادة، إلى الاختلاف والشقاق المستتبع الفساد وهلاك الحرث والنسل».

وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أي: «من الاعتقادات والأعمال التي كانوا عليها قبل ذلك أمة واحدة، فسلكوا بهم بعد جهد، السبيل الأقوم، ثم ضلوا على علم بعد موت الرسل فاختلّفوا في الدين لاختلافهم في الكتاب: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾، أي: الكتاب الهادي الذي لا لبس فيه، المنزل لإزالة الاختلاف، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: علّموه، فبدّلوا نعمة الله بأن أوقعوا الخلاف فيما أنزل لرفع الخلاف. ولم يكن اختلافهم لالتباس عليهم من جهته، بل ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، أي: الدلائل الواضحة ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^(٤)، أي: حسداً وقع بينهم ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالكتاب ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: أهل الضلالة ﴿فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: للحق الذي اختلفوا فيه»^(٥). أ.هـ.

فالأصل في البشرية كلها أن تكون أمة واحدة في عبادتها لله سبحانه باتباع الشريعة التي أنزلها عليهم، وأن تكون العلاقة فيما بينهم علاقة ألفة ومودة، ولا يمكن أن يكون هذا من غير

١- الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

٢- في تفسيره المسمى ب (محاسن التأويل)، إلا أن المطبوع قد تصرّفت فيه يد المذهّب فحذفت منه مسائل. ولولا ما بينه المحدث الشيخ عبد لله الغماري في كتابه (بدع التفسير) لما درى أحد بذلك.

٣- من الآية ١٩ من سورة يونس.

٤- قوله (بغيا بينهم) البغي هنا مفعول لأجله، يعني أنهم تسترّوا بالكتاب إلا أن مقصدهم هو البغي على غيرهم؟

٥- محاسن التأويل، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي.

التجرد للحق، ولما كان هذا التجرد من الصعوبة بمكان؛ كانت الشريعة التي ينبغي التحاكم إليها عند النزاع؛ حيث رسمت لنا حدود الخلاف المسموح به ضمن دائرة الشرع، والخلاف غير المسموح به؛ لأن منع وقوع الخلاف بالمطلق أمر متعذر، بل قضت مشيئة الله سبحانه حدوده، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(١)، لذلك كان التحاكم إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ضامناً عدم الخروج عن مقاصد الشرع في المجتمع، لأن الاختلاف بعد معرفة الحكم الذي يجب على الجميع النزول عنده ضلال.

من مقاصد الشريعة: العدل.. وحَقُّ الدماء

إذا فهمنا هذا؛ أدركنا البعد الاجتماعي والمقاصدي في عدم تجويز الخروج على الإمام المتغلب ما دام يقيم الصلاة، وبهذا يريد الشارع الحكيم منا أن نَفْصِلَ بين الميل القلبي وما ينبغي من حكم شرعي، بل وأعطانا أنموذجاً ينبغي أن نتبعه في السياسات العامة، وهو العدل بين الناس؛ كآفة الناس؛ بغض النظر عن معتقداتهم وأجناسهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾^(٢).

وكان من سبب نزول هذه الآية، والآيات التي تليها، ما قاله التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة (١١٨ هـ) رحمه الله تعالى، قال: «ذكر لنا أن هذه الآيات أنزلت في شأن طُعْمَةَ بَنِي أَبِي بَرْقٍ، وفيما هم به نبي الله صلى الله عليه وسلم من عُدْرِهِ، وبين الله شأن طُعْمَةَ بَنِي أَبِي بَرْقٍ، ووعظ نبيه، وحذرَه أن يكون للخائنين خصيماً، وكان طُعْمَةُ بَنِي أَبِي بَرْقٍ رجلاً من الأنصار، ثم أحد بني ظَفَرٍ، سرق درعاً لعمه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يُقال له: زيد بن السمين. فجاء اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يهتف^(٣)، فلما رأى ذلك قومُه بنو ظفر - قوم طُعْمَةَ - جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله؛ صلى الله عليه وسلم؛ قد همَّ بعذرَه، حتى أنزل الله جل ثناؤه في شأنه ما أنزل». ^(٤) انتهى.

وهكذا انتصر الحق لليهودي على حساب المسلم لماذا؟ لأنه مظلوم، مع العلم بأن اليهودي ينتسب إلى أمة بمجملها تحارب الله تعالى ورسوله، فلم يؤخذ هذا اليهودي بجريرة أمته، وإنما تعاملت معه الشريعة على أنه إنسان مظلوم لا بد من إنصافه؛ بغض النظر عن جنسه، ولونه،

١- الآيات ١١٨ و ١١٩ من سورة هود.

٢- الآية ١٠٥ من سورة النساء.

٣- الِهْتَفُّ: الصوت الشديد العالي. وهتفت الحمامة: ناحت. قال السكيت في (هتف): صرخ صراخا، ودعا دعاء. والمراد هنا أن

الرجل جاء يصرخ مستجدا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.

ودينه؛ وهذا هو العدل. فالشريعة فصلتَ بذلك بين النوازع القلبية، والعلاقات الإنسانية. بينما نجد أن العالم، اليوم قد رمى المسلمين في الأرض عن قوس واحدة؛ بحجة أن شريعة لا تتعدى الأحد عشر نفرا نفذت جريمة الحادي عشر من أيلول في نيويورك.

هل هذا عدل؟

هل استطاع النظام الغربي، ولا أقول الغرب كله، أن يفصل، في التعامل معنا في قضية فلسطين، بين النوازع القلبية والعلاقات الإنسانية؟ كلا.. لذلك لا يمكن أن يكون حكماً عادلاً. بل هل استطاع النظام الأوروبي العلماني أن يتعامل مع المسلمين بعيداً عن موروثات التاريخ؟ لا أظن ذلك لأن استفتاءات الحجاب والمآذن تدل على أنهم يستخدمون أخطاء أفراد ذرية لنبيش أحقاد التاريخ ومحاكمة أمة؟.. لذلك هم غير عادلين.

كما أن فينا من لم يفصل بين النوازع القلبية والأحكام الشرعية في التعامل مع الآخرين، سواء كانوا مسلمين مخالفين أم غير مسلمين، فاستل سيفاً ظالماً من غمده حق؛ هو الظلم الذي أصابه؛ فبدل أن يتماسك ويترابط لينظر كيف يتعامل من خلال الشرع مع المتغيرات؛ إذا به يعلن حرباً في ظاهرها مقدسة، وفي باطنها مدنسة بالهوى والانتقام للنفس، وإذا بنا نرى الدماء البريئة تسفك، والأموال تسرق، والأعراض تهتك، وإذا بالبريء يؤخذ بجريرة المجرم. ومن ذلك عمليات التفجير التي شهدتها بعض العواصم الأوروبية، وبالأخص التي نالت العامة في وسائل تنقلهم، وفي بيوتهم، ومتاجرهم، ومدارسهم..

وهذا كله مخالفٌ لمبدأ العدل الذي طلبه الشرع، ومخالفٌ لمقاصد الشريعة. ولعل من أهم أسباب هذا الشطط الذي نعيشه أن أصحابه يعيشون خارج المجتمعات؛ إما بأجسادهم أو بقلوبهم، لذلك لا تعني لهم المجتمعات ولا ساكنوها شيئاً، وهكذا كانت الخوارج، ميّزت نفسها حيث ابتنوا لأنفسهم مساجد فارقوا فيها جماعة المسلمين والناس، فسهل عليهم أن يحاربوا مجتمعاً لا يعيشون فيه، ولا يشاركون الناس فيه. ولعل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)^(١)، لعل في هذا الحديث ما يشير إلى ما قصدت.

وكذا في حديث الطائفة المنصورة: (لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم)^(٢)، وهذا أيضاً

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء حديث رقم: ٤٠٢٢.

٢- هذا لفظ الطبراني في الكبير وفي معجم الشاميين: (لا تزال أمة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس). وأصله في الصحيح عند مسلم بلفظ: (لا تزال طائفة من أممي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس).

فيه إشارة إلى أن الفئة المنصورة لا تترك أرضها ولا بيتها، وإنما تصبر وتدافع عن حقها بما أتيج لها حتى يأتي أمر الله تعالى، أما لو تركت أرضها وبيتها فهذا يعني أن الذين خالفوها قد أضرّوا بها، وهذا المعنى كنت قد سمعته من أستاذه وشيخي العلامة الدكتور محمود عبود هرموش حفظه الله تعالى؛ عندما انجر البحث يوماً عن الحركات الإسلامية وطبيعة علاقتها بالأنظمة القائمة.

فمن السهل جداً أن أعلن الحرب على مجتمعات الأرض؛ وأنا أعيش في المغاور والكهوف بعيداً عن كل أشكال الحضرة وما يستتبعه من نظر في المصالح والمفاسد.

حتى لو كان الانزواء بغير حرب، وإنما للفرار بالدين، كما حصل مع أصحاب الكهف الذين أخبرنا الله تعالى خبرهم، فهم مع ما حمد الله تعالى من فرارهم بدينهم، إلا أن التغيير في المجتمع حصل بعيداً عنهم وعن تأثيرهم فيه، ولا بد أن التغيير حصل على أيدي أناس صمدوا في المجتمع حتى أحدث الله تعالى التغيير على أيديهم.

من ضوابط الفتيا تقديم درء المفاسد على جلب المصالح

ومراعاة المصالح والمفاسد في قرارات الحرب والسلام لا بد منه شرعاً، ونحن نعلم أن الله تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم بدخول مكة يوم الحديبية مراعاةً لأناس من المؤمنين ليزالون يعيشون في مكة بين ظهراي الكافرين، مع الإقرار بظلم الكافرين بحقهم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١).

ففي هذه الآية إقرار بظلم قريش في صدّهم المؤمنين عن حقهم في دخول المسجد الحرام كغيرهم من الناس، وفيها بيان الحكمة من منع دخول المؤمنين وقتها مكة بالقوة وأنه بسبب رجال ونساء من المؤمنين اختلطوا بالكافرين ولا يمكن تمييزهم عنهم، ولو أنهم تمايزوا لكان من الممكن أن يؤذن لهم بالقتال.

لننظر إلى هذا الإرشاد الإلهي العظيم الذي يحمي دماء الكافرين إكراماً لدماء المسلمين، ولننظر اليوم إلى الذين يستبيحون دماء المسلمين بحجة قتال الكافرين والمحتلين!!

أقوال أهل العلم في هذه الآية من سورة الفتح

أخرج ابن جرير الطبري عن قتادة بن دعامة السدوسي التابعي؛ رضي الله عنه؛ في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ قال: إن الله عز وجل يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

وقال رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكّره: «هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدّوكم؛ أيها المؤمنون بالله؛ عن دخول المسجد الحرام، وصدّوا الهدى معكوفاً: يقول: محبوباً عن أن يبلغ محله».

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطّوَّهُم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم، يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطّوَّهُم بغير علم، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم.

ثم نقل عن قتادة، قوله: هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم، چه فتصيبكم منهم معرفة بغير علم چه.

وقد استخرج الإمام القرطبي في جامعه من هذه الآية أحكاماً كثيرة منها: في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال: فيه ثلاث مسائل:

الأولى - قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة وسط الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي تعرفوهم. وقيل لم تعلموهم أنهم مؤمنون. ﴿فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ﴾ بالقتل والإيقاع بهم..

والتقدير: ولو أن تطّووا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لم تعلموهم؛ لأذن الله لكم في دخول مكة، ولسلّطكم عليهم، ولكننا صنّا من كان فيها يكتّم إيمانه خوفاً....

الثانية - قوله تعالى: ﴿فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾، المعرة: العيب، وهي مفعلة من العرّ وهو الجرب، أي يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم.

وقيل: المعنى، يصيبكم من قتلهم ما يلزمكم من أجله كفارة قتل الخطأ، لأن الله تعالى إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب؛ إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم بإيمانه؛ الكفارة دون الدية في قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(١)

كما ذكر الإمام القرطبي أن قول الله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، فيه أربع مسائل، منها:

الثانية - قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: تميزوا،... وقيل: لو تفرقوا، ... وقيل: لو زال المؤمنون من بين أظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف، ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار... ا.هـ.

١ - من الآية ٩٢ من سورة النساء.

فالتقياس يقضي بإنزال هذا الحكم اليوم على المجتمعات التي هي في أصلها كافرة ودخل قوم منها في الإسلام وكتموا إيمانهم. مع العلم أنه قلَّ أن يُضطرَّ أحد اليوم إلى كتم إيمانه، فيكون الحكم من باب أولى لأن المسلمين موجودون في هذه المجتمعات، ومختلطون فيها مع غيرهم، وبالتالي الحكم فيها أوجب.

ثم قال القرطبي:

الثالثة- هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن، إذ لا يمكن أذية الكافر إلا بأذية المؤمن. قال أبو يزيد: قلت لابن القاسم: رأيت لو أن قوماً من المشركين في حصن من حصونهم، حصرهم أهل الإسلام، وفيهم قوم من المسلمين أسارى في أيديهم، أبحرق هذا الحصن أم لا؟ قال: سمعت مالكا، وسئل عن قوم من المشركين في مراكزهم: أنرمي في مراكزهم بالنار ومعهم الأسارى في مراكزهم؟ قال: فقال مالك لا أرى ذلك؛ لقوله تعالى لأهل مكة: ﴿لَوْ تَزِيلُوا لَعَذَابَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه. وإن فعل ذلك فاعل فأتلف أحداً من المسلمين فعليه الدية والكفارة. فإن لم يعلموا فلا دية ولا كفارة، وذلك أنهم إذا علموا فليس لهم أن يرموا، فإذا فعلوه صاروا قتلًا خطأً والدية على عواقبهم. فإن لم يعلموا فلهم أن يرموا. وإذا أبيضوا الفعل لم يجز أن يبقى عليهم فيها تباعة^(١).

وهذا يتنزل على البلاد التي احتلها الكافرون وصار أهلها فيها أشبه بالرهائن والأسرى.

ثم قال: قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزِيلُوا﴾ يعني المؤمنين منهم ﴿لَعَذَابَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾. تنبيه على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن إذا لم تمكن إذية الكافر إلا بإذية المؤمن....»

وقال جماعة: إن معناه لو تزيلوا عن بطون النساء وأصلاب الرجال. وهذا ضعيف لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾. وهو في الصلب الرجل لا يوطأ ولا تصيب منه معرة. وهو سبحانه وتعالى قد صرح، فقال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ وذلك لا ينطبق على من في بطن المرأة وصلب الرجال، وإنما ينطلق على مثل الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل^(٢). وكذلك قال مالك.

وقد حاصرنا مدينةً للروم، يقول القاضي ابن العربي، فحبسنا عنهم الماء، فكانوا ينزلون

١- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

٢- هؤلاء كانوا من الذين يكتمون إيمانهم في مكة.

الأسارى يستقون لهم الماء، فلا يقدر أحد على رميهم بالنبل، فيحصل لهم الماء بغير اختيارنا^(١). قال: وقد جَوَزَ أبو حنيفة وأصحابه والثوريُّ الرميَّ في حصون المشركين، وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم.

قال: ولو تترس كافر بولدٍ مسلمٍ رُمِيَ المشرك، وإن أصيب أحد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة. وقال الثوري: فيه الكفارة ولا دية. وقال الشافعي بقولنا. وهذا ظاهر؛ فإن التوصل إلى المباح بالمحظور لا يجوز، ولا سيما بروح المسلم، فلا قول إلا ما قاله مالك رضي الله عنه. والله أعلم^(٢).

كل هذا الكلام لبيان أن الأصل عدم جواز التعرض للمجتمعات المختلطة التي تجمع بين المسلمين وغيرهم، وذلك حفاظاً على دماء المؤمنين، فكيف إذا كان المجتمع كله مجتمعاً مسلماً؟

ضوابط مسألة قتل من تترس بهم العدو

وهذا يقودنا إلى الكلام على مسألة التُّرْسِ التي ذكرها الإمام القرطبي، وهي في حصن للمشركين فيه أسرى من المسلمين، فالمشركون هم العنصر الغالب، وليست المسألة في بلدة للمسلمين غلب عليها المشركون؛ والمسلمون هم العنصر الغالب... ومع هذا ففضية التُّرْسِ ليست مطلقة، وإنما مقيّدة بقيود ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره.

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى: «قد يجوز قتل التُّرْسِ، ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله، وذلك إذا كانت المصلحة ضروريةً، كليةً، قطعيةً.

فمعنى كونها ضروريةً أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل التُّرْسِ.

ومعنى أنها كلية: أنها قاطعة لكل الأمة، حتى يحصل من قتل الترس مصلحة لكل المسلمين، فإن لم يُفْعَلْ؛ قَتَلَ الكفارُ التُّرْسَ واستولوا على كل الأمة.

ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل التُّرْسِ قطعاً.

قال علماؤنا -أي علماء المالكية-: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها، لأن الفرض أن التُّرْسِ مقتول قطعاً، فإما بأيدي العدو؛ فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين، وإما بأيدي المسلمين؛ فيهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون. ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقْتَلُ التُّرْسُ في هذه الصورة بوجه، لأنه يلزم منه ذهاب التُّرْسِ، والإسلام، والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة، نفرت منها

١- هذا والمدينة رومية، فكيف لو كانت في أصلها مسلمة غلب عليها الكافرون؟

٢- أحكام القرآن للفاضي ابن العربي، ٧ / ١٥٢ .

نفس من لم يمعن النظر فيها، فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما حصل منها عدم أو كالعدم^(١).
والله أعلم. اهـ.

وهو بذلك يشير إلى قول من لم يُجَوِّز قتل التُّرس من المسلمين للنفاذ إلى المشركين.

مقاومة المحتل أم قتل الأبرياء؟

هذه بعض النقول عن أئمة المذاهب المعتبرة في مسألة التترس التي تتخذ اليوم ذريعة لقتل الأبرياء من المسلمين، وغير المسلمين، في شوارعهم ومتاجرهم بحجة التعرُّص لدورية عسكرية للمحتل فيقتل الناس وينجو المحتل؟ أو انتقاماً من احتلال العدو لبعض بلادنا بتفجيرات في بلادهم تقتل الأبرياء من الناس، وفيهم من لا يوافق حكومته في سياساتها الخارجية، كما فيهم من يتعاطف مع قضايانا العادلة بالرغم من الضغط الذي يتعرَّضون له، فيتسبب ذلك بخسارة جولة مهمة من جولات الصراع.

وإنما أطلت النقل والتحليل في هذه المسألة لأهميتها، ولبيان أنها تخضع لكثير من الموازنات بين المصالح والمفاسد التي ينبغي أن تراعى عند إطلاق الفتوى. ولعل ما يساعدنا في هذا القول ما نراه من تراجعات لكثير ممن كان يعتمد سياسة (الولاء والبراء) ذريعة لشن الحروب التي لا تبقى ولا تذر.

ولا يعني ذلك عدم مقاومة المحتل؛ لأنها أمر شرعي لا ينازع فيه أحد، ولكنني أتكلم عن من يصور الأمر بأنه مقارعة للمحتل فإذا به يقتل الناس في شوارعها وبيوتها ومتاجرها ومساجدها والمحتل آمن لا يناله سوء، بل نراه يطرب لهذا كله، هذا إن لم يكن ما يحدث من صنعه!!

ولا غرابة في ذلك، فقد تفتتت عبقرية النفاق في المدينة عن بناء مسجد تقام فيه الصلوات في الظاهر ويحارب فيه دين الله في الباطن، ولولا الوحي لصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما حقه أن يُهدم.

لذلك لا ينبغي ألا نغترّ بالمسميات، وإنما علينا أن ننظر إلى السلوكيات، فإذا كان المسمى ديني والسلوك جاهلي، فلا عبرة بالمسمى. كما مر معنا في قضية المهاجرين والأنصار، وكما حصل في قضية مسجد ضرار الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بالحق ويلهمنا مرشداً أمورنا إنه سميع قريب مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم البحث

١- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي، عند تفسير الآية السابقة من سورة الفتح.

د. ثابت أحمد أبو الحاج

أستاذ مساعد بقسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، ماليزيا

العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً

الملخص

تتناول هذه الدراسة مفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني عند أصحاب الرسائل السماوية، والذي ينبثق من خلال الفهم السليم لأحكام رب العالمين، رب الرسالات جميعاً، ويبيّن البحث أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري، والتبادل الثقافي، والتقاء الأمم لتحقيق ما فيه خير البشرية وصالحها العام، كما ويهدف البحث إلى بيان أهمية القدس التاريخية والمكانية عند أصحاب الديانات، ويقدمها نموذجاً تطبيقياً حياً للاقتداء به، الأمر الذي استطاع أهلها على اختلاف دياناتهم- وبالرغم من الظروف كافة: السياسية والاقتصادية التي يمرون بها- تقديم أروع الصور المشرفة للتعايش السلمي، واستحقوا بذلك أن يكونوا أهلاً لسكنى هذه المدينة المباركة، واقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة؛ وأربعة مباحث، وخاتمة؛ فقد تضمنت المقدمة أهمية البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه والدراسات السابقة وخطته، والمبحث الأول: تناول مفهوم التعايش السلمي وأسس ومبادئه العامة، والمبحث الثاني: أبرز الأصول الدينية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، والمبحث الثالث: جاء لبيان تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية، وأما المبحث الرابع: فقد تضمن نماذج تطبيقية للتعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، وحتى يحقق البحث نتائج المرجوة اعتمد الباحث المنهج الوصفي التطبيقي، الذي يحدد مسار البحث ويوصله إلى الهدف المنشود.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، التسامح الديني، القدس، المسلمين، المسيحيين.

Peaceful coexistence between Muslims and Christians: the case of Jerusalem

Abstract

Peaceful coexistence between religions in this contemporary age is both an individual and social necessity. It is particularly important given the interconnectedness of today's world in various areas such as politics, economics, society and culture, in this context, Demonstrate the importance of research in the field of peaceful coexistence between Muslims and Christians. In this article, the city of Jerusalem is selected as a case study of coexistence between Muslims and Christians due to it constituting a living city that exemplifies such coexistence. In addition, its inhabitants have managed, despite all kinds of division and discrimination, and in spite of the difficult political, economic, cultural and social conditions, to provide the finest images of peaceful coexistence, and by virtue of this deserve to live in this blessed city, The article demonstrates that religious coexistence is the means of communication between civilizations, cultural exchange, and the confluence of nations for the good of humanity. Furthermore, the article explores the historical and geographical importance of Jerusalem among the followers of the Abrahamic religions as a living model worthy of emulation.

Keywords: Peaceful coexistence: religious tolerance: Jerusalem: Muslims: Christians.

المقدمة

يُعد التعايش السلمي بين أهل الرسالات السماوية المختلفة في حياتنا المعاصرة ضرورة فردية واجتماعية، خاصةً مع ما يشهده العالم اليوم من انفتاح كامل على كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ممّا دفعه إلى نبذ الأنغزالية، والتخلي عن الفردية، ولأنّ العالم اليوم يسير بخطى متنامية نحو التطور العلمي، والتنافس المادي بشتى أنواعه، فقد برزت الحاجة إلى كتابات موجهة ومنضبطة في مجال التعايش السلمي، وتقديم نماذج حية معاصرة في هذا المجال.

ويقدم هذا البحث نموذجاً تطبيقياً حياً ومتجدداً لأطهر وأهم بقعة عند أصحاب الرسالات السماوية جميعاً ألا وهي مدينة القدس، والتي بات أهلها عرضة لكل أنواع التفرقة والتمييز في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومع ذلك كله فقد استطاعوا بسبب

وعيهم وتأخيهم وانتمائهم أن يقدموا صورة مشرقة للتعايش السلمي فيما بينهم، فأضحت نموذجاً حياً يقتدى به في مجتمعاتنا المعاصرة.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في أنه :

يقدم مفهوماً علمياً للتعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات. يبين الأصول الدينية للتعايش السلمي عند أصحاب الديانتين الإسلامية والمسيحية. يبرز مكانة القدس التاريخية والدينية عند أصحاب الرسالات السماوية. يقدم نموذجاً تطبيقياً معاصراً لمفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات، من خلال مدينة القدس المباركة.

مُشكلة البحث :

قد يظن البعض أن التعايش السلمي بين أهل الرسالات السماوية إنما هو عمل فلسفي نظري لا يرتبط بالواقع، وأن كثيراً من الباحثين قد عرضوا في كتبهم ومقالاتهم وجهة نظرهم حول هذا الأمر، ولكنها لا تعدو كونها أمراً نظرياً لا يرقى إلى المستوى التطبيقي المطلوب، كما وقد يظن بعضهم أن التعايش السلمي مرهونٌ بحالة الأمن والسلم والرخاء المجتمعي في نفس البقعة التي يقيم فيها أبناء الديانات السماوية المختلفة، ويظن بعضهم أن اختلاف الأصول الدينية في الديانات السماوية قد تحول دون التعايش السلمي، وتمنع كل أشكال الحوار والتوافق بين المجتمعات المعاصرة.

ووفقاً لمشكلة البحث تظهر الأسئلة الآتية :

ما المفهوم العلمي للتعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات السماوية؟
ما الأصول الدينية للتعايش السلمي والتسامح الديني عند المسلمين والمسيحيين؟
هل التعايش السلمي مرهون بحالة السلم والأمن والرخاء الاقتصادي، أم أن النموذج الذي قدّمته مدينة القدس يردّ هذا الادعاء من أصله؟
ما متطلبات التعايش السلمي المعاصر وفقاً للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية؟

أهداف البحث :

- بيان مفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات السماوية.
- بيان أن الفهم السليم لأحكام رب العالمين هو ركيزة أساسية لتطبيق مفهوم التعايش الديني، وأن الفهم الخاطئ هو مدعاة لهدم هذا البناء الإنساني العظيم.

- بيان أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري والتبادل الثقافي والتقاء الأمم لما فيه منفعتها وصالحها العام.
- بيان أهمية القدس ومكانتها عند أصحاب الرسالات السماوية.
- تقديم نماذج تطبيقية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في القدس كأنموذج إنساني فاضل يُقتدى به.

الدراسات السابقة

وحتى كتابة هذا البحث لم يجد الباحث أية دراسة متخصصة في التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس⁽¹⁾، ولكن هناك كتابات تعرضت لمفهوم حرية الاعتقاد والتعايش السلمي بين أصحاب الديانات بشكل عام، منها:

- الحرية الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب تأصيل المفهوم ورد الشبهات، المؤلف: خالد بن عبد الله القاسم ١٤٣٠هـ، إصدار: كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة الملك سعود.
- التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، سور رحمن هدايات، دار السلام للطباعة والنشر، تحقيق محمد عبد الرحمن مندور، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، تأليف: تيسير العمر، الناشر دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م.
- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام: منهجاً وسيرةً، عبد العظيم إبراهيم المطعني، كتاب نشرته دار الفتح للإعلام العربي، ١٩٩٦م.

وهذه الدراسات عرضت لما يلي:

- الأصول الشرعية للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من وجهة نظر الإسلام.
- بيان ضوابط وأسس التعايش السلمي والحرريات الدينية في الإسلام.
- ولم تتعرض للأصول الدينية للحرريات والاعتقاد عند غير المسلمين، أو تقدم نماذج تطبيقية معاصرة عند المسلمين وغيرهم، وهذا ما يميز هذه الدراسة، إذ أنها تعرض لمعتقد الآخرين وأفكارهم وبكل موضوعية، وتقدمه من خلال دراسة تطبيقية على مدينة القدس.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهجين: الوصفي الذي يعرض الموضوع وجوانبه،

١- لأنه لا فرق بين التعايش بين المتخالفين في القدس وغيرها - فكل كتابة عن التعايش بين المسلمين وغيرهم نفذت على أي مكان في العالم.

والتطبيقي الذي يجعل الموضوع ضمن الدراسات المعاصرة، وذلك لتقديم رؤية حيّة متجددة، من خلال إلقاء الضوء على التعايش السلمي في مدينة القدس.

خطة البحث:

- افتتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:
- مقدمة البحث، وفيها: أهمية البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه وخطته.
 - المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي وأُسُسُه ومبادئه العامة.
 - المبحث الثاني: الأصول الدينية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين
 - المبحث الثالث: تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية عند أصحاب الرسالات السماوية.
 - المبحث الرابع: نماذج تطبيقية للتعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس.
 - الخاتمة، وفيها ملخص البحث ونتائجه وتوصيات الباحثين.

المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي، وأسسُه، ومبادئه العامة

المطلب الأول: مفهوم التعايش في اللغة والاصطلاح:

مفهوم التعايش في اللغة:

عند الرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح نجد في المعجم الوسيط «تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعاشه: عاش معه، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل»^(١).

أما التعايش السلمي في الاصطلاح:

«التعايش في الاصطلاح يُقصد به: العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة»^(٢).

والتعايش السلمي من المصطلحات الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهو مصطلح يراد به: حالة السلم التي تعيش بها دول ذات أنظمة اجتماعية، وعقائد سياسية متباينة وسيما كتلة الدول الرأسمالية الغربية، وكتلة الدول الاشتراكية دون نشوب الحرب بينهما. وإذا دققنا في مدلولات مصطلح التعايش (coexistence) الذي شاع في هذا العصر،-

١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢، ص ٦٣٩-٦٤٠.

٢- عباس الجراري، مقال بعنوان: مفهوم التعايش في الإسلام، مجلة الإسلام اليوم ص ٢٧، العدد ١٤، عام ١٤١٧هـ، وهي مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية - إيسيسكو.

والذي ابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية، اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط برلين وانتهاء الاتحاد السوفيتي-، نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني محملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها ولكن يمكن تصنيفها إلى مستويات ثلاث:

المستوى الأول: سياسي، أيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية، وقد عرف التعايش أول ما عرف على هذا المستوى الأول.

المستوى الثاني: اقتصادي، وهو يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث: ديني وثقافي وحضاري، وهو الأحدث، ويشمل -تحديداً- معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه من الخير الذي يعم بني البشر جميعاً دون استثناء.

وعلى هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم المحدد الذي نستخلصه منه نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومرامييه.

ومن المصطلحات المرادفة شائعة الاستعمال: مفهوم التسامح.

جاء في لسان العرب: «سمح-السماح- السماحة-المسامحة، والتسّميح، وتعني لغة الجود، وأسْمَحَ: إذا جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسْمَحَ وتَسَامَحَ: وافقني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة»^(١).

أما التَّسَامُحُ والذي هو مطلبٌ مهم وضروري للتعايش: فهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية التي تقتضي نبذ التطرف، أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة، قد لا يوافق المرء عليها، فمفهوم التسامح يكافئ المفهوم الديمقراطي بأبعاده الاجتماعية؛ لأن كلاهما الديمقراطية الاجتماعية، والتسامح مفهومان يتضمنان قيم الإنسان، وحقوقه التي تسعى إلى تحرير الإنسان من كافة أشكال العبودية والقهر والتسلط^(٢).

١- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م، ٢/٤٩٠.

٢- ينظر بتصرف: مراد وهبة: «التسامح والدوجماطيقية» ضمن أبحاث المؤتمر الإقليمي الأول للمجموعة الأوروبية العربية

إذن فإن التسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين سواء في الدين أو العرق أو السياسة.

التسامح والتعددية :

جاء في المادة رقم (١) من القانون العام لليونسكو الفقرة (٢): «إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون، وهو ينطوي على نبذ الدوغماتية والاستبدادية، ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان»^(١).

لذا يكتسب التسامح أهمية خاصة إذا كان الناس ذوي القناعات الدينية والأيدولوجية، والسياسية المختلفة، الذين يرغبون في أن يعيشوا معاً في مجتمع ديمقراطي تعددي. ومن خلال ما سبق يتضح أنّ التعايش السلمي والتسامح الديني لا بدّ لهما من عدّة أسس يقومان عليها:

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة.

الأساس الثاني: التفاهم حول الأهداف والغايات.

الأساس الثالث: التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها ووفقاً لخُطّط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش المصمّمان عليه.

الأساس الرابع: صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل، ومن الثقة المتبادلة أيضاً.

المطلب الثاني:

المبادئ العامة للتعايش السلمي والتسامح الديني في الإسلام^(٢).

أولَى الإسلامُ عنايةً قصوى بترسيخ مجموعة من المبادئ والأسس والقواعد العامة في نفوس المسلمين من خلال مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث الشريفة، لتحقيق التعايش السلمي، والقبول بالآخر، بل لتحقيق التعاون البناء ومن أهمها:

للبحوث الاجتماعية المنعقد في ٢١-٢٤ نوفمبر عام ١٩٨١م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤٢-٥٩، ص١٥٥، وقاسم الصراف، «غياب المفاهيم التربوية في البيئة المدرسية، ضمن الكتاب السنوي العاشر، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، م١٩٩٤-١٩٩٥م، ص١١٢-١٥١، ص١١٦.

١- ينظر: قانون التسامح لليونسكو، منشور على هذا الموقع: www.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html

٢- أهم آية تتعلق بهذا الموضوع هي قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)؛ / الحجرات / لتعارف يحتاج إلى تألف وتفهّم كل طرف للآخر والحوار بالحسنى مع تبادل خبرات الآخر

أولاً: مبدأ الإقرار بالاختلافات القومية، واللونية والفكرية والدينية والعقدية:

إن من سنن الله تعالى أن الناس (مسلمين أو غيرهم) مختلفون في الأديان والأفكار والأيدولوجيات والتصورات، فهناك العشرات بل المئات بل الآلاف من الأفكار والأديان والتصورات والمذاهب الفكرية والتوجهات المختلفة في مختلف جوانب الحياة، وهذا الاختلاف هو من إرادة الله تعالى ومن سننه الماضية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ أَسْنِيكُمْ وَالْوَزْكَرَ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٢٣) ﴿١﴾.

وفي نطاق الاختلاف في الأديان والمذاهب والآراء يقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١٣) ﴿٢﴾، يبين الله تعالى أن سننه تقتضي وجود هذا الاختلاف حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) ﴿٣﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّلَانٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴿٤﴾.

حيث دلّت هذه الآيات بوضوح على أن الاختلاف شأنُ الناس جميعاً، كما يفهم منه قبول هذا الاختلاف مع السعي لتقليله، ولكن هذه الاختلافات تَقَلُّ أو تكثر، تضعف أو تشد، تصغر أو تكبر حسب نسب مختلفة وفئات متنوعة من المسلمين وغيرهم، ولكن المشتركات الإنسانية بين جميع بني البشر، ثم المشتركات في أصول الأديان، والقيم العليا أكثر وأكبر وأعظم من المفرقات والممزقات وبخاصة في مجال قبول الآخر، والعيش المشترك قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠) ﴿٤﴾.

ثانياً: مبدأ وحدة الأديان السماوية في أصولها، وأن منزلها واحد:

أرجع الإسلام الأديان السماوية كلها إلى أصل واحد وهو الوحي الإلهي، وأن شرائع الله تعالى قد انبثقت من مشكاة نور واحدة، ولذلك يدعو الإسلام أتباعه إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين والكتب السماوية، والكتب المنزلة السابقة، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا

١- سورة الروم: آية ٢٢.

٢- سورة البقرة: آية ٢١٢.

٣- سورة هود آية: ١١٨-١١٩.

٤- سورة الرحمن: آية ١٠.

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾^(٢).

ويبين الله تعالى بأنه شرع لهذه الأمة كل الشرائع الأساسية التي شرعها لبقية الأنبياء، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١٣﴾﴾^(٣)، وقد ذمَّ الله تعالى الذين فرَّقوا دينهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٥٩﴾﴾^(٤).

وأكثر من ذلك فإن القرآن الكريم جعل لفظ الإسلام اسماً مشتركاً لجميع الأديان السماوية السابقة وعلى أسنة أكثر الأنبياء، فيقول في شأن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾^(٥)، وقال في شأن يعقوب: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾^(٦)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾^(٧)، وقد نتج عن ذلك: الاعتراف بالأديان السماوية الحقة، وبجميع الرسل والأنبياء الذين ذكروهم القرآن أو الذين لم يذكرهم، وفسح المجال لأصحاب الأديان أن يعيشوا في ظل الإسلام.

ثالثاً: مبدأ التعامل مع غير المسلمين بالتسامح دون الإكراه والاعتداء:

فقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴿٢٥٦﴾﴾^(٨)، وقال تعالى محمّداً وظيفته الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ ﴿١١﴾﴾^(٩)، وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

١- سورة البقرة: آية ٢٨٥.

٢- سورة البقرة: آية ١٣٦.

٣- سورة الشورى: آية ١٣.

٤- سورة الأنعام: آية ١٥٩.

٥- سورة البقرة: آية ١٣١.

٦- سورة البقرة: آية ١٣٣.

٧- سورة آل عمران: آية ١٩.

٨- سورة البقرة: آية ٢٥٦.

٩- سورة المائدة: آية ٩٩.

المَصِيرُ ﴿١٥﴾^(١) وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿٦﴾^(٢)، وقد أكد الله تعالى هذه المعاني في الآيات التي نزلت بالمدينة مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِ أَسَلَّمْتُمْ فَإِنِ اسَلَّمُوا فَقَدْ اَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٤٠﴾^(٣).

ومن الناحية العملية كانت وثيقة المدينة التي تعتبر بمثابة دُستور يحكم أهل المدينة الذين كانوا مختلفين من حيث الدين (الإسلام والشرك واليهودية)، ومن حيث الجنس (القحطانيون والعدنانيون واليهود)، حيث ساوت الوثيقة بين الجميع في الحقوق العامة والواجبات من حسن الجوار والتناصر، وهذا ما يسمى في عصرنا الحاضر بحقوق المواطنة، وقد ظلت الدولة الإسلامية تحافظ على حقوق الذميين والمعاهدين بالكامل؛ فحفظت لهم مكانتهم، وبعض المناصب العليا حتى من الوزارات وغيرها كانت لهم^(٤)، يقول لول ديورانت: «لقد كان أهل الذمة بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتفلوا بكنائسهم ومعابدهم»^(٥).

المبحث الثاني:

الأصول الدينية للتعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية

إنَّ الأديان بحكم انتمائها إلى السماء فإنها لا تأمر إلا بالخير والحق والصلاح، ولا تدعو إلا إلى البرِّ والحب والرحمة والإحسان، ولا تُوصي إلا بالأمن والسَّلم والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتثقف، ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، إنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنَّهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبقى الله تعالى أن يمنحها إلا لأنبيائه الأخيار، والمهم أيضاً أنَّ الإشكال ليس في الأديان ذاتها وإنما هو كامن في عقم أفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لاتعدُّ ولا تحصى.

المطلب الأول: الأصول الدينية للتعايش السلمي عند المسلمين

إن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين المسالمين مشروع، والنصوص التي تدل على مشروعيتها كثيرة، ومن أبرز نصوص القرآن الكريم الدالة على التعايش ما يأتي:

١- سورة الشورى: آية ١٥.

٢- سورة الكافرون: آية ٦.

٣- سورة آل عمران: آية ٢٠.

٤- أبو هلال، يوسف: تعامل المسلمين مع غيرهم، ط١، دار الضياء ٢٠٠٢، ص ٥٥.

٥- ديورانت، لول: قصة الحضارة، (١٣/١٢١).

١- أثنى الإسلام على الأديان السماوية وكتبها وأنبأها ثناءً عاطراً ، وقد أولى القرآن عناية قصوى بالثناء على سيدنا إبراهيم الذي هو جدُّ الأنبياء جميعاً ، وعلى أولاده وذريّاته ، وعلى سيدنا موسى حيث ذكره القرآن الكريم في قصصه في عدة سور ، بلغ تكرارها موجزاً ومختصراً أربع عشرة مرة ، كما أثنى القرآن على آل عمران وسمّى سورة باسمهم ، وعلى مريم التي سمّى باسمها سورة ، وعلى السيد المسيح - عليه السلام - في عدة آيات وسور فسماه القرآن: كلمة الله ، ووصفه بأوصاف عظيمة ، بل إن الله تعالى أثنى ثناءً عاطراً على بني إسرائيل عندما كانوا يحملون الدعوة إلى الله تعالى حتى فضلهم على عالمي زمانهم ، فقال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾^(١) ، كما أثنى على النصارى بصورة عامة فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾^(٢) .

٢- كذلك ذكر القرآن الكريم التوراة والإنجيل بأوصاف جميلة وعظيمة فقال تعالى في وصف التوراة: ﴿أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾^(٣) ، وقال في حق الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَعَآيَاتِنَا فِيهِ إِعْجَابٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ آيَاتِنَا إِنَّا نَرْزُقْهُ رِزْقًا وَسِعًا ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٦﴾﴾^(٤)

٣- بل إن الإسلام يشترط لصحة العقيدة واكتمال أركان الإيمان أن يؤمن المسلم بجميع الرسل ، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾^(٥) ، كل ذلك حتى يؤدي إلى كسب اليهود والنصارى ، وإبعادهم عن شبه الصراع ، ولكنهم لم يؤلوا العناية المطلوبة لكل ما جاء في القرآن العظيم حول ما جاء عن الأديان السابقة ، وكتبها ورسلاها وحول بني إسرائيل والنصارى .

١- سورة البقرة: آية ٤٧ .

٢- سورة المائدة: آية ٨٢ .

٣- سورة المائدة: آية ٤٤ .

٤- سورة المائدة: آية ٤٦ .

٥- سورة البقرة: آية ٢٨٥ .

٤- عدم تعميم الحكم في الإسلام على الآخرين:

ومن أعظم الوسائل المقربة لما بين الناس، هو أن القرآن الكريم لم يعمم الحكم على أهل الأديان جميعاً، بل ترك مجالاً كثيراً للحوار والتعايش مع الآخرين، حيث لم يحكم عليهم حكماً عاماً في سوء التعامل أو عدم الصلاح أو عدم الأمانة، فمثلاً قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾^(١)، وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِنْ تَأْمَنَهُ بَقِنَارٍ يُّؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾^(٢)، فهذه الآيات تهيء الأجواء المناسبة للتعايش والتعاون والتعاون.

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُوَلُّوهُمْ وَمَنْ يُوَلُّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾^(٣)، والآية فيها الحث على الإحسان والبر^(٤) بغير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين، أو يتآمروا على قتلهم، والإحسان المذكور في هذه الآية يكون بالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم، واحتمال أذيتهم في الجوار لطفاً منّا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمور دينهم ودنياهم، وحفظ غيباتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم.

هياً الإسلام أتباعه من خلال النصوص الواضحة إلى تقبل الآخرين، والقبول بالتعايش المشترك معهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾^(٥)، فالآية فيها الدعوة للتعارف - وهو يستلزم التعايش - بين جميع الناس بعيداً عن العصبية للجنس أو اللون، أو العرق، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وقال

١- سورة آل عمران: آية ١٢٣-١١٤.

٢- سورة آل عمران: آية ٧٥.

٣- سورة الممتحنة: آية ٨-٩.

٤- الفروق، لأبي العباس أحمد بن إدريس القرظي، المتوفى ٦٨٤هـ، تحقيق عمر حسن القيام، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الأولى، (٥١٤٢٤م/٢٠٠٣م)، ٢٠/٢٤٢٤

٥- سورة الحجرات: آية ١٣.

تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَحَدَانِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ ^(١)، وقد أحلت الآية طعام أهل الكتاب ونساءهم، وهما أمران يستلزمان التعايش والتساكن.

وقال تعالى في التعامل مع الوالدين إذا كانا كافرين، وكان الولد مسلماً: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمُرَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ^(٢)، أي صاحبهما صحبة إحصان إليهما بالمعروف ^(٣)، والبعد عن الإساءة إليهما بالقول أو الفعل، والحرص على طاعتها، وتقديمهما على كل شيء إلا على طاعة الله ورسوله، فإنهما مُقَدَّمَتان على كل شيء.

ثانياً: التعايش في ضوء السنة النبوية :

وأما النصوص التي تدل على مشروعية التعايش مع غير المسلمين المسالمين والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية فمن أبرزها ما يأتي:

١- ما جاء في النهي عن ظلم المعاهدين والذميين، حيث ثبت أن -النبي صلى الله عليه وسلم- قال: «من أذى ذمياً فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله»، وفي رواية: «ألا من ظلم معاهداً، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» ^(٤).

٢- التعامل مع غير المسلمين بالاستدانة منهم، لحديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير ^(٥).

٣- الحث على إكرام الموتى سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لحديث جابر بن عبد الله

١- سورة المائدة: آية ٥.

٢- سورة لقمان: آية ١٥.

٣- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٢٢هـ الموافق، ٢٠٠١م، ص ٩٠٨.

٤- رواه أبو داود، السنن، مراجعة محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة. ١٧٠/٢، حديث رقم ٢٠٥٢، عن عدد من أبناء الصحابة عن آبائهم، والحديث سكت عنه أبو داود، وقواه السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص ٢٩٢، حيث قال: وسنده لا بأس به، ولا يضره جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة فإنهم عدد ينجز بهم جهالتهم.

٥- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ٩٩/٦، حديث رقم ٢٩١٦.

رضي الله عنهما، قال: مر بنا جنازة فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- فقمنا معه، فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي، قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا»^(١)، ولحديث عبد الله بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقالا: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: «أليست نَفْساً»^(٢).

المطلب الثاني: الأصول الدينية للتعايش السلمي عند المسيحيين

إن الإسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح، فالمسيحية قد حوت أناجيلها العديد من هذه المبادئ، والتي جاء فيها: «لقد قيل لكم من قبل أن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر، ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك، وإن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، ومن استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان»^(٣).

- «عاشروا الناس معايشة إن عشتُم حنوا إليكم وإن متُّم بكوا عليكم»^(٤).
- «فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم وإن كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم»^(٥).
- «احتملوا بعضكم بعضاً إذا كانت لأحد شكوى من الآخر فكما سامحكم الرب سامحوا أنتم أيضاً»^(٦).
- «ولكن بعضكم لبعض ملاطفاً رحيماً، غافراً كما غفر الله لكم في المسيح»^(٧).
- «وإذا قمتم للصلاة وكان لكم شيء على أحد فاغفروا له حتى يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم»^(٨).
- «فدنا بطرس وقال: يسوع يا سيّد، كم مرة يخطأ إليّ أخي وأغفر له؟ أسبع مرات؟ فأجابه

١- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، ١٨٠/٣، حديث رقم ١٢٢١.

٢- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، ١٨٠/٣، حديث رقم ١٢١٢.

٣- مقالة للأستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت: ayemn@yahoo.com

٤- الكتاب المقدس للمدرسة والعائلة في العهد القديم والجديد (العهد القديم) بعناية الأب سيلويوس كناكري، ص ١٢٥.

٥- إنجيل متى ١٥-١٤: ٦.

٦- إنجيل كولوسي ١٣: ٣.

٧- إنجيل فسس ٢٢: ٤.

٨- إنجيل مرقس ٢٥: ١١.

يسوع: (لا سبع مرات، بل سبعين مرة)، فقال يسوع: اغفر لهم يا أبي (لأنهم لا يعرفون ما يعملون)^(١).

فهذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمن مبادئ التسامح، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية، في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة، ولا غرابة في ذلك لأن الربّ واحد ومشروع القيم السّمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

المبحث الثالث:

تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية عند أصحاب الديانات السماوية

حظيت مدينة القدس - وما تزال - بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، لم تضاهيها في ذلك أيّة مدينة عبر التاريخ وعلى مرّ العصور، وقد تميزت هذه المدينة بخصوصية اكتسبتها من انفرادها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان، فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الأزل بوجهها الكنعاني الحضاري، وفي المكان تتمتع بكلّ من الموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم والحديث، حيث تعاقبت عليها الحضارات وأمتّها المجموعات البشرية المختلفة، مُخلّفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، فكانت دلالة على عظم المكان وقدسيتها.

موقع مدينة القدس:

تقع مدينة القدس في وَسَطِ فلسطين تقريباً إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق. وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو (٧٥٠م)، وعن سطح البحر الميت نحو (١١٥٠م)، وتقع على خط طول (٢٥) درجة و(١٣) دقيقة شرقاً، وخط عرض (٣١) درجة و(٥٢) دقيقة شمالاً، تبعد المدينة مسافة (٥٢ كم) عن البحر المتوسط في خط مستقيم، و(٢٢ كم) عن البحر الميت، و(٢٥٠ كم) عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان (٨٨ كم)، وعن بيروت (٢٨٨ كم)، وعن دمشق (٢٩٠ كم).

• المطلب الأول: تاريخ القدس عبر العصور

• التأسيس :

إنَّ أقدمَ جَدَرٍ تاريخي في بناء القدس يعود إلى اسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام - وإيلياء أحد أسماء القدس - وقيل أن «مليك صادق» أحد ملوك اليوسيين - وهم أشهر قبائل الكنعانيين - أول من اختط وبنى مدينة القدس وذلك سنة (٣٠٠٠ ق.م)، والتي

١- إنجيل لوقا ٢٤: ٢٤، إنجيل متى ٢١: ١١٨.

سميت بـ «بيوس» وقد عرف «مليك صادق» بالنتوى وحب السلام حتى أطلق عليه «ملك السلام»، ومن هنا جاء اسم مدينة سالم أو شالم أو «أور شالم» بمعنى دع شالم يؤسس، أو مدينة سالم، وبالتالي فإن أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها اليبوسيين، وسماها الإسرائيليون أيضاً «صهيون» نسبة لجبل في فلسطين، وقد غلب على المدينة اسم «القدس» بمعنى الطهر والبركة، وسميت كذلك بـ «بيت المقدس» الذي هو بيت العبادة المقدس.

تعدُّ القدس «مدينة السلام» من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي فهي أقدم من بابل ونيوى، ولا يسبقها في القدم على ما يبدو إلا «أون» أو «هليوبوليس» شمال القاهرة والتي أسماها العرب «عين شمس»، وترجع نشأة المدينة إلى (٣٠٠٠ ق.م)، وقد سكنها اليبوسيون إحدى القبائل الكنعانية من العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالي سنة (٢٥٠٠ ق.م) واحتلوا التلال المشرفة على المدينة القديمة.^(١)

• الحكم الفارسي:

استمرت سيطرة اليهود على أورشليم من عهد داود حوالي سنة (١٠٠٠ ق.م) إلى أن فتحها نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة (٥٨٦ ق.م) ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل (السبي البابلي)، وبعد أن استولى الفرس على سورية وفلسطين سمح الملك كورش سنة (٥٢٨ ق.م) لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى أورشليم.

• الإسكندر المقدوني:

ظلت البلاد تحت الحكم الفارسي إلى أن فتحها الإسكندر المقدوني سنة (٣٣٢ ق.م)، وتأرجحت السيطرة على أورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين، وقد تأثر السكان في هذا العهد الهلنستي بالحضارة الإغريقية.

• الرومان:

بعد فترة من الفوضى استولى الرومان على سورية وفلسطين، ودخل القائد الروماني بومبي أورشليم في سنة (٦٢ ق.م)، وقد سمح الرومان لليهود بشيء من الحكم الذاتي، ونصبوا في سنة (٣٧ ق.م) هيرودس الأدومي الذي اعتنق اليهودية ملكاً على الجليل وبلاد يهودا، فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية. وفي عهد الامبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان فقام القائد تيتوس في سنة (٧٠ م) باحتلال أورشليم وفتك باليهود. ولما قامت ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخيا سنة (١٣٢ م)

١- ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١: ص١٣٧، ص٢٠٩، ط٢، سنة ١٩٥٥ بغداد.

أسرع الإمبراطور هادريانوس إلى إخمادها سنة (١٣٥ م)، وخرب أورشليم وأسس مكانها مستعمرة رومانية يحرم على اليهود دخولها، أطلق عليها اسم «إيليا كابيتولينا» ولما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها^(١).

• الفتح الإسلامي:

احتلت مدينة بيت المقدس منذ بداية الإسلام مكاناً هاماً؛ فقد أشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وكانت قبلة الإسلام الأولى، وإليها كان إسراء النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومنها كان عروجه إلى السماء.

وبعد هزيمة الروم في معركة اليرموك أصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس؛ فقد طلب أبو عبيدة بن الجراح من الخليفة عمر أن يأتي إلى المدينة لأن سكانها يأبون التسليم إلا إذا حضر شخصياً لتسلم المدينة، وقد ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة (١٥ هـ / ٦٣٦ م)، وأعطى الأمان لأهلها، وتعهد لهم بأن تُصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم، وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم، ومنح عمر سكان المدينة الحرية الدينية مقابل دفع الجزية، ورفض أن يصلّي في كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلواته سابقة لمن يأتي بعده، وذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقدار، وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم، وتميز الحكم العربي الإسلامي بالتسامح الديني، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية^(٢).

• الأمويون والعباسيون:

بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م)، وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل (حوالي سنة ٩٠ هـ). وواصل الخلفاء العباسيون الاهتمام بالقدس فزارها منهم المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٥٧٤-٧٧٥ م) والمهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م) والمأمون (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣ م) عند عودته من زيارة مصر، وقد جرت في عهد الخلفاء الثلاثة تغييرات وتجديدات في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد الخراب الذي نتج عن الزلازل المتكررة^(٣).

• الطولونيون والإخشيديون:

عندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد، دخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين سنة (٢٦٥-٢٩٢ هـ / ٨٧٨-٩٠٥ م)، وتلاههم في حكمها الإخشيديون سنة (٢٢٧

١- المصدر السابق: ص ٣٢٠.

٢- ينظر: شراب، محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، ط١، سنة ١٩٩٤ م بيروت، ص ٧٧.

٣- ينظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج ١، ص ٢١١-٢٥٦.

٢٥٩ هـ / ٩٢٩ - ٩٦٩ م) وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعاً دُفِنوا فيها بناءً على وصاياهم .

• الفاطميون والسلاجقة :

في سنة (٢٥٩ / ٩٦٩ م) استولى الفاطميون على القدس، وقد تميّز حكم الحاكم بأمر الله (٢٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) بالتعصب الديني واضطهاد النصارى؛ فهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد، ولكن ذلك لم يصبهم وحدهم فلم يكن المسلمون من رعاياه أفضل حالاً بكثير.

وفي عهد الدولة الفاطمية استطاع الصليبيون الاستيلاء على بيت المقدس عام (١٠٩٩ م)، وبقيت في أيديهم حتى عام (١١٨٧ م) إلى أن استطاع القائد صلاح الدين الأيوبي تخليصها منهم بعد معركة حطين، وقد أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ورفع فيها المصاحف، وعيّن لها الأئمة ووضع في المسجد الأقصى المنبر الذي كان قد أمر نورالدين محمود بن زنكي بصنعه، وودش إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها (المدرسة الشافعية الصلاحية)، وخانقاه للصوفية، ومستشفى كبير (البيمارستان)، وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيديه في بناء سور القدس وتحصينه، وعقد في المدينة مجالس العلم تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذي وقّف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة، حماية لمنطقة البراق المقدسة، وأنشأ فيها مدرسة، وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل، الملك المعظم عيسى بن أيوب، الذي أجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفي الوحيد من الأسرة الأيوبية)، ولكن المعظم، عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها وضرب المدينة، فاضطّر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف وتلا المعظم بعد فترة وجيزة أخوه، الملك الكامل الذي عقد اتفاقاً مع الإمبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة، سلمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف، وسُلِّمَت المدينة وسَطَ مظاهر الحزن والسُّخْط والاستنكار سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) وبقيت في أيديهم حتى (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) عندما استردها الملك الناصر داود بن أخي الكامل، ثم عادت إلى المسلمين نهائياً سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) عندما استردها الخوارزمية لصالح نجم الدين أيوب ملك مصر^(١).

• المماليك :

دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)، وفي عصر المماليك حظيت

١- ينظر: فاروق عمر ومحسن محمد حسين، تاريخ فلسطين في العصور الإسلامية الوسطى، سنة ١٩٨٧ م بغداد. ص ٤٥-١١١.

المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم: الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)، وسيف الدين قلاوون (حكم من ٦٧٩ / ٦٨٩ هـ - ١٢٨٠ / ١٢٩٠ م)، والناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)، والأشرف قايتباي (حكم من ٨٩٣ / ٩٠٣ هـ - ١٤٨٦ / ١٤٩٦ م) وغيرهم بزيارات عدة للقدس، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آيةً للعمارة، وأجروا تعميمات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومن المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسةً وسبعين ربطاً وعشرات الزوايا.

وفي سنة (٧٧٧ هـ) جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق، ومن آثار المماليك في القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف، ومن أشهر المدارس التي أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية والمدرسة التنكزية، وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله فكان يفد إليها الدارسون والمدرّسون من مختلف الأقطار وقد اكتشف في الحرم القدسي سنة (١٩٧٤ م) وبعده وثائق مملوكية تلقي المزيد من الضوء على تاريخ المدينة^(١).

• العثمانيون:

في سنة (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) وضع السلطان سليم العثماني حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق، وفي السنة التالية احتل القدس، ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً وأقام فيها منشآت كثيرة منها: سور القدس الذي دامت عمارته خمسة أعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد وأسبلة، وعمّر كذلك قبة الصخرة.

• التاريخ الحديث:

في سنة (١٨٥٤ م) أقيم أول حي يهودي يدعى «حي مونتيوري» في القدس نسبة إلى رجل يهودي استطاع شراء أرض فلسطينية بمساعدة السلطان العثماني، وفي سنة (١٩٢٠ م) وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من أجل إنشاء دولة اليهود فيها، وفي سنة (١٩٤٨ م) اغتصبت فلسطين من قبل اليهود وطرد العرب الفلسطينيون منها، وفي سنة (١٩٦٧ م) استكمل اليهود سيطرتهم على عموم فلسطين والقدس بعد نكسة حزيران، وعادوا يطلقون عليها اسم «أورشليم»، وفي سنة ١٩٨٠ م تم إعلان ضم القدس سياسياً إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي تحت شعار توحيد القدس^(٢).

١- ينظر: الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم القدس، ط٢، سنة ١٩٨٧ م بيروت، ص: ٢٢١-٢٦٥.

٢- ينظر: حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ٣٥-٥٤.

المطلب الثاني: الأهمية الدينية للقدس عند أصحاب الديانات

مكانة القدس:

لم تحظ مدينة من المدن ولا مَصْرٌ من الأمصار في العالم كله بما حظيت به مدينة القدس من المكانة العالية في نفوس كل أجناس البشر، فهي مدينة جمعت آثاراً مقدسة منذ أربعة آلاف سنة، وقد كان لكل جنس من الأجناس حكاية مع أثر أو أكثر منها، وتحتل القدس مكانة مرموقة عند كل أصحاب الديانات، فهي عند المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وهي عند النصارى مهد المسيح ومكان مولده، وإليها سيعود المسيح حتى يقودهم إلى سيادة العالم «على حد زعمهم»، وهي عند اليهود المكان الذي عاش فيه ملكهم وبنى فيه هيكلهم، وهي في نفس الوقت ذات طبيعة تجعل كل من يريد ملكاً ومالاً يطمع فيها، ومن هنا تبرز أهميتها الدينية.

• أولاً: مكانة القدس عند المسلمين:

لقد ارتبط المسلمون بالقدس ارتباطاً وثيقاً وعقائدياً ظاهراً، وذلك لما تتمتع به من مكانة دينية عندهم، فقد حث النبي -صلى الله عليه وسلم- على الرباط فيها، وذكر -صلى الله عليه وسلم- فضائلها، ومما جعل للقدس هذه المكانة في نفوس المسلمين عدة أمور منها:

١. أنها مدينة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء: آية ١، وقد خلقت هذه الحادثة في قلوب المسلمين أثراً عظيماً جعلتهم يرتبطون بها ارتباطاً عقائدياً، وعاطفياً شديداً، حيث كانت تسرية عن نبيهم محمد في أول دعوته، وفيها فرض فيها عليهم ركن من أركان دينهم ألا وهو الصلاة، ولذا فهي تمثل جزءاً من عقيدة المسلمين وكيانهم.

٢. أنها أرض الأنبياء. والمسلمون يعتبرون أن ميراث كل الأنبياء ميراث لهم، لأن نبيهم هو النبي الخاتم، وقد حث الإسلام المسلمين على أن يؤمنوا بهؤلاء الأنبياء جميعاً، وجعله شرطاً وركناً أساسياً من أركان الإسلام.

٣. أنها كانت قبلة المسلمين الأولى، التي يتوجهون إليها وهم يعبدون ربهم.
٤. أن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر، كما أخبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أصحابه، ولهذه الأمور فقد ارتبط المسلمون بالمدينة المقدسة أيماً ارتباطاً.

ومن آثار المسلمين في القدس:

١. المسجد الأقصى.

٢. مسجد قبة الصخرة.

٣. حائط البراق.

٤. فضلاً عن أن كل أرض القدس هي مقدسة عند المسلمين.

٥. وبالإضافة إلى أن كل آثار الأنبياء قبل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هي مقدسة عند المسلمين.

• ثانياً: مكانة القدس عند المسيحيين:

للقدس مكانة مرموقة عند المسيحيين فهي المكان الذي يحجّون إليه، حيث ولد السيد المسيح، ولذا فهم يرتبطون بها ارتباطاً روحياً عالياً جداً، فقد عاش المسيحيون فيها منذ قرون عديدة تعود إلى زمن السيد المسيح، وعندهم هناك ما يسمّى بدرب الآلام وهو مقدس عند كل الطوائف المسيحية، لاعتقادهم أن المسيح قد سار فيه حاملاً صليبه عندما اقتاده الجنود الرومان لصلبه تنفيذاً لأوامر الوالي الروماني بيلاطس.

يقول د. ميخائيل مكسي إسكندر في كتابه (القدس وبيت لحم) ... دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية: «وقد تعرضوا - أي المسيحيين - للمتاعب الكثيرة هناك ولا سيّما من اليهود ومن غيرهم، وقد اغتصب الصليبيون في الغزو الأوروبي لبيت المقدس أملاك المسيحيين العرب وكناستهم، إلى أن أرجعها لهم القائد العربي صلاح الدين الأيوبي، الذي وثق في أمانتهم وأعطاهم دير السلطان، وكانت شؤونهم الروحية تدار بمعرفة المطرانية السريانية، إلى أن تمّ رسامة أول مطران قبطي للقدس وتخومها سنة (١٢٣٦م)»^(١).

ومن ممتلكات المسيحيين بالقدس:

- ١- كنيسة القيامة، وهي من أشهر الآثار التاريخية والمقدسة للمسيحيين في القدس.
- ٢- دير السلطان وبه كنيسة الملاك، والأربعة كائتات الروحية غير المتجسدة.
- ٣- دير أتيّا أنطونيوس، شمال شرقي كنيسة القيامة، وبه كنيسة باسم القديسين أنطونيوس وهيلانة.
- ٤- دير مارجرس، بحارة الموارنة قرب باب الخليل.
- ٥- خان الأقباط للحج منذ عام ١٨٢٩ في حارة النصرى.
- ٦- كنيسة العذراء بالجثمانية (بجبل الزيتون).
- ٧- هيكل على جبل الزيتون.

١- ينظر: إسكندر، ميخائيل مكسي، القدس وبيت لحم، دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية، ص ٥٥-٦٧.

٨- كنيسة باسم ماريوحنا، خارج كنيسة القيامة.

٩- هيكل باسم الملاك ميخائيل ملاصق للقبر المقدس من الغرب.

وتُوجدُ هذه الأملاك في مدينة القدس فقط، وتوجد لهم أملاك أخرى خارج المدينة.

• ثالثاً: مكائنها عند اليهود:

ينقسم اليهود في مشاعرهم تجاه القدس إلى قسمين:

الأول: منهم من يرى أنها مدينة عادية، بل ويمكن الاستغناء عنها بأخرى، ومن هؤلاء زعيم الصهيونية نفسه تيودر هرتزل، حيث من الثابت أنه قبل اقتراح السياسي البريطاني الكبير (تشمبولين) إعطاء اليهود وطناً قومياً في أوغندا بوسط أفريقيا، لولا أن غلاة الصهيونية ثاروا عليه، بل واعتدوا على مساعده (ماكس نوارداو) بالرصاص، واتهموه بالخيانة فكان أن تراجع تماماً عن موافقته.

الفريق الثاني: هم الغلاة منهم، وهم يرفعون دائماً أصواتهم ويترنمون بنص من المزامير، والذي يقول: (إِنْ نَسَيْتِكَ يَا أُورُشَلِيمَ فَلْتَشَلِّ يَمِينِي، وَلْيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنْكِي إِنْ لَمْ أَذْكَرْكَ، إِنْ لَمْ أَرْفَعْ أُورُشَلِيمَ عَلَى قِمَّةِ ابْتِهَاجِي)^(١).

ومع ذلك فإنه لا مانع لدى الجانبين من الاعتداء على المدينة المقدسة، بل إنهما يعتبران القتل والذبح والتدمير فيها قربةً إلى الله.

• أهم مقدسات اليهود في القدس:

من الثابت أنه ليس لليهود بالقدس سوى بعض الكُنس وهي حديثة البناء نسبياً، وكذلك بعض القبور، ويرجع تاريخ بناء أول كنيس إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وجميعها يقع في الحي اليهودي بالقدس القديمة، وهو الحي المعروف بحارة اليهود، ومنها، قدس الأقداس، طبرت إسرائيل، توماتورا، بيت إيل، مدراش، طابية، مزغاب لاوخ، ولليهود مقبرة خاصة بهم فيها أربعة قبور مميزة: قبر النبي زكريا، وقبر يعقوب، وقبر أبشالوم، وقبر يهوشافاط.

أما بالنسبة لحائط المبكى الذي يقده اليهود، فإن الاعتقاد السائد الخارجي عندهم أنه البقية الباقية من سور أورشاليم القديم، وأنه الحائط الخارجي للمعبد الذي رجمه هيردوس (١٨ق.م) ودمر جانباً منه تيطس (٧٠م) وأتى على ما تبقى منه هدریاتوس (١٢٥م)، ويقوم اليهود بزيارته وتقبيله، وقراءة بعض النصوص التوراتية والتلمودية إلى جواره، وكذلك البكاء على

١- التوراة: المزمور (١٣٧/٦٠٥).

مجدهم الضائع^(١).

• المبحث الرابع:

التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس

المطلب الأول:

مراحل العلاقة التاريخية بين المسلمين والنصارى في القدس:

يمكن إجمال مراحل العلاقة بين المسلمين والنصارى في القدس الشريف خصوصاً، وفلسطين عموماً، في خمس نقاط رئيسية:

١- التعايش بسلام: منذ عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى العهد الفاطمي.

٢- المضايقات التي حصلت في العهد الفاطمي للنصارى وخاصة على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي لقب بالمجنون، وكان هذا الخليفة قد اضطهد النصارى واليهود في القدس ومصر عموماً، ثم عاد وقربهم ثم اضطهدهم وهكذا، والعجيب أن والدة هذا الخليفة كانت نصرانية، ومن أشد ما قام به هذا الخليفة كان هدم كنيسة القيامة مما أثار حفيظة النصارى حول العالم، ولكن تمَّ السماح للنصارى بعد ذلك بإعادة بناء الكنيسة، وبعد ثمانين عاماً استخدم الباباوات والكهنة تلك الحوادث ذريعةً للحملات الصليبية.

٣- عهد الاحتلال الصليبي لبيت المقدس والحرب بين النصارى والمسلمين، واسترداد القدس من الصليبيين بعد معركة حطين (١١٨٧ م)، ومن الجدير بالذكر أن نصارى العرب الشرقيين (الأرثوذكس) في هذا العصر قد تمَّ اضطهادهم أيضاً من قبل الصليبيين، باستثناء الموارنة الذين ساعدوا الصليبيين لدخول الأراضي الإسلامية،^(٢) ومن أشهر حالات الاضطهاد التي حصلت للنصارى الشرقيين كان نهب كنوز بطريركية أنطاكيا وتعذيب البطريرك على يد رينولد دو شاتيون (أرناط) مما أثار الإمبراطور عمانوئيل إمبراطور القسطنطينية، وسبب مزيداً من التقارب بين الملك العادل نور الدين زنكي ونصارى المشرق ضد الصليبيين.

٤- التعايش في المدينة المقدسة خلال العهد المملوكي، كان نموذجاً طيباً، مع التشديد

١- ينظر: إسكندر، ميخائيل مكسي، القدس وبيت لحم، دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية، مرجع سابق، ص ٨٠ وما بعدها..
٢- ليس كل الموارنة فموارنة (بشري) الذي كانوا ولا يزالون يسكنون سلسلة الجبال الشرقية أعانوا المنصور قلاوون في إرشاده إلى طريق طرابلس يوم جاء لتحريرها عام (٦٨٨هـ) وبالتالي مواقفهم كانت بين مد وجزر...

على النصارى عموماً تجاه المسلمين المقيمين معهم في المدينة المقدسة خلال فترة الحروب الصليبية، وخاصة في مسألة بناء وترميم الكنائس.

٥- التعايش السلمي التام خلال العصر العثماني إلى الآن، ويذكر أن التعايش في القدس بين المسلمين والنصارى حالياً يعتبر نموذجاً مميزاً، ولم تذكر أية حوادث كبرى وقعت بين المسلمين والنصارى في ظل الاحتلال الصهيوني الفاشم، بالرغم من محاولات سلطات الاحتلال تدمير هذه العلاقة من خلال محاولات إشعال الفتنة دولياً فيها، منها: قضية مسجد ریحان في القدس، وقضية مقام شهاب الدين في الناصرة وغيرها.

المطلب الثاني:

نماذج من التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في ظل الاحتلال الإسرائيلي

منذ النكبة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٤٨ م، يعيش المسلمون والمسيحيون في فلسطين في جوٍّ خاص من التآلف والتآخي الذي لم يتكرر في التاريخ، حيث شكل أبناء الديانتين حالة فريدة من العمل النضالي المشترك بعد احتلال الأراضي الفلسطينية، فشاركوا في المعاناة الفلسطينية، وتقاسموا الهمَّ والوجع والألم.

وخلال الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧ م، كان المسلمون والمسيحيون في فلسطين عامّة وفي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة خاصةً نموذجاً في العطاء والتضحية، وقد ظهر ذلك جلياً في الدعم المادي والمعنوي للمناضلين والمقاتلين، والذين كانوا يعتبرونه واجباً وطنياً وقومياً، وسيبقى التعايش والإخوة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين نموذجاً حياً لكل العالم، وسيظل أبناء الديانتين شركاء في الدم والمصير، ولهم كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات الوطنية تجاه قضية فلسطين وحقوق شعبها المشروعة في إقامة الدولة الوطنية المستقلة.

وهذه بعض النماذج الشاهدة على أعلى درجات التعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس.

- النموذج الأول: اتحاد القدس

(فريق اتحاد القدس الرياضي الثقافي الاجتماعي):^(١)

في عملٍ هو الأول من نوعه في مدينة القدس تمَّ بناء وتأسيس فريق كروي من البراعم والأشبال، وهو فريق رياضي الفكر، ثقافي المضمون، اجتماعي المغزى والفلسفة، وقد اجتمعت

١- فريق مقدسي يجمع بين المسلمين والمسيحيين، تأسس في الأول من فبراير ٢٠١٢، في مدينة القدس - فلسطين

كلها في وجدان السيد نور كرامه الذي كان المؤسس لفكرة ميلاد ناد رياضي جديد عُرف باسم «اتحاد القدس»، في أقدس البقاع في العاصمة (مدينة القدس)، وقد استطاع هذا الفريق أن يقدم أروع ما يمكن أن يقدمه للكرة الفلسطينية من خامات كروية، وأن يشكل نموذجاً في بناء العلاقات بين كافة أطراف المجتمع داخل المدينة المقدسة، مما يعكس واقعاً من المحبة والألفة بين السكان الفلسطينيين.

وقد بيدوا الأمر غريباً للبعض، لكنها حقيقة واقعة، فقد أصبح هذا الفريق واقعاً ملموساً، له أهدافه وغاياته الكثيرة، ولعل من أبرزها تحقيق التعايش السلمي بين مسلمي ومسيحيي المدينة المقدسة، وقد ضربوا بذلك الفريق أروع الأمثلة في التسامح والمحبة بين الديانتين.

كما أن اختيار الفريق لهذا الاسم (اتحاد القدس) لهو دليل بارز على التعايش السلمي الديني في مدينة القدس بين المسيحيين والمسلمين، ومدى اتحاد أبناء الديانتين في إطار واحد، وقد جاءت فكرة شعار الفريق التي حوت اتحاد الصليب والهلال في أعلى الشعار، والحمامة التي ترمز إلى السلام والحب المتبادل بين الديانتين، والرجل الرياضي الذي يرمز إلى الموضوع الذي يتحدث عنه الفريق، دليلاً آخر على وجود التعايش السلمي بين الديانتين.

أهداف الفريق:

- تكوين الشخصية المتكاملة من النواحي الرياضية والاجتماعية والثقافية.
- تعميق روح الولاء والانتماء للوطن بين الأعضاء وإبراز قدراتهم المختلفة.
- نشر التربية الرياضية وما يتضمنها من نواح ثقافية واجتماعية ودينية.
- تهيئة الوسائل وتيسير السبل لاستثمار أوقات فراغ الأعضاء عن طريق ممارسة الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية والدينية.
- التعاون مع الهيئات الرياضية والاجتماعية الأخرى وتبادل الزيارات واللقاءات معها.
- تحقيق الإنجازات الرياضية، ورفع اسم مدينة القدس عالياً في كافة المحافل الرياضية والأجتماعية على كافة المستويات المحلية والعلمية، والمساهمة في بناء المجتمع المحلي رياضياً واجتماعياً⁽¹⁾.

- النموذج الثاني:**الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات:**

تأسست الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات بتاريخ (٣ مارس ٢٠٠٧م) كهيئة غير حكومية وغير ربحية، ثم في (٢٦ أكتوبر ٢٠٠٨م) أصدر رئيس السلطة الوطنية محمود عباس مرسوماً رئاسياً يقضي بإنشاء الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، لتصبح ابتداءً من هذا التاريخ جزءاً أساسياً من منظمة التحرير الفلسطينية وتتبع للرئيس بشكل مباشر.

وفي (٥ مارس ٢٠٠٩م) أصدر الرئيس مرسوماً آخر لتشكيل مجلس رؤساء للهيئة يضم (٣٦) شخصية من الشخصيات الإسلامية والمسيحية، نصفهم من المسلمين ونصفهم من المسيحيين.

وبتاريخ (٢٣ مارس ٢٠٠٩م) تم عقد الاجتماع الأول لمجلس الرؤساء التأسيسي، الذي تم خلاله انتخاب الرئيس المسلم الشيخ الدكتور تيسير التميمي، والرئيس المسيحي المطران الدكتور عطا الله حنا.

وما تزال الهيئة تواصل دورها في الدفاع عن المدينة المقدسة، وفي فضح الممارسات الإسرائيلية في حق المقدسات الإسلامية والمسيحية، وفي إسماع صوت القدس إلى المسلمين والمسيحيين، وإلى كل الأحرار في العالم.

وتقوم الهيئة بممارسة المهام والصلاحيات التالية:

- ١- الدفاع عن مدينة القدس الشريف والأماكن المقدسة فيها.
- ٢- تفعيل العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار عمل مشترك من أجل مدينة القدس الشريف ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، والتصدي المشترك لإجراءات المحتل على القدس ومقدساتها.
- ٣- التنسيق والتواصل مع كافة المؤسسات والمنظمات العربية والدولية، لتوحيد الجهود من أجل نصرة القدس وحماية مقدساتها الإسلامية والمسيحية.
- ٤- توثيق أخبار القدس وما تشهده من أحداث، بما في ذلك مخططات المحتل وإجراءاته واعتداءاته التي تستهدف القدس ومقدساتها ومواطنيها، وتقديمها للرأي العام العربي والدولي.
- ٥- المساهمة في بلورة وتوجيه الأنشطة والفعاليات العربية والدولية المتعلقة بالقدس،

وتسيق المشاركات الرسمية والشعبية فيها على مستوى الداخل والخارج.

وهي في سبيل ذلك تقيم النشاطات وتنظم المؤتمرات واللقاءات وتصدر البيانات^(١).

- النموذج الثالث:

المطران د. عطا الله حنا رئيس أساقفة سبسطية الروم الأرثوذكس:

خلال لقاء في مجلس العلاقات الإسلامية المسيحية في الكويت، ناشد المطران د. عطا الله حنا - رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس - خادم القدس الشريف - الأمة العربية والإسلامية والمسيحية مساعدة ومؤازرة الشعب الفلسطيني ومدينة القدس للوقوف ضد الاحتلال الصهيوني وما يعانیه هذا الشعب من ظلم واضطهاد وانتهاك للحقوق.

«...وأضاف: أن مدينة القدس هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هذه المدينة التي تحتضن المقدسات والتراث الإسلامي، مؤكداً أنه لا يوجد في الديانة المسيحية ما هو أقدس من القدس حيث ولد السيد المسيح وعاش فيها بحياته ومآثره وبما قدم للإنسانية من أسمى وأفضل القيم الإنسانية، مبيّناً أنه من قلب فلسطين انطلقت لكل العالم، لذا فإن فلسطين هي قلب الوجود للمسيحيين في العالم، وكذلك الإسلام واليهود، وأضاف إننا كمسيحيين نحترم كل الأديان حتى اليهود، ونختلف مع الصهاينة الذين هم ضد القيم الإنسانية، ويقومون بالقتل والنهب والانتهاك والظلم وتحقيق البرنامج المبرمج لتحويل القدس إلى عاصمة يهودية للأبد.

- مواجهة الأطماع الصهيونية:

... ودعا حنا إلى توحيد الصف وأن نكون قلباً واحداً من أجل القدس والأمة العربية، وأن تكون الأمة العربية قوية في وجه الاطماع العنصرية التي تستهدف المؤسسات والمقدسات والشعب الفلسطيني.

وأكد أن الأمة العربية وشعوبها الشرفاء لا يتركون الشعب الفلسطيني وحيداً أمام إسرائيل مع أن أهل القدس يقفون أمام الصهاينة ولكنهم بحاجة إلى المؤازرة وتكثيف دموعهم والوقوف مع اليتامى والتكلى، وقال ليس الوقوف مع شعبنا عن طريق المؤتمرات والخطابات فهذه شعبنا منها، مشيراً إلى حاجة القدس إلى مشاريع إسكانية ومستشفيات أهم من الأماكن الأخرى التي ترسل لها الملايين، وأضاف إننا بحاجة لبناء الكنائس والمساجد، وأقول بأن القدس في خطر، فعلى الجميع أن يهبوا للمساعدة من أجل أن تكون القدس مدينة محررة رمزاً للمحبة والسلام...»^(٢).

١- ينظر: موقع الهيئة الإسلامية المسيحية: www.elquds.org

٢- ينظر: النص الكامل في مؤتمر الكويت، على هذا الموقع:

- النموذج الرابع:

دراسة للدكتور إلياس إسعيد:

الفلسطينيون المسيحيون شركاء في الوطن، وليسوا مجرد أقلية:

«... الخطر الذي يهدد المسيحيين في الأراضي الفلسطينية هو الخطر نفسه التي يواجهه كل فلسطيني وكل شعوب المنطقة، وهو غياب السلام، واختلال موازين العدل، وانعدام الاستقرار»^(١).

بهذه الكلمات المنسوبة إلى بطريرك القدس ميشال صباح المعروف بمناهضة الاحتلال، ودعوته إلى التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين وفي المنطقة بصفة عامة، صدر الدكتور إلياس إسعيد، رئيس الجمعية الخيرية الأرثوذكسية ببيت ساحور، وأمين سر مجلس المؤسسات الأرثوذكسية في فلسطين دراسته المعنونة: «المسيحيون الفلسطينيون، حقائق وأرقام وتوجهات»، عرض نتائجها لأول مرة خلال أسبوع ثقافية نظمتها جمعية الجالية الفلسطينية بسويسرا يوم (٦ يونيو ٢٠٠٩م)، بالعاصمة الفدرالية السويسرية، (برن).

ويكتسي هذا البحث أهمية كبرى في لحظة يزداد فيها الحديث عن «المضايقات التي يتعرض لها المسيحيون في الشرق الأوسط»، ويتزامن مع دعوة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، خلال خطابه بجامعة القاهرة بداية هذا الشهر، إلى إنصاف المسيحيين في البلدان العربية كالأقباط في مصر، والموارنة في لبنان.

أما في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد توجهت الأنظار إلى المسيحيين منذ فوز حماس بالانتخابات التشريعية يناير (٢٠٠٦م)، وربطت دوائر كثيرة هجرتهم من الأراضي الفلسطينية، بشعورهم بالتمييز ضدهم.

وتمتاز هذه الدراسة بطابعها العلمي إذ تستعيز عن الكلام الإنشائي بالإحصاءات والأرقام والحقائق التي لا تقبل جدلاً لتكشف عن عمق ترابط الشعب الفلسطيني بكل دياناته وطوائفه، ولتثبت الاندماج الكامل للمسيحيين في النسيج الاجتماعي المحلي، على المستويات كافة.

- التمسك بالانتماء الفلسطيني:

على خلاف ما تروج له بعض الدوائر مثلاً، فإن الوثيقة تشدد على «أن المضايقات التي يتعرض لها المسيحيون الفلسطينيون مصدرها الاحتلال، وليس المؤسسات الفلسطينية، ويضيف

alwatan.kuwait.tt/ArticleDetails.aspx/articlecommententry.aspx?id=217607&yq=0

١- سعيد، إلياس، المسيحيون والمسلمون حقائق وأرقام وتوجهات، مؤسسة إيا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٢.

الدكتور إسعيد بفخر واعتزاز: «المسيحيون الفلسطينيون جزء من المجتمع ومن السلطة، وهم أبناء الوطن، جذورهم ضاربة في تربته، ولا يعتبرون أنفسهم جسماً غريباً، كما يرفضون وصفهم بالأقلية، حتى وإن مثّلوا واحد ونصف بالمائة من الشعب الفلسطيني».

يتوجه السيد إسعيد بخطابه إلى المطالبين بالإنصاف والعدالة للمسيحيين في الشرق الأوسط: «نحن نرفض تدخلكم في شؤوننا، أو توظيف ملفنا لأغراض مشبوهة. نحن نستمد قوتنا من الشارع العربي، ومن إخوتنا المسلمين، ومن ثقافتنا العربية ولغتها لغة القرآن».

... وبدلاً من ذلك يدعو المجتمع الدولي إلى «مطالبة إسرائيل بهدم الجدار العنصري، ورفع الحواجز التي تمنع المسلمين والمسيحيين من أداء طقوسهم الدينية في القدس». وبين استطلاع للرأي أجراه صاحب الدراسة أن (٦٠٪) من المسيحيين الفلسطينيين يعرفون أنفسهم بأنهم فلسطينيون عرب، وأن (٣٠٪) فقط يقدمون انتمائهم الديني على انتماءهم الوطني.

- المشاركة السياسية :

هذه الدراسة ترفض الادعاءات التي تذهب إلى القول بأن المسيحيين الفلسطينيين مضطهدون في الأراضي المحتلة، ويقول إلياس إسعيد: «نحن نتمتع بحرية كاملة، ومنتقد سياسة السلطة حين نرى أنها خاطئة، وليس هناك من يضايقنا أو يعتدي علينا، بل أستطيع القول أنه توجد لدينا حقوق وامتيازات تتجاوز بكثير ما هو متاح لإخوتنا المسلمين على الرغم من قلة عددنا في الشارع الفلسطيني»....

... ولا يبدو هذا الكلام بعيداً عن الصواب إذا علمنا الحضور القوي للمسيحيين في المؤسسات السياسية الفلسطينية، وفي منظمة التحرير نفسها، إذ يوجد في الأراضي المحتلة (١٠) رؤساء بلديات، و(١٠) موظفين كبار في مكتب رئيس السلطة الفلسطينية، و(٧) سفراء للسلطة، ووزيران بحكومة رام الله، وفاز (٧) أعضاء مسيحيون بمقاعد في البرلمان الفلسطيني الأخير الذي عطل عملية الصراع بين فتح وحماس.

... ويكفي الإشارة إلى أن (٢٠٪) من مجموع المسيحيين الفلسطينيين ينتمون إلى أحد الأحزاب القائمة، في حين تشغل نسبة كبيرة منهم من داخل مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني، حيث نجد في الأراضي المحتلة (٥٧٥) منظمة مسيحية غير حكومية.

... ويؤكد صاحب الدراسة أن المسيحيين موجودون في جميع الأحزاب الوطنية، ومنهم عدد من الشهداء، وأن أغلب مؤسسي الحركات الثورية الفلسطينية الممثلة داخل منظمة التحرير الفلسطينية هم من أصل مسيحي، كنايف حواتمه، وجورج حبش، وسليم نصار، وحنان عشراوي،

هذا بالإضافة إلى أن عشرات من الكُتَّاب والشعراء والقصاصين قد رووا بكتاباتهم شجرة الوعي الفلسطيني، وساهموا بفعالية في الحفاظ على الذاكرة الوطنية، وفي نقد العقلية الصهيونية، كالمؤرخ الفقيه إدوارد سعيد، والشاعر سميح القاسم^(١).

• ويتضح من النماذج السابقة أن التسامح الديني له قيمٌ يُبنى على أساسها، وفي خضمها يحقق غايته المرجوة، وتُشكّل بمجموعها دوافع ذات قيمٍ عليا للتعايش السلمي - تمثّلها أهل مدينة القدس - وهي:

١- التسامح الديني ضرورة وجودية:

إن ما يجب تسليط الضوء عليه أن التسامح الديني ذو بُعدٍ وجودي، أي أنه ضروري ضرورة الوجود نفسه، فسنة الوجود قد اقتضت أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمعات بشرية، وهي وإن اتفقت فيما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمع والحرص على البقاء والرغبة في التمكّن من مقومات الحياة والسعي في إقامة التمدن والعمران والتوقُّ إلى الارتقاء والتقدم، فإنها قد تباينت في ما تنفرد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية.

فهذا الاختلاف النمطي ضروري، ووجوده حتمي، حتى يتمكن كل فرد وكل مجتمع من العيش حسبما لديه من إرادة وحرية واختيار وبالطريقة التي يهاها ويرتضيها، وهكذا نلاحظ أن الغاية من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل، وتنوعهم إلى ثقافات ومدنيات، إنما هو: التعارف لا التناكر، والتعايش لا الاقتتال، والتعاون لا التطاحن، والتكامل لا التعارض، ويات واضحاً أن أهمية التسامح الديني تتمثل في كونه ضرورياً ضرورة الوجود نفسه.

٢- التسامح الديني يقتضي الاحترام المتبادل:

إن قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يُقرُّ الاختلافَ، ويقبل التنوع، ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميّز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره، ورؤية مستقبلية، وهي سبب وجوده وسر بقائه وعنوان هويته ومبعث اعتزازه.

٣- إن التسامح الديني يقتضي التسليم المطلق - اعتقاداً وسلوكاً وممارسة - بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حرمة فأولئك دين له حرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فأولئك خصوصية ثقافية لا تقبل المسّ أبداً.

١- ينظر: سعيد، إلياس، المسيحيون والمسلمون حقائق وأرقام وتوجهات. المرجع السابق، ص ٢-٣٠.

٤- التسامح الديني داعمٌ لإقامة مجتمع مدني:

فمن الواضح أن التسامح الديني يُعدُّ أرضيةً أساسيةً لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالعددية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية، واحترام سيادة القانون خيارات استراتيجية، وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجع على تفعيل قواعده.

٥- التسامح الديني سببٌ لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع على اختلاف أديانه وأعراقهم، وأنه سبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، وتنمية المجتمعات وتطويرها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وبعد..

فقد تناولت هذه الدراسة مفهوم التعايش السلمي، والتسامح الديني عند أصحاب الديانات السماوية من خلال الفهم السليم لأحكام رب العالمين، رب الديانات جميعاً، وبيّنت أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري والتبادل الثقافي والتقاء الأمم لما فيه خير البشرية وصالحها العام، كما وهدفت الدراسة إلى بيان أهمية القدس التاريخية والمكانية عند أصحاب الديانات السماوية، وقدمها نموذجاً تطبيقياً حياً يمكن الاقتداء به في مجالي التعايش السلمي، والتسامح الديني.

وخلص الباحث إلى جملة من النتائج، كما يلي:

١- إن معنى التعايش هو قبول التصالح الدنيوي والوجود والجوار، والاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية التي تتيح فرصة لتبادل الحوار والإقناع، ورفض الطغيان والجبروت والكبرياء وفرض الهيمنة، بأن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، يستوحون منهم التعاليم والمبادئ، أو يخشونهم، أو يخضعون لما يملكونه من قوة باطشة، مما يؤدي إلى خلل في الكيان الإنساني، وإلى الفوضى في العالم.

٢- إن من الصعوبة أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى، التي تؤمن بغير دينه، ودون أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول أهداف، أو ضرورات مشتركة، لذلك فإنه ينبغي أن ينطلق هذا

التعايش ابتداءً من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، ومن أجل الحياة الإنسانية الحرة الكريمة، وفي المجالات ذات الاهتمام المشترك.

٣- إنَّ الإسلام بمنهجه وتعاليمه واضحٌ لا غموض فيه، ومن أراد أن يتعرف عليه فليأتمل مصادره المعتبرة الأصلية، ولينظر حقيقة ما جاء به كدين سماوي خاتم، أما أن نحكم على الإسلام من خلال تصرفات بعض المخالفين والمقصرين فذلك قياسٌ باطل وظلم كبير للإسلام، فالإسلام قد قاوم كل اتجاه يُنزع إلى التشدد والتعصب والغلو، وعلى العقلاء والمنصفين التعرف على الإسلام من خلال قواعده وأحكامه ومنهجه، فقد جاء الإسلام بجميع الأحكام التي تنظم كافة العلاقات، وترقق أخلاق الناس وتهذب سلوكهم، وتحترم الاعتداء على الآخرين المسالمين، ومن يخالف ذلك فهو بعيد عن منهج الإسلام، والإسلام من تفریطه وغلوّه براء.

٤- أنَّ التعاليم المسيحية متمثلةً بالإنجيل، مملوءةٌ بالتعاليم التي تُلزم المسيحيين بالتعامل مع بقية أبناء الأديان الأخرى بالمحبة والتسامح، وعدم نبذ الآخر المختلف عقيدةً ولوناً وشكلاً، والأصل في جميع المعتقدات أنَّ الإنسان عند الله مفضل على أي شيء آخر، وأنَّه من الظلم الكبير أن تتناحر الشعوب وتسفك الدماء البريئة على معتقدات، لو شاء لها الله أن تكون واحدة موحدة لجميع بني البشر، لفعل ذلك، ولكن الأصل في الحياة هو الاختلاف وتبادل الآراء والتفاهم والعيش المشترك.

٥- إنَّ مدينة القدس حظيت - وما تزال - بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، لم تضاهيها في ذلك أية مدينة عبر التاريخ وعلى مر العصور، فلقد تميّزت هذه المدينة بخصوصية اكتسبتها من انفرادها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، تعاقبت عليها الحضارات وأمتها المجموعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية، التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، ولهذا دلالة على عظم المكان وقديسيته.

٦- إنَّ التعايش والأخوة بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس نموذجٌ حيٌّ لكل العالم، وبالرغم من كل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة، سيظل أبناء الديانتين معاً شركاء في الدم والمصير، ولهم كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات الوطنية تجاه قضية فلسطين عامة والقدس خاصة.

د. هشام سليم عبد الله المغاري
قائم بأعمال عميد أكاديمية فلسطين للعلوم الأمنية
غزة - فلسطين

قبول المعلومات الأمنية وردّها في ضوء مناهج المحدثين

مستخلص البحث

عالج الباحثُ الموضوع في مبحثين: قدّم في الأول تعريف المعلومة الأمنية لغة واصطلاحاً، وأشار إلى مجالات النشاط الاستخباري بشكل عام، ثم عرّف المعلومة الأمنية، وأصل في المبحث الثاني طرق قبول المعلومة الأمنية وردّها مستفيداً من مناهج المحدثين. اتّبِع الباحث المنهج الوصفي بغرض التعريف بالأمن والمعلومات، وتتبع منهج المحدثين في قبول وردّ الرواية، كما اتّبِع المنهج التحليلي في مقارنة طرق المحدثين عند قبولهم أو ردّهم للرواية، ومقارنة ذلك مع المعلومة الأمنية للوصول إلى النتائج المرجّوة. توصّل الباحث إلى وجود كثير من القواسم المشتركة بين صناعة المعلومة الأمنية ومنهج المحدثين في التعاطي مع الرواية.

خلص الباحث إلى ضرورة الاستفادة من مناهج المحدثين في دراسة قبول المعلومات الأمنية وردّها، وتصنيفها من حيث الصحة والضعف بما يتناسب مع حال مصدر المعلومة وطرق صياغتها، وخصّ بذلك أجهزة أمن المقاومة الفلسطينية ودول الربيع العربي، كما أوصى الباحث بإعداد البحوث العلمية ورسائل الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه)، التي تربط بين المعلومات الأمنية والعلوم الشرعيّة، وتقديم الاقتراحات الضرورية لتحسين الأداء والجودة والعدل في عمل الأجهزة الأمنية في بلادنا العربية والإسلامية.

مقدمة :

أضافت التكنولوجيا الحديثة طرقاً جديدة لجمع المعلومات، من حيث الكميّة والنوعيّة

والسرعة؛ بسبب ما أنتجته من وسائل وأدوات لم تكن متاحة في عصور سابقة، ومع ذلك بقي الإنسان المحور الرئيس في كافة مجالات صناعة المعلومات، من حيث الصدق والأمانة والأسلوب، وتحويل المعلومات من صورتها التقنية إلى تقارير بلغة مفهومة لكافة المستخدمين.

لم يعد كم المعلومات معياراً كافياً للحكم على قوة الدول، وأصبح من الواجب الاهتمام بكل معايير الجودة من حيث الكم والنوع والصحة والشمول، ولا يكون ذلك إلا بوضع ضوابط وإجراءات مُحكّمة، وبذل جهود كبيرة للتعامل مع المعلومات في كل مراحلها.

يَقِفُ الأمن في مقدّمة المجالات التي تحتاج إلى المعلومات، وعندما نعلم أن المعلومات الأمنية تتعلّق في مُعظمها بأرواح الناس وأعراضهم، أو مصير الجماعات والدول، يهون عندها حجم الجهد الذي يبذل في جمعها وتدقيقها وتحديد مستوى قبولها؛ لتكون القرارات صائبة مبنية على أسس متينة.

المسلمون هم أوّل من أولى صناعة المعلومات اهتماماً خاصاً، من حيث شروط القبول والردّ، وبذلوا في ذلك جهوداً هائلة، وتركوا تراثاً عظيماً، يحتاج إليه المسلمون في هذا العصر أكثر مما احتاجوه في عصور ماضية؛ بسبب ثورة المعلومات، وسهولة انتشار الإشاعة، وتعمّد الخداع والتضليل.

يسعى الباحث للمُساهمة في تأصيل وتطوير مناهج قبول المعلومات الأمنية وردّها، وتدرّجها من حيث الصحة والضعف، مستفيداً مما أنتجه علماء الحديث النبوي من أساليب؛ ليكون ذلك مادة تستفيد منها أجهزة الأمن العربية، وفي مقدّماتها أجهزة المقاومة الفلسطينية ودول الربيع العربي، رغبة في الوصول إلى مستوى أكبر من العدل، والانتقال بالأمن إلى مفهومه الشامل، وتحقيق المصلحة الوطنية العامة، بعيداً عن المؤثرات الحزبية أو الفئوية الضيقة.

دوافع البحث وأهميته :

دفع الباحث للكتابة في هذا الموضوع أمور هي:

١- كَوْنُ الباحث مواطناً فلسطينياً، فإنّه يشعر بأهمية الأمن وجودة المعلومات في إدارة الصراع؛ كي تكون المقاومة أقدر على فهم طبيعة الاحتلال وأنشطته وأساليبه، ثم مواجهته مواجهة مبنية على فهم عميق، دون أن تفرق في كم المعلومات الكاذبة أو المُضلّة أو عديمة الفائدة.

٢- اهتمام الأجهزة الأمنية العربية بكم المعلومات المرتبطة بأمن النظام الحاكم، دون اعتبار لجودتها ونوعها، منطلقة من عقيدتها الأمنية المبنية على حفظ مصلحة النظام،

دون أي اعتبارات أخرى؛ مما أوقعها في سوء التقدير وشيوع الظلم، فكانت تلك الأجهزة سبباً رئيساً لثورات الربيع العربي.

٢- ترك المحدثون المسلمون تراثاً شاملاً ومفصلاً في فنون جمع الرواية والحكم عليها، وهو ما لم تظفر به أية أمة، لكنّ العرب والمسلمون المعاصرون غفلوا عن ذلك التراث؛ فانعكس ذلك على كثير من مناحي حياتهم وفي مقدّماتها المجال الأمني.

٤- حَسَب علم الباحث لا يوجد بحث أو دراسة ربطت بين علوم الحديث والمعلومات الأمنية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

كيف يمكن لأجهزة أمن المقاومة الفلسطينية، وتلك التي ستواصل العمل الأمني في دول الربيع العربي أن تؤصّل وتطوّر أداءها في المعلومات الأمنية، مستفيدة من منهج السلف في قبول وردّ الرواية؟

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي كونه يحتاج إلى إطلالة شاملة على علم المعلومات الأمنية، وعلى منهج المحدثين في قبولهم وردّهم للرواية، كما اتبع المنهج التحليلي؛ كونه يُساعد في المقارنة بين صناعة الرواية وصناعة المعلومات الأمنية، والكشف عن أهم ما يتضمنه منهج المُحدثين من نفاثس يمكن أن تُفيد في تأصيل وتحسين أداء الأجهزة الأمنية من حيث قبولها أو ردّها للمعلومات، وما يندرج تحت ذلك من تصنيفات الصحة والضعف.

هيكل البحث:

يأتي هذا البحث في مبحثين، يقدّم الأول تعريفاً بالمعلومات الأمنية ومجالات النشاط الاستخباري، فيما يربط الثاني بين مناهج المحدثين في قبولهم وردّهم للرواية، وبين ما يشبهها في المعلومات الأمنية؛ للوصول إلى معايير وضوابط تُساهم في تأصيل وتطوير عمل الأجهزة الأمنية.

المبحث الأول

المعلومات الأمنية والنشاط الاستخباري

معنى المعلومة لغة:

تأتي المعلومة بمعنى استخبار، ووشاية، وعرفها معجم المنجد بأنها: «كل ما يعرفه الإنسان عن قضية أو حدث»، وهي: «الأخبار والتحقيقات وكل ما يؤدي إلى كشف الحقائق وإيضاح الأمور» وهي: «عملية توصيل حقائق أو مفاهيم من أجل زيادة المعرفة»^(١).

المعاني الاصطلاحية للبيانات والمعلومات والمعرفة:

يخلط الكثيرون بين مصطلحات: البيانات والمعلومات والمعرفة، ويؤثر هذا الخلط في الفهم والتحليل وصناعة القرار، ومن هنا يرى الباحث أهمية الإشارة للفرق بين المصطلحات الثلاثة:

أولاً: البيانات

البيانات هي: «مجموعة من الحقائق التي لم يتم معالجتها، أو هي المادة الخام للمعلومات»^(٢)، وعند التحليل تجيب كل واحدة منها عن سؤال واحد على الأقل من الأسئلة التي ترد في ذهن محلل المعلومات، وتبقى هذه الإجابات غير ذات فائدة ما لم يتم معالجتها وتنظيمها، بالتبويب والتصنيف، وربط بعضها ببعض، كي يحصل الفهم الذي يؤدي إلى تعديل في الحالة المعرفية.

ثانياً: المعلومات

عندما يتم تنظيم البيانات، وربط بعضها ببعض، لتؤدي معنى واضحاً، مرتبطاً بشيء محدد، وتُجيب عن سؤال مركزي حول قضية ما؛ ليصبح من السهل بناء تصور أولي عن تلك القضية، يتحول المعنى الذي تم تحصيله من مجموع تلك البيانات إلى معلومة^(٣)، فالبيانات إذن هي الوحدات الأولية للمعلومات، وتمتاز المعلومات عن البيانات بأنها مرتبة ومصنفة وذات معنى تستوعبه عقولنا^(٤). ويرى آخرون: «أن المعلومات هي المعنى الذي تحمله الرموز والعلامات»^(٥)، وعرفت موسوعة «Compton» بأنها: «أي شيء يزيل عدم التأكد من أمر ما»^(٦)، وجاء في تعريفها

١- محمد فاروق كامل (١٩٩٩): المعلومة الأمنية، ص ١١.

٢- عبد الرحمن شعبان عطيات (٢٠٠٤): أمن الوثائق والمعلومات، ص ١٢٢.

٣- الباحث (٢٠١٠): المعلومات الأمنية، ص ٣٢.

٤- عبد الرحمن شعبان عطيات (٢٠٠٤): أمن الوثائق والمعلومات، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٥- مايكل هيل (١٩٩٩): أثر المعلومات في المجتمع، ص ٢٥.

٦- محمد فاروق كامل (١٩٩٩): المعلومة الأمنية، مرجع سابق، ص ١١.

أيضاً، أنها: «كلّ ما يعدّل أو يغير من البناء المعرفي للإنسان»^(١)، كما أنها: «بيانات تُمَتّ معالجتها وتحويلها إلى صيغة مُفيدة ذات معنى، ولها قيمة في الأفعال أو القرارات الحالية أو المُحتملة»^(٢)، ويرى آخرون: أن «المعلومات لا تُتضمّن البيانات المُعالَجة فقط، وإنما فئاتها الأخرى من حقائق وشروح ونظريات وقوانين وأدوات، وأي شيء يمكن أن يُعدّل من الحالة المعرفية»^(٣). ويُمكن القول: «إن البيانات تُصبح معلومات عندما يُضاف إليها معنى، وبصيغة رياضية فإن: (المعلومات = البيانات + المعنى)^(٤).

ثالثاً: المعرفة

إذا كانت المعلومة تُعنى بتحصيل الحقائق المُستقاة من مجموع البيانات، فإنّ المعرفة تُعنى بفهم تلك الحقائق واستخدامها في بناء التصورات والمفاهيم، كي يكون الإنسان أقدر على فهم الواقع، وبذلك فإنّ المعرفة: «مجموع المفاهيم والتصورات التي تُكوّن لدى شخص ما نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر الموجودة في بيئته وتفاعله معها»^(٥). وهي: «سائل خليط من التجارب والقيم والمعلومات، تساهم في توليد تجارب ومعلومات جديدة تُنشئها عقولنا»^(٦)، وعندما يُخترن الإنسان المعلومات حتى يستطيع الانتفاع منها، تُسمى هذه المعلومات معرفة، ويُمكن التعبير عن ذلك بصيغة رياضية: (المعرفة = المعلومات المخترنة + القدرة على استعمال تلك المعلومات)^(٧)، أما دليل أكسفورد فيصِف المعرفة بأنها: «عمليات تمثيل للحقائق والمفاهيم التي يتم تنظيمها لاستخدامها مُستقبلاً»^(٨)، وتُشير النظريات الحديثة أنّ عمليات تفكيك كبرى تحدث في العقل عند تعلّم كل حقيقة جديدة»^(٩).

بالإلقاء نظرة تحليلية على التعريفات السابقة والجَمع بينها، يمكن تعريف المعلومة بأنها: «حقائق تُعبّر عن معانٍ ومفاهيم تُستوعبها عُقولنا، ويكون مصدرها واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة، ومن شأنها إحداث تغيير في حالتنا المعرفية»، كما يُمكن استنتاج أنّ المعلومات تؤثر في حالتنا المعرفية بواحد أو أكثر من الأشكال التالية:

1- Broder (1980): Information as the fundamental social science, p 21.

2- Bawden, D. (1997): Information policy or knowledge policy, pp. 74 – 79 ..

٢- مايكل هيل (١٩٩٩): أثر المعلومات في المجتمع، مرجع سابق، ص ٢٦.

٤- كيت ديفيلن (٢٠٠١): الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، ص ٣٥.

٥- زياد بركات، وأحمد عوض (٢٠١١) واقع دور الجامعات العربية في تنمية مجتمع المعرفة ...، ص ٩.

٦- كيت ديفيلن (٢٠٠١): الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

٧- كيت ديفيلن (٢٠٠١): الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، المرجع السابق، ص ٣٥.

8- Gregory, R. (1987): The Oxford companion to the mind. Oxford, P410

9- Oakeshott, M. (1989): The voice of liberal learning, P. 51.

- ١- تكرار أو تأكيد لمعلومات سبق علمنا بها وتخزينها في عقولنا.
- ٢- إضافة جديدة لمعلومات سبق معرفتنا بها.
- ٣- تصحيح أو تعديل لمعلومة عرفناها من قبل.
- ٤- فتح مجال للحصول على معرفة جديدة.

مفهوم الأمن:

يُمكن تعريف الأمن لغةً واصطلاحاً على النحو التالي:

تعريف الأمن لغة:

الأمن ضد الخوف، وهو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف^(١)، ومن المعاني الأخرى للأمن القوة، فالأمن هو القوي الذي يطمئن الناس إليه^(٢).

تعريف الأمن اصطلاحاً:

يرى البعض أن الأمن مفهوم عسكري، ويرى آخرون أنه مرادف للسياسة الخارجية، فيما يرى فريق ثالث أنه يندرج تحت العلوم الاجتماعية، ويرى فريق رابع أن الأمن ليس سوى التنمية^(٣). والأمن من المنظور الاستراتيجي العسكري: «قدرة الدولة على حماية نفسها وقيمها من الأخطار الخارجية»^(٤)، ومن المنظور السياسي: «عملية التخلص من مظاهر الضعف الاستراتيجي من خلال رسم وصياغة مبادئ سياسية»^(٥)؛ لذلك فهو حصيلة التعاون بين المخطط العسكري والمقرّر السياسي، والأمن من الناحية الاجتماعية: «اطمئنان الإنسان لانعدام التهديدات الحسية ولتحرّره من القيود التي تحول دون استيفائه احتياجاته الروحية والمعنوية، والشعور بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية»^(٦).

مما سبق يمكن تعريف الأمن بأنه: «تحقيق حماية مؤسسات الدولة وأفرادها، من التهديدات الداخلية والخارجية الواقعة والمحتملة»، سواء كان ذلك التهديد عسكرياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو غير ذلك، وسواء كان مصدر الخطر من الداخل أو من الخارج، وسواء وقع التهديد على الدولة ومؤسساتها أو على الأفراد والمواطنين الذين يقطنون تلك الدولة.

١- محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (د.ت): تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٢٢.
 ٢- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (١٩٩٠): لسان العرب، ٢١/١٣ (أمن).
 ٣- هيثم الكيلاني (١٩٩٦): مفهوم الأمن القومي العربي، ص ٧٠.
 ٤- منير عبد الرحمن شبيب (٢٠٠٣): نظرية الأمن الإسرائيلية في ظل التسوية السلمية...، ص ١٩.
 ٥- حامد ربيع (١٩٨٤): نظرية الأمن القومي العربي...، ص ٢٨.
 ٦- فهد محمد الشقحاء (٢٠٠٤): الأمن الوطني تصور شامل، ص ١٤.

- وبناء عليه تكون المعلومة أمنيةً إذا توفّرت فيها الشروط التالية:
- الشرط الأول: أن تُحدّث تغييراً في معرفتنا الأمنية وفيما نواجهه من تهديدات ومخاطر.
- الشرط الثاني: أن تتوفر في المعلومة واحدة أو أكثر من الخصائص التالية^(١):
- ١- تُكشّف تهديداً قائماً.
 - ٢- تتنبأ بتهديد مستقبلي.
 - ٣- تُساهم في مواجهة تهديد قائم أو متوقع.

النشاط الاستخباري

تمارس الأجهزة الأمنية عدداً من مجالات صناعة المعلومات، التي يُطلق عليها (الأنشطة الاستخبارية)، والأداء المعلوماتي الصحيح يجب أن يشمل كافة هذه المجالات.

مفهوم النشاط الاستخباري

الاستخبارات «مجموع الأجهزة والتشكيلات والوسائل المُستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعملية في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس والتخريب المعادية، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات»^(٢)، وقد اعتبرت الموسوعة الأمريكية أن الاستخبارات «تَهْتَمُ بِجَمْعِ وَتَقْيِيمِ المعلومات ذات العلاقة بالمنظمات والدول الأجنبية، من حيث المعدات وأحجام الجيوش ومواقعها، وتهتم بصورة خاصة بالبحث عن المعلومات التي تُفيد في الإنذار المُبكر، كالهجوم المباغت»^(٣)، وترى الموسوعة البريطانية أنه «لا يكفي أن يَمْتَلئَ أرشيف الحكومة بالملفات والمعلومات الصحيحة، بل لا بُدَّ أن تخضع للتفسير والتقييم الصحيح، وتوضّع تحت تصرّف الجهات المختصة في الوقت المناسب»^(٤).

مما سبق، يمكن تعريف النشاط الاستخباري بأنه: «عملية جمع المعلومات الأمنية التي تتعلق بالتهديدات المُختلفة، للوصول إلى تقدير موقف يُساعد في اتخاذ القرار المناسب، واتّباع كل السبل الكفيلة بالمُحافظة على سرّية معلومات الدولة، وبتّ المعلومات المغلوطة أو الإيحاء بها؛ بغرض تضليل العدو».

١- الباحث (٢٠١٠): المعلومة الأمنية، مرجع سابق، ص ٧٤.

٢- هيثم الأيوبي (محرر) (١٩٨١): الموسوعة العسكرية . ص ٦٢

3- Encyclopedia Americana Corporation (1991): The Encyclopedia Americana . p 246

4- Encyclopedia Britannica Inc. (1984): The Encyclopedia Britannica . p679

مجالات النشاط الاستخباري

إنَّ هَدَفَ إنشاء أجهزة الاستخبارات هو: «الحاجة إلى المعلومات، بهدف الوصول إلى الحقيقة، بشكلها الصحيح»^(١)، وبناءً على التعريفات السابقة، يُمكن حصر مجالات النشاط الاستخباري في ثمانية مجالات هي^(٢): اكتشاف المشكلات الأمنية، وجمع المعلومات ومعالجتها، وتحليلها، وأرشفتها، وإعداد الدراسات الأمنية، وتقدير الموقف الأمني، وممارسة الخداع والتضليل، وتأمين معلومات الدولة وفي مقدمتها التصنيع العسكري والأمني. ويكتفي الباحث بتسليط الضوء على جمع المعلومات ومعالجتها؛ كونها الأكثر ارتباطاً بموضوع البحث (قبول المعلومات الأمنية أو ردها).

١ - جمع المعلومات:

إنَّ جَمْعَ المعلومات يُعدُّ أكثر الأنشطة الأمنية أهمية، وبدونه تبقى أجهزة الأمن عاجزة عن القيام بأيِّ نشاطٍ آخر، وبحسب الموسوعة البريطانية فإنَّ «أكبر كمية من المعلومات الاستخبارية تأتي من مصادر علنية وبدون عناء، مثل: الاستماع إلى نشرات الأخبار، والحصول على النشرات الإحصائية والتقارير السياسية وغيرها»^(٣)، «وتصل نسبة المعلومات التي يتم جمعها من المصادر العلنية إلى أكثر من ٨٠٪»^(٤)؛ لذلك تتجه أجهزة الأمن إلى جمع المعلومات الأمنية من المصادر العلنية قبل أن تبذل جهودها للحصول على المعلومات من المصادر السرية. وترى الموسوعة الأمريكية أن «الحصول على المعلومات العسكرية يكون أسهل في حالات الحرب، منه في حالات السلم، وذلك من خلال التحقيق مع الأسرى، وضبط الوثائق»^(٥). كما أن «كثيراً من المعلومات الاستخبارية يتم الحصول عليه من خلال بحوث طلبة الجامعات، ويتم تحليلها في مراكز الأبحاث الاستخبارية»^(٦). وأما المعلومات التي تحصل عليها الأجهزة الأمنية بطرق سرية، فتتمثل في تجنيد الجواسيس، أو استخدام وسائل تقنية الاتصالات الحديثة والأقمار الصناعية، كما أنها قد تحصل على المعلومات بممارسة أنشطة أمنية مباشرة، مثل التحقيق مع العملاء والأعداء وأعدائهم.

تهتم أجهزة الاستخبارات بالحصول على المعلومات التي تتعلق بالمخاطر والتهديدات، سواء

1- Joseph (1995): intelligence intervention in the politics of democratic states p 48

٢- الباحث (٢٠٠٨): الاستراتيجية العسكرية لكل من مصر وإسرائيل ... ص ٧٦-٨٢.

3- Encyclopedia Britannica Inc. (1984): The Encyclopedia Britannica . p680.

٤- يوسف أبو بكر، ونبيل سالم (١٩٨٩): حرب المعلومات بين العرب وإسرائيل . ص ٣٥.

5- Encyclopædia Americana Corporation (1991): The Encyclopedia Americana . p 246.

6- Encyclopedia Britannica Inc. (1984): The Encyclopedia Britannica . p680.

كانت متعلّقة بالساحات الخارجية، مثل: المعلومات السياسية والاجتماعية، التي تعبّر عن مستوى تماسك جبهة الأعداء، والمعلومات الاقتصادية، التي تُشير إلى القدرة المالية والشرائية والاكتفاء الذاتي، والخبرات العسكرية والتقنية، التي تحدّد القدرة الهجومية والدفاعية للأعداء، كما تُعنى بجمع المعلومات عن السكان، والأحوال المدنيّة والجويّة والعوامل البيئية وغيرها، لتتعرّف على اتجاهات السكان، وسبب التأثير فيها. أو تلك المتعلقة بالأنشطة والجهات الداخلية التي تعمل في اتجاه مفاير لمصلحة الدولة، في مخالفة واضحة للدستور والقانون⁽¹⁾، مثل: البؤر الإجرامية والجواسيس والعصابات والجريمة المنظّمة، والتعاون مع جهات خارجية، وغسيل الأموال، والفكر المناقض لمبادئ الدستور، وغيرها.

٢- معالجة المعلومات

قد تكون المعلومات في صورتها الأولية ناقصة أو مغلوطة أو تحتمل دلالات عدة؛ والأصل أن تمرّ المعلومات بمراحل من المعالجة والتقييم قبل الاستفادة منها، بغرض تدقيقها واستكمالها وتحديد دلالاتها، وبعد ذلك قد يتم ردّ المعلومة أو قبولها، وفي مرحلة المعالجة يرى الباحث أنه يجب التركيز على أمرين، هما:

الأول: معالجة الشكل

يقصد به، أن تستوفي المعلومة كل مكوّناتها الرئيسية، مثل: مصادر المعلومة، وتاريخها ومكان حدوثها والأشخاص المشاركين فيها، والتأكد من حسن صياغتها، من حيث عدم الزيادة أو النقص، وعدم إدراج وجهات النظر، وترتيب الأحداث زمنياً، وانتقاء الألفاظ المعبرة عن المعاني بدقة. كما تهتمّ المعالجة بترجمة المعلومات وفك الشيفرة، وتحويل المعلومات من أشكالها المختلفة كالصور الجوية والرسومات والمخططات البيانية والتسجيلات والجدول الإحصائية، إلى تقارير خطية وإحصائية بلغة تفهمها جهات الاختصاص الأخرى في دوائر الأمن.

الثاني: معالجة المضمون

يتم خلال هذه المرحلة، التأكد من توفّر شروط ومعايير المعلومة الأمنية، التي سبق الإشارة إليها.

المعرفة وصناعة القرار الأمني:

إن العديد من أجهزة الأمن تبني موقفها من الأشخاص والهيئات مُستندة إلى مجموعة

١- ليس المقصود هنا المعارضة السياسية الوطنية، لأن جمع المعلومات عنها يعتبر مخالفة للأنظمة الديمقراطية، وتعدّياً على خصوصية الأحزاب، لكن المقصود جمع المعلومات عن الجهات التي تعمل في اتجاه مخالف لمصلحة الوطن، والمعيّار للحكم على ذلك هو دستور البلاد والقوانين المعمول بها.

من البيانات التي لم تتم مُعالجتها، ولم تُصل بعد إلى مستوى المعلومات المؤكدة، فتتخذ أجهزة الأمن إجراءات تحرّم أولئك الأشخاص من كثير من حقوقهم، دون علمهم ودون أن تُعطِيهم الحق في معرفة الأسباب، أو الدفاع عن أنفسهم، وهذا يُنبئ عن خلل في الأداء المعلوماتي، والأصل أن يتطوّر الأداء فتبنى القرارات والتصورات عندما يتراكم لدى الأجهزة الأمنية مستوى يصل إلى الحد الأدنى من المعرفة المطلوبة. ولا يُمكن الوصول إلى المستوى المطلوب من جودة القرارات الأمنية، إلا عندما تقوم الدوائر المختصة بتحديد درجة صحة المعلومات التي يُتخذ القرار بناءً عليها؛ لأن المعلومات كلما كانت أكثر صحّة، كان القرار أكثر دقّة وزادت الثقة به، والعكس بالعكس. وفي حال عدم تحديد درجة صحّة المعلومات، فإن على صانع القرار أن يُصنّف قراراته ضمن القرارات الاحتياطية أو الوقائية، التي تُهدف إلى درء المخاطر، وعليه ألا يُتخذ قرارات قطعية أو نهائية تمسّ بمصالح الأشخاص والهيئات بصورة مباشرة. وعندما تكون القرارات الأمنية أكثر خطورة، وتُسود حالة من عدم التأكد، ولا يتوفّر ما يلزم من معلومات، يُصبح من الضروري الاستعانة بأصحاب الخبرة والحكمة، التي هي أعلى من المعرفة؛ لأنهم - في هذه الحالة - يكونون قادرين على الإجابة عن بعض الأسئلة التي لا تتوفّر بيانات كافية عنها.

المبحث الثاني

تطبيقات مناهج المحدثين على قبول المعلومات الأمنية وردّها التوسع في فروع المعلومات الأمنية

أنشأ المحدثون فروعاً كثيرة لخدمة الحديث، وجعلوا خدمته في أربعة مجالات رئيسية هي: علم الرواية، وقواعد التصحيح والتعديل، وعلم الجرح والتعديل، وفقه الحديث^(١)، وأنزلوا تحت كل مجال منها علوماً فرعية كثيرة. لم تترك في الرواية شيئاً إلا أشبعته دراسة، مثل: طرائق تحمّل الحديث، ومعرفة علو الإسناد ونزوله، وأنواع الحديث كالصحيح والحسن والضعيف، ورواية الحديث وطبقاتهم، والعدالة والضبط، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومُشكل الحديث ومُحكّمه، وغيرها من الفروع، وقد جمّعوا هذه العلوم في علم أطلقوا عليه «علم الحديث رواية ودراية»، وقصدوا بعلم الحديث رواية: كل ما يُعرف به أقوال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وأحواله، وأما علم الحديث دراية فقصدوا به «ما يُعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد»^(٢). وأطلقوا على علم الحديث دراية أسماء أخرى، منها: «مُصطلح الحديث، وعلوم الحديث»^(٣)، وقد استفاد علماء العرب والمسلمين من هذا العلم في كثير من العلوم الأخرى التي تعتمد على الرواية.

١- حمزة عبد الله المليباري (د.ت.): علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، ص ٧.

٢- عبد الرؤوف المناوي (١٩٩٩): اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، الجزء ٢، ص ٢٢٠.

٣- نور الدين عتر (١٩٩٧): منهج النقد في علوم الحديث، دمشق، دار الفكر، ط ٣، ص ٢٢.

تَفَتَّحَ جُهود علماء الحديث، في تقسيمهم وتفرعاتهم لعلم الرواية، باباً واسعاً أمام أجهزة الأمن العربية بشكل عام، وأجهزة أمن المقاومة الفلسطينية ودول الربيع العربي بشكل خاص، وذلك بالتوسع في فروع وتخصصات المعلومات الأمنية، وزيادة التأليف والتدريب في العلوم المُساندة لها، مستفيدين من التقسيمات والتفرعات الكبيرة التي ابتدعها علماء الحديث النبوي، من حيث طُرق جمع المعلومات ونقلها، ومعرفة صحيحها وضعيفها، وقواعد صياغتها وتدوينها وحفظها، وشروط قبولها أو ردّها، وشروط عناصر الأمن ومواصفاتهم، وأساليب معالجة المعلومات وتدقيقها وتحليلها، والبحث في دلالاتها، وتصميم نماذج جمع المعلومات، وبناء قواعد البيانات، مع ضرورة المزوجة بين الأدوات التي ابتدعها علماء الحديث في كل ما سبق من مجالات، وبين ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة من أدوات قادرة على اختصار الزمن، وتحقيق المعرفة.

بناء المعلومة الأمنية

قَسَمَ المُحدِّثون الرواية الواحدة إلى جزأين أساسيين، لا تكون الرواية روايةً إلا بتوفرهما معاً، وهما: سند الرواية وممتها، ويعتبر المُحدِّثون أنّ دراسة الرواية والحكم عليها لا يكتملان إلا بوجود السند والمتن معاً، والمقصود بالرواية عندهم: «حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزّي إليه بصيغة من صيغ الأداء»، وفي مناهج المُحدِّثين: لو أن راوياً تحدّث بالحديث ولم ينسبه إلى قائله لم يكن ذلك رواية^(١)، واعتبروا أن أول شروط علم الرواية شرط الإسناد الصحيح^(٢).

السند عند المُحدِّثين هو: «طريق المتن، أي سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن عن مصدره الأول»^(٣). ويرون أنّ الإسناد من خصائص هذه الأمة، وقد أخبرت النصوص النبوية الثابتة عن وقوعه قبل أن يعرفه الناس، كما في حديث عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ»^(٤)، وقال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(٥).

أما المتن فهو: «ما انتهى إليه السند من الكلام»^(٦)، وإذا كانت الرواية حديثاً نبوياً، فعندها يكون المتن هو: ما أُضيف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة^(٧).

على خلاف ما تقدّم: فإن أجهزة الأمن تُعطي أهمية أكبر لنصّ (متن) المعلومة، وينصبّ

١- نور الدين عتر (١٩٩٧): منهج النقد في علوم الحديث، مرجع سابق، ص ١٨٨.

٢- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (١٩٨٢): الأنوار الكاشفة... ص ٦٦.

٣- أبو بكر الكاظمي (د.ت.): منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها، ص ١٢٥.

٤- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (١٣٤٤هـ): السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، جزء ١٠، ص ٢٥٠، حديث ٢١٧١٧.

٥- صحيح مسلم، المقدمة، مجلد ١، ص ١٥.

٦- عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (١٩٨٦): مقدمة في أصول الحديث، ص ٤٠.

٧- محمود الطحان (د.ت.): تيسير مصطلح الحديث، ص ٩.

اهتمامها على معرفة المصدر المباشر الذي أوصل المعلومة للجهة الأمنية، وقليلًا ما يكون الاهتمام بمن سبقه، أو بمن نقل عنه، وتتذرع بعض أجهزة الأمن بأن التعرف إلى باقي المصادر يحتاج إلى جهد استخباري كبير، لا تملك أجهزة الأمن ما يلزمه من نفقات، أو ما يكفيه من وقت^(١). فيترب عن ذلك فجوة معرفية تُضعف الثقة بالمعلومات نتيجة الجهل بالمصادر الأخرى.

في ضوء ما تقدّم يُمكن تقسيم المعلومة الأمنية إلى سند ومتن:

سند المعلومة الأمنية: «سلسلة الأشخاص والهيئات^(٢) الذين نقلوا المعلومة الأمنية أحدهم عن الآخر ابتداءً من المصدر المباشر للمعلومة، مروراً بمن نقل عنهم حتى مصدرها الأول وما يشمله ذلك من ألفاظ دالة على طريقة نقل المعلومة من مصدر إلى آخر»، سواء كان الناقلون للمعلومة من بين العاملين في جهاز الأمن أو من خارجه.

متن المعلومة الأمنية: «نص المعلومة الذي يشمل ألفاظها وعباراتها التي تساهم في إدراك التهديدات أو التنبؤ بها أو معالجتها»، ومن ذلك: وصف الأحداث وتفاصيلها، والأخبار والإحصاءات والتقارير، والتعريف بالأشخاص والهيئات، ونمو الظواهر الأمنية، وغيرها.

لا يوجد تعارض في استخدام أجهزة الأمن للرموز الدالة على مصادرها في حال تعدد الكشف عن اسم المصدر لاعتبارات أمنية، سواء كانت المصادر من الأشخاص أو الهيئات والمؤسسات، مع الربط بين كل رمز من رموز المصادر، وبين ما شارك في جمعه من معلومات.

تحصل أجهزة الأمن على كثير من معلوماتها بطرق تقنية، كأجهزة التنصت والتصوير وغيرها، وهذا يتطلب إضافة مجموعة من الضوابط التقنية التي تخص الأجهزة والأشخاص المكلفين باستخدامها، وطرق تزييف المعلومات، وتشفيرها، وتجميعها أو تجزئتها، وربط تلك الضوابط بمعايير تساهم في تحديد درجة الثقة بمصادر المعلومات.

تلقي المعلومات الأمنية ونقلها

لا يكون السند مكتملاً، بحسب مناهج المحدثين، إلا بمعرفة طرق التحمل، وهي الطرق التي أتبعها الرواة المذكورون في السند في نقل الرواية من أحدهم إلى الآخر، ولا تتساوى تلك

١- ورشة عمل جمعت الباحث مع اللواء «صلاح أبو شرح» مدير عام قوى الأمن الداخلي الفلسطينية، والعقيد «محمد لافي»: نائب رئيس جهاز الأمن الداخلي - غزة . (أكتوبر ٢٠١٠) ... لقاء ضم الباحث مع الأستاذ «عمر البرش» وكيل وزارة العدل في السلطة الفلسطينية - غزة (إبريل ٢٠١١) ... مقابلة تليفونية مع اللواء أركان حرب «طلعت مسلم» في فضائية مصر ٢٥، قال فيه كلاماً يفيد نفس المعنى (٢٧/٨/٢٠١٢ - س: ٥٠:٢٠).

٢- المقصود بالهيئات: المصادر من غير الأشخاص، كالمؤسسات والجماعات وغيرها، فإذا كان الرواة ومصادر المعلومات في زمن تدوين السنة من الأشخاص، فإن مصادر المعلومات في عصرنا قد تكون من المؤسسات، مثل قولنا: سمعت من فضائية كذا، أو قرأت في جريدة كذا، أو أخذت من مركز أبحاث كذا.

الطُّرُق فِي قَوِّئِهَا وَالدَّلَالَةَ عَلَى صِدْقِ رَوَاتِهَا، وَقَدْ دَلَّتْ مُعْظَمُ أَقْوَالِ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى أَنَّ طُرُقَ التَّحْمَلِ ثَمَانِيَةٌ^(١):

- ١- السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ مِبَاشَرَةً: وَمِنْ أَلْفَاظِهِ: «سَمِعْتُ»، وَ«حَدَّثَنِي»، وَ«أَخْبَرَنِي»، وَ«أَنْبَأَنِي».
 - ٢- الْقِرَاءَةُ أَوْ الْعَرَضُ عَلَى الشَّيْخِ: وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «قَرَأْتُ عَلَى فُلَانٍ».
 - ٣- الْإِجَازَةُ أَوْ الْإِذْنُ بِالرَّوَايَةِ: وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «أَجَازَ لِي فُلَانٌ»، وَ«حَدَّثَنَا إِجَازَةً».
 - ٤- الْمُنَاوَلَةُ: أَنْ يُعْطِيَ الشَّيْخُ كِتَابَهُ لِطَالِبٍ وَيَقُولُ لَهُ هَذَا رَوَايَتِي عَنْ فُلَانٍ، وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «نَاوَلَنِي»، وَ«أَجَازَ لِي»، وَ«حَدَّثَنَا مَنَاوَلَةً».
 - ٥- الْكِتَابَةُ: أَنْ يَكْتُبَ الشَّيْخُ لِحَاضِرٍ أَوْ غَائِبٍ بِخَطِّ يَدِهِ أَوْ أَمْرِهِ، وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «كُتِبَ لِي فُلَانٌ»، وَ«حَدَّثَنِي فُلَانٌ كِتَابَةً».
 - ٦- الْإِعْلَامُ: أَنْ يُعْلِمَ الشَّيْخُ الطَّالِبَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَوْ هَذَا الْكِتَابَ كَذَا سَمَاعاً، وَمِنْ أَلْفَاظِهِ: «أَعْلَمَنِي شَيْخِي بِكَذَا».
 - ٧- الْوَصِيَّةُ: أَنْ يُوصِيَ الشَّيْخُ عِنْدَ مَوْتِهِ أَوْ سَفَرِهِ لِشَخْصٍ بِكِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ الَّتِي يَرُويهَا، وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «أَوْصَى إِلَيَّ فُلَانٌ بِكَذَا»، وَ«حَدَّثَنِي فُلَانٌ وَصِيَّةً».
 - ٨- الْوِجَادَةُ: أَنْ يَجِدَ الطَّالِبُ أَحَادِيثَ بِخَطِّ شَيْخٍ يَعْرِفُهُ، ثُمَّ يَرُويهَا وَلَيْسَ لَهُ سَمَاعٌ مِنْهُ وَلَا إِجَازَةً، وَمِنْ أَلْفَاظِهَا: «وَجَدْتُ بِخَطِّ فُلَانٍ»، وَ«قَرَأْتُ بِخَطِّ فُلَانٍ».
- يَتَبَيَّنُ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّ ذِكْرَ جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مِمَّنْ نَقَلُوا الْمَعْلُومَةَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، لَا يَكُونُ كَافِيًا وَلَا دَقِيقًا، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الَّتِي اتَّبَعَهَا كُلُّ مَصْدَرٍ فِي نَقْلِ الْمَعْلُومَةِ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى تَصِلَ الْمَعْلُومَةُ إِلَى الْجِهَةِ الْمُخْتَصَّةِ فِي جِهَازِ الْأَمْنِ. وَإِذَا انْحَصَرَتْ طُرُقُ نَقْلِ الرَّوَايَةِ فِي زَمَنِ تَدْوِينِ الْحَدِيثِ فِي ثَمَانِيَةِ طُرُقٍ، فَهِيَ لَمْ تُعَدِّ مَحْدُودَةً فِي عَصْرِنَا؛ نَتِيجَةً لِثَوْرَةِ الْمَعْلُومَاتِ وَالِاتِّصَالَاتِ وَالِابْتِكَارَاتِ التَّقْنِيَّةِ الْحَدِيثَةِ كَالْتَلْفُونِ وَالْإِنْتَرْنِتِ وَالْتَلْفَازِ وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّسْجِيلِ وَغَيْرِهَا. وَمَا دَامَ الْمُحَدِّثُونَ لَمْ يَضَعُوا طُرُقَ التَّحْمَلِ الْمُخْتَلَفَةَ فِي الْمُسْتَوَى نَفْسَهُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ الرَّوَايَةِ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى الْأَتُونَ طُرُقُ نَقْلِ الْمَعْلُومَاتِ فِي عَصْرِنَا عَلَى الْمُسْتَوَى نَفْسَهُ فِي السَّابِقِ، فَالسَّمَاعُ مِبَاشَرَةً لَيْسَ كَالسَّمَاعِ عَنِ طَرِيقِ التَّلْفُونِ أَوْ الْمِذْيَاعِ أَوْ التَّسْجِيلِ، وَالْمَشَاهِدَةُ الْمِبَاشَرَةُ لَيْسَتْ كَالْمَشَاهِدَةِ مِنَ خِلَالِ التَّلْفَازِ أَوْ أَجْهَازَةِ التَّصْوِيرِ، وَالْقِرَاءَةُ فِي كِتَابٍ لَيْسَتْ كَالْقِرَاءَةِ عَنِ طَرِيقِ الْإِنْتَرْنِتِ، كَمَا أَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى تَرْوِيرِ الصَّوْتِ وَالصُّورَةَ وَالخَطَّ وَغَيْرِهَا، أَصْبَحَتْ عَالِيَةً تَكَادُ لَا تُخْتَلَفُ كَثِيرًا عَنِ الْحَقِيقَةِ، مِمَّا يَتْرِكُ أَثْرَهُ عَلَى مُسْتَوَى الثَّقَّةِ بِمَا يُنْقَلُ عَبْرَ الْوَسَائِلِ التَّقْنِيَّةِ الْحَدِيثَةِ. الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ الْإِهْتِمَامَ بِطُرُقِ تَلْقِي الْمَعْلُومَاتِ وَأَدَائِهَا فِي عَصْرِنَا أَكْثَرَ أَهْمِيَّةٍ مِمَّا

١- محمود الطحان (د. ت.): تيسير مصطلح الحديث، ص ٨٥ - ٨٩.

كان عليه الحال في العصور السابقة، وإذا أضفنا التقدم الكبير في وسائل وفنون التضييل والخداع وبث الإشاعة، يُصبح التقصير في الاهتمام بطرق نقل المعلومات أكثر خطورة على العدل والأمن.

أقسام المعلومة الأمنية

قسّم المحدثون الرواية بطريقتين متكاملتين، الأولى: تقسيم الحديث من حيث السند، والثانية: تقسيم الحديث من حيث الصحة. ويُمكن السير في تقسيم المعلومات على المنهج نفسه، إذ إن تقسيم المعلومات، تبعاً لسندها، يُعطي فرصة أكبر لدراسة السند والاهتمام بكل مكوناته: كالأشخاص والهيئات وطرق نقل المعلومة، وتقسيمها من حيث الصحة يُعطي فرصة للاهتمام بقوة المعلومات وأهميتها، وهذان النوعان من التقسيم يؤثر كل منهما في الآخر.

ويرى الباحث أفضلية في استخدام المسميات التي استخدمها علماء الحديث، تيسيراً للمتابعة وربط الحديث النبوي بالمعلومة الأمنية، ويبقى هناك هامش واسع، في حال رغبت الأجهزة الأمنية الاستفادة من هذا التراث أن تستخدم مسميات أخرى تُقررهما فرق عمل متخصصة.

أولاً: أقسام المعلومة الأمنية من حيث السند:

يمكن تقسيم المعلومة من حيث السند إلى «معلومة متواترة» و «معلومة آحاد».

١. المعلومة المتواترة

عرّف المحدثون الخبر المتواتر بصيغ كثيرة، جاءت كلّها في معنى واحد، منها: «ما رواه عدد كثير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب»، أي الذي يرويه في كلّ طبقة من طبقات سنده رواة كثيرون يحكم العقل عادة باستحالة أن يكونوا قد اتفقوا على اختلاق هذا الخبر. وشروطه أربعة، هي: أن يرويه عدد كثير أقله عشرة أشخاص، حسب الرأي الأرجح، وأن تُوجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند، وأن يُحيلوا في العادة متواطئين على الكذب، وأن يكون مُستند خبرهم الحس، كقولهم سمعنا أو رأينا أو لمسنا^(١).

ينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين:

متواتر لفظي؛ وهو ما اتفق الرواة على معناه ولفظه. ويسميه البعض (متواتر لفظي

ومعنوي).

متواتر معني؛ وهو ما اتفق عليه الرواة على معنى كلي وانفرد كل واحد بلفظه الخاص.

١- محمود الطحان (د. ت.): تيسير مصطلح الحديث، مرجع سابق، ص ١١

ومن أشكاله أن يكون التواتر في قدر معين من الرواية، فيروي كل راوٍ واقعة يشترك مجموعها في قدر معين. فأحاديث رفع اليدين رويت في نحو من مائة حديث. فرواها كل واحد من الصحابة في مناسبة خاصة كالاستسقاء وعند خطبة الجمعة وفي القنوت، بحيث يكون القدر المشترك، وهو رفع اليدين في الدعاء، قد تواتر^(١). وحكم التواتر أنه قطعي الثبوت^(٢).

قياساً على ذلك، يُمكن تعريف المعلومة الأمنية المتواترة، بأنها: «المعلومة التي نقلها كثير من الأشخاص أو الهيئات في كل طبقة من طبقات سندها، شرط استحالة تواطئهم على الكذب، وأن يكون الحصول على المعلومة قد تمَّ بطريقة محسوسة»، وهذا يشمل المصادر السرية التي يصعب التصريح بأسمائها لاعتبارات أمنية.

يرى الباحث أنه من المناسب اعتبار حدّ الجمع في المعلومة الأمنية توفّر عشرة من المصادر في كل طبقة من طبقات سند المعلومة، ويُحسب الشخص أو الهيئة ضمن الطبقة الأولى من طبقات سند المعلومة الأمنية، إذا توفّر شرط السماع أو المشاهدة المباشرة. ومن أمثلة هذا النوع من المعلومات، ما يحدث أثناء التجمّعات البشرية مثل: الاحتفالات، والمدارس، والجامعات، وغيرها، ففي هذه الحالات يمكن أن يرى الحدث وينقله أشخاص كثيرون، فإذا اتفق الناقلون على شيء بعينه، كان ذلك كافياً لتصديقه.

إذا كان منهج المحدثين في معرفة احتمال التواطؤ على الكذب مبنياً على معايير محسوسة، كاحتمال التقاء المصادر التي نقلت عن بعضها، وسيرة المصدر، وغير ذلك، فإن معرفة التواطؤ على الكذب في عصرنا صارت أكثر صعوبة؛ وذلك نتيجة لجهود أجهزة الأمن المعادية ببث الإشاعة والمعلومات التضليلية، وتوفّر إمكانية التواصل بين الأشخاص عبر الوسائل الحديثة كالتلفون وبرامج التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت وغيرها، ممّا يجعل إمكانية الحكم بتواتر المعلومات أمراً أكثر صعوبة. ومن هنا كان شرط التواتر أن يكون أفراد الطبقة الأولى من المصادر قد شاهدوا أو سمعوا مباشرة، وليس نقلاً عن غيرهم، وأن كل من ينقل سماعاً لا يكون واحداً من أفراد الطبقة الأولى. وإذا ثبت تواتر المعلومة على هذا الشكل فإن ذلك يكفي لتصديقها، بل إنها تكون في أعلى درجات الصدق والصحة.

يكون تواتر المعلومات الأمنية لفظياً عندما تتفق المصادر على نصّها، ويكون تواتر معنّى، عندما يتفقون على معناها، ويُمكن أن يقتصر التواتر على قدر مشترك من المعلومات، وفي هذه

١- عبد الله بن فودي (٢٠٠٥): منظومة مصباح الراوي في علم الحديث، ص ٢٢

٢- حسن محمد المشاط (١٩٩٦): التقارير السنوية شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، ص ١٨

الحالة يكون حكم القدر المشترك، حكم التواتر اللفظي نفسه.

من الطبيعي أن يكون عدد الروايات المتواترة قليلاً إذا ما قيس بالعدد الإجمالي للروايات الصحيحة؛ نظراً لصعوبة تحقيق شرط التواتر، وكذلك الحال في المعلومات الأمنية المتواترة؛ فهي قليلة أيضاً، لكن العبرة في تواتر المعلومة الأمنية أنها تكون قطعية الثبوت، تسمح باتخاذ القرار استناداً عليها دون تردد. وكون كثير من المعلومات الأمنية يتم جمعها في وقت قريب من حدوثها، خاصة تلك التي تحمّل طابعاً أمنياً عاماً، فإن أجهزة الأمن قادرة على تعظيم حجم المعلومات المتواترة إذا ما بذلت جهوداً إضافية، وهذا من شأنه أن يساهم في سرعة وصواب القرار الأمني.

٢. معلومة الأحاد

يُعرّف حديث الأحاد، بأنه الحديث الذي لم يبلغ عدد رواياته في كل طبقة من طبقات السند حدّ الجَمْع، أي الحديث الذي لم يثبت تواتره، وفي هذه الحالة لا يقطع بصحة الحديث، ويكون ظني الثبوت، ولتحديد درجة صحته يلزم دراسة سنده ومثنه وفق معايير حددها علماء الحديث.

ينقسم حديث الأحاد إلى أقسام ثلاثة، نسبة إلى عدد طرقه، وهي^(١):

أ. المشهور: ما لم يبلغ حدّ التواتر، لكنه انتقل إلينا في كل طبقة من طبقاته، بثلاث طرق أو أكثر. وقد يكون الحديث مشهوراً عند المحدثين، أو عند الفقهاء، أو الأصوليين، أو عند عوام الناس، لكن ذلك لا يكسبه درجة الصحيح.

ب. العزيز: ما انفرد بروايته اثنان فقط في إحدى طبقاته، فإن رواه أكثر من ذلك فهو المشهور.

ت. الغريب: ما انفرد بروايته واحد فقط في إحدى طبقاته.

قياساً على ما تقدم، فإن معلومة الأحاد هي: المعلومة التي لم ينقلها كثير من الأشخاص أو الهيئات في كل طبقة من طبقات سندها المختلفة. وهذا النوع من المعلومات ظني الثبوت ويحتاج إلى دراسة متن المعلومة وما قد يشوبه من خلل، وأحوال مصادرها من حيث العدالة، والقدرة على الحفظ والنقل، ومعرفة الطرق المتبعة في ذلك، مع إضافة شروط خاصة، مثل: الانتماء الوطني، والقدرة والمهارة المهنية، خاصة في المعلومات التي تحتاج عند نقلها وتدّاولها إلى خبرة وتخصّص، كالمعلومات المتعلقة بمهنة دقيقة، مثل: الطب أو الهندسة أو الفن وغيرها.

١- عبد الله بن فودي (٢٠٠٥): منظومة مصباح الراوي في علم الحديث، مرجع سابق، ص ٢٤، ٤٣.

إنَّ سَنَدَ المعلومة في هذا النوع لا يصلُّ إلى حدِّ التواتر، (حسب اقتراح الباحث حين يكون العدد أقل من عشرة مصادر في كل طبقة من طبقات السند)، وبناءً عليه فإنَّ عدد المصادر في طبقات السند قد تختلف من معلومة إلى أخرى، فتكون مصدراً واحداً أو مصدرين أو ثلاثة أو أكثر، وفي هذه الحالة فإنَّ المعلومات تحتمل الصحة أو الضعف، وتصنيفها من حيث عدد المصادر في كل طبقة من طبقاتها يساعد في ترجيح بعضها على بعض عند اختلافها أو تعارضها. ومما يقتضي التنبية إليه، أنَّ المعلومة التي تشتهر على ألسنة الناس أو فئة منهم، أو في بعض وسائل الإعلام لا يعني صحتها، كما هو الحال في الحديث المشهور، فإنَّ شهرته ليست دليلاً على صحته. وفي هذا فائدة تقضي بضرورة الانتباه عند التعامل مع المعلومات التي يكون مصدرها الإعلام أو ألسنة الناس، فقد تشتهر تلك المعلومات لكنها لا تكون صحيحة؛ لأنَّ مصدرها قد يكون من باب الإشاعة أو التضليل.

ثانياً: أقسام المعلومات الأمنية من حيث الصحة

أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهم قواعد علم الرواية ونقل الأخبار، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا»^(١). وفي السنة قوله (صلى الله عليه وسلم): «نظر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع» وفي رواية «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»^(٢)، وقد تضمنت الآية الكريمة والحديث الشريف مبدأ التثبت في أخذ الأخبار وكيفية ضبطها بالانتباه لها ووعيتها والتدقيق في نقلها.

يمكن تقسيم المعلومات الأمنية من حيث الصحة إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي: المعلومة الصحيحة والمعلومة الضعيفة والمعلومة الحسنة التي تأتي درجة صحتها بين الصحيح والضعيف. ويندرج تحت كل قسم منها أقسام فرعية، فليس كل الصحيح على درجة واحدة من الصحة، كما ليس كل الضعيف على درجة واحدة من الضعف، وهذا ما أخذ به علماء الحديث النبوي، فقد ذكروا أن أصل أقسام الحديث ثلاثة: الصحيح وهو أعلى مرتبة، والضعيف وهو أدنى مرتبة، والحسن مرتبته متوسطة، وأن سائر الأقسام داخلة في هذه الثلاثة^(٣).

١- سورة الحجرات آية ٦

٢- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (د. ت.): الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج ٥، حديث ٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ص ٢٤، ٢٥.

٣- عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (١٩٨٦): مقدمة في أصول الحديث، مرجع سابق، ص ٥٨

أ. الحديث الصحيح^(١): ما اتصل سنده، بنقل عدل تامّ الضبط^(٢) عن مثله، من أول السند إلى مُنتهاه من غير شذوذ ولا علة. والظاهر من التعريف أن شروط الحديث خمسة، إذا توافرت جميعها سُمّي: «صحيح لذاته»، وهي:

١- اتصال السند: ومعناه أن كل راوٍ من رواه قد أخذه مباشرة عن فوقه من أول السند إلى منتهاه.

٢- عدالة الرواة: بأن يكون كل راوٍ من رواه مسلماً بالغاً عاقلاً غير فاسق وغير مخروم المروءة.

٣- ضبط الرواة: أي أن كل راوٍ من رواه كان تامّ الضبط، سواء ضبط صدر أو ضبط كتاب.

٤- عدم الشذوذ: والشذوذ هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

٥- عدم العلة: والعلة سبب غامض خفي يقَدَح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه.

ب. الحديث الحسن: ما قلّت درجته عن الصحيح من حيث قوة حفظ أحد رواة السند، وعلى هذا فتعريفه «ما اتصل سنده بنقل عدل قل ضبطه عن الصحيح من غير شذوذ ولا علة». والحديث الحسن إذا جاء من طُرُق أخرى صحيحة أو حسنة، سُمّي «صحيح لغيره»، والاشتراف بين الصحيح والحسن في جميع الصفات إلا صفة واحدة، هي الضبط، فالصحيح تامّ الضبط، والحسن يقصر عن تمام الضبط^(٣) (الأصل أنه قوي الحفظ، لكنه ينسى أو يخطئ أحياناً).

ج. الحديث الضعيف: كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن المدونة أعلاه، فهو حديث ضعيف^(٤). وإذا كان الحديث ضعيفاً أصلاً، غير أن روايات أخرى حسنة أو صحيحة جاءت بنفس ما جاءت به هذه الرواية، فإنه يسمى «حسن لغيره». يلاحظ مما تقدم، أن الحديث الحسن، قد يرتقي إلى مرتبة «صحيح لغيره» وهي أقل من «الصحيح لذاته» وأعلى من «الحسن»، كما أن الحديث الضعيف قد يرتقي إلى «حسن لغيره» وهي أقل من «الحسن لذاته» وأعلى من «الضعيف»، لكن الشرط في كل ذلك أن يرتقي الحسن أو

١- محمود الطحان (د. ت.): تيسير مصطلح الحديث، مرجع سابق، ص ١٧.

٢- العدالة: استقامة الدين والمروءة - أي أداء الواجب الديني واجتناب ما يوجب الفسق من المحرمات، وأن يفعل المرء ما يحمده الناس عليه من الآداب والأخلاق.

تمام الضبط: أن يؤدي الراوي ما تحمله من مسموع أو مرئي على الوجه الذي تحمله من غير زيادة أو نقص، لكن لا يضر خطأ يسير لأنه لا يسلم منه أحد»

٣- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (١٩٩٨): التوضيح الأبهري لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، ص ٣٠ (في الحاشية رقم ٢)

٤- زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (١٩٦٩): التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ٦٣

الضعيف بوجود أحاديث أُخرى صحيحة أو حسنة تدعّمه. وإذا كانت الأحاديث الأخرى ضعيفة، فإن هذا لا يكفي لارتقاء الحسن أو الضعيف إلى مرتبة أعلى، وكأنّ العلماء قرروا، أنّ الأحاديث الضعيفة لا تدعّم ضعيفاً مهما كثرت.

استناداً إلى ما تقدّم، يمكن تقسيم المعلومات الأمنية بحيث يكون منها الصحيح والحسن والضعيف، بناءً على شروط تضعها أجهزة الأمن، تتناسب مع طبيعة المعلومات وخطورتها وأهميتها: فتكون شروط المعلومة الصحيحة: اتصال سندها ومعرفة ناقلها، وصدق مصادرها وانتمائهم الوطني والمهني، وقدرتهم على الحفظ والنقل، وعدم مخالفتها للمعلومات الأكثر ثقة، وألا يكون في المعلومة عيب يقدر في صحتها، وشروط أخرى تتطلبها طبيعة العمل الأمني ويحددها المختصون. فإذا ثبت أنّ أحد مصادرها، في طريق من طرقها، كان ضعيف الحفظ، فإنّ المعلومة من ذلك الطريق تكون ضعيفة أو حسنة بحسب قوّة حفظ ذلك المصدر. أما إذا اختل شرط آخر، كالانتماء الوطني، أو الضعف المهني، أو انقطاع السند والجهل بأحد المصادر، أو غير ذلك من الشروط، فإنّ المعلومة تُصبح ضعيفة، وقد تصل إلى حد الضعف الشديد فتكون مرفوضة.

إذا كان لدينا معلومة حسنة أو ضعيفة، ثم وردتنا معلومة أخرى صحيحة أو حسنة (ليست ضعيفة) بالمعنى والمحتوى نفسه، عندئذ يتم ترقية المعلومة الحسنة أو الضعيفة الأولى إلى مستوى أعلى كالصحيح لغيره والحسن لغيره.

إن المعلومات الصحيحة ليست على درجة واحدة من الصحة، وذلك بحسب الشروط التي تتوفر في سندها ومنتها، كما هو الحال بالنسبة للأحاديث الصحيحة، فهي ليست على درجة واحدة من الصحة، تبعاً لمدى توفر شروط الصحة.

أسباب ضعف المعلومات الأمنية

المعلومات الضعيفة ليست على درجة واحدة من الضعف، فمنها ما هو شديد الضعف، ومنها ما هو يسير الضعف؛ وذلك تبعاً لتوفر الشروط والمعايير، وهذا ما سار عليه علماء الحديث، فهم يرون أنّ الأحاديث الضعيفة ليست على درجة واحدة من الضعف، فمنها شديد الضعف ومنها يسير الضعف.

وفيما يلي بعض أسباب ضعف الحديث، وما يُستفاد منها في معرفة ضعف المعلومة:

١. معلومة ضعيفة لعدم اتصال السند:

يكون الحديث ضعيفاً إذا سقط من رواته واحد أو أكثر، مثل: الحديث المرسل الذي يسقط

منه اسم الصحابي^(١)، والحديث المعلق الذي يرويه المصنّف ويُسقط منه شيئاً أو أكثر من شيوخه^(٢)، والحديث المنقطع: الذي سقط من إسناده راوٍ واحدٌ قبل الصحابي من أي موضع كان السقط^(٣)، والحديث المعضل: الذي سقط من رواته اثنان متتاليان^(٤)، والحديث المدلس: أنواع أشهرها أن يروي الراوي روايةً عن شيخٍ لقيه ولم يسمعها منه مباشرة، بلَفَطٍ مُوهِمٍ سَمِعَهَا منه^(٥)، ويكون الهدف من التدليس إما الإيهام بأن الراوي قد حَصَلَ على الرواية من طريق قصير (علو السند)، أو أنه يُريد إخفاء راوٍ ضعيف نَقَلَ عنه، حتى لا يُقال أن روايته ضعيفة، أو أنه يروي عن راوٍ ضعيف. والتدليس يحتاج إلى خبراء ليكتشفوه.

هكذا، تكون المعلومة الأمنية ضعيفة إذا انقطع السند وسقط أحد مصادرها، وتدرّج في مستويات الضعف بحسب مكان الانقطاع وعدد المصادر التي سقطت منه، مُتتالية أو مُتفرّقة. ويجب التنبيه إلى خصوصية العمل الأمني التي تقضي بعدم التصريح بأسماء بعض المصادر بسبب عامل السرية والخصوصية. إنما يجب ألا تمنع من ذكر رموز المصادر في موضعها من السند؛ كي يسهل الحكم عليه، ويجب أن يكون الحرص في تطبيق هذا الشرط أكثر كلما كانت المعلومة أكثر خطورة على أجهزة الدولة أو أفرادها.

في تقدير الباحث، أن أسباب هذا الضعف موجودة بكثرة في المعلومات الأمنية، ولطالما اهتمت أجهزة الأمن كثيراً بمتن ومحتوى المعلومة الأمنية وقليلاً بسندها، وفي حال اهتمت بالسند فإنها غالباً ما تقتصر على المصدر الأخير الذي ينقل المعلومة، ولا تُعطي اهتماماً كافياً بمن سبقه في السند، وبالتالي يكثر سقوط المصادر في المعلومات الأمنية.

٢. معلومات ضعيفة لعدم توفر العدالة والضبط في راوٍ أو أكثر

لا يكفي عند علماء الحديث أن يُعرف شخص الراوي، بل يجب التأكد من عدالته وقوة حفظه، فإن كان من رواة الحديث من يُتهم بالكذب، أو الضعف الشديد في الحفظ، سمّي الحديث متروكاً^(٦)، أما إن كان أحد الرواة كذاباً فإن الحديث يُسمّى موضوعاً ولا يجوز الاحتجاج به^(٧).

إن عدالة المصادر وقوة حفظها في المعلومات الأمنية تحتاج إلى تفصيل أكثر، فالعدالة

١- جمال بن محمد السيد (٢٠٠٤): ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، جزء ١ ص ٢٩٧.

٢- بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهاد (١٩٩٨): التكت على مقدمة ابن الصلاح، جزء ١، ص ٩٧.

٣- جمال بن محمد السيد (٢٠٠٤): ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، مرجع سابق، ص ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨.

٤- عبد الرؤوف المناوي (١٩٩٩): اليواقيت والدرر في شرح نخبه ابن حجر، مرجع سابق، الجزء ٢، ص ٢.

٥- جمال بن محمد السيد (٢٠٠٤): ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، مرجع سابق، ص ٤٢٩.

٦- عبد الرؤوف المناوي (١٩٩٩): اليواقيت والدرر في شرح نخبه ابن حجر، مرجع سابق، الجزء ٢، ص ٦١.

٧- عبد الله بن فودي (٢٠٠٥): منظومة مصباح الراوي في علم الحديث، مرجع سابق، ص ٦٥.

عند المحدثين تعني: البلوغ وسلامة الدين وسلامة العقل والبعد عن خوارم المروءة، والضبط يعني القدرة الشديدة على الحفظ، ونَقَلَ الخبر كما سمعه أو شاهده، وهذان الشرطان يصعب تحقيقهما في هذه الأيام على الوجه الذي أتبعه المحدثون، أما بالنسبة للعدالة: فإن أجهزة الأمن هذه الأيام ينتمي إليها المواطن دون النظر إلى دينه أو مستوى التزامه، خاصة في حالات الاختراق الأمني وأنشطة الجاسوسية، وبالنسبة لشدة الحفظ: فإن هناك وسائل حديثة تُغني عن القدرة على الحفظ، مثل استخدام التصوير والتسجيل.

أمام هذا الواقع، تكون أجهزة الأمن في حاجة إلى استحداث شروط أخرى بديلة أو مكملّة لشرطي العدالة والضبط، مثل الانتماء الوطني، والخبرات المهنيّة والتخصّصيّة، واشتغال المصدر بالصدق في تجارب سابقة، والالتزام بالدستور والقانون. كما يمكن للجهة التي تريد الإصرار على شرط العدالة، خاصة في الحركات ذات المرجعية الدينية، أن تتجاوز عن بعض صفات الذنوب، ولهذا أصل قال به ابن قيم الجوزية في مفهوم العدالة: «ولكن قد يُعْلَطُ في مُسَمَّى العدالة، فَيُظَنُّ أن المراد بالعدل: من لا ذنب له! وليس كذلك، بل هو عدلٌ مؤتمن على الدين، وإن كان منه ما يتوب إلى الله منه، فإن هذا لا يُنَافِي العدالة، كما لا ينافي الإيمان والولاية»^(١)، لكن في كل الأحوال يجب ألا تقبل أجهزة الأمن من عُرف كذبه، أو عدم التزامه بالقانون، أو مشكوك في انتمائه الوطني.

٣. معلومات ضعيفة لمخالفة روايات الثقات

قرر المحدثون أنّ مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، مع عدم إمكانية الجمع بين الروایتين، أو ترجيح بعضها على بعض بأحد أوجه الترجيح، فإن الحديث يكون ضعيفاً، ويسمى شاذاً^(٢)؛ لأن العقل في هذه الحالة يقضي بالشك في رواية الأقل ثقة. أما إذا جاءت المخالفة من الضعيف للثقة، سُمِّي الحديث منكرأ^(٣)، حيث اجتمعت فيه صفتان من صفات الضعف، هما: ضعف راويه، ومخالفته الثقات.

يقابل هذا الضعف في المعلومات الأمنية أشكال أخرى كأن تكون المعلومة مخالفة لمعلومات جاءت من مصادر أخرى موثوقة، أو أن يكون لدى جهاز الأمن معلومات مخالفة وموثقة بالصوت أو بالصورة، أو مخالفة لوثائق موجودة وصادقة، وغير ذلك من الأشكال. إنما تُضعف هذا النوع من المعلومات لا يكون إلا بعد محاولة الجمع (التوفيق) بينها وبين ما يتوفّر من معلومات أخرى

١- جمال بن محمد السيد (٢٠٠٤): ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، مرجع سابق، ص ٥٢٦

٢- جمال بن محمد السيد (٢٠٠٤): ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، مرجع سابق، ص ٤٢٩.

٣- محمود الطحان (د.ت.): تيسير مصطلح الحديث، مرجع سابق، ص ٥٠.

موثوقة ومخالفة لها، فقد يكون هناك وجه من أوجه الجمع يزيل اللبس الحاصل بينها. مع ذلك فإن العمل الأمني يقضي بعدم رفض المعلومات التي تم تضييقها بسبب مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، وإنما الاحتفاظ بها مع تصنيفها ضمن الضعيف، أما إذا وردت المعلومة من مصدر ضعيف وكانت مخالفة لمعلومات موثوقة لدى جهاز الأمن، فالأولى رفضها وعدم الانشغال بها.

٤. معلومات ضعيفة بسبب علة فيها

يعرف المحدثون الحديث المَعْلُ بالذي يكون ظاهره الصحة، ولكنه بعد البحث عنه يتبين فيه علة قادحة لكنها خفية^(١)، والذي يعرف هذا إنما هو من أهل هذا العلم والخبراء فيه؛ وذلك بما جمعه من الأسانيد وعرفوه عن الرجال، وبما يحفظونه من المتون فيعرفون ضعفها وقوتها، وتوفرت لهم ملكة خاصة لمقابلة النصوص ومقارنة الأسانيد.

من أجل اكتشاف هذا النوع من الضعف في المعلومة الأمنية، لا بد من ترك مساحة للمتخصصين والخبراء؛ لإبداء رأيهم في المعلومة، فقد يكتشف أهل الخبرة والتخصص من العيوب ما لا يستطيعه رجال الأمن العاديون.

يفتح هذا المنهج مجالاً مهماً للاستفادة من أهل الخبرة والاختصاص، فمن المشهور في الحالات الأمنية أن كثيراً من الظواهر والأحداث لا يتوفر حولها ما يكفي من المعلومات، أو أن هناك معلومات تضليلية كثيرة تتردد حولها، مما يوصل إلى حالة يسميها الاستراتيجيون، حالة «عدم اليقين» أو «عدم التأكد»، وفي هذه الحالات يجب عرض المعلومات على الخبراء والمختصين؛ لدراستها ومحاولة استكمالها وكشف المُضلل منها، من خلال التحليل والاستنتاج.

٥. معلومات ضعيفة بسبب الزيادة أو القلب

من أشكالها في علم الحديث: «الحديث المدرج»، الذي يزيد الراوي في متنه ما ليس منه، فيظن من يسمع الحديث أن الزيادة من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٢)، ومنها الحديث المقلوب: الذي وقع تغيير في متنه أو سنده، ومن ذلك تغيير ترتيب الاسم الواحد، أو تغيير ترتيب الألفاظ والعبارات^(٣).

يقابل هذا الضعف في المعلومة الأمنية، أن يخلط المصدر تفسيره للمعلومة مع متنها، فيصعب للقارئ أو السامع الفصل بينهما، أو يغير ترتيب بعض أحداثها، أو يربط فعلاً ما بشخص

١- محمد بن صالح العثيمين (٢٠٠٣): شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، ص ١٠٢.

٢- عبد الرؤوف المناوي (١٩٩٩): البيواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، مرجع سابق، الجزء ٢، ص ٢.

٣- عبد الرؤوف المناوي (١٩٩٩): البيواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، مرجع سابق، الجزء ٢، ص ٨٦.

لم يفعله، أو يغيّر علاقة الأشخاص والأماكن بالأحداث.

يمكن للمحلل الأمني، أو المكلف بمعالجة المعلومات، أن يكتشف الضعف الناشئ عن خلط المعلومة بالرأي أو التفسير، وذلك بعرض المعلومة على منطوق الملاحظة، فيكون كل ما يمكن الحصول عليه بوحدة أو أكثر من الحواس الخمس من الجزء الصحيح في المعلومة، أما ما لا يمكن الحصول عليه بوحدة منها، فيكون من الإضافات والزيادات التي يجب ردها وحذفها.

٦. معلومة ضعيفة بسبب التصحيف والتحريف

التصحيف: هو تغيير الكلمة إلى كلمة غيرها بسبب تشابه في صورتيهما، وهو الغالب، أو بسبب آخر غيرهِ^(١)، والتحريف: هو تبديل الكلمة من قبل من يتلفظ بها أو يسمعها أو يكتبها أو يقرؤها إلى كلمة أخرى تشبهها أو تقاربها في صورتها أو في لفظها، والراجح أنّ التصحيف والتحريف معناهما واحد. ويقسم التصحيف من حيث سببه إلى ثلاثة أقسام، هي^(٢):

الأول: تصحيف سببه خطأ في القراءة لتشابه صور الكلمات، لا سيما في حالة سوء الخط.

الثاني: تصحيف سببه خطأ في السمع ناشئ من اشتباه الكلمتين على السامع.

الثالث: تصحيف سببه تبدل كلمة في حفظ الراوي إلى كلمة أخرى تشبهها، وذلك بسبب سوء الحفظ من الضعيف أو بسبب الوهم من الثقة.

يكثر هذا النوع من الضعف في المعلومات الأمنية؛ لأنّ الأجهزة الأمنية في هذه الأيام تعتمد كثيراً على الكتابة الورقية والإلكترونية؛ مما يزيد من احتمال الخطأ الكتابي، ويأتي الخطأ أحياناً في صورة ربط المعلومات الأمنية المتعلقة بشخص أو مكان، مع شخص أو مكان آخرين، نتيجة الخطأ في تصميم قواعد البيانات الإلكترونية، أو سوء استخدامها، فيترتب على ذلك اتهام الأبرياء وتبرئة المتهمين، أو تشتت المعلومات المتعلقة بمكان أو شخص، إلى أكثر من موضع؛ فيتسبب ذلك في فقد كثير من البيانات التي بُدلت جهود سابقة في جمعها، ويكثر هذا عند أرشفة المعلومات وفي قواعد البيانات الأمنية. وكثيراً ما يتكرر هذا الخطأ في الأحرف العربية المتشابهة، مثل: (ز، ر، د، ذ، هـ، ة، ..)، أو في الأماكن والأسماء المتشابهة.

الخاتمة

تمت الإشارة إلى طرف من منهج المحدثين في رد المعلومات أو قبولها، ومن ذلك أنّهم أبدعوا عدداً من العلوم التي تُخدم هذا المجال، وقسموا المعلومات بأكثر من طريقة، واستخدموا

١- محمد خلف سلامة (٢٠٠٧): لسان المحدثين، ج ٢ ص ٢٢٨

٢- محمد خلف سلامة (٢٠٠٧): لسان المحدثين، المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٢١.

كثيراً من المصطلحات التي تُعالج كل حالة من الحالات، سواء كانت في السند أو المتن، أو في ألفاظ التَحْمَل أو توثيق الرجال، أو تسمية الأحاديث بحسب سندها أو صحتها، وقد بذلوا جهوداً كبيرة في تحقيق ذلك.

كما تبين أن هناك إمكانية للاستفادة من هذا المنهج في تطوير الأداء في المعلومات الأمنية وزيادة جودتها، وفي تحسين صناعة القرار المبني عليها.

لا يكفي أن يكون ناقلُ المعلومة ثقةً كي تقبل معلومته، فقد دلت الدراسة على أن هناك معلومات ضعيفة رغم أن ناقلها ثقة، مثل: أن ينقل الثقة عن غير الثقة، أو أن يروي معلومة يخالف بها معلومة أوثق منها، أو أن يكون الثقة قد توهم فنقل معلومات يظن أنها صحيحة وهي ليست كذلك.

إنَّ ما بذله الباحث من جهد في هذا البحث لم يوفِ الموضوع حقّه، وهو بحاجة إلى كثير من الدراسة والبحث، وقد طرق هذا الموضوع الهام لفتح الطريق أمام الباحثين للخوض فيه واستكمالهِ من جميع جوانبه.

خلص الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، أهمها:

أولاً: النتائج

يمكن تحديد مجموعة من النتائج على النحو التالي:

١- هناك تشابه في كثير من مجالات وآليات العمل في الرواية، حسب منهج المحدثين، وبين المعلومة الأمنية، وفي حال الاستفادة من منهجهم يُمكن تطوير أداء المعلومات الأمنية بشكل ملحوظ.

٢- إنَّ تطبيق منهج المحدثين على المعلومة الأمنية، يلزمه جهد كبير من جانب أجهزة الأمن، وإنَّ كل ما يُمكن إنفاقه من جهد ومال في هذا السبيل، يعدّ قليلاً مقابل تأصيل العمل الأمني وما يُمكن الحصول عليه من جودة المعلومات وتحقيق العدالة والأمن.

٣- اهتمَّ علماء الحديث بالتأليف في مختلف مجالات الرواية، وفرَّعوا تلك العلوم بحيث لم يدعوا شيئاً يخص الرواية إلا ناقشوه ووضعوا العلم الذي يناسبه ويضبطه.

٤- إنَّ التشابهُ بين علم الحديث وصناعة المعلومات الأمنية لا يعني أن تُسحب قواعد علم الحديث على المعلومات كما هي، فكلٌّ منهما خصوصيته التي يجب أخذها في الحسبان، فالحديث يُناقش أمور الدين، والمعلومات الأمنية في أغلبها تُناقش أمور الدنيا؛ كما أن علم الحديث خاص بالمسلمين، في حين أن الأمن خاص بكل المجتمعات،

ومنها المجتمعات العربية التي فيها طوائف متعددة.

٥- لا يزال هذا الموضوع في حاجة إلى كثير من الدراسة، وما توصل إليه الباحث لا يعدو كونه بداية تحتاج إلى جهود المخلصين من الخبراء والمختصين.

ثانياً: التوصيات

يمكن تصنيف التوصيات في ثلاثة محاور، هي:

إدارة المعلومات الأمنية

أ- إلزام الدوائر الأمنية بأن تبنى المعلومة الأمنية من جزأين، السند والمتن، مع الانتباه إلى ضرورة اتصال السند، ابتداء من مصدرها الأول وحتى المصدر الأخير، مع ما يلزم ذلك من طرق تلقي المعلومة ونقلها، مع زيادة الحرص على الالتزام بهذا المنهج كلما زادت أهمية المعلومة وخطورتها.

ب- اعتماد منهج الجرح والتعديل، وذلك بتصميم نماذج تتحدد من خلالها معايير المصادر، وأهمها: العدالة، والصدق، والقدرة على الحفظ والنقل، والانتماء الوطني والقدرة المهنية، والالتزام بالقانون وعادات المجتمع الراسخة وغير ذلك. ولا يقصد بذلك، الإفراط في اختيار المعايير، فإن ما يلزم الحديث النبوي من تشدد قد لا يلزم المعلومات الأمنية.

ت- إذا كان الرجال أو الأشخاص هم رواة المعلومات في السابق، فإن المؤسسات والهيئات تقوم بهذا الدور في زمننا، دون اعتبار للأشخاص الذين يمثلونها؛ لذا يجب أخذ هذا بالاعتبار في كل ما يتعلق بالسند من ضوابط الاتصال والعدالة والجرح والتعديل وغيرها، وذلك بإخضاع تلك المؤسسات والهيئات للتقييم وتحديد درجة الثقة بها أسوة بما يحكم على الأشخاص.

ث- اعتماد ضوابط وشروط لقبول المعلومات، مثل: اتصال السند، وعدم تعارضها مع معلومات أوثق منها، وخلوها من العيوب التي تقدح بها ويعرفها الخبراء، وتوفر معايير مصادرها التي سبق ذكرها في البند «ب» أعلاه.

ج- على الجهات الأمنية التي تعتمد قائمة معرفة ومتفق عليها للمصطلحات الأمنية والمعلوماتية، أن تقوم بتطويرها مستفيدة من التقسيمات والتفريعات التي عمل بها المحدثون، أما الجهات التي لا تملك مثل تلك القائمة، فعليها أن تضع قائمة لمصطلحات المعلومات وذلك للتعبير عن أنواعها وطرق نقلها ودرجات صحتها وتوثيق مصادرها وأسباب ضعفها وغير ذلك من المصطلحات. وأن يكون لكل مصطلح منها تعريفه

ومفهومه الذي يفهمه العاملون في أجهزة ومراكز المعلومات الأمنية. مع ضرورة تدريب العناصر على فهم المصطلحات والتعامل معها.

ح- لا مانع من قبول المعلومات الضعيفة وحفظها ما لم تكن شديدة الضعف، وأخذ ذلك بعين الاعتبار عند الحكم واتخاذ القرار، والتحري والبحث عن طرق ومصادر أخرى، وفي هذا تفعيل لدور أجهزة التحري والجمع، فإذا أمكن الحصول على ما يدعمها ويقوّيها يتم ترفيقها إلى رتبة أعلى.

خ- تدريب وتكليف فرق أمنية مختصة تكون مهمتها معالجة المعلومات ومراجعتها من حيث: دقتها واكتمالها وحسن صياغتها وكشف ما وقع فيها من القلب والإدراج، وكذلك صحة ما يرد فيها من أسماء الأشخاص والأماكن والمؤسسات، والتدقيق في (أرشفتها) وربط المعلومات مع ما تتعلق به من أسماء وأماكن وهيئات وغير ذلك.

٢- صياغة متن المعلومة

أ- نقل المعلومة دون زيادة أو نقص وذلك بالفصل بين ما هو أصل في المعلومة، وبين وجهات نظر وتفسيرات مصادرها، واعتبار أن الأصل في المعلومة ما كان الحصول عليه بوحدة أو أكثر من الحواس الخمسة، وما عدا ذلك فهو تفسير أو وجهة نظر.

ب- الحذر من خطأ القلب وسوء الترتيب، وذلك بذكر أسماء الأشخاص والهيئات والأماكن الواردة في السند والمتن كما هي، والالتزام بترتيب الأحداث.

ت- استخدام الألفاظ المعبرة عن المعنى بدقة، وتدريب عناصر المعلومات على حسن الصياغة ودقة الكتابة وحسن الاستماع والفهم، وكذلك القدرة على توجيه الأسئلة التي تساعد في الحصول على معلومات صحيحة ودقيقة وواضحة وشاملة، فيما لولم يكن ناقل المعلومة الذي يتلقى عنه قادراً على نقل المعلومة متضمنة شروط الصحة والدقة والوضوح والشمول، وغيرها.

٣- الحكم على صحة المعلومة

أ- إذا تعارضت معلومة مع معلومة أخرى أوثق منها، ولم يمكن الجمع بينهما أو تفسير التعارض بوجه مناسب، فالصواب تضعيف المعلومة الأقل ثقة. أما إن كان التعارض بين معلومة ضعيفة ومعلومة موثوقة، فالأصل ترك الضعيفة وعدم الانشغال بها.

ب- إذا تبيّن وجود عيب يقدح في المعلومة، بحسب رأي أهل الخبرة والاختصاص، فالأصل اعتبارها ضعيفة حتى لو كان ناقلها ثقة.

- ت- عند الحكم على المعلومة يجب أن تتوفر فيها جميع شروط الصحة التي يحددها جهاز الأمن، وفي حال اختل شرط من شروط الصحة تنزل المعلومة إلى مرتبة أقل، ويتم ردها إذا كان الخلل في شروط أساسية مثل: الصدق في الانتماء الوطني.
- ث- المعلومات الصحيحة لا تتساوى في درجة صحتها، كما لا تتساوى المعلومات الضعيفة في درجة ضعفها، وعلى دوائر الأمن المختصة أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار عند الحكم واتخاذ القرارات الأمنية.
- ج- لا يجوز اعتبار المعلومة صحيحة لشهرتها بين الناس أو في وسائل الإعلام، فليس كل مشهور صحيحاً.
- ح- لا يجوز اعتبار المعلومة صحيحة لأنها منسجمة مع حقيقة ما؛ لأن المعلومات المنسجمة مع الحقيقة لا تكون صحيحة دائماً، فالحقائق لا يشترط فيها الاستمرار أو التكرار.
- خ- عرض المعلومات الأمنية التي مصدرها وسائل تقنية حديثة، مثل: التسجيل والتصوير، على جهات تقنية مختصة لضمان عدم التزييف أو التزوير قبل الحكم على درجة صحتها.

أ. أحمد بواعنة
طالب دكتوراه - إدارة أعمال
جامعة الجنان

«أثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية»

ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى التزام البنوك التجارية الأردنية بمبادئ الحاكمية المؤسسية واثرها على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية، والذي يعد من المفاهيم الحديثة نسبياً ويقوم على تنظيم العلاقة ما بين الإدارة والمساهمين وأصحاب المصالح المختلفة، وأهمية إستقلالية مدققي الحسابات باعتبارها وسيلة تخدم العديد من الفئات التي تستخدم القوائم المالية المدققة وتعتمد عليها في اتخاذ قراراتها ورسم سياساتها وخططها الحالية والمستقبلية.

وقد تم إعداد وتوزيع استبانة على عينة الدراسة العشوائية وهم مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية والبالغ عددها (5) بنوك تجارية، يعمل فيها (89) مدققاً، فقد تم توزيع الاستبانة على عينة الدراسة وتم استرداد (83) حيث تم قبولها للتحليل باستخدام برنامج الرزم الإحصائية (SPSS) لتحليل بيانات الدراسة، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لوصف بيانات الدراسة، كما تم استخدام تحليل الانحدار المتعدد لاختبار فرضيات الدراسة، وكان أهم نتائج الدراسة ما يلي: وجود أثر لمبادئ الحاكمية المؤسسية (المعاملة المتكافئة، وأصحاب المصالح، ومسؤوليات مجلس الإدارة) على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين، وعدم وجود أثر لمبادئ الحاكمية المؤسسية (حماية حقوق المساهمين، والشفافية والإفصاح) على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية. وكذلك تبين أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمؤهل والتخصص العلمي، وكذلك عدم

وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمتغيرات الشخصية والوظيفية (الجنس، والعمر، والخبرة الوظيفية).

الإطار العام للدراسة

المقدمة :

تعتبر عملية تدقيق الحسابات مهمة جداً ومفيدة لأنها تعزز مصداقية المعلومات المالية المعروضة في القوائم المالية، وذلك نتيجة عمليات التحقق والاختبار والفحص التي يقوم بها المدقق، وتتمثل أهمية تدقيق الحسابات في اعتبارها وسيلة تخدم العديد من الفئات التي تستخدم القوائم المالية المدققة وتعتمد عليها في اتخاذ قراراتها ورسم سياساتها وخططها الحالية والمستقبلية، ومن هذه الفئات: إدارة المنشأة، والمستثمرون والبنوك والدائنون ومؤسسات الإقراض الحالية والمرتبطة وأجهزة الدولة المختلفة^(١).

إن تزايد الحالات التي تم فيها التلاعب بالقوائم المالية من قبل إدارات بعض الشركات أدى إلى حدوث العديد من الخسائر المادية لمستخدمي البيانات المالية على اختلاف أماكنهم، وبخاصة مع تزايد قدرة إدارات الشركات على استغلال الثغرات الموجودة في معايير المحاسبة التي يتم تطبيقها في مختلف أنحاء العالم وتسخيرها بهدف عرض القوائم المالية بطريقة تخدم مصالح المنظمة وتؤثر على الانطباع الذي سيؤخذ من قبل مستخدمي القوائم المالية على أداء الشركة^(٢).

ويرتبط مفهوم الحاكمية المؤسسية بمجموعة من المفاهيم الأساسية التي تنظم الرقابة على المؤسسات وتنظم العلاقة ما بين الإدارة والمساهمين وأصحاب المصالح (Stakeholders) المتعددين ومنهم (من العملاء، والموظفين، والدائنين، والموردين، وشركات التدقيق، والممولين، والمشرعين، والسوق المالي.... الخ)، والتي تهدف إلى التأكد من سلامة إدارة المؤسسة وضمان تحقيق أهدافها، وضمان الالتزام بالمعايير الأخلاقية، والتوافق مع القوانين والتشريعات.

إن تطبيق مبادئ الحاكمية يؤدي إلى تحقيق مجموعة من الفوائد للمؤسسة والمستثمر والدولة والاقتصاد بشكل عام. حيث يتم محاربة الفساد، وسوء الإدارة، ويؤدي إلى إصلاح المؤسسات، وتخفيض كلفة رأس المال، وجذب الاستثمارات الأجنبية والمحلية والحد من هروب رؤوس الأموال إلى الخارج، وضمان تحقيق عائد للمستثمرين.

١- (الهنيني، ٢٠٠٤: ٤٦-٥١)

٢- (السمهوري، ٢٠٠٧: ١٢)

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في عدم إدراك البنوك التجارية الأردنية لأهمية مفهوم الحاكمية المؤسسية والذي يعد من المفاهيم الحديثة نسبياً ويقوم على تنظيم العلاقة ما بين الإدارة والمساهمين وأصحاب المصالح المختلفة، ويحقق جملة من الفوائد للدولة والمؤسسات والأفراد، لذا فإن البنوك التجارية الأردنية وكغيرها من منظمات الأعمال الأردنية، بحاجة لمعرفة المزيد عن هذا المفهوم ومبادئه. لذا جاءت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

١- ما أثر تطبيق مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية ؟ وتتفرع منه الأسئلة التالية:

- أ- هل يوجد أثرٌ لتطبيق مبادئ الحاكمية المؤسسية في البنوك التجارية الأردنية ؟
- ب- هل توجد مشاكل تؤثر على تطبيق مبادئ الحاكمية في البنوك التجارية الأردنية ؟
- ٢- ما أثر تطبيق مبادئ الحاكمية: (حقوق المساهمين، والمعاملة المتكافئة للجميع، وأصحاب المصالح في الحاكمية، والشفافية والإفصاح، ومسؤوليات مجلس الإدارة) على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية ؟

أهمية الدراسة :

تُكمن أهمية الدراسة من الجانب العملي في إمكانية استفادة الفئات التالية منها وتتلخص في النقاط التالية:

- ١- إثراء الأدبيات المتعلقة بمبادئ الحاكمية المؤسسية وأثرها على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية .
- ٢- مساعدة متخذي القرار في التعرف على العوامل التي تؤثر على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية في عملية التدقيق.
- ٣- مساعدة العاملين في البنوك التجارية الأردنية في التعرف على أثر تطبيق مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.
- ٤- مساعدة الباحثين من خلال جعل الدراسة نواة لدراسات أخرى مشابهة.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- ١- التعرف على أثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية التدقيق الداخلي في البنوك التجارية الأردنية.

التعرف على أثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية.

مصطلحات الدراسة :

الحاكمية : هي «نظام للإدارة والرقابة يقوم على وضع هيكل وإطار لتوزيع الواجبات والمسؤوليات بين المشاركين في المؤسسة، مثل: (مجلس الإدارة، والمديرين، والمساهمين، وغيرهم من ذوي المصالح)، وكذلك القواعد والإجراءات لاتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون المنشأة وبهذا الإجراء فإن الحاكمية المؤسسية تعطي الهيكل الملائم الذي تستطيع من خلاله المنشأة وضع أهدافها، والوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأهداف، وتعمل على مراقبة الأداء^(١).

المدقق : هو المحاسب المصرح له أو المنشأة المحاسبية التي تؤدي التدقيق في الوحدات التجارية أو الوحدات غير التجارية وفقاً لشروط قانونية، تراعي قواعد السلوك المهني للمحاسبين القانونيين الصادر من الاتحاد الدولي للمحاسبين وهذه المبادئ هي (الأمانة والاستقلالية والموضوعية والكفاءة والعناية المهنية والسرية والسلوك المهني والمعايير التقنية)^(٢).

التدقيق : هو عملية منظمة ومنهجية لجمع وتقييم الأدلة والقرائن، بشكل موضوعي، التي تتعلق بنتائج الأنشطة والأحداث الاقتصادية، وذلك لتحديد مدى التوافق والتطابق بين هذه النتائج والمعايير المقررة، وتبليغ الأطراف المعنية بنتائج المراجعة، الأمر الذي يساهم في حماية أصول المنظمة ويؤكد سلامة بياناتها ويحقق أهدافها بفاعلية ويستخدم مواردها بكفاءة، وهذه العملية المنظمة تؤدي عن طريق مدقق مؤهل وحيادي للتحقق من صحة معلومات ومزاعم قابله للتحقق منها، عن طريق جمع وتقييم أدلة إثبات التدقيق (إقرارات، مصادقات، ملاحظات، استفسارات، فحص) مع إعداد التقرير عن نتائج تلك العملية، للأطراف المستخدمة لتلك المعلومات لاستخدامها في اتخاذ قراراتها^(٣).

فرضيات الدراسة :

ستحاول الدراسة الحالية اختبار صحة الفرضية التالية :

الفرضية الرئيسية الأولى :

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر تطبيق مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

١- (السمهوري، ٢٠٠٧: ٨)

٢- (عبد الهادي، ٢٠٠٠: ص ١)

٣- (طلبة، ٢٠٠٢: ٥٨)

ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية التالية:

- ١- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر حماية حقوق المساهمين على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.
- ٢- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر المعاملة المتكافئة للجميع على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.
- ٣- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر أصحاب المصالح في الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.
- ٤- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر مسؤوليات مجلس الإدارة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.
- ٥- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر الشفافية والإفصاح، على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

الفرضية الرئيسية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية التدقيق الداخلي في البنوك التجارية الأردنية في ضوء المتغيرات الديموغرافية (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، التخصص العلمي، الخبرة الوظيفية)

نموذج الدراسة:



منهجية الدراسة :

سيتم الاعتماد على الأسلوب الوصفي التحليلي، من خلال إعداد الاستبانة لجمع البيانات من أفراد عينة الدراسة.

مجتمع وعينة الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من جميع البنوك التجارية الأردنية والبالغ عددها ١٢ بنكاً ، وهي المسجلة في سوق عمان المالي والتي قامت بإنشاء لجان للتدقيق الداخلي والبالغ عدد المدققين فيها ٢٢٠ مدققاً.

و تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العشوائية البسيطة حيث تتكون من ٥ بنوك تجارية أردنية وهي: بنك الإسكان للتجارة و التمويل، بنك القاهرة عمان، البنك الأردني الكويتي، البنك الإستثماري، بنك الإتحاد، ويبلغ عدد المدققين فيها ٨٩ مدققاً ومدقته.

أساليب جمع البيانات :

تعتمد الدراسة الحالية على مصدرين رئيسيين لجمع البيانات اللازمة لها، وهما : مصادر أولية: تم جمع البيانات الأولية اللازمة لاختبار فرضيات الدراسة عن طريق جمع البيانات من خلال أداة الدراسة.

مصادر ثانوية : وذلك من خلال الاستفادة من الدراسات والبحوث والرسائل الجامعية السابقة، بالإضافة إلى الاستعانة بالدوريات والمجلات العلمية المحكمة، كما تم الاستعانة ببعض البيانات الثانوية الواردة بالتقارير المالية والإحصائية.

أداة الدراسة :

تم استخدام استبانة لجمع البيانات من أفراد عينة الدراسة للكشف عن أثر مبادئ الحاكمة على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

أساليب تحليل البيانات :

تعتمد الدراسة الحالية على عدد من الأساليب الإحصائية في تحليل بيانات الدراسة، وكما يلي:

- استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف على درجة استجابة أفراد عينة الدراسة لفقرات الاستبانة.
- استخدم الانحدار المتعدد لاختبار فرضيات الدراسة.
- اختبار (كرونباخ ألفا) لاختبار مدى ملاءمة الاستبانة.

الإطار النظري الحاكمية المؤسسية

مقدمة :

يعد مصطلح حاكمية الشركات Corporate Governance من المصطلحات التي أخذت في الانتشار على الساحة الدولية مؤخراً، وهو المصطلح الذي اتفق على ترجمته إلى: «أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة» أو حوكمة الشركات.

وتطرق العديد من الاقتصاديين والمحليلين والخبراء إلى أهمية ومدى تأثير مفهوم حوكمة الشركات في العديد من النواحي الاقتصادية والقانونية والاجتماعية الهادفة إلى صالح الأفراد والمؤسسات والمجتمعات ككل، خاصة في أعقاب الانهيارات الاقتصادية والأزمات المالية التي شهدتها عدّة دول في شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وروسيا خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، بالإضافة إلى الانهيارات المالية للعديد من الشركات الأمريكية الكبرى خلال الأعوام الأولى من القرن الحادي والعشرين مثل شركة (إنرون للطاقة).

ولقد أدت المشاكل المالية التي تعرّض لها العديد من الشركات الكبرى في العالم، إلى زيادة المطالبة بضرورة وجود مجموعة من الضوابط والأعراف والمبادئ الأخلاقية والمهنية، لتحقيق الثقة والمصداقية في المعلومات الواردة في القوائم المالية والتي يحتاج إليها العديد من مستخدمي القوائم المالية وبخاصة المستثمرين.

ماهية الحاكمية :

ظهرت الحاجة إلى الحاكمية المؤسسية في العديد من الاقتصاديات المتقدمة والناشئة خلال العقود القليلة الماضية، خاصة في أعقاب الانهيارات الاقتصادية والأزمات المالية التي شهدها عدد من دول العالم في عقد التسعينيات من القرن العشرين، وكذلك ما شهده الاقتصاد الأمريكي مؤخراً من انهيارات مالية ومحاسبية خلال عام ٢٠٠٢ وعام ٢٠٠٨، كما تزايدت أهمية الحاكمية نتيجة لاتجاه كثير من دول العالم إلى التحوّل إلى النظم الاقتصادية الرأسمالية، التي يعتمد فيها بدرجة كبيرة على الشركات الخاصة لتحقيق معدلات مرتفعة ومتواصلة من النمو الاقتصادي^(١).

وقد شهد العالم تحريراً للأسواق المالية، فتزايدت انتقالات رؤؤس الأموال عبر الحدود بشكل غير مسبق، ودفع اتساع حجم الشركات وانفصال الملكية عن الإدارة إلى ضعف آليات الرقابة على تصرفات المديرين، وإلى وقوع كثير من الشركات في أزمات مالية، ومن أبرزها

(Fawzy, 2003:6) -1

دول جنوب شرق آسيا في أواخر التسعينات، ثم توالى بعد ذلك الأزمات، ولعل من أبرزها أزمة شركتي أنرون وورد كوم في الولايات المتحدة في عام ٢٠٠١، وقد دفع ذلك العالم إلى الاهتمام بالحاكمية^(١).

تعريف الحاكمية:

يعتبر مصطلح الحاكمية المؤسسية ترجمة مختصرة للمصطلح Corporate Governance، أما الترجمة العلمية لهذا المصطلح، فهي «أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة»^(٢)

ولم يتمّ التوصل إلى مرادف متفق عليه في اللغة العربية لمصطلح Governance، كما إن اقتران هذا المصطلح مع كلمة Corporate أعطاه أكثر من معنى ومدلول، وقد أورد (الصالح، ٢٠٠٦) في هذا السياق خمسة عشر معنى وردت في اللغة العربية لتفسير هذا المصطلح، هي (حاكمية الشركة، وحوكمة الشركة، وحكمانية الشركة، والتحكم المشترك، والتحكم المؤسسي، والإدارة المجتمعة، وضبط الشركة، والسيطرة على الشركة، والمشاركة الحكومية، وإدارة شؤون الشركة، والشركة الرشيدة، وتوجيه الشركة، والإدارة الحقة للشركة، والحكم الصالح للشركة، وأسلوب ممارسة سلطة الإدارة)^(٣).

وتعني الحاكمية أسلوب الإدارة الرشيد، مما يعني التحكم بكافة العلاقات السلوكية للمنظمة والمتعاملين معها، وهي بالتالي عبارة عن القوانين والمعايير المحددة للعلاقة بين الإدارة من جهة وحملة الأسهم والمساهمين وأصحاب المصالح أو الأطراف المرتبطة بالشركة من جهة أخرى^(٤)

أهمية ومبررات الحاكمية:

تزايدت أهمية الحاكمية في الآونة الأخيرة بشكل كبير، لتحقيق التنمية وتعزيز الرفاهية الاقتصادية للشعوب، إذ برزت هذه الأهمية بعد الأزمة المالية الآسيوية ١٩٩٧ - ١٩٩٨، والانهيارات والفضائح التي حصلت في كبرى الشركات، مثل شركة انرون Enron للطاقة. كذلك اكتشافات لحالات التلاعب في قوائم الشركات المالية التي كانت لا تعبّر عن الواقع الفعلي لها، وذلك بالتواطؤ مع كبرى الشركات العالمية الخاصة بالتدقيق والمحاسبة، بالإضافة إلى حصول

١- (العيسوي، ٢٠٠٣: ٣٦)

٢- (عبد الوهاب، ٢٠٠٧: ١٧)

٣- (الصالح، ٢٠٠٦: ١٦)

٤- (مجدوب، ٢٠٠٥: ٨٤)

بعض الشركات على مبالغ هائلة من الديون قصيرة الأجل، دون معرفة المساهمين بذلك من خلال إتباع نظم وطرق محاسبية مضللة ومبتكرة^(١).

ويشير (ميخائيل، ٢٠٠٥: ٦٣) إلى أن أهمية الحاكمية في الجانب المحاسبي والرقابي تتجسّد فيما يلي:

١- العمل على محاربة الفساد المالي والإداري في الشركات وعدم السماح بوجوده، والتأكد من كفاءة تطبيق برامج الخصخصة وحسن توجيه الحصيلة منها إلى الاستخدام الأمثل لها، منعا لأيّ من حالات الفساد التي قد تكون مرتبطة بذلك.

٢- تحقيق درجة عالية من الضمان والطمأنينة والنزاهة والشفافية والحيادية والاستقامة والاستقلالية لكافة العاملين في الشركة، بدءاً من رئيس مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين حتى أدنى مستوى للعاملين فيها.

٣- زيادة القيمة السوقية للأسهم، وتدعيم تنافسية الشركات في أسواق المال العالمية، وخاصة في ظل استحداث أدوات وآليات مالية جديدة، وحدوث اندماجات أو استحواذ أو بيع لمستثمر رئيس.

٤- تضاوي وجود تغيرات مقصودة أو أية انحرافات سواء كانت متعمّدة أو غير متعمّدة ومنع استمرارها، أو العمل على تقليلها إلى أدنى قدر ممكن.

٥- تحقيق قدر كاف من الإفصاح والشفافية والإبلاغ المالي في الكشوفات والتقارير المالية، وتجنب الانزلاق في مشاكل محاسبية ومالية، وتحقيق دعم واستقرار نشاط الشركات العاملة بالاقتصاد، ودرء حدوث انهيارات في الأجهزة المصرفية أو أسواق المال المحلية والعالمية، والمساعدة في تحقيق التنمية والاستقرار الاقتصادي.

٦- ضمان أعلى درجة ممكنة من الكفاءة والفاعلية لمدقي الحسابات الخارجيين، والتأكد من كونهم على درجة عالية من الاستقلالية والموضوعية وعدم خضوعهم إلى أية ضغوط سواء من مجلس الإدارة أو من المديرين التنفيذيين.

مبادئ الحاكمية المؤسسية :

نظرا للاهتمام المتزايد بمفهوم الحاكمية المؤسسية، فقد حرصت العديد من المؤسسات على دراسة هذا المفهوم وتحليله ووضع معايير محددة لتطبيقه، ومن هذه المؤسسات: منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وبنك التسويات الدولية ممثلا في لجنة بازل، ومؤسسة التمويل

١- (حنان، ٢٠٠١: ٣٩)

الدولية التابعة للبنك الدولي.

ويشير (Fawzy, 2003) إلى أن تطبيق الحاكمية المؤسسية يتم وفق المبادئ والمعايير التي توصلت إليها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في عام ١٩٩٩، والتي تتمثل في ما يلي:

١- حفظ حقوق جميع المساهمين:

وتشمل حقوق حملة الأسهم ومهام الملكية الأساسية ونقل ملكية الأسهم، واختيار مجلس الإدارة، والحصول على عائد في الأرباح، ومراجعة القوائم المالية، وحق المساهمين في المشاركة الفعالة في اجتماعات الجمعية العامة، وانتخاب أعضاء مجلس الإدارة أو الوسائل الأخرى للتأثير على تكوين مجلس الإدارة، والموافقة على العمليات الاستثنائية وبعض الموضوعات الأساسية الأخرى، كما يحدده قانون الشركات واللوائح الداخلية للشركة، ويمكن النظر إلى هذا القسم باعتباره بياناً لمعظم الحقوق الأساسية للمساهمين التي تم الاعتراف بها قانوناً في جميع دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وهناك حقوق إضافية مثل الموافقة على أو انتخاب المراجعين والتعيين المباشر لأعضاء مجلس الإدارة والقدرة على رهن الأسهم والموافقة على توزيعات الأرباح.

٢- المعاملة المتساوية بين جميع المساهمين:

وتشير المعاملة المتساوية لحملة الأسهم في الشركات المساهمة إلى تحقيق المساواة بينهم، وتحقيق المعاملة العادلة بين كافة المساهمين سواء كبار المساهمين أو صغار المساهمين (حقوق الأقلية)، وكذلك المساواة بين المساهمين المحليين والمساهمين الأجانب، من حيث حقوق التصويت في الجمعية العامة على القرارات الأساسية في اجتماعات الهيئة العامة للشركة وحمايتهم من النتائج المترتبة على عملية التداول في المعلومات الداخلية، أو إبرام الصفقات غير الاعتيادية مع الأطراف ذوي العلاقة، وتمكين حاملي أقلية الأسهم من الدفاع عن انتهاك حقوقهم من قبل المسؤولين في الشركة أو حملة غالبية الأسهم. كذلك حقهم في الدفاع عن حقوقهم القانونية، وكذلك حمايتهم من أية عمليات استحواذ أو دمج مشكوك فيها، أو من الاتجار في المعلومات الداخلية، وكذلك حقهم في الاطلاع على كافة المعاملات مع أعضاء مجلس الإدارة أو المديرين التنفيذيين.

٣- ضمان دور أصحاب المصالح في أساليب ممارسة سلطات الإدارة في الشركة:

وتشمل احترام حقوقهم القانونية، والتعويض عن أي انتهاك لتلك الحقوق، وكذلك آليات مشاركتهم الفعالة في الرقابة على الشركة، وحصولهم على المعلومات المطلوبة. ويقصد بأصحاب

المصالح البنوك وحملة السندات، والموردين، والعلماء، والدائنين، والعاملين في الشركة، وكافة الجهات الحكومية، وتوفير المعلومات اللازمة لهم بصورة دورية وفي الوقت المناسب، وحقهم في إخطار مجلس الإدارة بأيّة تصرفات أو مخالفات غير قانونية أو غير أخلاقية، دون أن يترتب على هذا الإخطار أي مساس بحقوق تلك الأطراف تجاه الشركة^(١).

وهناك مجموعة إرشادات التي يجب الالتزام بها عند الالتزام بتطبيق هذا المبدأ وهي:^(٢)

١- يجب احترام حقوق ومصالح أصحاب المصالح التي يُنشئها القانون أو تكون نتيجة الاتفاقات.

٢- عندما يكفل القانون حماية المصالح، ينبغي أن تكون لأصحاب المصلحة فرصة الحصول على تعويض فعّال مقابل انتهاك حقوقهم.

٣- ينبغي السماح بوضع وتطوير آليات لتعزيز الأداء من أجل مشاركة العاملين.

٤- عندما يشارك أصحاب المصالح في عملية حاكمية الشركات، ينبغي السماح لهم بالحصول على المعلومات ذات الصلة وبالقدر الكافي، والتي يمكن الاعتماد عليها في الوقت المناسب.

٥- ينبغي لأصحاب المصالح، بما في ذلك العاملين وهيئات تمثيلهم، أن يتمكنوا من الاتصال بمجلس الإدارة للإعراب عن اهتمامهم بشأن الممارسات غير القانونية، أو غير الأخلاقية، وينبغي عدم الانتقاص أو الغض من حقوقهم إذا ما فعلوا ذلك.

٤- ضمان وجود أساس لإطار فعّال لحاكمية الشركات:

يجب أن يتضمن إطار حاكمية الشركات كلاً من: تعزيز شفافية الأسواق وكفاءتها، كما يجب أن يكون متناسقاً مع أحكام القانون، وأن يصيغ بوضوح تقسيم المسؤوليات فيما بين السلطات الإشرافية والتنظيمية والتنفيذية المختلفة، ولكي يتم ضمان وضع إطار فعال للحاكمية، فإن من الضروري وجود أساس قانوني وتنظيمي ومؤسسي فعّالاً يُمكّن لكافة المشاركين في السوق الاعتماد عليه في إنشاء علاقتهم التعاقدية الخاصة، وعادة ما يضم إطار الحاكمية عناصر تشريعية وتنظيمية وترتيبات للتنظيم الذاتي والالتزامات الاختيارية، وممارسات الأعمال التي هي نتاج الظروف الخاصة بالدولة وتاريخها وتقاليدها، ولكي يكون هناك ضمان لوجود أساس لإطار فعّال للحاكمية، هناك مجموعة من الإرشادات والعوامل يجب أخذها بعين الاعتبار وهي:^(٣)

١- (عبد الوهاب، ٢٠٠٧: ٨٨)

٢- (سليمان، ٢٠٠٨: ٥٢)

٣- (سليمان، ٢٠٠٨: ٥٢)

أ- ينبغي وضع إطار حاكمية بهدف أن يكون ذا تأثير على الأداء الاقتصادي الشامل ويكرس نزاهة الأسواق ويؤكد على الحوافز التي يخلقها للمشاركين في السوق ويدفع إلى تشجيع قيام أسواق مالية تتميز بالشفافية والفعالية.

ب- ينبغي أن تكون المتطلبات القانونية والتنظيمية التي تؤثر في ممارسة حاكمية الشركات في نطاق اختصاص تشريعي ما، متوافقة مع أحكام القانون وذات شفافية وقابلة للتنفيذ.

ج- ينبغي أن يكون توزيع المسؤوليات بين مختلف الجهات في نطاق اختصاص تشريعي ما محدداً بشكل واضح مع ضمان خدمة المصلحة العامة.

د- ينبغي أن تكون لدى الجهات الإشرافية والتنظيمية والتنفيذية؛ السلطة والنزاهة والموارد، للقيام بواجباتها بطريقة متخصصة وموضوعية، فضلاً عن أن أحكامها وقراراتها ينبغي أن تكون في الوقت المناسب وتتميز بالشفافية مع توفير الشرح الكافي لها.

٥- الإفصاح والشفافية:

يجب أن يركز إطار حاكمية الشركات على تحقيق الإفصاح والشفافية عن كافة الأمور المالية التي تخص الشركة، وتتعلق تلك الأمور المالية بنتيجة نشاط الشركة ومركزها المالي وحركة التدفقات النقدية وغيرها من الأمور المالية، ويجب أن يشمل الإفصاح عن مدى تحقيق أهداف الشركة، ونتيجة نشاطها ومركزها المالي وتدفعاتها النقدية والسياسات المحاسبية المستخدمة والعلاقات مع الأطراف ذات العلاقة، وبيان مدى الالتزام بالمعايير المحاسبية والسياسات واللوائح ذات الصلة، مع ضرورة الإفصاح عن حصة الأغلبية في حقوق الملكية وحقوق الأقلية ومكافأة مجلس الإدارة والإفصاح عن كافة المعلومات المتعلقة بمؤهلات أعضاء مجلس الإدارة. ومن ناحية أخرى يجب أن يتضمن الإطار العام للحاكمية تدقيق كافة الأمور المالية من قبل مدقق حسابات خارجي مستقل تُعيّنه الجمعية العامة للشركة، حيث يقوم مدقق الحسابات بإعداد، وتقديم تقرير تدقيق للمساهمين يتضمن الرأي الفني المحايد حول مدى عدالة القوائم المالية في التعبير في كل جوانبها الهامة عن الأمور المالية للشركة، ويكون مدقق الحسابات الخارجي مسؤولاً عن رأيه الوارد في تقرير التدقيق أمام المساهمين وعن مدى بذله العناية المهنية اللازمة لعملية التدقيق^(١).

ويتناول الإفصاح أيضاً عن المعلومات الهامة ودور مدقق الحسابات، والإفصاح عن ملكية

النسبة العظمى من الأسهم، والإفصاح المتعلق بأعضاء مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين. ويتم الإفصاح عن كل تلك المعلومات بطريقة عادلة بين جميع المساهمين وأصحاب المصالح في الوقت المناسب ودون تأخير.

٦- التأكيد على مسؤوليات مجلس الإدارة:

على الرغم من ضرورة تأكيد فصل إدارة الشركات عن مالكيها، وتحقيق فكرة الإدارة الخبيرة، وتحقيق مبدأ الاستقلالية، وتأكيد مبدأ المحاسبة عن المسؤولية، وهي جميعها تتحقق عندما تصبح مسؤوليات مجلس الإدارة واضحة ومحددة ومعلنة سواء من حيث: الصلاحية، والمسؤوليات، والحقوق، والواجبات، والمزايا والبدلات والأجور والمكافآت. ويجب أن يتيح إطار أسلوب ممارسة سلطات الإدارة في الشركات الخطوط الإرشادية الاسترشادية لتوجيه الشركات، كما يجب أن يكفل المتابعة الفعالة للإدارة التنفيذية من قبل مجلس الإدارة، وأن تضمن مساءلة مجلس الإدارة، من قبل الشركة والمساهمين^(١).

وتشمل مسؤوليات مجلس الإدارة أيضا هيكل مجلس الإدارة وواجباته القانونية، وكيفية اختيار أعضائه ومهامه الأساسية، ودوره في الإشراف على الإدارة التنفيذية. حيث تُشرع قوانين وأنظمة الشركات الكثير من القضايا ذات الصلة بمجلس الإدارة، ولاسيما ما يرتبط بهيكل وتشكيل مجلس الإدارة والكيفية التي يتم بوساطتها اختيار الأعضاء والمهام الأساسية التي تناط بهم، فضلا عن دور المجلس في الإشراف على الإدارة التنفيذية لتلك الشركات.

مقومات نظام الحاكمية المؤسسية

أبرز (خليل، ٢٠٠٥) مقومات الحاكمية المؤسسية والتي يتم من خلالها تحقيق أهداف الشركات، وهذه المقومات هي:

- ١- تعدد الجهات الرقابية على أداء الوحدة الاقتصادية.
- ٢- فعالية نظام التقارير وقدرته على تحقيق الشفافية وتوفير المعلومات.
- ٣- وضوح السلطات والمسؤوليات بالهيكل التنظيمي في الشركة.
- ٤- وجود لجان أساسية منها لجنة التدقيق التابعة لمجلس الإدارة.
- ٥- توفر القوانين والتشريعات الخاصة بضبط الأداء الإداري في الوحدات الاقتصادية والتي تعنى بتنظيم مجلس الإدارة وبيان مسؤوليات الإدارة التنفيذية وحقوق وواجبات أصحاب المصالح.

١- (الخصيري، ٢٠٠٥: ١٤٢)

كما تستند الحاكمة المؤسسية لغرض تحقيق أهدافها إلى مجموعة من الدعائم الأساسية من أهمها:

١- الإفصاح والشفافية: وتعني الإفصاح عن كافة المعلومات، والإفصاح عن ملكية النسبة العظمى من الأسهم، والإفصاح المتعلق بأعضاء مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين. ويتم الإفصاح عن كل تلك المعلومات بطريقة عادلة ونزيهة وصادقة وبكل موضوعية وأمانة واستقامة بين جميع المساهمين وأصحاب المصالح في الوقت المناسب ودون تأخير^(١).

٢- المساءلة: وتعني إمكان تقييم وتقدير أعمال الإدارة التنفيذية ومتابعتها للتأكد من قيامها بتنفيذ المهام التي من شأنها ضمان القيام بالأعمال بدقة من قبل بقية الموظفين في المؤسسة، وذلك بتقديم تقارير دورية عن نتائج الأعمال ومدى نجاحهم في تنفيذها^(٢).

٣- المسؤولية: وتعني أن تكون للمنظمة رسالة أخلاقية في المجتمع وان يعترف المدبرون بأنهم جزء من المجتمع وأن عليهم واجبات تجاه حماية البيئة وتجاه العاملين وتحسين الخدمات المقدمة لهم، فضلاً عن مسؤوليتهم تجاه حملة الأسهم من خلال تحقيق العوائد المناسبة لهم.

٤- العدالة: وتعني احترام حقوق مختلف المجموعات أصحاب المصلحة في المؤسسة، وتوزيع المهام والواجبات والمسؤوليات بين العاملين في الشركة على أسس قائمة على العدل والمساواة.

٥- الاستقلالية: وتعني عدم وجود تأثيرات وضغوط غير لازمة للعمل، وأن يكون الموظف محايداً وبعيداً عن أية تأثيرات جانبية، ويتمتع باستقلال فكري في جميع ما يتعلق بأعماله، وألا تكون له أية مصالح متعارضة، وأن يتجنب أية علاقات قد تبدو أنها تفقده موضوعيته واستقلاله عند القيام بأعماله.

القوانين والأنظمة: وتعني تداخل قواعد التحكم المؤسسي في العديد من القوانين، مثل قوانين الشركات وأسواق المال والبنوك والمحاسبة والتدقيق، وغيرها من القوانين والتشريعات التي توضح حقوق المساهمين وواجباتهم، مثل حق التصويت وحق انتخاب أعضاء مجلس الإدارة، كذلك يوضح حقوق المجتمع على المنظمة وواجباته تجاهها^(٣).

(Fawzy, 2003:10) -1

(www.socpa.org.sa/rule/index.htm) -2

(www.theiia.org) -3

السلبيات الناتجة عن غياب حاكمية الشركات:

في ظل غياب حوكمة الشركات فإن هناك العديد من النتائج السلبية التي قد تنشأ في إطار هذا الغياب، ولعل من أبرزها (التعثر المالي والإداري، الفشل المالي والإداري، مخاطر الائتمان، مخاطر التقنية، غياب الرؤية الإستراتيجية للشركات)^(١).

وفي هذا الصدد تناولت العديد من الدراسات (Peter & Sundeep, 2004; Silvia, 2002; Stephen & Brian, 2002; Tong, 2003; Simon, 2003; Peter, 2002) أهم المفردات التي يتضمنها كل محدد من محددات حاكمية الشركات السابقة:

أ- محدد الشفافية: والذي يضم تماثل المعلومات المالية وغير المالية، وعدم تسريب المعلومات قبل الإعلان، والنشر الإلكتروني للمعلومات، وتحليل الانحرافات عن الخطط، وتطابق التقارير مع النمط الدولي، وتقييم الأداء مع أفضل الممارسات الدولية، وتطابق الممارسة مع معايير المحاسبة والتدقيق الدولي، والمساءلة المحاسبية لأعضاء مجلس الإدارة والتنبؤ بربحية الشركة مستقبلاً، وتحليل مخالفات مجلس الإدارة، وتحليل ملكية تركب الأسهم، وتحليل ملكية أعضاء مجلس الإدارة، وتحليل حقوق الأقلية، وتحليل حقوق الأطراف ذات المصالح، وانتظام الاجتماع العادي لمجلس الإدارة، وانتظام اجتماعات اللجان الفنية، وتحليل مكافآت ومعاملات مجلس الإدارة.

ب- محدد طريقة الإفصاح المحاسبي: والذي يضم مفردات التقارير المالية وغير المالية، والتقارير القطاعية، والتقارير البيئية، والتقارير البيئية، وتقرير مجلس الإدارة، والتقارير الإحصائية، ودستور أخلاقيات العمل.

ت- محدد المحتوى المعلوماتي للإفصاح المحاسبي: والذي يضم مفردات المعلومات الدفترية، والمعلومات السوقية، والمعلومات المعرفية، والمعلومات العامة عن الشركة، والمعلومات العامة عن مجلس الإدارة، ومعلومات قيد الشركة بالبورصة، ومعلومات تداول الأسهم ومعلومات الإستراتيجيات، ومعلومات البرامج والأنشطة، ومعلومات الميزة التنافسية، ومعلومات الأداء المالي، ومعلومات الأداء التشغيلي، ومعلومات الأداء النقدي، ومعلومات الأداء الاستثماري، ومعلومات المخاطر المالية، ومعلومات هيكلية الاستثمار والتمويل، ومعلومات مخاطر التشغيل، ومعلومات الأصول البشرية، ومعلومات رأس المال المعرفي.

ث- محدد التدقيق: والذي يضم مفردات التدقيق المالي والإداري والداخلي، والتدقيق

١- (أحمد، ٢٠٠٣: ٤٩٣)

التحليلي، والتدقيق لأغراض خاصة، ونظم الرقابة الداخلية، والتدقيق الخارجي، ولجان التدقيق.

ج- محدد الاستقلال: والذي يضم مفردات استقلال مجلس الإدارة، واستقلال لجان التدقيق، واستقلال لجان إدارة المخاطر، واستقلال لجان المكافآت.

ح- محدد العدالة: والذي يضم مفردات تمثل الأقلية في مجلس الإدارة، وحرية تسجيل ونقل ملكية الأسهم، والدفاع عن حقوق الأقلية والأطراف ذات العلاقة، وحرية مقاضاة الإدارة، وإتاحة التصويت بالتوكيل وبالبريد وبالإترنت، وإقرار المساهمين لمكافآت الإدارة العليا.

مفهوم التدقيق الداخلي:

عرّف المعهد الأمريكي للمدققين الداخليين (IIA) التدقيق الداخلي بأنه: نشاطٌ مستقل، وتأكيدٌ موضوعي، واستشاري صُمم من أجل إضافة قيمة وتحسين عمليات الشركة، ويساعدها في تحقيق أهدافها بالالتزام بمنهج منضبط لتقييم وتحسين فاعلية كل من إدارة المخاطر والحاكمة⁽¹⁾.

وقد وضّح المعهد الأمريكي للمدققين الداخليين بأن التدقيق يجب أن يتّصفَ بعدة صفات كما يلي:

- 1- **الاستقلالية:** يكون التدقيق مستقلاً عن الأنشطة والعمليات التي تخضع للتدقيق، لذا فالأفضل أن يرتبط المدقق الداخلي مع لجنة التدقيق التابعة لمجلس الإدارة.
- 2- **تأكيد موضوعي:** يكون المدقق الداخلي بعيداً عن التحيز أثناء تأدية مهامه، ولتعزيز الموضوعية تقوم بعض الشركات باللجوء إلى استخدام أسلوب المصادر الخارجية المستقلة، وتكون أعمال المدقق منضبطة وتخضع للأساليب العلمية والمهنية السليمة في تأدية المهام موضوع التدقيق، لذا فالأفضل تعيين مدير لتأكيد الجودة في إدارة التدقيق الداخلي.

- 3- **استشاري:** يكون هناك نشاط استشاري للإدارة العليا ومجلس الإدارة في المواضيع التي ترى الإدارة ضرورة بيان رأي قانوني وعملي في عملية التدقيق.

ميثاق السلوك الأخلاقي:

حدد المعهد الأمريكي للمدققين الداخليين ميثاق للسلوك الأخلاقي الذي يجب أن يتصف

به المدققون الداخليون وهي ما يلي⁽¹⁾:

١- النزاهة : إن نزاهة المدقق الداخلي تعتبر أساساً للاعتماد عليها لأن توافرها يؤدي إلى ترسخ الثقة لهم و بهم، لذا فإنه يجب على المدققين الداخليين لتحقيق النزاهة الالتزام بما يلي:

أ- أداء عملهم بكل نزاهة ومصداقية ومسؤولية.

ب- متابعة القوانين التي تصدر عن مهنة التدقيق الداخلي والالتزام بها.

ج- بيان أية أعمال وأنشطة غير قانونية لا تتناسب مع مهنة التدقيق.

د- احترام أهداف الشركة الأخلاقية والإسهام فيها ببذل الجهد والعناية المهنية اللازمة.

٢- الموضوعية : إن موضوعية المدقق الداخلي يجب أن تكون على أعلى مستوى من المهنية في جمع وتقييم وإيصال المعلومات المتعلقة بالأنشطة والعمليات المتعلقة بالأنشطة التي يقوم بتدقيقها، وألا تكون هناك مصلحة شخصية له أو خاصة بالآخرين. لذلك أكد معهد المدققين الداخليين الأمريكي وفق ميثاق السلوك الأخلاقي إلى تدعيم الموضوعية بأنه يجب على المدققين الداخليين:

أ- عدم المشاركة في أي أنشطة، أو علاقات تؤدي إلى تضارب مع مصلحة الشركة.

ب- عدم قبول مهام تُشوّه من أحكامهم وأعمالهم المهنية.

الإفصاح عن الحقائق المادية، والإبلاغ عن الأنشطة في التقارير.

٣- السرية : على المدقق الداخلي عدم الإفصاح عن أية معلومات يحصل عليها ما لم يكن هناك التزام مهني وقانوني للإفصاح.

لذلك أكد معهد المدققين الداخليين الأمريكي وفق ميثاق السلوك الأخلاقي إلى تدعيم السرية بأنه يجب على المدققين الداخليين:

أ- تحمّل المسؤولية بخصوص المعلومات المستخدمة في أعمالهم وواجباتهم وحمايتهم .

ب- عدم استخدام أية معلومات لمصلحة أو منفعة شخصية، أو استخدامها بشكل مخالف للقوانين، وأهداف الشركة الأخلاقية.

الكفاءة المهنية: تشمل الكفاءة المهنية: المعرفة، والخبرة، واستمرارية تأهيل المدقق ضمن سياسة تدريبية منتظمة لكل مدقق من مدققي إدارة التدقيق الداخلي.

لذلك أكد معهد المدققين الداخليين الأمريكي وفق ميثاق السلوك الأخلاقي تدعيم الكفاءة بأنه يجب على المدققين الداخليين:

- أ- أن يكون لديهم الإلمام والمعرفة والخبرات والمهارات اللازمة لتقديم الخدمات.
- ب- أن يقوموا بتقديم الخدمات وفقاً لمعايير التدقيق الداخلي.
- ج- تحسين نوعية وطبيعة الخدمات التي يقدموها.

أنواع التدقيق الداخلي:

يمكن تقسيم التدقيق الداخلي إلى عدة أنواع، أهمها:

- ١- التدقيق المالي: تحليل الأنشطة الاقتصادية وفحص مصداقية واستقامة التسجيلات المحاسبية للعمليات.
- ٢- تدقيق أنظمة المعلومات (التطابق): يراجع نظام المعلومات المحاسبية من حيث الرقابة العامة والتطبيق لتقييم مدى موافقته للسياسات والإجراءات الرقابية الداخلية ومدى فعاليته في حماية الأصول.
- ٣- تدقيق العمليات: هي مراجعة للوظائف التي تقوم بها الشركة باستخدام الفعال والاقتصادي للموارد، وتقييم الكفاءة لتحقيق الأهداف المخضلة لها.
- ٤- التدقيق الاجتماعي: «عملية مراجعة لضمان أن المنظمة تُعطي أهمية أكثر شمولاً لمسؤولياتها الاجتماعية تجاه هؤلاء الذين يتأثرون إما بشكل مباشر أو غير مباشر بقراراتها»^(١).

مهام المُدقق الداخلي:

لقد حدّدت بعض الدراسات مسؤوليات المدقق الداخلي للقرن الحادي والعشرين كما يلي: يجب أن يكون مؤهلاً للقيام بالتدقيق في المعلومات التي تشمل أنظمة الرقابة، والأداء، ونظم المعلومات الإلكترونية، والالتزام القانوني، والقوائم المالية، والاحتيال البيئي والأداء، والنوعية، وعليه يجب على المدقق الداخلي أن يبرع في^(٢):

- أ- قواعد السلوك المهني ومهارات التحليل والتفكير.
- ب- مفاهيم التدقيق الداخلي، ومبادئه، وطرق الرقابة الداخلية، ومتابعة توصيات التدقيق.

1- (Alamgir, 2007)

٢- (العشماوي، ٢٠٠٥: ٢٢)

- ج- الإلمام بالمخاطر وكيفية إدارتها، والفرص المتعلقة بكل من المدققين، والمدقق لهم.
- د- تطوير أهداف التدقيق العامة والخاصة للمشاريع المنفذة.
- هـ- اختبار إجراءات التدقيق والتأكد منها، وتوثيق أدلته وتقييمها باستخدام الأساليب الإحصائية.
- و- إعداد نتائج تقارير التدقيق.
- ز- الأنظمة الإلكترونية المستخدمة في التدقيق وكذلك مختلف أنواع تقارير التدقيق.
- ح- فهم وإدراك الاستقلالية، والموضوعية لارتباطهما بأنشطة التدقيق الداخلي والأهمية النسبية للمخاطر.

علاقة الحاكمية المؤسسية بالمدققين الداخليين:

يجب أن يكون لدى البنوك التجارية الأردنية لجنة تدقيق تتألف هذه اللجنة من ثلاثة أعضاء غير تنفيذيين على الأقل، على أن يتميز أعضاءها بالكفاءة العالية والخبرة المحاسبية وفهم طبيعة عمل البنوك ومخاطرها، ومن المهام الرئيسية المناطة بلجنة التدقيق ما يلي^(١):

- ١- الإشراف والمراقبة للعمليات المالية، وإيجاد قنوات اتصال بين المدقق: الخارجي والداخلي، ومجلس الإدارة.
- ٢- إدارة المخاطر: القيام بتقييم المخاطر المرتبطة بعمليات الشركة، وقرارات الإدارة العليا وممارستها.
- ٣- تقوم اللجنة بإعداد تقارير لمجلس الإدارة تتضمن أسس اختيار المدقق الخارجي ومتابعة أدائه وتقييمه.
- ٤- المحافظة على استقلالية المدقق الخارجي: تقع المسؤولية على عاتق اللجنة التي تتحصن بالاستقلالية.
- ٥- القرارات الحرجة: تقوم اللجنة بمناقشة، ومراجعة كل من الإدارة، والمدقق الخارجي في كافة القرارات الحرجة.
- ٦- الرقابة الداخلية: فهم اللجنة لنظام الرقابة الداخلية سيسهل من مهمتها في التقييم، والمعرفة، والمتابعة.
- ٧- متابعة التزام إدارة الشركة بالسياسات، والقوانين، وأخلاقيات المهنة.

١- (دهمش وأبوزر، ٢٠٠٣: ١٤-١٥)

- ٨- مناقشة الإدارة والمدقق الخارجي في التقارير المالية السنوية، والرُّبعية قبل المُصادقة النهائية، وقبل عرضها على مجلس الإدارة ليتمَّ اعتمادها بشكلٍ نهائي.
- ٩- القيام بالإشراف على تعيين موظفي التدقيق.

الدراسات السابقة

- ١- دراسة مطر ونور (٢٠٠٧) بعنوان: «مدى التزام الشركات المساهمة العامة الأردنية بمبادئ الحاكمية المؤسسية: دراسة تحليلية مقارنة بين القطاعين المصرفي والصناعي».

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم مدى التزام الشركات المساهمة العامة الأردنية بمبادئ حاكمية الشركات، حيث أجرى الباحثان دراسة ميدانية على عينة من الشركات المساهمة في القطاعين المصرفي والصناعي عددها (٢٠) شركة، أي ما يعادل حوالي (٣٢٪) من حجم مجتمع الدراسة. ولقد تم توفير بيانات الدراسة الميدانية عن طريق استبانة شملت أسئلة تغطي ستة محاور رئيسية يغطي كل محور منها مبدأً من المبادئ الستة المتعارف عليها لنظام حاكمية الشركات.

استخدم الباحثان في تحليل نتائج الدراسة واختبار فرضياتها مؤشرات الإحصاء الوصفي بالإضافة إلى نوعين من الاختبارات الإحصائية هما: اختبار (t) للعينة الواحدة، واختبار (مان-ويتني)

وقد كشفت نتائج الدراسة عن مجموعة من النتائج التي تتلخص في أن مستوى التزام الشركات المساهمة العامة العاملة في القطاعين تراوح بين قوي وضعيف جداً، ولكن بمستوى عام مقبول أو متوسط مع ملاحظة أن مستوى الالتزام يميل لصالح القطاع المصرفي على حساب القطاع الصناعي. أما عن جوانب الخلل في تطبيق النظام فتترسخ بشكل رئيس في: عدم التزام مجالس الإدارة كما يجب بقواعد السلوك المهني، وعدم إشراك القاعدة العامة للمساهمين في اتخاذ القرارات الإستراتيجية للشركة وحرمانهم من الإطلاع على محاضر اجتماعات مجلس الإدارة، وكذلك عدم التزام الشركات بمسؤولياتها الاجتماعية للبيئة التي تعمل فيها، ولجوء بعض إدارات تلك الشركات إلى استعمال وسائل غير مشروعة كالرشاوى والمحسوبية للحصول على العقود.

- ٢- دراسة السهموري (٢٠٠٧). بعنوان: «أثر مرتكزات حاكمية الشركات والإجراءات التحليلية في اكتشاف التلاعب في القوائم المالية».

هدفت هذه الدراسة إلى اختبار أثر توفّر بعض مرتكزات حاكمية الشركات واستخدام الإجراءات التحليلية في اكتشاف التلاعب في القوائم المالية، تم استخدام اختبار (t) للعينات المستقلة لمعرفة قدرة النسب المالية في التمييز بين مجموعة الشركات التي تستخدم ممارسات الانسياب الوهمي للدخل مع الشركات الأخرى التي لم يثبت استخدامها لتلك الممارسات، وتم كذلك توزيع استبانة على كافة الشركات في عينة الدراسة لمعرفة مدى توفر مرتكزات حاكمية الشركات لديها وأثر ذلك في وجود ممارسات الانسياب الوهمي للدخل حيث تم استخدام اختبار الانحدار المنطقي لدراسة هذه العلاقة.

وتوصلت الدراسة إلى أن استخدام بنود قائمة التدفقات النقدية في الإجراءات التحليلية قد تكون أداة مهمة وكذلك أن بعض مرتكزات حاكمية الشركات المتعلقة بوجود دائرة تدقيق داخلي والقيود التي تكون على تغيير السياسات المحاسبية والفصل بين الإدارة التنفيذية ومجلس الإدارة هي مرتكزات هامة في زيادة الضبط والرقابة الداخلية والخارجية على الشركات والحد من حدوث التلاعب في قوائمها المالية.

٣- دراسة الشرفاء (٢٠٠٨) بعنوان: «أثر الحاكمية المؤسسية في تعزيز فاعلية التدقيق الداخلي في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية: دراسة ميدانية».

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أثر الحاكمية المؤسسية في تعزيز فاعلية التدقيق الداخلي في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية. وتألّف مجتمع الدراسة من (٧٩) شركة، وقد تم اختيار عيّنة طبقية من كل قطاع فرعي من قطاعات هذه الشركات وبلغ عدد المدققين الداخليين في القطاع الصناعي المشتركين في الدراسة (٥٦) مدققاً. وتوصلت الدراسة إلى أنّ تصورات المدققين الداخليين لمستوى تطبيق الحاكمية المؤسسية في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية جاءت بدرجة مرتفعة، وكذلك جاءت تصوراتهم لفاعلية التدقيق الداخلي بدرجة مرتفعة أيضاً كما توصلت الدراسة أيضاً إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية لأبعاد الحاكمية المؤسسية (الإفصاح والشفافية، وحفظ حقوق جميع المساهمين، ومسؤوليات مجلس الإدارة) في فاعلية التدقيق الداخلي.

٤- دراسة أبووزر (٢٠٠٦) بعنوان: «إستراتيجية مقترحة لتحسين فاعلية الحاكمية المؤسسية في القطاع المصرفي الأردني».

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم إستراتيجية مقترحة لتحسين فاعلية حاكمية الشركات في القطاع المصرفي الأردني من خلال الإبلاغ المالي، حيث قامت الباحثة بتحليل العوامل المهنية المؤثرة في حاكمية الشركات وقامت ببيان دور الإفصاح المحاسبي في تحسين حاكمية الشركات

في القطاع المصرفي الأردني وذلك من خلال عمل دراسة ميدانية شملت كافة المكلّفين بحاكمة الشركات والإدارة لقياس إدراكهم للمتطلبات القانونية والمهنية والأخلاقية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

١- أنّ هناك قصوراً في التقارير السنوية للمصارف الأردنية تتمثل في عدم الالتزام بالإفصاح عن حاكمة الشركات في ضوء لجنة بازل الصادرة عام (١٩٩٩).

٢- أنّ هناك أساقاً كبيراً في القوانين والتشريعات الأردنية مع قواعد ومبادئ حاكمة الشركات الصادرة عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لعام (٢٠٠٤) إلا أنه قد تبين عدم وجود نصوص قانونية واضحة بشأن عدم استخدام طرق أو وسائل ضد حالات الاستيلاء كحجاب واقٍ للإدارة ومجلس الإدارة ضد المساءلة.

٥- دراسة (Coram et al., 2006). بعنوان: «The Value of Internal Audit in Fraud Detection».

أشارت هذه الدراسة إلى أهمية التدقيق الداخلي في اكتشاف التلاعب في القوائم المالية، حيث أشارت هذه الدراسة إلى أهمية حاكمة الشركات وأنّ من أهم مرتكزاتها هو الدور الذي تلعبه دائرة التدقيق الداخلي في الشركة، وعليه فقد كان الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو اختبار في ما إذا كانت الشركات التي لديها دائرة تدقيق داخلي يكون لديها قدرة أكبر في اكتشاف التلاعب الذي قد يحصل في القوائم المالية من جهة أو أي سوء استخدام لمواد وأصول الشركة من جهة أخرى، أم أنه ليس هناك فرق بين هذه الشركات والشركات التي تعتمد على أطراف خارجية في القيام بمهام التدقيق الداخلي (Outsourcing) وبالتالي هدفت هذه الدراسة وإلى إثبات الدور المهم والفاعل للتدقيق الداخلي في توفير قيمة مضافة للشركة من خلال تطوير وتحسين الإجراءات الرقابية الأمر الذي يساعد على اكتشاف حالات التلاعب بشكل أفضل.

٦- دراسة مورناكا (Muranaka, 2005). بعنوان: «Financial Statement Fraud and organizational Factors».

بيّنت هذه الدراسة بأنّ معايير التدقيق أصبحت تشير بشكل واضح إلى مسؤولية المدقق في اكتشاف التلاعب المادي والذي يُؤثر بشكل جوهري على عدالة القوائم المالية ولذلك فإن المدقق يتوجب عليه عند إعداد خطة التدقيق أن يتأكد من وجود الاختبارات الكفيلة باكتشاف التلاعب حال وجوده. إن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو اختبار أحد مرتكزات حاكمة الشركات وهو زيادة عدد الأشخاص الخارجيين في مجلس الإدارة (ليس لهم علاقة مباشرة بإدارة الشركة)

(Outsiders) وأثر ذلك في تقليل احتمالية حصول التلاعب في القوائم المالية لتلك الشركات، حيث تم اختيار عينة تتكون من (٣٠) شركة منها (١٥) شركة تم تعريف حالات التلاعب في القوائم المالية لديها وتم اختبار الفرضية التالية:

«حالات التلاعب في القوائم المالية للشركات تكون أقل في الشركات التي ترتفع فيها نسبة أعداد الأشخاص الخارجيين في مجلس الإدارة».

حيث كانت نتائج هذه الدراسة تدعم الفرضية المذكورة، ولكن هذه الدراسة يوجد فيها محددات أثرت على نتائجها ومنها:

- صغر حجم عينة الدراسة (٣٠) شركة.
- وجود شركات أجنبية في العينة تمتاز بهيكل حاكمية شركات مختلفة (الشركات اليابانية) والتي تمتاز بأن غالبية أعضاء مجالس إدارتها غير مستقلين.

٧- دراسة (Allmon, 2004). بعنوان: «Simple Regression and Financial Statement Analysis».

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة ما إذا كان هناك اختلافات في النسب المالية وأرقام الربح المتوقعة للشركات التي يوجد فيها تلاعب في قوائمها المالية عن الشركات الأخرى التي لم يثبت وجود حالات تلاعب في قوائمها المالية على افتراض أن نتائج هذه الدراسة قد تزود المدققين الداخليين والخارجيين على حد سواء بوسائل وأدوات مهمة تساعد في اكتشاف التلاعب في القوائم المالية قبل أن يتأثر القرار الاستثماري بمعلومات وهمية وغير صحيحة، وبالتالي كان هناك العديد من الأسئلة التي تثير علامات استفهام عديدة، ومنها: فيما إذا كان هناك أية مؤشرات مالية تدل على حدوث مشكلة ما؟ وعليه فإن هذه الدراسة اعتمدت على استخدام البيانات المالية لشركة (ENRON) على اعتبار أنها من الشركات التي حصل فيها العديد من التلاعب في قوائمها المالية.

عرض نتائج الدراسة واختبار الفرضيات

الفرضية الرئيسية الأولى:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر تطبيق مبادئ الحوكمة المؤسسية على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

وللإجابة عن هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار المتعدد والجدول رقم (١) يوضح نتائج الفرضية الرئيسية الأولى:

جدول رقم (١)

نتائج تحليل الانحدار المتعدد لأثر للحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية

Sig	F	R square	R
0.00	4.83	0.45	0.68

يتضح من الجدول رقم (١) أن قيمة معامل الارتباط بين الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية بلغ (٠,٦٨) وأن قيمة اختبار (f) بلغ (٤,٨٣) بمستوى دلالة أقل من (٠,٠٥)، لذا نرفض الفرضية الرئيسية العدمية وذلك لوجود ارتباط دال بين الحاكمية وبين استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية. وبالتالي نقبل الفرضية البديلة على أنه يوجد هناك أثر للحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

ومن أجل اختبار الفرضيات الفرعية قام الباحث باستخراج معامل الارتباط (بيتا) وقيمة اختبار (t) له ومستوى دلالتها والجدول رقم (٢) يوضح نتائج الفرضيات الفرعية.

جدول (٢)

معامل الانحدار بيتا وقيمة اختبار (Z) ومستوى دلالتها لمتغيرات الدراسة المستقلة

Sig.	Z	Standardized Coefficients	المتغير
		Beta	
0.96	0.03	0.02	حماية حقوق المساهمين
0.01	2.87	0.31	المعاملة المتكافئة
0.03	2.32	0.19	أصحاب المصالح
0.03	2.30	0.16	مسؤوليات مجلس الإدارة
0.35	1.28	0.08	الإفصاح والشفافية

ويتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضية الفرعية الأولى:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر حماية حقوق المساهمين على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

يتضح من الجدول (٢) أن قيمة معامل الانحدار (Beta) قد بلغ (٠,٠٢) وان قيمة اختبار

(Z) بلغت (٠,٠٣) بمستوى دلالة (٠,٩٦) وهي أكبر من مستوى (٠,٠٥) لذا نقبل الفرضية العدمية بعدم وجود أثر لحماية حقوق المساهمين على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

ويمكن تفسير ذلك من خلال أن البنوك التجارية تسعى للحفاظ على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين حسب القوانين المعمول بها وضمن متطلبات الإفصاح وبعيداً عن التدخل في عمل المدققين الداخليين، كما أن البنوك تحرص على التعامل مع المساهمين بطريقة تضمن لهم فيها حقوقهم و حصولهم على المعلومات والبيانات وحققهم في المشاركة في اجتماعات الهيئة العامة للشركة المساهمة ومناقشة التقارير المالية وتقرير مراقب الحسابات التي تساعدهم على تقييم أعمال هذه البنوك.

الفرضية الفرعية الثانية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر المعاملة المتكافئة للجميع على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

يتضح من الجدول رقم (٢) أن قيمة معامل الانحدار (Beta) قد بلغ (٠,٣١) وان وقيمة اختبار (Z) بلغت (٢,٨٧) بمستوى دلالة (٠,٠١) وهي أقل من مستوى (٠,٠٥) لذا نقبل الفرضية البديلة بوجود أثر للمعاملة المتكافئة للجميع على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

هذا يدل على أن البنوك التجارية تسعى للحفاظ على حقوق المساهمين من خلال متابعة التشريعات والقوانين ومتطلبات الإفصاح والشفافية، والحفاظ على استقلالية المدققين الداخليين وذلك من أجل تحقيق المعاملة العادلة بين كافة المساهمين سواء كبار المساهمين أو صغار المساهمين (حقوق الأقلية)، وكذلك المساواة بين المساهمين المحليين والمساهمين الأجانب، وحمايتهم من النتائج المترتبة عن عملية تداول المعلومات الداخلية، أو إبرام الصفقات غير الاعتيادية مع الأطراف ذوي العلاقة.

الفرضية الفرعية الثالثة:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر أصحاب المصالح في الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

يتضح من الجدول (٢) أن قيمة معامل الانحدار (Beta) قد بلغ (٠,١٩) وأن قيمة اختبار (Z) بلغت (٢,٣٢) بمستوى دلالة (٠,٠٢) وهي أقل من مستوى الدلالة (٠,٠٥) لذا نقبل

الفرضية البديلة بوجود أثر لأصحاب المصالح في الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

ويمكن تفسير ذلك من خلال أن البنوك التجارية تسعى للحفاظ على حقوق أصحاب المصالح واستقطابهم في سبيل تطوير البنوك التجارية والعمل على احترام حقوقهم القانونية، وحصولهم على المعلومات اللازمة وفي الوقت المناسب وعلى أساس مُنظم، مع الحرص على أن يكون ذلك وفق القوانين والأنظمة والاتفاقيات ووفقاً للمعايير المعتمدة في تلك البنوك .

الفرضية الفرعية الرابعة:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر مسؤوليات مجلس الإدارة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

يتضح من الجدول (٢) أن قيمة معامل الانحدار (Beta) قد بلغ (٠,١٦) وأن قيمة اختبار (Z) بلغت (٢,٣٠) بمستوى دلالة (٠,٠٣) وهي أقل من مستوى (٠,٠٥) لذا نقبل الفرضية البديلة بوجود أثر لمسؤوليات مجلس الإدارة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

ويدل ذلك على أن مجلس الإدارة في البنوك التجارية يقوم بمهام واضحة ومحددة ومعلنة سواء القيام بواجب الإفصاح والشفافية ومتابعة حقوق المساهمين وأن يكفل المتابعة الفعالة للإدارة التنفيذية وتقييم ومتابعة أعمال مدققي الحسابات الداخليين ضمن التشريعات والقوانين الموجودة والمعمول بها وضمان نزاهة الأنظمة المحاسبية وأنظمة إعداد التقارير المالية والتدقيقية المستقلة وملاءمة أنظمة الرقابة الداخلية ولاسيما أنظمة إدارة المخاطر والرقابة المالية والتشغيلية، ومدى الانسجام مع القوانين والمعايير ذات الصلة.

الفرضية الفرعية الخامسة:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة في أثر الإفصاح والشفافية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين.

يتضح من الجدول (٢) أن قيمة معامل الانحدار (Beta) قد بلغ (٠,٠٨) وأن قيمة اختبار (Z) بلغت (١,٢٨) بمستوى دلالة (٠,٣٥) وهي أكبر من مستوى (٠,٠٥) لذا نقبل الفرضية العدمية بعدم وجود أثر للشفافية والإفصاح على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

ويفسر ذلك على أن البنوك التجارية الأردنية تقوم بواجبها من خلال الإفصاح عن أعمالها

ضمن القواعد والقوانين المعمول بها، وأن يتم ذلك بشكل واضح وذي شفافية لأنّ البنوك مقتنعة بأهمية التعامل بشفافية مع المساهمين وحملة الأسهم والمدققين الداخليين وغيرهم وفي الوقت المناسب ودون تأخير، وتستخدم البنوك التجارية جميع الوسائل لتحقيق متطلبات الإفصاح والشفافية وذلك من أجل تحقيق العدالة للجميع، حيث يقوم مدقق الحسابات بإعداد وتقديم تقرير تدقيق للمساهمين يتضمن الرأي الفني المحايد حول مدى عدالة القوائم المالية في التعبير بكل جوانبها الهامة عن الأمور المالية للبنوك.

الفرضية الرئيسية الثانية :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية التدقيق الداخلي في البنوك التجارية الأردنية تُعزى للمتغيرات الديموغرافية (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، التخصص العلمي، الخبرة الوظيفية)

ويتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضية الفرعية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للجنس.

جدول (٣)

نتائج تحليل اختبار (Z) للتعرف على وجود دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للجنس

الجنس	المتوسط	الانحراف المعياري	Z	الدلالة
ذكور	56.22	3.53	0.48	0.69
إناث	53.09	3.28		

يتضح من الجدول (٣) أن قيمة اختبار (Z) بلغ (٤, ٨٠) بمستوى دلالة (٦, ٩٠) وهي أكبر من مستوى (٥, ٠)، لذا نقبل الفرضية العدمية بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للجنس.

ويفسر ذلك أن تطبيق البنوك التجارية لمبادئ الحاكمية المؤسسية يهدف إلى حماية مصالح المساهمين وتعظيم أرباح البنك ومتابعة أعمال المدققين الداخليين وأن المدققين من كلا الجنسين يقومون بواجباتهم وأعمالهم الموكلة إليهم وإعداد التقارير والمتابعة للأعمال بغض النظر عن الجنس، لذلك فإنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية يُعزى للجنس.

الفرضية الفرعية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على

استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للعمر.

جدول (٤)

نتائج تحليل التباين الأحادي للتعرف على وجود دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على

استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للعمر

الدلالة	f	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.42	1.012	15.72	2	35.89	بين المجموعات
		15.53	80	2505.66	داخل المجموعات
			82	2541.55	المجموع

قيمة f الجدولية عن مستوى الدلالة (٠,٠٥)، و درجات الحرية (٨٢,٢) تساوي (٤٢,٠)

يتضح من الجدول (٤) أن قيمة اختبار (f) بلغ (٢١,٠١) بمستوى دلالة (٤٢,٠) وهي أكبر من مستوى (٠,٠٥)، لذا نقبل الفرضية العدمية بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للعمر.

ويفسر ذلك أن المدققين الداخليين على اختلاف أعمارهم يقومون بواجبهم في أعمال التدقيق باستقلالية وأن على مجلس الإدارة توفيرها للمدققين الداخليين بغض النظر عن أعمارهم، وأن تطبيق البنوك لمبادئ الحاكمة المؤسسية يهدف إلى مراقبة وتقييم الأعمال في البنوك دون أن يكون له أثر على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك.

الفرضية الفرعية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمؤهل العلمي.

جدول (٥)

نتائج تحليل التباين الأحادي للتعرف على وجود دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على

استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمؤهل العلمي

الدلالة	f	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.03	1.12	16.39	2	38.62	بين المجموعات
		14.63	80	2886.86	داخل المجموعات
			82	2925.48	المجموع

قيمة f الجدولية عن مستوى الدلالة (٠,٠٥)، و درجات الحرية (٨٢,٢) تساوي (٠,٠٣)

يتضح من الجدول (٥) أنَّ قيمة اختبار (f) بلغ (٢١, ١) بمستوى دلالة (٠, ٠٣) وهي أصغر من مستوى (٠, ٠٥)، لذا نقبل الفرضية البديلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمؤهل العلمي.

ويفسر ذلك أن البنوك التجارية تقوم بتعيين المدققين الداخليين أصحاب المؤهلات العلمية سعياً منها للحصول على نتائج مرضية من عملية التدقيق وجودة التقارير المالية، حيث لا يتمتع هؤلاء بالاستقلالية التي تحرص البنوك التجارية على توفيرها لهم وهذا بسبب للتأثير عليهم من حيث جودة التقارير المالية ونتائج أعمال التدقيق، لذا هناك فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للمؤهل العلمي.

الفرضية الفرعية الرابعة: لا تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للخبرة الوظيفية.

جدول (٦)

نتائج تحليل التباين الأحادي للتعرف على وجود دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للخبرة الوظيفية

الدلالة	f	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.63	0.52	8.22	4	31.44	بين المجموعات
		15.76	78	2881.93	داخل المجموعات
			82	2913.37	المجموع

قيمة f الجدولية عن مستوى الدلالة (٠, ٠٥)، و درجات الحرية (٨٢, ٢) تساوي (٦٣, ٠)

يتضح من الجدول (٦) أنَّ قيمة اختبار (f) بلغ (٠, ٥٢) بمستوى دلالة (٠, ٦٣) وهي أكبر من مستوى (٠, ٠٥)، لذا نقبل الفرضية العدمية بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمة على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للخبرة الوظيفية.

ويُفسر ذلك أنَّ المدققين الداخليين يقومون بأعمال التدقيق في البنوك على اختلاف خبراتهم باستقلالية دون تأثير جهة على جهة أخرى، ويقومون بعملية التدقيق ضمن معايير التدقيق المتعارف عليه من أجل إعداد التقارير الى مجلس الإدارة، لذا فإن ممارسة البنوك

لحاكمية تُهدَف إلى تحقيق الفائدة المطلوبه دون تأثير الخبرة الوظيفية على استقلالية المدققين الداخليين

الفرضية الفرعية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للتخصص العلمي.

جدول (٧)

نتائج تحليل التباين الأحادي للتعرف على وجود دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للتخصص العلمي

الدلالة	f	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.01	4.74	54.14	3	204.86	بين المجموعات
		11.43	79	2702.20	داخل المجموعات
			82	2907.06	المجموع

قيمة f الجدولية عن مستوى الدلالة (٠,٠٥)، و درجات الحرية (٨٢,٢) تساوي (٠,٠١) يتضح من الجدول (٧) أن قيمة اختبار (f) بلغ (٤,٧٤) بمستوى دلالة (٠,٠١) وهي أقل من مستوى (٠,٠٥)، لذا نَقَبَلُ الفرضية البديلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى للتخصص العلمي.

ويفسر ذلك أن المدققين الداخليين يقومون بأعمال التدقيق في البنوك على اختلاف تخصصاتهم العلمية، إلا أن فهم وإدراك المدققين للتخصصات المختلفة يُسَهِّمُ في تقديم نوعية تقارير موثوقة للجهات المسؤولة في البنك، بالمقابل يسعى مدققو الحسابات الداخليين إلى الحصول على دعم من الإدارة لضمان استقلاليتهم، وذلك لإعداد تقارير تتّصف بالنزاهة والمصداقية تهدف إلى توجيه أعمال الرقابة في البنوك بما يكفل تحقيق العدالة للجميع.

نتائج وتوصيات الدراسة :

النتائج :

عدم وجود أثر لمبادئ الحاكمية المؤسسية (حماية حقوق المساهمين، الإفصاح والشفافية) على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

وجود أثر لمبادئ الحاكمية المؤسسية (المعاملة المتكافئة للجميع، أصحاب المصالح، مجلس الإدارة) على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية.

عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تعزى (للجنس، العمر، الخبرة الوظيفية).
وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر مبادئ الحاكمية المؤسسية على استقلالية مدققي الحسابات الداخليين في البنوك التجارية الأردنية تُعزى (للمؤهل العلمي، التخصص العلمي).

التوصيات:

زيادة الاهتمام من قبل الإدارة العليا في البنوك التجارية الأردنية بموضوع استقلالية المدققين الداخليين، لما لهذا الموضوع من أثر على إعداد التقارير المحاسبية السليمة.
تتمية قدرات المدققين الداخليين في البنوك التجارية الأردنية بمهنة التدقيق من خلال إشراكهم في المؤتمرات والندوات والبرامج التدريبية والنشاطات المهنية لمواكبة كل جديد يتعلق بمهنة التدقيق الداخلي، وذلك من خلال العمل على إيجاد جمعية للمدققين الداخليين داخل المملكة الأردنية الهاشمية تهتم بالمهنة والمعايير المتعلقة بها.
زيادة الاهتمام من قبل الإدارة العليا في البنوك التجارية الأردنية بمفهوم الحاكمية المؤسسية من خلال عمل برامج تدريبية للموظفين تعزز ثقافتهم وكيفية التطبيق السليم، والقيام بإجراءات تضمن عدم وجود تعارض ما بين المدققين الداخليين وبين البنوك.

أ. بكر محمود الطراونة

طالب دكتوراه - محاسبة

جامعة الجنان - طرابلس

مدى فاعلية نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة كأساس لقياس وتحديد تكلفة الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة

ملخص: تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي للتعرف على مدى إمكانية استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة ABC كأحد الأسس الحديثة في عملية تحميل التكاليف من أجل قياس وتحديد تكلف الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة وبالتالي أثر ذلك على توفير المعلومات الدقيقة في مجال اتخاذ القرارات الإدارية وترشيدها ومدى انعكاس نظام ABC على تحديد تكلفة تلك الخدمات بشكل موضوعي ودقيق.

ومن أجل تحقيق أهداف هذا البحث فقد تم استخدام المنهج الإستقرائي ومراجعة جميع ما يتعلق بهذه الدراسة من أدبيات بناءً على هذا المنهج، إضافة إلى المنهج الاستنباطي للتعرف على مدى ما هو بالإمكان استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة لتفادي بعض القصور وإيجاد أوجه التطوير المختلفة لتحديد وقياس تكلفة الخدمات التعليمية المقدمة بعيداً عن الأسس التقليدية.

ومن النتائج التي خلصت إليها الدراسة ما يلي.

١. أصبح بالإمكان التغلب على المشاكل الناتجة عن استخدام الأسس التقليدية في توزيع التكاليف غير المباشرة وذلك عن طريق تحديد معدلات التكلفة المناسبة لكل نشاط من خلال محركات التكلفة المناسبة لها أيضاً .

٢. أصبح بالإمكان استخدام ما يعرف بأسلوب التكلفة المستهدفة في عملية تحديد أسعار الخدمات التعليمية.

٣. إمكانية الابتعاد عن التحميل الرأسمالي الغير مبرر بسبب الدقة في عملية رد التكاليف

المختلفة إلى الخدمات المستهلكة لتلك التكاليف.

٤. زيادة الوعي التكاليفي لدى القائمين على التكاليف والمتخذين للقرارات وبالتالي الاستخدام والتشغيل الأمثل للموارد المتاحة وبما يحقق الأهداف المنشودة.

Abstract:

This study mainly aims at identifying the possibility of using Activity Based Costing (ABC) as one of the modern principles in the process of calculating costs to measure and determine the cost of educational services in state and private Jordanian universities. It also examines the impact of using this principle on providing accurate information in the process of making and rationalizing administrative decisions.

The study also aims at identifying the effect of using «ABC» system in determining the cost of those services objectively and accurately.

In order to achieve the above objectives, the following two approaches were used:

The Inductive Approach: all literature concerning the subject of this study was reviewed based on this approach.

The Deductive Approach: It was used to identify the extent to which ABC system could be used to avoid some shortcomings, and find the various development aspects to determine and measure the cost of educational services provided, away from the traditional principles.

The study revealed the following findings:

It becomes possible to overcome the problems resulting from the use of traditional principles in distributing indirect costs by identifying the cost rates appropriate for each activity through appropriate cost drivers.

It becomes possible to use Target Cost method in the process of determining prices of educational services.

The use of ABC system helps in avoiding unjustified charging on capitals.

Increasing cost awareness among users and decision makers leads to the optimized use and employment of available resources to achieve the desired goals.

١ - مقدمة :

بما أن الثروة البشرية تُعدُّ المكون الرئيسي والركيزة الأساسية لأي مجتمع فإن الخدمات التعليمية تعتبر إحدى دعائم هذا المجتمع وبشكل رئيسي ، لذلك تحرص الكثير من الدول على

تقديمها وتمويلها والإشراف عليها ، للخروج في النهاية بخدّات جيّدة ومناسبة للبيئة التي تشملها باعتبار أنّ تقديم هذه الخدمات يعني الاستثمار في الثروة البشرية ، إنّ هذا البحث يسعى إلى تقديم إطار عامّ لكيفية قياس وتحديد تكلفة الخدمات التعليمية المقدمة بناءً على أسس جيدة وموضوعية بعيداً عن التشويه في التكاليف وبالتالي الخروج بتحديد دقيق لأسعار هذه الخدمات بالاعتماد على نظام (ABC).

٢- أهداف البحث:

إنّ الهدف الرئيسي من هذه الدراسة النّظرُ بشكلٍ أساسي إلى مدى إمكانية استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في عملية قياس وضبط تكلفة الخدمات التعليمية المقدمة من الجامعات الأردنية بشقيها الحكومي والخاص وما ينطوي على ذلك من الدقة والموضوعية في تحديد أسعار تلك الخدمات ومدى انعكاس ذلك على توفير المعلومات الجيدة واللازمة لاتخاذ القرارات الإدارية الرشيدة ، وينبثق من هذا الهدف مجموعة من الأهداف التالية :

- دراسة نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة من عدة أوجه من حيث المفهوم والمقومات والخصائص والاستخدامات .
- دراسة المشاكل المتعلقة بعملية قياس تكلفَةِ الخدمات التعليمية
- التعرف على مدى استجابة نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة لهذه المُشكلات والدور الذي يقدمه لعملية اتخاذ القرارات الإدارية الناجحة والرشيدة.
- أما الأسئلة التي سوف تحاول هذه الدراسة الإجابة عليها بناءً على ما تقدّم من أهداف فيمكن إجمالها بما يلي:

- أ. ما هي المقومات المطلوبة لنظام (ABC) عند مقارنته مع الأنظمة التقليدية في مجال القياس والترشيد والتحديد الدقيق للتكاليف.
- ب. ما هي أهم المشكلات المتعلقة بقياس تكاليف الخدمات التعليمية بالجامعات الأردنية.
- ج. ما مدى توفّر المقومات اللازمة من أجل استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة لقياس التكاليف وتحديد أسعار الخدّات التعليمية بالجامعات الأردنية.

٣- مشكلة البحث:

لعل السبب في إجراء مثل هذه الدراسة وهو تقديم المعلومات اللازمة لمعالجة بعض المشاكل المحاسبية المتعلقة في مجال قياس تكلفة الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية ، حيث يرجع القصور في مجال قياس هذه الخدمات إلى ما يلي :

أ. تقديم هذه الخدمات التعليمية من قِبَل الجامعات العامة والتي تُموَّل من قبل موازنة الدولة وما رافق ذلك من قِلَّة الاهتمام في نُظُم المحاسبة المطبقة ، مما يعني افتقار الإدارة إلى المعلومات وعدم تزويدها بالمعلومات المحاسبية التي تفيدها في عملية التخطيط والرقابة على الموارد المتاحة.

ب. إنَّ عملية تحديد أسعار الخدمات المقدمة من قِبَل الجامعات الخاصة ، غالباً لا تتمُّ وَفْقَ أُسُس موضوعية من خلال مقارنة ما يدفع بالموارد المستنفذة والمستتلة في أداء الخدمة ، وبالتالي وجودُ تفاوتٍ بين الجامعات في التكاليف المرتبطة بنفس الخدمة .

ج. عدم التركيز الكثير من قِبَل بحوث المحاسبة الإدارية والتكاليف على المشاكل الخاصة بالقياس في المؤسسات الخدمية وتركيز غالبيتها على الشركات الصناعية ، وهذا يدعو إلى المزيد من الاهتمام بدراسة مثل هذه المشكلات.

لعلَّ وجودَ الكثير من الاختلافات بين أهداف الجامعات الحكومية غير الهادفة للربح والجامعات الخاصة الهادفة للربح أَوْجَدَ الكثير من المعوقات التي تحيط بعملية قياس تكاليف الخدمات التعليمية ، إلا أن ذلك لا يؤثر على الأساليب المُتبَّعة في قياس تكاليف الخدمات التعليمية في كلِّ منها ، وهذا سوف يدعو الباحث إلى التعرف على مدى إمكانية استخدام نظام التكاليف المبني على الأنشطة في قياس تَكْلِفَةِ الخِدْمَات التعليمية بدرجة عالية من الدقَّة ، باعتبار أن هذا النظام أحد الأنظمة الحديثة والتي جاءت لمعالجة أوجه القصور التي عانت منها النظم التقليدية في مجال قياس وترشيد تكلفة الخدمات التعليمية ، من خلال ما يقدمه هذا النظام من تحديد لمسببات التَكْلِفَةِ والتي يتم توزيع التكاليف بناءً عليها مستتبطة من الأنشطة المختلفة.

٤- الدراسات السابقة :

لعل التركيز في غالب الدراسات التي تبحث في نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة كان على الشركات الصناعية ، لِمَا تشكَّله تكاليف التصنيع في هذه الشركات من أهمية بالغة والتي يمكن لنظام (ABC) معالجتها في هذه الشركات ، فكما يعتبر عنصر التكاليف في الشركات الصناعية مهماً فإنه أيضاً يُعتبر من العناصر المؤثرة وبشكل فعال في المنشآت الخدمية والتي تعتبر الجامعات واحدة منها ، إلا إن صعوبة التطبيق في المنشآت الخدمية بعكس المنشآت الصناعية قد قلل من الدراسات التي تتناول مثل هذا الموضوع ، وسنعرض بعض الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة ومن هذه الدراسات :

٤-١. دراسة (عبد الله ، ٢٠٠٤)^(١): والتي تعتبر من الدراسات القريبة إلى دراستنا الحالية وقد كانت بعنوان أنظمة التكاليف على أساس الأنشطة (ABC) في مؤسسات التعليم العالي الخاصة الأردنية ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تطبيق نظام (ABC) في مؤسسات التعليم العالي الأردنية الخاصة والذي اعتبر فيها إن هدف التكلفة هو الفصل الدراسي ، وان كلفة الطالب الواحد هي الوحدة التي يشكل مجموعها كلفة هدف التكلفة ، وقد حدّد المخرجات النهائية في الجامعات بأنها الدرجة الجامعية الأولى ، ثم قسم الأنشطة المؤداة في الجامعات والتي حددها في أربعة مستويات وهذه المستويات هي :

أ- الأنشطة المؤداة على مستوى الوحدة الواحدة المنتجة (الطالب) ، وعرفها بأنها الأنشطة المؤداة في كل فصل دراسي ، ولكل صف دراسي .

ب- الأنشطة المؤداة على مستوى الدفعة (الصف الدراسي) ، وقد عرفها بأنها الأنشطة الدورية التي تتم عند طرح المساق في كل فصل بغض النظر عن عدد المساقات المطروحة للتسجيل .

ج- الأنشطة على مستوى المنتج (المساق) ، وعرفها بالفعاليات التي تتم قبل المباشرة بتنفيذ المساق ومن خلال تطبيق الدراسة على شكل جزأين في الجامعة محل الدراسة وجد أن هناك فروقا في كلفة المساق المحسوبة بناءً على أنظمة التكاليف التقليدية ، وكلفة المساق وفق نظام تكاليف الأنشطة .

ومن النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن نظام التكاليف المبني على الأنشطة (ABC) يقدم إمكانية لتخفيض التكاليف من خلال عملية التخصيص الدقيق للتكاليف دون المساس بالتنوع والشروط القانونية لمنح الدرجات العلمية ، مما يعني أنه يقدم معلومات أكثر دقة للمديرين من النظم التقليدية والتي تساعد في إعداد خطط التطوير ، واتخاذ القرارات السليمة وفق إطار مبني على أساس التكاليف الملائمة والدقيقة التي يقدمها نظام (ABC) مما يمكنهم من إجراء تخصيص موضوعي للموارد الاقتصادية المتاحة على البرامج الدراسية والتخصصات العلمية .

٤-٢. دراسة صالح (٢٠٠٢)^(٢): تلك الدراسة التي كان هدفها التعرف على مدى فعالية

١- سلمان حسن عبد الله: (٢٠٠٤) «أنظمة التكاليف على أساس الأنشطة في مؤسسات التعليم العالي الخاصة في الأردن، دراسة تطبيقية في إحدى الجامعات الأردنية الخاصة» المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، المجلد السابع، العدد الأول، ص ١٨٥-٢٠٨.
٢- رضا إبراهيم صالح: (٢٠٠٢) «مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط كأساس لقياس تكلفة الخدمات الصحية في المستشفيات ، دورية الإدارة العامة» المجلد الثاني والأربعون ، العدد الأول ، ابريل ، ص ٤٢-٩٨.

استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في قياس وترشيد تكلفة الخدمات الصحية ومدى قدرة النظام في توفير المعلومات اللازمة لترشيد اتخاذ القرارات الإدارية المختلفة بما في ذلك تحديد أسعار الخدمات المقدمة من قبل المستشفيات الخاصة بناءً على أسس موضوعية ودقيقة.

من خلال الدراسة فقد ظهر أمام الباحث العديد من المشكلات المتعلقة بقياس وتحليل عناصر التكاليف الخاصة بالمستشفيات، وكذلك بيّنت الدراسة إمكانية التغلب على هذه المشكلات المتعلقة بعناصر التكاليف غير المباشرة نتيجة استخدام المدخل التقليدي لتخصيصها وذلك باستخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة عن طريق استخراج معدلات التكلفة المرتبطة بكل نشاط يمارس داخل هذه المستشفيات من خلال تحديد محركات التكلفة المناسبة لكل منها، وقد أوضحت الدراسة أن التسعير على أساس بيانات التكاليف المستمدة من نظام ABC يكون مفيداً لكل من المستشفى والمتعاملين معها وهذا يساهم في زيادة الوعي التكاليفي.

٤-٣. دراسة (الشيخ ٢٠٠١)^(١): فقد أشار الشيخ في دراسته أن نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة ومن خلال المعلومات المتاحة عنه نظام تكاليفي حديث والنتائج العملية لتطبيقه في معظم دول العالم، فإنه يمكن تطبيقه في جميع الشركات، وقد أشار الباحث إلى أن المسح الميداني الذي تم إجراؤه من قبل معهد المحاسبين الإداريين في أمريكا عام ١٩٩٤ قد دل على أن أكثر من ٥٦% من الشركات التي شملها المسح قد طبقت نظام ABC.

٤-٤. دراسة (Gropper and Cook , 2000) في بريطانيا^(٢): والتي قدم الباحثان من خلالها دراسة بعنوان: « نظام التكاليف المبني على الأنشطة في الجامعات »، وقد جاءت هذه الدراسة كدراسة مقارنة بين دراسة قاما بها عام ١٩٩٣ والوضع الراهن للجامعات، وقد قاما عام ١٩٩٨ بتوزيع ١١١ استبانة على المدراء العاملين في الجامعات البريطانية ثم قاما بمقارنة النتائج التي حصلوا عليها مع نتائج عام ١٩٩٣، وقد توصلوا إلى أن عملية تطبيق نظام (ABC) في الجامعات عملية بطيئة حيث كانت ٨% من الجامعات تطبق نظام (ABC) عام ١٩٩٣ وأصبح النسبة ٩% عام ١٩٩٨ للجامعات المطبقة لنظام (ABC)، كذلك فقد بيّنا في الدراسة توفّعهما زيادة الجامعات التي تطبق هذا النظام في الفترات القادمة بسبب وجود ضغوطات من الحكومة

١- عماد يوسف الشيخ: (٢٠٠١) «نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة» مجلة الإداري، المجلد ٢٣، العدد ٨٦، ص ص ١٤٩-١٨٩.

2- Gropper , Paul , and Cook , Roger , (April-June 2000) «Activity – Based Costing in Universities – Five Years on» , Public Money and Management, pp.6168-..

والجهات الممولة للجامعات ، والناتجة عما يقدمه تطبيق نظام (ABC) من منافع متوقعة ، وكذلك فقد أشارا إلى أن هنالك ١٦٪ من الجامعات في طريقها لتطبيق نظام (ABC) نظراً لما يقدمه من منافع ، وقد خلصوا في دراستهم بأن نظام (ABC) بصيغته المعيارية، هو نظام قابل للتطبيق في جميع المؤسسات التعليمية.

٥-٤. دراسة (الفاعوري و خصاونة ، ٢٠٠٠)^(١) :

والتي كان أساسها اعتبار الطالب الهدف الرئيسي للتكلفة وقياس تكلفته في كل من جامعة اليرموك والجامعة الأردنية ومدى اثر البرنامج الموازي على تلك التكلفة ، وقد وجد الباحثان أن تكلفة الطالب تختلف من سنة إلى سنة أخرى في نفس الكلية وكذلك تختلف من كلية إلى كلية أخرى ، كما وجدوا أن نسبة التكاليف غير المباشرة إلى إجمالي التكاليف تشكل نسبة كبيرة وتفوق التكاليف المباشرة في الجامعتين.

٦- منهجية البحث:

لعل ما تشكوه منه الكثير من الجامعات في عدد من دول العالم من ضعف الإمكانيات والموارد المتاحة لها ، وكذلك محدودية ما تخصصه الدول من اعتمادات ومخصصات مالية للإنفاق على الخدمات التعليمية وخصوصاً في الدول ذات الاقتصاديات الضعيفة ، فإن ذلك يزيد الحاجة إلى ضرورة الاعتماد بشكل كلي والاستعانة ببيانات التكاليف لترشيد القرارات الإدارية واستغلال الموارد المحدودة المخصصة لتلك الخدمات على أفضل وجه ممكن للاستغلال ، كذلك أيضاً فإن الموارد غير المحدودة لا يعني ذلك استغلالها من خلال التبذير فيها واستغلالها بشكل غير دقيق فهي أيضاً تتطلب الترشيح في اتخاذ القرارات الإدارية المتعلقة بها.

وفي إطار تحقيق الأهداف المنشودة من هذا البحث سيقوم الباحث باستخدام المنهج الاستقرائي وذلك من أجل مراجعة أدبيات الدراسة للتعرف على ما قدمه الفكر المحاسبي من مساهمات وممارسات عملية ، ولا بد من استعراض أهم المشكلات المتعلقة بالقياس فيما يخص الخدمات التعليمية ، وسيتم أيضاً استخدام المنهج الاستنباطي وذلك من أجل دراسة مدى إمكانية استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في توفير البيانات اللازمة ومدى الدور الذي يقدمه في معالجة القصور في النظام التقليدي واستنباط أوجه التطوير الممكنة لقياس وترشيح تكلفة الخدمات التعليمية المقدمة من قبل الجامعات.

١- رفعت الفاعوري ، وحسان الخصاونة: (٢٠٠٠) «تحليل تكلفة الطالب للمرحلة الجامعية الأولى في جامعتي اليرموك» مجلة المنارة ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، تشرين الثاني.

٧- نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة :

لعل ما جاء به نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة من دقة في عملية تخصيص التكاليف غير المباشرة على المنتجات وما ترتب على ذلك من فاعلية للدور الرقابي الذي يلعبه هذا النظام مقارنة مع أنظمة التكاليف التقليدية وكذلك التحسين المستمر لهذا النظام من خلال استخدام أفضل الأساليب لتحسين الأداء من خلال التركيز على الأنشطة التي تضيف قيمة للمنتج واستبعاد الأنشطة التي لا تضيف أي قيمة ، وما لهذا النظام من دور في عملية تخفيض التكاليف من خلال تقليص الوقت والجهد اللازمين للقيام بالنشاط وبالتالي التأثير على قرارات التسعير بدرجة أكثر دقة، بالإضافة إلى دوره في توفير مقاييس الأداء غير المالية والتي تساعد في اتخاذ القرارات الاستراتيجية المختلفة، كل ذلك أدى إلى بروز نظام محاسبة التكاليف المبني على أساس الأنشطة وظهوره على ساحة الأنظمة المحاسبية الفعالة.

وإن كانت عملية تخصيص التكاليف غير المباشرة على المنتجات في المنشآت الصناعية تشكل مشكلة ، فإن المشكلة تزداد حدةً وصعوبة في مجال المنشآت الخدمية وذلك لعدم وجود إنتاج ملموس يستفيد من مكونات وعناصر التكاليف غير المباشرة في أحيان كثيرة ، مما عرض الأنظمة التقليدية إلى كثير من الانتقادات في مجال تخصيص التكاليف غير المباشرة على الهدف النهائي للتكلفة والممثل في وحدات النشاط وذلك لوجود ضعف في العلاقة السببية بين تلك الوحدات والموارد التي استُنْفِذت من أجلها مما أدى إلى عدم الدقة في قياس تكلفة تلك الوحدات من النشاط ، وبالتالي إلى قصور في المعلومات المقدمة للإدارة بهذا الخصوص، وعلى عكس نظام ABC الذي ركز على وجود علاقات سببية ومنطقية بين وحدات النشاط والموارد المستنفذة من أجلها.

٧-١ . مفهوم نظام ABC :

يُوصَفُ نظامُ التكاليف المبني على الأنشطة بأنه نظامٌ متكاملٌ فهو ليس مجرد أسلوب أو طريقة لتوزيع التكاليف غير المباشرة كما يشير بعض الأكاديميين، مما يؤكد على كونه نظاماً وليس أسلوباً أو طريقة بالنظر إلى شموله مكونات النظام من مُدْخَلات وعمليات تشغيل (معالجة) ومُخْرَجَات وتغذية عكسية والتي تعد العناصر الأساسية لأي نظام.

تُعْتَبَرُ مُشْكَلةُ تخصيصِ التكاليف غير المباشرة على المنتجات من أهم مشاكل التكاليف التي كانت وما زالت موضوع العديد من الأبحاث المحاسبية ، نظرا لفشل الأسلوب التقليدي للتخصيص في توفير معلومات مفيدة ودقيقة في مجال تحديد تكلفة المنتج، ولأغراض التخطيط

ونظراً للتزايد المستمر في مسألة التكاليف غير المباشرة في ظل مستويات الآلية العالية، ونظم إدارة الوقت الحديثة وتغيُّر بيئة التصنيع وأدواته، وزيادة درجة المنافسة، فقد ظهر مدخلُ قياسِ التكلفة على أساس النشاط، والذي بدأت الإشارة إليه منذ السبعينات وتوات بعد ذلك الأبحاث في هذا المجال، أبرزها أبحاث^(٢) Cooper and Kaplan.

ويتمثل نظام التكاليف المبني على الأنشطة في البيانات المالية المتمثلة بحسابات التكاليف والبيانات غير المالية المتمثلة بالبيانات والمعلومات الخاصة بموجّهات التكلفة، أما عمليات التشغيل فتتمثل بكافة العمليات الحسابية والإجراءات اللازمة لاستخراج كلفة الوحدة من موجّهات التكلفة واستخراج تكلفة كل نشاط، أما مُخرجات نظام التكاليف المبني على الأنشطة فتتمثل في تحديد كلف أهداف التكلفة والمتمثلة بكلف الأنشطة وتحديد تكلفة كل منتج^(٣). ويؤدي تطبيق نظام التكاليف على أساس الأنشطة إلى تخصيص مناسب للتكاليف الإضافية وبالتالي تحديد أدق للتكلفة وذلك لأن هذا النظام يهتم بتحقيق التخفيض العادل للموارد النادرة المتاحة على الأنشطة كمحور مبدئي أو وسيط ومن ثم يعاد تخصيص التكاليف الإضافية من خلال مسيِّبات التكلفة على المنتجات كمحور تكلفة نهائي^(٤).

لو تطرّقنا لمفهوم نظام التكاليف المبني على الأنشطة من قبل Horngren and Foster فإنّه النظام الذي يركز على الأنشطة كوحدات بناء لتجميع تكاليف أهداف أخرى ويمكن أن يكون كجزء من نظام تكاليف الأوامر أو نظام تكاليف المراحل^(٥). وقد عرف (Horngren,2006) نظام محاسبة التكاليف المبني على أساس الأنشطة، بأنه ذلك النظام الذي يُصحّح أنظمة محاسبة التكاليف الأخرى عن طريق التركيز على الأنشطة الفردية واعتبارها موقع الكلفة الأساسي^(٦).

1- Christensen L. and D. Sharp. (1993) «How ABC Can Add Value to Decision Making», Management Accounting ,p.38..

٢- محمد محمد عبد الغني: (١٩٩٩) «تقييم مدى إمكانية وجدوى قياس التكلفة على أساس النشاط في المستشفيات» المجلة المصرية للدراسات التجارية، المجلد ٢، العدد الأول، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص١٠١.

٣- إسماعيل يحيى التكريتي (٢٠٠٧): محاسبة التكاليف المتقدمة: قضايا معاصرة، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٤- نائل عدس، نضال الخلف (٢٠٠٧): محاسبة التكاليف: مدخل حديث، جبهة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

5- Horngren K Charles T, and Foster George (1991) Cost Accounting A managerial Emphasis ed , New Jersey , Prentice Hall , Inc, p.150.

6- Horngren , Charles T. (2006) Cost Accounting Managerial Emphasis, Printic Hall , Inc ,Englewood Clifles , N.J.

وكذلك يعرف (عبد اللطيف، ٢٠٠٤) نظام محاسبة التكاليف المبني على أساس الأنشطة بأنه «ذلك النظام الذي يقوم، أولاً: بتخصيص الموارد على الأنشطة التي استفادت منها، ثم تخصيص تكلفة هذه الأنشطة وفقاً لمعدل استفادتها من هذه الأنشطة»^(١).

ويعد نظام التكاليف المبني على الأنشطة جزءاً أساسياً في عملية التحسين الوظيفي وإعادة هندسة الجهود والإمكانيات كما عرف نظام التكاليف على أساس الأنشطة بأنه «تكتيك محاسبي يسمح للمنشأة بتحديد التكلفة الفعلية المرتبطة بالخدمات وذلك بناء على الموارد المستهلكة من قبل الأنشطة التي تم القيام بها»^(٢) (Arnaboldi & Lapsley, 2003).

إن نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة يتفق مع نظام التكاليف التقليدي وذلك بتتبع التكاليف الإضافية على المنتجات بالتوزيع على مرحلتين، ففي المرحلة الأولى تُسبب التكاليف إلى مراكز التكلفة، أما في المرحلة الثانية فيتم تحميل التكاليف من مراكز التكلفة إلى المنتجات باستخدام أسس التوزيع، غير أن أنظمة التكاليف التقليدية تستخدم أحواض تكلفة قليلة بينما يتم بموجب نظام التكاليف المبني على الأنشطة استحداث العديد من أحواض التكلفة (مراكز التكلفة)، فتحدد أحواض تكلفة منفصلة للنشاطات المساعدة وأن تكاليف تلك الأنشطة في المرحلة الثانية تخصص مباشرة منتج على أساس حجم طلب هذه المنتجات من تلك الأنشطة من خلال نسب موجهة التكلفة، وبذلك تجنب إعادة توزيع تكاليف الأقسام الخدمية على الأقسام الإنتاجية كما هو الحال في نظم التكاليف التقليدية»^(٣).

ومما لا شك فيه أن الجانب المتعلق بالتكاليف سواءً أكانت الإدارية منها أم الإنتاجية تحظى بنصيب كبير من هذا الاهتمام، حيث أنها تعتبر مقاييس ملائمة لاتخاذ القرار وقياس الأداء في المنشأة، حيث توفر بيانات التكاليف لإدارة المنشأة بالأسس السليمة لتحسين كفاءة الانتاج وتوزيع الموارد المتاحة على عملياتها ذات الربحية الأعلى مما يساعد على الاستناد على ثوابت علمية لاتخاذ القرار والابتعاد بالتالي عن الأحكام الشخصية

ويمكن توضيح الآلية المتبعة في تخصيص التكاليف على أساس محاسبة تكاليف الأنشطة

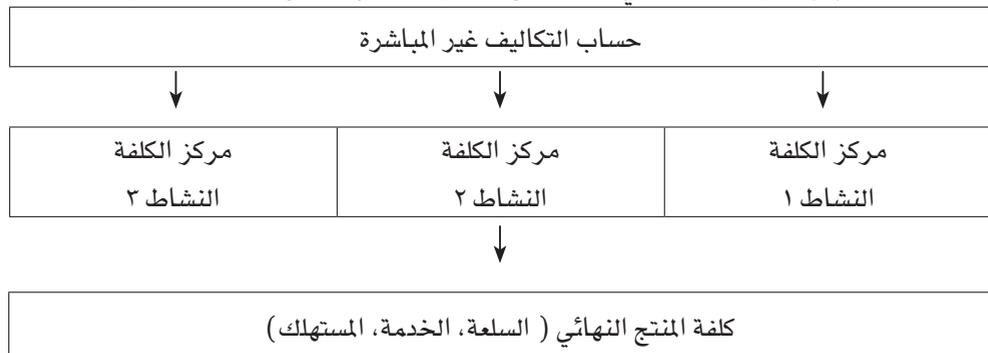
١- ناصر نور الدين عبد اللطيف (٢٠٠٤): الاتجاهات الحديثة في المحاسبة الادارية وتكنولوجيا المعلومات، الاسكندرية: الدار الجامعية.

2- Arnaboldi M., Lapsley I. (2003) "Activity Based Costing, Modernity and the Transformation of Local Government: A Field Study", Public Management Review, Volume 5(3), pp. 345375-.

٣- نضال محمد الخلف (١٩٩٧): «تقويم وتطوير أنظمة التكاليف لأغراض الرقابة واتخاذ القرارات: دراسة تطبيقية في عينة من المنشآت الصناعية» أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

بالرسم البياني التالي^(١):

الشكل (١) الآلية المتبعة في تخصيص التكاليف على أساس محاسبة تكاليف الأنشطة



مما سبق فإنه يمكن تعريف نظام محاسبة التكاليف المبني على أساس الأنشطة من جهة نظر الباحث أنه: ذلك النظام الذي يقوم على أساس تجميع التكاليف غير المباشرة للمنشأة في مواضع الكلفة (Cost Centers) ليتم توزيعها على المنتج النهائي بواسطة مسببات الكلفة (Cost Drivers) وذلك للوصول إلى الكلفة الحقيقية للمنتج النهائي مما يؤدي إلى دعم اتخاذ القرارات الإدارية السليمة.

٧-٢ مزايا نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة :

هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي بيّنت مزايا تطبيق نظام التكاليف على أساس الأنشطة وفيما يلي أهم هذه المزايا:

١- يساعد نظام التكاليف المبني على الأنشطة المديرين في خفض وترشيد الموارد وذلك من خلال تخفيض عدد مرات تنفيذ الأنشطة وحذف الأنشطة التي لا تُضيف قيمة^(٢).
يعمل نظام التكاليف المبني على الأنشطة على زيادة فاعلية الدور الرقابي حيث أن معرفة الأنشطة المتعلقة بالتكاليف غير المباشرة يؤدي إلى تحديد المسؤولية عن تلك التكاليف وبالتالي إخضاعها لرقابة أكثر فاعلية^(٣).

يعد نظام التكاليف على أساس الأنشطة أكثر دقة في قياس تكلفة المنتج من خلال التخصيص الدقيق للتكلفة غير المباشرة وربطها بالمنتج أو السلعة النهائية مما يساعد في

1- Drury, Colin, (2005) Management Accounting For Business, Bath : UK, Patrick Bond , 3rd ed.

٢ - مجدي محمد سامي: (٢٠٠٠) «مدى فعالية نظام تكاليف النشاط كنظام لمعلومات التكاليف» مجلة البحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة الزقازيق، مجلد ٢٢، عدد ٢، ص ٤٢١-٣٧٢.

٣ - أحمد حسن ظاهر (٢٠٠٣): المحاسبة الادارية، عمان، دار وائل للنشر.

تحديد بيانات التكلفة الأكثر مناسبة لاتخاذ القرارات الإدارية^(١).

يؤدي تحسين آلية تخصيص عناصر التكاليف غير المباشرة وتدقيق التكلفة إلى توفير أرضية مناسبة لرفع كفاءة عملية إعداد المعايير والموازنات التخطيطية المرنة مما يؤدي بدوره إلى توفير الأسس الموضوعية لقياس كفاءة الأداء ومحاسبة المسؤولية^(٢)

٣-٧ الفروض الأساسية التي يقوم عليها مدخل المحاسبة

عن التكلفة على أساس النشاط :

إن المميزات التي يقدمها أسلوب المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط خاصة فيما يتعلق بعدالة تحميل التكاليف غير المباشرة على المنتجات ومن ثم الاقتراب إلى التكلفة الدقيقة نسبياً لكل منتج وما يستتبع ذلك من اتخاذ القرارات الإدارية الرشيدة ، لا تتبع من مجرد التطبيق الحرفي أو المجرد لخطوات وإجراءات محاسبة التكلفة على أساس النشاط وإنما يتطلب الأمر ضرورة توفر مجموعة من الفروض أو المتطلبات. وفي حالة توفر هذه الفروض مجتمعة يحقق مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط القياس السليم للتكلفة، وفي حالة عدم توفرها يكون من المفضل الاعتماد على المدخل التقليدي في قياس التكلفة الفعلية للإنتاج وقد أمكن تصنيف الفروض الأساسية التي يقوم عليها مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط في ثلاث مجموعات هي^(٣).

١-٣-٧ فروض تتعلق بطبيعة المنشأة :

التنوع أو التباين في تشكيلة منتجات المنشأة ، من مزايا هذا الأسلوب هو مواجهة الأسلوب التقليدي عن التكلفة عندما تتنوع تشكيلة المنتجات أما في حالة إنتاج منتج واحد فليس من المجدي اتباع نظام الأنشطة، بل سيكون في صالح المنشأة الاستعانة بالأسلوب التقليدي. ومن مزاياه أيضاً تعقد وتشابك العمليات أو الأنشطة الإنتاجية. كما أن ارتفاع بنود التكلفة الإضافية أو غير المباشرة والناتج عن تعقد وتشابك العمليات أو الأنشطة الإنتاجية قد يقدم مبرراً مقبولاً ومنطقياً لتطبيق مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط لأغراض القياس السليم نسبياً

1- Kaplan, D , Melumad ,N and Zive, A. (2005) “Activity Based Costing and Cost Interdependencies Among Products : The Denim Finishing company “, **Issues in Accounting Education** , Vol 20, NO. 1,pp 52- 62.

٢- خليل الدليمي: (٢٠٠٥) «نظام التكاليف المبني على الأنشطة وإمكانية تطبيقه في الشركات الصناعية المساهمة في الأردن» مجلة أبحاث اليرموك، مجلد ٢١ عدد ٢ ، ص ٥٦٢-٦١.

٣- أمير إبراهيم المسحال (٢٠٠٥): «تصور مقترح لتطبيق نظام التكاليف المبني على الأنشطة ABC في الشركات الصناعية الفلسطينية (دراسة تطبيقية على شركة الشرق الأوسط لصناعة الأدوية بقطاع غزة)» رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.

لتكلفة الوحدة المنتجة.

٢-٣-٧ فروض تتعلق بإجراءات تطبيق مدخل المحاسبة

عن التكلفة على أساس النشاط :

تحديد العدد المناسب لأوعية التكلفة؛ يعتبر تحديد العدد المناسب لأوعية التكاليف أحد المقومات الأساسية لنجاح مدخل المحاسبة عن التكلفة على أساس النشاط. إمكانية تحديد المسبب أو المحرك الرئيسي للتكلفة؛ وتظهر أهميته في أنها الأساس الذي يتم من خلاله تحميل الوحدات المنتجة بنصيبها من التكلفة الخاصة بكل نشاط. تضمين وعاء التكلفة لبنود تكلفة الأنشطة المتجانسة؛ ويقصد بها تجميع بنود التكلفة التي يحركها مسبب واحد فقط في وعاء واحد، ومن ثم يتم إيجاد معدل تحميل واحد لتحميل عناصر تكلفة الأنشطة المتجانسة في طبيعتها ومسبباتها. الاتساق بين مفردات التكلفة المكونة لوعاء التكلفة. تغير بنود عناصر التكلفة بنفس مقدار التغير في مستوى النشاط.

٣-٣-٧ فروض عامة تتعلق باقتصاديات تطبيق مدخل المحاسبة

عن التكلفة على أساس النشاط :

وتشمل فرضاً اقتصادية مدخل المحاسبة عن التكلفة، على أساس النشاط. فرض الأهمية النسبية، ففي إطار محاسبة تكلفة النشاط يقصد بالأهمية النسبية إمكانية تكوين وعاء عام للتكلفة يتضمن مجموعة من عناصر التكلفة التي تتميز بصغر الحجم النسبي لتكلفة النشاط وصعوبة إيجاد مسبب أو محرك تكلفة لهذا النشاط، بحيث يتم تخصيص تكلفة هذا الوعاء العام على الوحدات المنتجة طبقاً لأنسب أساس أو معدل تحميل (ساعات عمل، ساعات دوران) وذلك من بين مجموعة مسببات أو محركات التكلفة المرتبطة بالأنشطة المدرج تكلفتها في هذا الوعاء^(١).

٤-٧ مراحل تطور نظام التكاليف المبني على الأنشطة (ABC)

يستخدم نظام تحديد التكاليف المبني على الأنشطة ABC كمدخل لتحديد تكاليف الأوامر الإنتاجية بدقة أكثر من النظم التقليدية السابقة، حيث يركز هذا الأسلوب على الأنشطة Activity كمحاور تكلفة أساسية Cost objects. فالنشاط هو حدث، أو مهمة، أو وحدة عمل لها غرض معين^(٢).

ويستخدم (ABC) تكلفة تلك الأنشطة كأساس لتخصيص التكاليف على محاور التكلفة

١- أحمد حسن (٢٠٠٥): محاسبة التكاليف في المفاهيم والأساليب العلمية والعملية، عمان: دار الهاني للطباعة والنشر.

٢- مكرم باسيلي (٢٠٠٧): إدارة التكلفة الإستراتيجية: مداخل معاصر، موسوعة محاسبة التكاليف، الكتاب الأول، المنصورة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.

الأخرى كالمنتجات والخدمات أو العملاء. وتتمثل المراحل الأساسية لتطوير نظام ABC بما يلي^(١):

المرحلة الأولى: إدارة النشاط: Activity Management AM

ركّزت هذه المرحلة على مفهوم سلسلة القيمة (Value Chain) أكثر من التحليل المحاسبي والمالي، وهدفت إدارة النشاط إلى تحقيق ما يأتي:

- ١- اكتشاف واستبعاد الأنشطة التي لا تضيف قيمة لهذه السلسلة.
- ٢- تحسين وتعزيز الأنشطة التي تضيف قيمة، من خلال تحسين جودة وسرعة الاستجابة لطلبات العملاء.

المرحلة الثانية:

محاسبة تكاليف الأنشطة Activity Cost Accounting ACA

من خلال ما يعرف بتخفيض التكاليف (Minimized) جاءت هذه المرحلة لتؤكد أن كل التكاليف تم تقليصها أو تقليلها بالحد الأدنى على النحو التالي:

- ١- تحديد مسببات التكلفة وارتباطها بالأنشطة.
- ٢- تتبع تفاعلاتها مع الأنشطة الأخرى.

المرحلة الثالثة:

نظام التكاليف المبني على الأنشطة Activity-Based Costing ABC

لقد تمّ التوصل إلى نظام التكاليف المبني على الأنشطة من خلال الاعتقاد بأن المعلومات الناتجة عن الأنظمة التقليدية القائمة على سجلات المحاسبة اليومية والعامّة غير قادرة على تزويد المدراء بمدى كفاءة استخدام الموارد في شركاتهم، حيث أنّ هذا الكم من المعلومات عادةً ما تكون موجةً نحو تبرير وتوثيق استهلاك الموارد لمستخدمي البيانات من مدققين وإدارة عليا حول المساءلة المالية عن النفقات الناتجة عن استخدامات هذه الموارد.

وفي هذا الشأن أوضح كل من (Cooper & Kaplan 1988)^(٢) أن المشكلة تكمن في عملية توزيع التكاليف غير المباشرة نظراً لأن العملية الإنتاجية تزداد تعقيداً مع التقدم التكنولوجي العالمي، والتي ينتج عنها أنّ حجماً كبيراً من هذه التكاليف يتم توزيعه بطريقة تقليدية غير مبررة علمياً.

١- مكرم باسيلي، إدارة التكلفة الإستراتيجية: مداخل معاصر، موسوعة محاسبة التكاليف، الكتاب الأول، نفس المصدر
2- Cooper, R. and Kaplan, R. (September-October 1988) "Measure costs right: make the right decisions", *Harvard Business Review*, pp 96-103.

حيث يمكن وجود آلية أفضل لتتبع هذه التكاليف بشكل فردي لكل منتج أو مجموعة منتجات، وذلك بسبب أن هناك نشاطات لمنتجات تكون أكثر تعقيداً تستهلك نسبياً أكبر من التكاليف غير المباشرة من منتجات أقل تعقيداً منها، مما ينتج عن تضخيم هذه المنتجات الأقل تعقيداً وتقليل تكلفة المنتجات عن ما هو حقيقي للأكثر تعقيداً، وذلك بسبب أن الأنظمة التقليدية تستخدم لتقييم الربحية الإنتاجية للاستراتيجيات الإنتاجية بشكل شامل، مما يؤدي إلى قرارات استراتيجية ضعيفة تؤخذ من قبل مستخدمي هذه المعلومات.

٧-٥ مقومات نظام التكاليف المبني على الأنشطة :

يقوم نظام التكاليف المبني على الأنشطة على عدة عناصر كما يلي:

٧-٥-١ الموارد: تمثل الموارد مدخلات الأنشطة، ولا يمكن بدونها أداء الأنشطة المختلفة، ومن الصعوبة تحليل وإدارة الأنشطة بدون التعرف على الموارد المستخدمة، وكذلك يصعب تحديد تكلفة النشاط إذا لم يتم التعرف على تكلفة المدخلات من الموارد. وحتى يمكن إيجاد تكاليف استخدام مورد معين يجب العمل على تحديد مدخلات المورد ثم اختيار وحدة مادية لقياس مدخلات الموارد ثم قياس استخدام الموارد في شكل وحدات مادية وأخيراً العمل على تسعير هذه الوحدات^(١).

٧-٥-٢ الأنشطة: تُعد الأنشطة محور نظام التكاليف المبني على الأنشطة، ويجب أن تحدد قبل تخصيص التكلفة، ويمكن تعريف الأنشطة على أنها: «مجموعة من العمليات أو الإجراءات التي تشكل فيما بينها جوهر العمل الذي يتم أدائه داخل المنشأة»^(٢). وقد عرف (Tatikonda & Tatikonada, 2001)^(٣) الأنشطة على أنها وحدة عمل يتم تأديتها داخل المنشأة مثل معالجة الفواتير أو تصحيح الامتحانات.

وتتضمن تكلفة النشاط كل الموارد اللازمة لأداء النشاط، ويتم التعبير عن هذه التكلفة بتحديد تكاليف مدخلات النشاط من كل الموارد سواء كانت موارد مباشرة توفرها المنشأة للأنشطة مثل المواد أو العاملين أو كانت موارد هي في الأصل مخرجات أنشطة أخرى، ولتحديد إجمالي تكلفة النشاط يتم تتبع وحصر كل الموارد اللازمة لأداء النشاط، بالإضافة إلى تجميع

١ - علي محمود محمد فهمي (١٩٩٦)، «ترشيد قرارات التخطيط وقياس الأداء باستخدام مدخل محاسبة تكلفة النشاط» أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، جامعة القاهرة، مصر.

٢- داليا رضا بهبتي (٢٠٠٤)، «المحاسبة عن تكاليف تحقيق السلامة البيئية والمهنية من خلال استخدام مدخل التكاليف على أساس الأنشطة: دراسة تطبيقية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة عين شمس، مصر.

3- Tatikonda, Lakshmi U. and Tatikonda, Rao J. (2001) «Activity Based costing for higher education institutions», **Management Accounting**, vol. 2 , Issue 2 , pp 18-27.

التكاليف التي يستفيد منها النشاط في الأنشطة الأخرى.

ويتم في أنظمة التكاليف التقليدية تحديد محركات التكلفة بالاعتماد على محرك تكلفة أو أكثر، حيث يتم اختيار محرك التكلفة في ضوء حجم التغير في الإنتاج بشكل دائم فعند اختيار عدد ساعات تشغيل الآلات أو عدد ساعات العمل المباشر أو حجم المواد أو قيمة المواد المباشرة فجميع هذه المتغيرات ترتبط بموضوع مدى التغير في حجم الإنتاج بشكل عام . أما في نظام التكاليف المبني على الأنشطة فإن اختيار محركات التكلفة يتم في ضوء تقسيم أنشطة المنشأة إلى ٥ فئات يتم بناء على كل فئة اختيار محرك التكلفة الملائم ، وبالتالي تحديد تكلفة كل فئة نشاط . ويتم تقسيم أنشطة المنشأة وبالتالي تكاليف كل فئة إلى المجموعات التالية^(١):

أولاً: التكاليف المرتبطة بمستوى الوحدات المنتجة Unit-Level Costs

يرتبط هذا النوع من الأنشطة بعدد الوحدات المنتجة، أي أن تكاليف الأنشطة هنا تزداد أو تقل في ضوء عدد الوحدات المنتجة في كل مرة ، فالطاقة المستخدمة في الإنتاج ترتبط بعدد ساعات تشغيل الآلات أو عدد ساعات العمل والتي ترتبط بدورها بشكل أساسي بعدد الوحدات المنتجة. ففي شركات طباعة الكتب فإن الأحبار المستخدمة في طباعة الكتب والتي قد تصنف كمصاريف غير مباشرة ترتبط بشكل أساسي بعدد النسخ وعدد صفحات الكتاب ، فكلما زاد عدد صفحات الكتاب وزاد عدد النسخ المطبوعة يزيد استهلاك الأحبار . ومن الأمثلة على هذه الفئة ، نشاط الرقابة على جودة الإنتاج وبالتالي التكاليف المرتبطة بهذا النشاط في حالة استخدام المنشأة لنظام يقوم على أخذ عينة وفحصها من كل عشر وحدات منتجة . وفي ضوء ما سبق يتوجب تحميل تكاليف هذا النوع من الأنشطة بناءً على عدد الوحدات المنتجة.

ثانياً: التكاليف المرتبطة بمستوى حزم الإنتاج Batch Level Cost

عندما يرتبط القيام بالنشاط بمجموعة من العمليات أو حجم معين من الإنتاج فإن الأنشطة الخاصة بذلك وما يترتب عليها من تكاليف تُدعى بالتكاليف المرتبطة بحزم الإنتاج . فعلى سبيل المثال يتم في الكثير من المصانع استخدام آلة واحدة لإنتاج عدّة من مُنتجاتٍ ، إلا أن عملية البدء بإنتاج أي منتج أو التحول من إنتاج منتج لآخر يتطلب ضرورة إعداد الآلة وتجهيئتها للمنتج الذي سيتم البدء في إنتاجه مما يتطلب أحياناً غسل الأحواض وتبديل بعض القطع في الآلة وغيرها . إن الأنشطة والتكاليف المرتبطة بعملية تهيئة الآلة لكل منتج لا علاقة لها بعدد الوحدات التي سيتم إنتاجها من كل منتج ، إنما ترتبط بعدد مرات التغير من منتج لآخر . ومن الأمثلة على هذا

١- محمد أبو نصار (٢٠٠٨): محاسبة التكاليف ، الأردن ، عمان ، دائرة المكتبة الوطنية ، الطبعة الأولى، ص ١٩٠-١٩١.

النوع من الأنشطة تكاليف فحص العينات في حالة صناعة الألبان ومشتقاتها حيث يجري نشاط الفحص في كل مرة يتم فيها الإنتاج بغض النظر عن حجم الكمية المنتجة ، فإذا كانت تكاليف فحص عينة الإنتاج ١٥٠ دينار ، فإن نشاط اخذ العينة من المنتج وتكاليف ذلك تتم لكل خبطة بغض النظر عن حجم الكمية المنتجة . وبشكل مشابه فإن نشاط تصميم غلاف الكتاب يتم لكل كتاب بغض النظر عن عدد صفحاته وعدد النسخ التي سيتم طباعتها منه ، وبالتالي فإن تكاليف تصميم غلاف الكتاب تُحمّل على كل طَلَبِيَّةٍ ولا يجوز تحميلها بناءً على عدد صفحات الكتاب أو عدد النسخ.

ثالثاً: التكاليف المرتبطة بالمنتج Product-Level Costs

إن هذا النوع من الأنشطة والتكاليف يرتبط بشكل أساسي بمنتج محدد ولا يرتبط بعدد الوحدات المنتجة أو عدد حزم الإنتاج . ومن الأمثلة على هذا النوع من الأنشطة نشاط تطوير المنتج ونشاط متابعة تسويق المنتج ، فهذه الأنشطة تخدم منتج بعينه ، إلا أن مستوى النشاط وبالتالي التكاليف المرتبطة اللازمة لذلك لا ترتبط بشكل أساسي بحجم الإنتاج أو المبيعات من المنتج . ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الأنشطة ، وجود منتج لدى شركة يتطلب فحصاً خاصاً يختلف عما تتطلبه المنتجات الأخرى مما يقتضي ضرورة إنشاء مختبر خاص لهذه الغاية ، في هذه الحالة فإن تكاليف إنشاء المختبر وتشغيله تعتبر تكاليف منتج . ومن الأمثلة الأخرى على تكاليف المنتج التكاليف الخاصة بالحصول على شهادة الأيزو لمنتج معين .

رابعاً: التكاليف المرتبطة بالمؤسسة Organizational – Level Cost

يرتبط ها النوع من الأنشطة والتكاليف بالمؤسسة بشكل عام ولا يرتبط بمنتج معين أو عدد وحدات الإنتاج . ومن الأمثلة على هذا النوع من الأنشطة والتكاليف راتب المدير العام في الشركة ورواتب قسم المحاسبة ومصاريف الدعاية والإعلان إذا كانت تتعلق بالمنشأة بشكل عام ، فأحياناً تقوم بعض الشركات بحملات دعائية للتعريف بالمنشأة دون إن يتعرض الإعلان لمنتج أو خدمة محددة مقدمة من المنشأة.

خامساً: التكاليف المرتبطة بالزبون Customer Level Costs

يرتبط هذا النوع من الأنشطة والتكاليف بمصاريف البيع والتوزيع ، حيث يتم تحديد الأنشطة والتكاليف المرتبطة بها بناءً على الخدمة المقدمة للزبون ، فعملية توصيل البضاعة ومتابعة تحصيلها وخدمات ما بعد البيع لها علاقة بالزبون وقد لا ترتبط بشكل أساسي بالمنتج أو عدد الوحدات المباعة . فعلى سبيل المثال إن نشاط توصيل السلعة وتحصيل قيمتها وما يرتبط بها من مصاريف تتم لكل زبون وبغض النظر عن حجم مشترياته من المنشأة . وعليه فإن تحليل

هذا النوع من النشاط وتحميل الكلفة على العملاء قد يظهر للإدارة أن فئة معينة من العملاء الذين تقل مشترياتهم عن قيمة معينة الإحجام عن بيعهم أو رفع سعر البيع لهم .

٣-٥-٧ المخرجات: تحتاج الإدارة إلى معرفة تكاليف مخرجاتها لخدمة القرارات

الإدارية وترشيدها. وهو ما يعرف بغرض أو وحدة حساب التكلفة، حيث ترغب الإدارة في تحديد تكلفتها بشكل منفصل والتي يمكن أن تتمثل في سلعة أو خدمة أو عميل أو مشروع أو نشاط أو برنامج. ولا يتم اختيار أغراض أو وحدات التكلفة لذاتها وإنما لخدمة اتخاذ القرارات الإدارية. وتعرف وحدة التكلفة بأنها وحدة قياس كمي للمنتج أو الخدمة أو الوقت أو مزيج بينهما يتم على أساسها تحديد التكاليف، ويمكن أن تأخذ شكل أمر إنتاجي أو دفعة إنتاجية أو مجموعة منتج متشابه، وتتخذ وحدة التكلفة أساساً لقياس تكلفة المنتج أو الخدمة قياساً نقدياً.

٤-٥-٧ مسببات التكاليف: يتوقف نجاح نظام التكاليف المبني على الأنشطة على مدى

الدقة في تحديد مسببات التكاليف وذلك لكل نشاط. لأن الصفة المميزة لهذا النظام والتي تجعله يُفضّل ويتميز عن غيره من الأنظمة هي مستوى الدقة المتميز الذي تتصف به معلومات ومخرجات هذا النظام. ويعد مسبب التكلفة وسيلة للربط بين تكلفة النشاط والمخرجات من المنتجات أو الخدمات وعليه فهو مقياس كمي يعكس مخرجات النشاط^(١).

٨- دور نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة

في تحديد تكلفة الخدمات التعليمية

لقد اهتم العديد من الباحثين في معظم دول العالم من خلال بحوثهم ودراساتهم والتي تتعلق بكلفة الخدمات التعليمية وذلك بالتركيز على العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع تكلفة تلك الخدمات مركزين على مدة بقاء الطالب في الجامعة كأحد أهم العوامل التي تؤثر على تكلفة تلك الخدمات المقدمة من قبل الجامعات، وبالرجوع إلى معظم الدراسات التي قام بها الباحثون في مجال قياس وتحديد تكلفة الخدمات التعليمية نجد أن هذه الدراسات قد قام بها مجموعة من الباحثين في مجال العلوم التربوية وإن كانت لا تخلو من مشاركات بعض الباحثين في مجال الاقتصاد أو الإدارة، ولكن لم تكثر المشاركات الفعالة من قبل باحثي المحاسبة في هذا الإطار بالرغم من أن عملية قياس وترشيد التكاليف هي من محور المجالات البحثية التي يركزون عليها في أبحاثهم، وقد يرجع السبب إلى ما أشارت إليه الكثير من أدبيات محاسبة التكاليف من خلال ما عبرت عنه

١- خليل الدليمي: (٢٠٠٥) «نظام التكاليف المبني على الأنشطة وإمكانية تطبيقه في الشركات الصناعية المساهمة في الأردن: دراسة ميدانية» مجلة أبحاث اليرموك - سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٢١، العدد ٢ (أ)، ص ٦١٥ - ٦٥٢.

من صعوبات قد تكتنف عملية القياس والتحديد في المجال الخدمي عموماً ، ولكن يمكن القول أن استخدام أدبيات ومفاهيم محاسبة التكاليف من أجل قياس وترشيد تكلفة الخدمات التعليمية قد بدأ في البروز والظهور بعد تأصل استخدام تلك المفاهيم في القطاعات الصناعية التي تنتج سلعا مادية ملموسة.

وفيما يلي يمكن أن نستعرض المراحل المستخدمة من قبل نظام ABC في مجال قياس وتحديد تكلفة الخدمات التعليمية:

٨-١ توزيع وتخصيص عناصر التكاليف غير المباشرة وفقا لنظام ABC

تعتبر عملية تخصيص وتوزيع التكاليف غير المباشرة وربطها بالمنتجات النهائية من المواضيع الصعبة والتي تحتاج إلى الدقة في عملية التوزيع، ولكن قد يبدو الأمر أكثر تعقيدا في مجال الخدمات التعليمية لأمر منها: تنوع قرارات استخدام الموارد المتاحة بالجامعات ومراكز التعليم العالي، وكثرة تبادل الخدمات بين الكليات والأقسام المختلفة في النشاط، وبالرجوع إلى النظام التقليدي في مجال تخصيص التكاليف غير المباشرة، تتم عملية التخصيص من خلال استخراج معدل تحميل لكل قسم خدمي بناء على حجم النشاط في ذلك القسم، أما في حال استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة يتم معالجة عملية التخصيص للتكاليف الغير مباشرة من خلال إيجاد العلاقات السببية بين التكاليف والمنتجات النهائية والتي يمكن إن تكون سلعا أو خدمات، عن طريق توسيط مجموعة من الأنشطة والتي يمكن اعتبارها بالأنشطة المستهلكة لموارد الجامعة لتقديم العديد من الخدمات التعليمية المختلفة، وبذلك يمكن اعتبار تلك الأنشطة وسيطاً بين موارد الجامعة والخدمات التعليمية المستنفذة لتلك الموارد، لذلك فإن تطبيق نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في مجال الخدمات التعليمية يحتاج إلى ما يلي:

- يجب تحديد الأنشطة المتعلقة بالخدمات المقدمة من قبل الجامعة، وتجميع الأنشطة التي تتصف بالتجانس في أوعية مميّزه (تحديد مجتمعات التكلفة)

- بعد تحديد الأنشطة الخدمية يتم تخصيص التكاليف غير المباشرة على تلك الأنشطة والتي تُمثّل مجتمعات التكلفة باعتبار أنّ هذه الأنشطة هي المستهلك الرئيس للموارد المخفّفة والمتاحة بصفة مباشرة، وذلك من خلال ما يعرف بمحركات (مسببات) التكلفة المناسبة لكل نشاط.

- استخدام معدّل التكلفة المناسب لكل نشاط باعتباره المجمّع المتجانس للتكاليف التي يتضمنها (مجمّع التكلفة) وذلك على أساس عدد وحدات الخدمة المتاحة في كل منها خلال الفترة المراد احتساب التكلفة عنها.

- إنَّ الجدول التالي يمكن أن يمثِّل تصوُّراً واستعراضاً لبعض مجمّعات التكاليف ومسبِّبات النشاط الخاصة بها فيما يتعلق بمجال احتساب وتحديد تكلفة الخدمات التعليمية:
جدول رقم (٢) أمثلة على بعض مجمّعات التكاليف والمحركات الخاصة بها في الجامعات

مجمّعات التكاليف (النشاط)	مسببات (محركات) التكاليف
التدريس	عدد الطلبة
الدراسات العليا	عدد طلبة الدراسات العليا
القبول والتسجيل	عدد مرات التسجيل/السحب/الإضافة
المكتبة	عدد الكتب/المراجع/الدوريات
البحث العلمي	عدد الأبحاث
المختبرات	عدد طلبة الكليات العلمية
الكافتيريا	عدد الوجبات
شؤون الطلبة	عدد المعاملات
الإدارة العامة	عدد الفواتير والمطالبات لكل حالة
الصيانة	عدد طلبات الصيانة الحالية/الطارئة

إن نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة كنظام جديد في عملية تخصيص التكاليف غير المباشرة على الهدف النهائي للتكلفة يمكن استخدامه لمعالجة مشكلة تخصيص التكاليف غير المباشرة في الجامعات، حيث يركز هذا النظام على «أن الأنشطة المختلفة في الجامعة تستهلك من قبل الخدمات التعليمية المقدمة وأن الأنشطة بدورها تستهلك الموارد المتاحة في الجامعة، وهذا يؤدي إلى استخراج بيانات أكثر دقة تساهم في خدمة القرارات الإدارية».

٢-٨ عملية اختيار وحدة النشاط للخدمات التعليمية :

إنَّ الخدِّمات التعليمية التي تقدمها الجامعات يمكن أن تتنوع وتختلف وذلك حسب التجهيزات والأقسام الأكاديمية في كلِّ منها ، إنَّ عملية تحديد تكلفة الخدمات الجامعية تتطلب تحميل الأقسام الأكاديمية بجمع ما ينفق عليها من تكاليف مباشرة وغير مباشرة ومن ثم استخراج تكلفة الخدمات التعليمية في كل قسم، وما يجب أن يتبع ذلك، هو اختيار وحدة النشاط التي تُنسب إليها التكاليف ، كتكلفة الطالب حسب القسم الأكاديمي مثلاً، مما يعني ضرورة اختيار الأساس المناسب لوحدة النشاط التي يجب تحميلها بعناصر التكاليف، ومن الأسس المقترحة لذلك ما يلي :

١-٢-٨ تحميل التكاليف على أساس تخصص كل طالب :

إنَّ ذلك يتطلب التفرقة بين التخصصات في الأقسام العلمية والأقسام الأدبية، وهذا يتطلب بالضرورة تطبيق نظام معلومات يساعد على تتبع حركة كل طالب وربط التكاليف بالمسؤولين

عنها، ولكن قد تُصَفُّ هذه العملية بالصعوبة، وفي حال صعوبة تطبيق ذلك، فإنه يمكن اتِّباع أسس تحميل أخرى كأساس التحميل حسب كل قسم أكاديمي، مع ضرورة التحديد الدقيق لكل تخصص أكاديمي مراعين الساعات المعتمدة لكل قسم أكاديمي، ومن ثمَّ تُحمَّل أنشطتها بالتكاليف المختلفة بحسب درجة استفادتها، أو بحسب الأوزان النسبية لكل منها.

٢-٨-٢ تحميل التكاليف على أساس متخذ القرار بالجامعة :

إنَّ عملية اتِّخاذ القرارات المختلفة في الجامعات، والتي تُتَّخَذُ سواءً عن طريق المسؤول الأكاديمي أو المسؤول الإداري، تعني أنَّ كلاَّ منهما في مركز مسؤولية يجب أن تتوافر لديه الموارد اللازمة لكي يقوم باستخدامها من أجل القيام وانجاز مجموعة الأنشطة المسؤول عنها في الجامعة، مما يعني ضرورة التوصيف الدقيق لوظائف كل منهما ومجال الخدمات التي يجب تقديمها، والسلطات والمسؤوليات لكل منهما، وبناءً على ذلك يمكن استخراج تكلفة خدمة الموارد المتاحة لأعضاء هيئة التدريس المسؤولين في الأقسام الأكاديمية، وكذلك من الأمور الواجب مراعاتها نسب توزيع الطلبة على التخصصات بالجامعة، وكذلك لا بد من ربط عناصر التكاليف الثابتة بالأقسام الأكاديمية أما عناصر التكاليف المتغيرة فيجب ربطها بعدد الطلبة المسجلين بالأقسام الأكاديمية في الجامعة.

٩- عملية تحديد أسعار الخدمات التعليمية

تعتبر عملية تحديد الأسعار بالنسبة للخدمات التعليمية بناءً على الأسس الموضوعية والعلمية الصحيحة من العوامل الضرورية والمهمة لخلق نوع من الاستقرار والاطمئنان لجميع الجهات سواءً الجهات المقدِّمة للخدمات أو الجهات المستفيدة من تلك الخدمات، حيث إنَّ عملية التسعير ليس الهدف منها دائماً تغطية الفوائد وتحقيق هامش ربح فحسب، بل وإنما هنالك عنصر تسويقي يهدف إلى تكوين إستراتيجية تسويقية لجذب المستفيدين من تلك الخدمات والذين يقومون بالسداد مقابل تلك الخدمات بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق من يمثلهم.

إنَّ عملية التسعير عملية مهمة يجب أن تتم بناءً على منهج محدد يركز على مجموعة من العناصر وهذه العناصر تتمثل بما يلي^(١):

- ١- تحديد الهدف أو الأهداف من عملية التسعير، والتي قد تكون استرداداً لكلفة أو تعظيم العائد على الاستثمارات أو استغلال الطاقات المتاحة أو أيَّ هدفٍ آخر.
- ٢- تحديد استراتيجية التسعير والأساس الذي سوف يركِّز عليه، وهل سيكون قوَى العرض

1- Banker , R.D and Hughes.(1998),”Activity Based Costing and Activity Based Management for Health Care” , Gaithersburg , MD: Aspen Publishers..

أو الطلب أو المنافسة أم التكلفة أو غيرها من الأسس.

٢- تحديد أسلوب سداد المستحقات، وهل سيكون أسلوب السداد المباشر لكل خدمة على حده أم من خلال طرفٍ ثالثٍ ينوب عن المستفيد.

١-٩ أسلوب تحديد أسعار الخدمات التعليمية على أساس التكلفة :

إنَّ عملية تسعير الخدمات التعليمية يُمْكِنُ أَنْ تتم وفقاً لأساليب متعدّدة، حيث يمكن أَنْ يتم التسعير بناءً على تكلفة تلك الخدمات، أو قد يتم التسعير بناءً على الطلب، وكذلك قد تلعب المنافسة دوراً في عملية التسعير ، إلا أنَّ كلَّ أسلوبٍ من هذه الأساليب قد يتمتّع ببعض المزايا ولا يخلو من بعض العيوب ، وبالنظر إلى أسلوب التسعير على أساس التكلفة فقد يمكن اعتبار هذا الأسلوب من أكثر الأساليب قبُولاً لمجموعة من الأسباب والتي ترجح كفته على الأساليب الأخرى لما له من دورٍ في عملية تقليل عوامل عدم التأكد في حالة التسعير للخدمات المختلفة ، كما أنَّ التسعير على أساس التكلفة يؤدي في الغالب إلى تسعير الخدمات التعليمية بشكل متقارب مما يتيح عنه أسعار قد تكون متقاربة لكل الخدمات في أحيان كثيرة ، مما يسهل على جميع الأطراف المستفيدة من تلك الخدمات عملية الاختيار للخدمات المطلوبة وذلك لدور هذا الأساس في التقليل من عملية المنافسة السعيرية والتي قد تؤدي إلى حصول بعض الارتباكات بالنسبة للمستفيدين ، كما أنَّ التسعير على أساس التكلفة قد يفيد المستفيدين من الخدمات بعدم استغلال حاجتهم للخدمات والطلب منهم دفع أسعارٍ عالية وخصوصاً عندما يزداد الطلب على تلك الخدمات .

لعلَّ ما سبق من مزايا لأسلوب التسعير على أساس التكلفة تجعله متميزاً عن غيره من الأساليب قد أعطاه قبولا من قبل المؤسسات ذات الخدمات التعليمية أكثر من غيره، مما لاقى قبولا في العديد من المؤسسات التعليمية في الدول المتقدمة.

تتخذ عملية التسعير على أساس التكلفة أكثر من أسلوبٍ لعملية تحديد السعر ، فقد يتم التسعير على أساس التحميل الكلي للتكاليف ، والذي غالباً يتوافق مع عملية التسعير في الأجل الطويل الذي يرتبط بمجموعة من العوامل التي تُهدَفُ إلى تغطية جميع التكاليف بشقيها الجاري والرأسمالي تماشياً مع مبدأ التغطية الشاملة للتكاليف ، أما الأسلوب الثاني فقد يتم تحديد السعر على أساس التحميل الجزئي للتكاليف والذي يتوافق في الغالب مع التسعير في الأجل القصير، مركزاً على النفقات الجارية ذات العلاقة بأمر يمكن أن تكون المنافسة واحداً منها بالإضافة إلى ما يتم إبرامه من عقود قصيرة الأجل.

ولقد تم استخدام أسلوب التحميل الكلي للتكاليف في تسعير الخدمات، وذلك في العديد من الدول المتقدمة كالمملكة المتحدة والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، في إطار برنامج

تغطية تكاليف الخدمات التعليمية، ويعتبر هذا الأسلوب بمثابة تقليد لسوق داخلية لعمل الجامعات يضاهاي أسلوب التسعير فيما لو كانت هناك سوق للخدمات التعليمية تقدم خدماتها لقاعدة عريضة من المستفيدين ، وذلك بالرغم مما أثير من شكوك حول عدم الاستغلال الأمثل للموارد نتيجة استخدام التكلفة الكلية للتسعير ، وما يصاحب ذلك من ارتفاع في الأسعار⁽¹⁾. إن عملية توزيع التكاليف المستخدمة في عملية التسعير تختلف باختلاف الأسلوب المستخدم في التسعير وبما يخدم مجالات التخطيط والرقابة للموارد المتاحة في المؤسسة التعليمية ، حيث يتطلب أسلوب التحميل الكلي توزيع التكاليف إلى مباشرة وغير مباشرة لاعتماده على جميع التكاليف ، في حين يركز أسلوب التحميل الجزئي على التكاليف المتغيرة أو المستغلة ، مما يعني إن ذلك يستدعي ضرورة تحليل عناصر التكاليف المتغيرة والثابتة ونسب استغلال الطاقة ، لبيان عناصر التكاليف المستغلة التي يتوجب تغطيتها في الأجل القصير والعناصر غير المستغلة أو الثابتة التي تعتبر عبئاً على الدَّخْل خلال العديد من الفترات المالية.

٩-٢ مشاكل تسعير الخدمات التعليمية على أساس التكلفة :

برغم ما يتمتع به أسلوب التسعير على أساس التكلفة من مزايا إلا أن عملية التسعير بناءً على هذا الأسلوب لا تخلو من بعض المشكلات ومنها ما يلي:

٩-٢-١ تحميل الخدمات التعليمية بتكاليف إضافية :

إن عملية تحميل التكاليف على الخدمات التعليمية سواء تم بناءً على أسلوب التحميل الكلي أو الجزئي ينتج عنه مشكلة التحميل الإضافي للتكاليف على تلك الخدمات ، فعندما يتم تحميل التكاليف بناءً على الأساس الكلي، فبالإضافة إلى تحميل تلك الخدمات التكاليف المباشرة فإنه يتم تحميلها أيضاً بالتكاليف غير المباشرة التي تحتاج إلى الدقة الكبيرة في عملية تخصيصها على الخدمات المختلفة ، وبالتالي لا بد من توفر الأساس الدقيق للتحميل من خلال توفير التقديرات الدقيقة لعناصر التكاليف غير المباشرة في الأقسام الخدمية حتى يمكن التغلب على مشكلة التحميل الإضافي لتلك التكاليف ، وبالنظر إلى أسلوب التحميل الجزئي للتكاليف فإنه مع هذا الأسلوب لا بد من الفصل بين التكاليف المتغيرة المُستغلة التي يسهل تخصيصها على الخدمات التعليمية ، والتكاليف الثابتة التي تحتاج عملية تخصيصها على الخدمات إلى طرق دقيقة في عملية تخصيص بناءً على الطاقة المستغلة منها، مما يستلزم ضرورة توفير الأسس المناسبة والسليمة لتحميل تلك التكاليف بناءً على وحدة النشاط المستفيدة من التكلفة كالأقسام

1- Woutrs , J.F. Maar. (1996) "Why Management Use Cost Allocations : A Research Note" , Accounting and Business Research , Autumn , pp 341-346.

الأكاديمية المختلفة أو الساعات المعتمدة للتخصص أو عدد الطلبة ، ومما لاشك فيه أن نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة يساعد على توفير البيانات الدقيقة للإدارة عن تكلفة الأنشطة المختلفة الخاصة بالأقسام الخدمية، مما يساهم في توفير أسس منطقية وسليمة لعملية تسعير الخدمات التعليمية.

٢-٩-٢ تحميل الخدمات التعليمية بأعباء الطاقة غير المستغلة :

تتمثل أعباء الطاقة غير المستغلة في الجامعات بتكاليف الأصول الثابتة غير المستغلة جيداً ، مما يؤدي إلى تحميل الخدمات التعليمية بتكاليف زائدة وغير مستغلة ناتجة عن عدم استغلال هذه الأصول بالشكل الأمثل ، حيث تمثل الأصول الثابتة نسبة كبيرة من أصول الجامعات، ومن أمثلتها أجهزة الكمبيوتر والمعامل والمخازن والمباني والسيارات ، مما يعني أن عملية استغلال هذه الأصول بالشكل الأمثل يؤدي إلى تقديم خدمات تعليمية للمستفيدين بتكلفة معقولة وغير مشوهة، وكذلك تحقيق العائد المناسب من استغلال هذه الأصول.

وبالتالي فإن عدم الاستغلال الأمثل لطاقة الأصول المتاحة بالجامعة من شأنه التأثير على تكاليف الخدمات التعليمية ومن ثم أسعارها، ويتوقف ذلك على أساس تحميل التكاليف وطريقة استهلاك تلك الأصول، ولتلافي مشكلة عدم استغلال طاقة الأصول الثابتة بالجامعة، ومواجهة مشكلة التقادم الفني لها ، يتم احتساب استهلاك سريع أو معجل للأصول الثابتة التي تتقادم سريعاً، أو تستخدم استخداماً محدوداً، أو يتم احتساب فائدة ضمنية كتكلفة على رأس المال المستثمر في هذه النوعية من الأصول، بالإضافة إلى الاستهلاك السنوي لتكلفتها الدفترية، ويعتبر الهدف من تلك المعالجة هو الإسهام في تحديد أسعار الخدمات التعليمية وتحقيق هدف تمويلي من وراء ذلك، كما أن الرغبة في تحقيق منافسة حقيقية بين الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة هي أحد الأسباب التي دعت إلى استهلاك إضافي لبعض الأصول الثابتة بالجامعات، لذلك فقد أصبح هناك اتجاه متزايد لاتباع التحميل الرأسمالي^(١).

٣-٩-٢ تسعير الخدمات التعليمية على أساس التكلفة

بناءً على دورة المستفيد (الطالب) من الخدمة :

في إطار الحديث عن تطبيق نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في الجامعات كأساس لتحديد تكلفة خدماتها التعليمية، فإن ذلك يستدعي التركيز على مراحل وانتهاءً بالخرج والحصول على الشهادة ، وبالتالي فإن كل مرحلة من مراحل حركة الطلبة تمثل عنصراً من

1- Heald D and David A Scott (August 1996) "Assessing Capital Charging Health Service", financial Accountability and Management , , pp 224-225.

عناصر تكلفة الخدمات التعليمية ، والتي بناءً عليها يتم تحديد سياسة تسعير تلك الخدمات. وبالتالي فإن ذلك يعني تتبع حركات الطلاب المختلفة ويتم ذلك عن طريق تصميم ما يعرف ببطاقات الطلبة وذلك لتتبع حركة الطلاب بحيث تتضمن كل بطاقة مجموعة من البيانات عن كل تخصص ووصف لمجموعة الخدمات والموارد التي تم استهلاكها في كل حالة، ومن ثم يتم ترجمة جميع الكميات المستهلكة (المستنفذة) من الموارد في كل بطاقة إلى قيم مالية، بالإضافة إلى تحميل كل مرحلة بما تستحق من التكاليف غير المباشرة والتي يتم تحديدها وفقاً لنظام ABC. وبالنظر إلى طريقة استخدام بطاقات تكلفة الخدمات التعليمية، فإنها تتمتع بمجموعة من المزايا منها تتبّع وتحديد تكلفة كل طالب بالأقسام الأكاديمية للجامعة، لكون آلية عملها تضمن التصميم الجيد للدورة المستندية لجميع عناصر التكاليف، ومن ثم تضمن الرقابة على هذه العناصر والموارد المستنفذة لكل طالب، وبما يخدم إدارة الجامعة في متابعة عملية استنفاد الموارد والتحقق منها بالطريقة الدقيقة، وكذلك تكوين تصوّر كامل لدى الطلبة المستفيدين من الخدمات الجامعية عن مضمون تلك الخدمات وما تمّ تحميله عليها سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، بالإضافة إلى توفير الكثير من المصادقية في معاملات الجامعة المختلفة.

إنّ ما سبق لا يعني التحديد لتكلفة الطالب، حيث لا بدّ من إجراء مجموعة من التسويات في نهاية كل فترة مالية، وذلك بتحديد عناصر التكاليف غير المباشرة الفعلية وما لها من أثر على قائمتي التكاليف والدخل، مما يعني أنه لا بد من إجراء عمليات مطابقة بين البيانات الممثلة لتكاليف الموارد المستنفذة خلال الفترة و المستخرجة من السجلات المحاسبية، وبين البيانات التي تتضمنها بطاقات التكلفة.

إنّ استخدام نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة في تحديد تكلفة الخدمات التعليمية بالجامعات الأردنية لا بدّ وأن يساعد في عملية تحديد أداء كفاءة تلك الخدمات من خلال توفير الأسس الموضوعية والسليمة لتقييم تلك الخدمات التي يتطلب أداؤها توفير التوازن بين مستوى مناسب من الجودة وأقلّ تكلفة ممكنة، وهذا هو الهدف المطلوب، مما يعني أنه أصبح هناك علاقة حتمية بين مستوى الجودة المطلوب والتكلفة، تتمحور هذه العلاقة في توفير العناية المطلوبة لكل من مستوى جودة الخدمات التعليمية المقدمة بهدف الارتقاء بها بشكل مستمر، ومستوى التكلفة للخدمات المقدمة بهدف الرقابة عليها ومن ثم ترشيدها من خلال استخدام الأساليب الإدارية الحديثة التي توفر الأسس الموضوعية والدقيقة للقيام بذلك، ولعل نظام ABC من أهمها، وهذا بدوره يخلق الكثير من مجالات المنافسة لتحسين تلك الخدمات بالإضافة إلى توفير الأساس السليم والموضوعي لتقييم أداء المسؤولين عن إدارة الجامعات. وبالتالي فإن أسلوب التحديد على أساس التكلفة من واقع نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة سوف يساعد على عدم

المبالغة في تحديد أسعار الخدمات التعليمية، والتركيز على جميع العناصر والموارد المستخدمة للقيام بالخدمات المختلفة دون إغفال أيٍّ منها، ولعل متطلبات تطبيق نُظْم إدارة الجودة الشاملة في الجامعات تدعوها إلى إعادة النظر بالنظم الحالية المطبقة وإعادة هيكلتها لاحتساب تكلفة خدماتها وبما يسمح بتتبع دورة التكاليف لديها.

١٠- الخلاصة والتوصيات:

لعلَّ مشكلة ارتفاع تكلفة الخدمات التعليمية بسبب زيادة الطلب عليها هي مشكلة غير مُقْتَصِرَة على عدد من الدول، بل عانت منها الكثير من الدول المتقدمة والنامية، غير أنَّ دَوْلَ العالم المتقدم قد أعطت هذه المشكلة الكثير من الاهتمام أكثر من غيرها من الدول النامية، من خلال دراسة المشكلة من جميع جوانبها وإجراء البحوث والتحليل العلمي لذلك، من أجل إيجاد أفضل الطرق والأساليب لتحديد التكلفة الدقيقة للخدمات التعليمية، وهذا في حدود علم الباحث. وبالتالي فقد هدفت هذه الدراسة بشكل عام إلى توفير الإطار العام لتحديد تكاليف الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة من خلال توفير الأسس السليمة والموضوعية لذلك، وما يتبعه من تحديد دقيق لتكلفة تلك الخدمات المقدمة ومن ثم تسعيرها بالشكل المناسب قياساً على تكلفة خدمات تمَّ استخراجها بناءً على أسس دقيقة وموضوعية. ومن أجل تحقيق الهدف من هذه الدراسة فقد تمَّ استعراض العديد من الدراسات التكاليفية التي تمَّت في دول العالم وخصوصاً العالم المتقدم والتي تناولت مشكلة ارتفاع تكلفة الخدمات التعليمية في الجامعات، سواءً من منظور وظيفة أو نشاط مسبب ذلك الارتفاع في التكلفة أو من منظور شامل على مستوى أنشطة الجامعة جميعها.

وفي إطار المحاولات التي تمَّ بذلها لتسعير الخدمات التعليمية بالشكل السليم والمناسب، شمل ذلك تطوير نظم محاسبة التكاليف والاستفادة من بيانات تكاليفية نابعة من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في الجامعة. وفي إطار الحديث عن الموارد المتاحة فإنه لا بُدَّ من إشراك الهيئة التدريسية في إدارة موارد الجامعة، لإشراكهم في مسؤولية استخدام الموارد المتاحة في الجامعة مما يسهم في عملية ضبط عناصر تكاليف الجامعة من خلال تصنيفها حسب المسؤولية والاعتماد على تقارير تكاليفية مناسبة لتحديد أسعار الخدمات التعليمية.

ومما يميز أنشطة الخدمات التعليمية عن غيرها من الأنشطة، تلك المشكلات التي تتمثل بقياس وتحديد عناصر التكاليف الخاصة بها من خلال استخدام الأسلوب المناسب لتحليل تلك التكاليف، وما يرافق ذلك من مشاكل تتعلق بعملية تخصيص وتوزيع التكاليف غير المباشرة. وقد بينت الدراسة أنَّ هناك إمكانية للتغلب على مشكلة تخصيص التكاليف غير المباشرة والتي عانت

منها كثير نظم محاسبة التكاليف التقليدية، وذلك من خلال اللجوء إلى نظام محاسبة التكاليف المبني على أساس الأنشطة، والذي يقوم مبدأ عمله على تحديد معدلات الكلفة المناسبة لكل نشاط من خلال تحديد محركات التكلفة المناسبة لجميع الأنشطة، وتقسيم أنشطة الخدمات الجامعية إلى مجموعة متجانسة من الأنشطة ومن ثم اختيار محركات التكلفة المناسبة لكل نشاط أو مجموعة الأنشطة المتجانسة.

أما فيما يتعلق بمشكلة التحميل الرأسمالي فقد أوضحت الدراسة أن هناك إمكانية للتغلب على هذه المشكلة من خلال قياس تكلفة الأصول الثابتة بشكل دقيق أولاً ثم تحميلها على تكلفة الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية، ويتم التحديد الدقيق لتلك التكلفة من خلال استخدام الطريقة الأمثل لاحتساب استهلاك تلك الأصول والتي تتناسب مع مدى استخدامها وتقادمها. وأن يتم اختيار وحدة النشاط التي تحمل عليها عناصر التكاليف المختلفة حسب كل حالة، ولا بد من التفرقة بين طلاب الكليات العلمية بأقسامها المختلفة وطلاب الكليات الأدبية، أما بطاقة تكلفة الطالب فيتم استيفاؤها بمعرفة المرشدين، وفي النهاية لا بد من عمل المطابقات الضرورية بين تكلفة تلك البطاقات والبيانات الواردة في المستندات المحاسبية التي تمثل نشاط الأقسام المختلفة، وإجراء ما يلزم من تسويات إذا تطلب الأمر ذلك.

كما أوضحت الدراسة أن استخدام بيانات التكاليف المختلفة في مجال تسعير الخدمات التعليمية في الجامعات الأردنية يسهم في بث المزيد من الوعي التكاليفي لدى تلك الجامعات والمتعاملين معها ويحقق الأهداف المرغوبة من خلال استخدام تشغيل اقتصادي أمثل للموارد المتاحة والمستخدمة. كما بيّنت الدراسة أنه يمكن تقدير سعر الخدمة المرغوب بها والوصول إلى تكاليف تقديمها من خلال استخدام أسلوب التكلفة المستهدفة وذلك بدراسة العوامل السوقية المؤثرة على أسعار الخدمات التعليمية المقدمة، وبالتالي الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة في الجامعة تماشياً مع تطبيق إدارة الجودة الشاملة، ولكن تطبيق مثل هذه النظم الحديثة لا بد من أن يتم من خلال أشخاص ومسؤولين تم تدريبهم ومتابعتهم بشكل مستمر ولديهم القدرة على تطبيق هذه النظم المقترحة، وفي النهاية فإن ما يمكن قوله وفي حدود علم الباحث أنه يمكن تحديد أسعار الخدمات التعليمية بدرجة عالية من الدقة والموضوعية بالاستناد إلى الأساليب الحديثة لمحاسبة التكاليف كنظام تكاليف الأنشطة من خلال دراسة وتحليل عناصر التكاليف المختلفة ودراسة العوامل السوقية المؤثرة على أسعار تلك الخدمات، دون إغفال عملية المراجعة الدورية لتلك الأسعار من قبل المسؤولين، وبالتالي تحقيق رقابة أكبر ينبثق عنها ترشيد أكثر للتكاليف واستغلال أفضل للموارد المتاحة.

رأس المال الفكري وأثره على المصارف

الفصل الأول

مشكلة الدراسة وأهميتها

المقدمة

تعيش بيئة المؤسسات تحديات متعددة متمثلة في شدة المنافسة وسرعة التغيير، فالتحول المستمر في بيئة الأعمال الحديثة بسبب استخدام الإنترنت وشبكات الأعمال والحاسبات وتكنولوجيا المعلومات، أدى بشكل ملحوظ إلى زيادة الطلب على العمالة المؤهلة معرفياً من ذوات الخبرة المتقدمة، والمهارة المتميزة في أداء المهمات وتحقيق التميز وأصبح التحدي الرئيس أمام المؤسسات هو مدى قدرتها على تنمية رصيدها من الأفراد المستثمرين من ناحية واستقطاب عمالة جديدة متميزة ومؤهلة من ناحية أخرى لمواجهة ما فرضته الألفية الثالثة من تحديات في غاية الحداثة منها على سبيل الذكر لا الحصر (التركيز على فرق العمل، التوجه نحو الزبون وسرعة الاستجابة له، الاهتمام برأس المال الفكري، والتركيز على إدارة المعرفة، وزيادة مساحة التمكين والمبادرة والاستقلالية والإبداع)^(١).

ويمكن القول، أنه طالما كان هناك تحول متسارع نحو اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة، فإن قوة التغيير الصاعدة في المؤسسات هي باتجاه رأس المال الفكري وتكوينه واستثماره وإدارته، وطالما أن العلاقات والإمكانيات الفكرية غير المستغلة في المؤسسات ما زالت كثيرة، فعلى المؤسسات الآن أن تتعلم كيف تدير هذه الأصول وتُتميّها للوصول بها إلى استخدام طاقتها الفكرية والإبداعية القصوى، وذلك من خلال تكوين محفظة لإدارة الأصول الفكرية، وإدارة رأس المال الفكري بشكل أكثر فاعلية باعتباره المصدر الحيوي الأهم لميزتها التنافسية ورفقي أدائها المؤسسي^(٢).

فيمكن القول: إن رأس المال الفكري يُعنى بسير الأعمال في المؤسسة من حيث الملكية

١- (الدوري وصالح، ٢٠٠٩، ص ٥)

2- (Hsu, 2006)

الفكرية والعمليات الفكرية، ومواردها البشرية المتمثلة بالإدارة والموظفين، وعلاقتهم التي تتضمن العلامة التجارية^(١)، وإنه جَمَعَ بَيْنَ كُلِّ مَنْ أَسْهَمَ وتدفقات المعرفة التنظيمية في المؤسسة^(٢)، كما يتألف رأس المال الفكري من أنواع متعددة ذات علاقة بالموظفين والروتين التنظيمي والملكية الفكرية والعلاقات مع العملاء والممولين والموزعين والمؤسسين^(٣).

يرجع سبب هذه الدراسة للتعرف على اثر رأس المال الفكري على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن، وإمكانية قياس أثره على ادائها المؤسسي، فقد اختارت الباحثة مؤسسات القطاع الخاص نظراً لأهمية رأس المال الفكري فيها فالقطاع الخاص يأتي في المرتبة الثانية بعد القطاعات الحكومية من حيث تأثيره باقتصاد المعرفة وثورة المعلومات. والتطور التكنولوجي الهائل والمتسارع في القدرة التنافسية بين مؤسسات القطاع الخاص، جعلنا ندرك أهمية وجود أفراد (رأس المال البشري) قادرين على التأقلم مع التطورات المحيطة بهم، إضافة لأهمية توافر البنى التحتية اللازمة (رأس المال الهيكلي) لمساعدتهم على القيام بواجباتهم وتقديم أفضل الخدمات للزبائن (رأس مال الزبون) وبذلك تحقق أفضل النتائج.

مشكلة الدراسة وعناصرها :

١ . مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في انتقال المنظّمات في ظل الاقتصاد المبني على المعرفة من الاهتمام في الأصول الملموسة إلى الأصول غير الملموسة من خلال جذب، واستقطاب، واختيار وتعيين العاملين وتدريبهم للتقليل من شدة المنافسة، وزيادة إرضاء الزبائن، ويُعدُّ الاهتمام بدور رأس المال الفكري، النواة في التغلب على هذه التحديات والإشكاليات وتحقيق البقاء والتميز.

كما أن قلق الإدارة والمديرين في القطاع الخاص بكيفية تحسين وتطوير أداء المؤسسة في ظل اشتداد المنافسة والوعي العالي للزبائن وانتقال متطلباتهم من الحاجة إلى التفضيل، كل ذلك أثر على الحصة السوقية. لذا فإن الغرض من الدراسة الحالية هو قياس تأثير رأس المال الفكري بأبعاده (البشري، الهيكلي، العلاقات) على الأداء البنكي من وجهة نظر مدراء البنوك التجارية في الأردن؟

٢ - عناصر مشكلة الدراسة :

يمكن تحقيق غرض الدراسة عن طريق الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- (Karp, 2003)

2- Reed, 2000

3- (Choo & Bontis, 2002)

- هل يوجد تأثير لرأس المال البشري على الأداء (البَنكي) من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟
- هل يوجد تأثير لرأس المال الهيكلية على الأداء (البنكي) من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟
- هل يوجد تأثير لرأس مال العلاقات على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟

مصطلحات الدراسة :

- **رأس المال الفكري (Intellectual Capital (IC):** مجموع، القوة العقلية التي تمتلكها نخبة متميزة من العاملين في المؤسسة، والممارسات التنظيمية التي تمكن المؤسسة من تحويل الأفكار المتميزة إلى تطبيقات عملية، والإجراءات المنطقية المتعلقة برضا الزبائن والمحافظة عليهم والتي تساهم في تحسين فاعلية العمليات الداخلية للمؤسسة⁽¹⁾، ويقاس وفق المتغيرات الفرعية الآتية:
- **رأس المال البشري (Human Capital (HC):** قوة عقلية مصادرها (الخبرة، المهارة، والمعنويات) التي يمتلكها نخبة من العاملين في المؤسسة والتي تعكس إمكاناتهم المتميزة في تطوير أدائها والغرض الأساسي هو الابتكار سواء في صورة منتجات أو خدمات أو تطوير الأداء المؤسسي⁽²⁾.
- **رأس المال الهيكلية (Structural Capital (SC):** مجموعة القواعد والممارسات التنظيمية المتعلقة بالملكية الفكرية والإبداع، العلامة التجارية، ومقاييس السيطرة النوعية وأنظمة المعلومات التي تمكن المؤسسة من تحويل الأفكار والإمكانات المتميزة لرأس مالها البشري إلى تطبيقات عملية تزيد من مساحة فرصها السوقية وقوتها في مواجهة المنافسة⁽³⁾.
- **رأس المال العلاقات (Relational Capital (RC):** مجموعة الإجراءات المنطقية التي تترجم خطوات تحقيق رضا الزبون، ولاء الزبون، وتمكين الزبون بما يساهم في

1- (Karp, 2003)

2- (Seleim & Ashour, 2007,p790)

3- (Bontis, 2002a, p 632)

زيادة الحصّة السوقية للمؤسسة وتمسك الزبائن بها^(١).

• **تطوير الاداء البنكي**: هو المنظومة المتكاملة لنتاج أعمال المؤسسة في ضوء تفاعلها مع عناصر بيئتها الداخلية والخارجية في إطار السياسات العامة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمؤسسة^(٢).

• **مؤسسات القطاع الخاص الأردنية**: المؤسسات التي يكون تمويلها وادارتها من قبل القطاع الخاص وليس الحكومي.

أهمية الدراسة :

ستسعى الدراسة الحالية بشكل أساسي لقياس تأثير رأس المال الفكري على الأداء لدى مديري البنوك التجارية في الأردن، وتكمن الأهمية في:

- تقديم إطار نظري يضاف للأدب الإداري فيما يتعلق بالمفاهيم الأساسية لرأس المال الفكري بأبعاده المختلفة في منظمات الأعمال، ومحاكاة الأطروحات الفكرية واستخلاص النتائج، مما قد يوفر قاعدة علمية سليمة يمكن الاعتماد عليها في معرفة ما توصل إليه العلماء في مجال هذه الدراسة.

توضيح تأثير رأس المال الفكري بأبعاده المختلفة (البشري، الهيكلي، والعلاقات) على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن.

- محاولة الوصول لمجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن للإدارات العليا في البنوك التجارية الأردنية أخذها بعين الاعتبار للاستثمار في رأس المال الفكري، بهدف تعزيز أدائها المؤسسي وتطويره.

حدود الدراسة :

ستتلخص حدود الدراسة بما يلي:

- الحدود المكانية، ستقتصر الدراسة على البنوك التجارية الأردنية.
- الحدود البشرية، ستعتمد استجابة عينة من المديرين بمستويات (مدير، مساعد مدير، مدير دائرة، قائد مجموعة، رئيس قسم) في البنوك التجارية الأردنية.
- الحدود الزمنية لهذه الدراسة فإنها ستكون خلال العام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣.

1- (Kaplan& Norton, 1996)

2- (Huang & Hsueh,2007)

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

تضمن هذا الفصل عرضاً للأدب النظري والدراسات السابقة:

أولاً: الأدب النظري:

تعيش بيئة منظمات الأعمال تحديات متعددة متمثلة في شدة المنافسة وسرعة التغيير، كما أنَّ التحوُّل المستمر في بيئة الأعمال الحديثة بسبب استخدام الإنترنت وشبكات الأعمال والحاسبات وتكنولوجيا المعلومات، أدَّى بشكلٍ ملحوظٍ إلى زيادة الطلب على العمالة المؤهلة معرفياً من ذوات الخبرة المتقدمة، والمهارة المتميزة في أداء المهمات وتحقيق التَّميِّزِ وأصبح التحدي الرئيس أمام منظمات الأعمال هو مَدَى قُدْرَتِهَا على تنمية رصيدها من الأفراد المستثمرين من الناحية واستقطاب دماء جديدة متميزة من ناحية أخرى لمواجهة ما فرضته الألفية الثالثة من تحديات في غاية الحداثة، منها على سبيل الذِّكْر لا الحصر (التركيز على فرق العمل، التوجه نحو الزبون وسرعة الاستجابة له، الاهتمام برأس المال الفكري وعمليات المنظمة الداخلية والتركيز على إدارة المعرفة، وزيادة مساحة التمكين والمبادرة والاستقلالية والإبداع)^(١).

ومع الأحداث والتطورات الكبيرة التي رافقت البشرية منذ نشأتها وما صاحبها من التحول والتطور الكبير في المفاهيم والمعتقدات وظهور تكنولوجيا المعلومات وانتشار المعلومات والمعرفة، وإدارتها وازدياد الاعتماد على العنصر البشري الذكي والمبدع في اقتصاد أطلق عليه اقتصاد المعرفة، فقد ظهر عنصر جديد ليدخل في تشكيل البنية الأساسية لرأس المال التقليدي، وهو رأس المال الفكري.

ونظراً لضرورة المعرفة لمنظمات الأعمال برزت الحاجة المتزايدة في الحصول عليها وتمييزها وتطويرها واستثمارها بما يحقق فاعلية عمليات المنظمات، فأصبح رأس المال الفكري (Intellectual Capital) بِمَثَابَةٍ مِيَزَةٌ تنافسية تسعى إليه المنظمات وتتنافس على اقتنائه والحصول عليه.

ويمكن القول، أنه طالما كان هناك تحوُّلٌ متسارعٌ نحو اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة، فإن قوَّة التغيير الصاعدة في المنظمات هي باتجاه رأس المال الفكري وتكوينه واستثماره وإدارته، وطالما أنَّ العلاقات والإمكانيات الفكرية غير المستغلة في المنظمات ما زالت كثيرة، فعلى المنظمات الآن أن تتعلم كيف تُدير هذه الأصول وتتميتها للوصول بها إلى استخدام طاقتها

١- (الدوري وصالح، ٢٠٠٩: ٥)

الفكرية والإبداعية القسوى، وذلك من خلال تكوين محفظة لإدارة الأصول الفكرية، وإدارة رأس المال الفكري بشكل أكثر فاعلية باعتباره المصدر الحيوي الأهم لميزتها الإستراتيجية^(١).

ويمكن القول إن رأس المال الفكري يُعنى بسير الأعمال في المنظمة، بالإضافة إلى منظماتها من حيث الملكية الفكرية والعمليات الفكرية، ومواردها البشرية من حيث الإدارة والموظفين، وعلاقاتهم التي تتضمن العلامة التجارية^(٢)، وانه جمع بين كل من أسهم وتدفعات المعرفة التنظيمية في المنظمة^(٣)، كما يتألف رأس المال الفكري من أنواع متعددة ذات علاقة بالموظفين والروتين التنظيمي والملكية الفكرية والعلاقات مع العملاء والممولين والموزعين والشركاء^(٤).

لذلك يشكل رأس المال الفكري استراتيجية النجاح في المستقبل والذي أصبح ينظر إليه كمثل لقوة وقدرة المنظمة على النجاح والمنافسة وتحقيق الأهداف الاستراتيجية المرسومة والتي تسعى إدارة المعرفة لتحقيقها، فمديري الألفية الثالثة مطالبين بمزيد من الفهم لرأس المال الفكري ومكوناته، و تنمية ممارسات إدارية تدعم «حصد المعرفة». ويقابل هؤلاء المديرين تحديان مهمان، هما: أولاً: تنمية السلوكات التي تُقدّر قيمة رأس المال الفكري، ثم تديره بعد ذلك على أنه أهم أصولها في الوقت الحاضر والمستقبل، وثانياً: تنمية برامج إدارية تركز على رأس المال الفكري وتنميته واستثماره والمحافظة عليه^(٥).

- التطور التاريخي للاهتمام برأس المال الفكري؛

نشأ رأس المال الفكري من مبحث المحاسبة في محاولة لإيجاد مقياس شامل للأداء المنظمي، إذ يؤكد العمري^(٦) بأن المحاسبين والاقتصاديين قد أشاروا إليه كأصول غير ملموسة، وأول من استخدم هذا المصطلح هو (Harold G. Avery) في مقال بعنوان (Accounting For Intangibles) عام ١٩٤٢.

في عام ١٩٤٥ قدم فردريك هايك (Fredriak Hayek) بحثاً حول استخدام المعرفة في المجتمع، في حين أشار (بين روس) إلى أن الخدمات المتاحة في موارد المنظمة تتحدد بمخزون المعرفة لدى المنظمة وأن معرفة المنظمة تتحدد في نموها، وفي عام ١٩٦٢ قدم (ماشلوب)

1- (Hsu, 2006)

2- (Karp, 2003)

3- Reed, 2000

4- (Choo & Bontis, 2002)

5- (Choong, 2008)

(Mashlop) بحثاً بعنوان المعرفة: خلقها وتوزيعها ودلالاتها الاقتصادية.

تعود بدايات الاهتمام برأس المال الفكري إلى أعمال هيرويري أتاني (Hiroyuri Itanni) الذي درس أثر الموجودات غير الحسية على إدارة الشركات اليابانية في عام ١٩٨٠، وتلاه في ذلك مجموعة من الاقتصاديين الذين عملوا للتوصل إلى نظرية حول تجارة التكنولوجيا ثم جاء (Sveiby) الذي وضع منشوراً باللغة السويدية تناول فيه رأس المال البشري كبُعدٍ لرأس المال الفكري. وفي الفترة ما بين أعوام (١٩٥٩-١٩٩٧) طورت مجموعة متباينة من الباحثين الأكاديميين والاقتصاديين وجهة نظر جديدة ركزت على كفاءة المصادر وفعاليتها بدلاً من التركيز على القوى التنافسية، وبعد ذلك ظهر ما يسمى برأس المال الفكري^(١).

أما في عام (١٩٩١) فقد نظمت شركة سكانديا السويدية للتأمين (Skandia) أول مهمة تعاونية لرأس المال الفكري، حيث قامت المنظمة في عام (١٩٩٣) بدراسة مفهوم رأس المال الفكري وأعلنت أول تقريرٍ داخلي متعلق برأس المال الفكري، وفي نفس العام أنشأ (وانغ) (Wang) مفهوم رأس مال العملاء. وقد اجتمعت شركات الاتصال الخاصة برأس المال الفكري لأول مرة في عام (١٩٩٤)، وقامت شركة سكانديا السويدية للتأمين (Skandia) بتطوير نموذج لها تُقسّم به رأس المال الفكري بأبعاده: رأس المال لبشري ورأس المال الهيكلي^(٢).

وفي عام (١٩٩٥) عقد الاجتماع الثاني لمجموعات رأس المال الفكري عُرض فيه أول تقرير عام لرأس المال الفكري، ومحاولة كل من كابلان ونورتون (Kaplan and Norton) توسيع عملهما حول بطاقات الأداء المتوازن^(٣)، كما تم إدخال نظام حساب القيم المعرفية من قبل (هوسيل وكانافاسكي وروس) (Hosuil; Kanafiski & Ross). وفي نفس العام اقترح كل من كابلان ونورتون^(٤) نظام بطاقات الأداء المتوازن (BSC) Balanced Scorecard System حيث يقيس هذا النظام الأداء من خلال التركيز على قياس المتغيرات والعناصر المالية وغير المالية للمنظمة Financial and Non Financial Indicators.

وفي عام (١٩٩٦) عقدت سبعة مؤتمرات دولية في هذا الموضوع بهدف قياس الأصول الفكرية، كما كتب سكانديا حول إنشاء أول مركز لرأس المال الفكري، بينما ركز ليف (Lev) على إيجاد

1- (Sullivan,1998)

2- (Skandia,1994)

3- (Kaplan & Norton,1995)

4- (Kaplan & Norton, 1995)

البحوث المتعلقة برأس المال الفكري، وعمل بونتس (Bontis) مع جامعة ماكماستر (McMaster University) في كندا للترتيب لعقد أول مؤتمر كبير لرأس المال الفكري، وفي العام نفسه أصدر نموذج ومقياس رأس المال الفكري أشار فيه إلى إن أهم ما يجب أن يتحلى به موظفو المنظمة من خصائص هي الثقة والثقافة في التعامل مع العلاقات.

وفي عام (١٩٩٧) صدّرت العديد من الكتب تحت عنوان « رأس المال الفكري»^(١).

وقد عمل سوليفان (Sullivan) صاحب كتاب (Profiting From IC) عام (١٩٩٨) على طرح نموذج لقياس رأس المال الفكري حيث أشار إلى أن رأس المال الفكري يتناول أصول الأعمال التكميلية (الأصول الفكرية، ورأس المال البشري) ورأس المال الهيكلي (التصنيع، التوزيع، المبيعات) للمنظمة.

وفي عام (١٩٩٩) قامت معاهد الاتحاد الأوروبي باختبار مشروع خاص برأس المال الفكري، أما في عام (٢٠٠٠) فقد أصدرت حكومة الدانمارك أول دليل خاص بحاسبة رأس المال الفكري، كما قام سكانديا بمبادرة رؤية رأس المال الفكري ومجتمع رأس المال الفكري دوت كوم. ومن ثمّ قام هال وآخرون (Hall, Jaffe & Trajtenberg) في عام ٢٠٠١ بإنشاء شركة مختصة بإجراء البحوث حول القيم البشرية والتي تعد أحد أهم مرتكزات رأس المال الفكري، وكتب إدفينسون عن أول من اختص بدراسة رأس المال الفكري بدرجة البروفيسور في جامعة لندن^(٢).

وفي عام ٢٠٠٢ أنشئت أول منظمة تايوانية خاصة برأس المال الفكري تحت اسم « مركز بحوث رأس المال الفكري التايواني». ووضع بابلوس Paplus عام ٢٠٠٣ تعريفاً واسعاً لرأس المال الفكري ينص على أنه الفرق بين القيمة السوقية للشركة والقيمة الدفترية لها، بينما بين راستوغي^(٣) أنه يمكن النظر إلى رأس المال الفكري على أنه قدرة المنظمة على تنسيق مصادر المعرفة فيها، والانسجام معها وتطويرها بهدف إنشاء قيمة تتناسب مع نظرتها المستقبلية.

أما في عام ٢٠٠٤ فقد أشار موريتزين ولارسن (Mouritsen, & Larsen) إلى قدرة رأس المال الفكري على إدارة «الأشياء» كالموظفين، والعلماء، وتكنولوجيا المعلومات، والأعمال الإدارية والمعرفية، (إنّ رأس المال الفكري لا يمكنه العمل لوحده).

1- (Roos, Roos, Dragonetti & Edvinsson)

2- Edvinsson & Malone, 2001

3- ((Rastogi,2003

بينما أشار (أنجاز) Ahangar عام ٢٠١١ إلى وجود علاقة بين أداء رأس المال الهيكلية في المنظمة وكل من الربحية وإنتاجية الموظفين والنمو في المبيعات، كما بيّنت النتائج أن من شأن أداء رأس المال الفكري القدرة على تفسير كل من الربحية والإنتاجية في المنظمة، بالإضافة إلى التأكيد على وجود علاقة بين كل من إدارة المعرفة ورأس المال الفكري^(١).

وفي الإجابة عن التساؤلات التي أوردها كل من (العنزي وصالح، ٢٠٠٩: ١٥٧) في تحديد بدايات ظهور رأس المال الفكري كبداية مباشرة أم إنَّ هناك حِقْبَةً زمنية سبقت ظهوره؟ فقد حددا ثلاث مراحل مهَّدت لظهور رأس المال الفكري وهي على النحو الآتي:

• المرحلة الأولى:

إضاءات البداية وتوجهات الاهتمام بالقابليات البشرية:

بناءً على ما قدمه الاقتصاديون والمحاسبون في الحِقْبَةِ السابقة والتي امتدت من القرن السابع عشر إلى نهاية سَبْعِينِيَّاتِ القرن العشرين من آراء أكدت على القابليات البشرية (فكرياً وجسدياً وأدائياً) والتي تكون مجتمعة في الشخص الواحد، بحيث يحدد الغرض الأساسي من هذا التأكيد هو تصنيف فئة الشخص إلى (ماهر، شبه ماهر، غير ماهر،... الخ) ومن ثم تحديد مستوى الأجر الذي يستحقه في ضوء هذا التصنيف، حيث خرج كل من العنزي وصالح (٢٠٠٩: ١٥٩) إلى نَقْطَةٍ مفادها أن رأس المال البشري يمثِّل نَقْطَةَ الارتكازِ الأساسِ والمؤشر المنطقي لدراسة موضوع رأس المال الفكري، فضلاً عن ذلك ما توصل إليه العنزي (٢٠٠١) في كَوْنِ رأسِ المالِ الفكري يمثِّل حالةً خاصة من رأسِ المالِ البشري، بدليل أنه يتكون إما نتيجة للتعليم الرسمي أو معلومات مستقاة من التدريب.

• المرحلة الثانية:

تلميحات المفهوم وتوجهات الاهتمام بالقابلية الذهنية.

اشتملت هذه المرحلة التي امتدت من الثمانينيات حتى بداية التسعينيات على آراء ومقترحات بعض المهتمين بموضوع رأس المال الفكري أمثال (Sveiby, 1997; 1997; 1994; Sullivan, 1998; Hiroyuki, 1980) والتي ركزت آراؤهم على أهمية ودور الموجودات غير الملموسة (الذهنية) الموجودة عند بعض أفراد المنظمة في تحقيق بقاء المنظمات ونموها وزيادة عوائدها، حيث إنَّ العاملون يمتلكون الكثير ليفعلوه لتحقيق الربحية أو النجاح للشركة.

1- (Olariu, 2011)

• المرحلة الثالثة :

تكثيفات الجهود البحثية وولادة النظرية :

اشتملت هذه المرحلة على جهود بعض الباحثين والمهتمين بموضوع رأس المال الفكري أمثال Edvisson, Retrash, Sullivan، وتأسيساً على جهود الباحثين والمهتمين أنفي الذِّكْر فقد ركزت جهودهم بالدرجة الأساسية على إيجاد نظرية لرأس المال الفكري لتكون بمثابة مؤشرٍ حُكْمٍ وتقويمٍ لقيمة موجودات المنظمة غير الملموسة والتي تتجاوز قيمة الموجودات الملموسة. وخالصةً لكلِّ هذا نلاحظ أنَّ رأس المال الفكري قد تطوَّرَ كمفهوم وممارسة عبر حِقَبٍ زمنية امتدت من أربعينيات القرن العشرين إلى العقد الأول وبداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

مفهوم رأس المال الفكري

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع إلا أنَّ آراء المختصين والباحثين تعددت وتباينت حول مفهوم رأس المال الفكري، باعتباره أحدَ المفاهيم الجديدة والحديثة، والتي ظهرت مع ظهور اقتصاد المعرفة وإدارتها، وبسبب اختلاف طبيعة المسائل والمشاكل والمستويات التي تطرقوا إليها أثناء عملية التحليل لمفهوم رأس المال الفكري ولذلك فقد تمَّ النظر إلى رأس المال الفكري من حيث رأس المال الفكري للفرد، ورأس المال الفكري للمؤسسة. ويؤكد⁽¹⁾ عدم وجود تعريفٍ محددٍ له، بالإضافة إلى عدم وجود أصولٍ معينة يجب تضمينها في كل تعريف، وبالتالي يمتلك مفهوم رأس المال الفكري تعريفات متعددة ومختلفة تعكس تعريفاتهم للمفهوم من منظورهم الفردي للموضوع وطبيعة المشاكل الخاصة التي تعاملوا معها، فجاء كلُّ تعريفٍ ليتناسب واحتياجات مجموعة تهتم بحل مشاكل ذات طبيعة معينة. ولكن يمكن الوصول إلى تعريف محدد وشامل لرأس المال الفكري عند الأخذ بعين الاعتبار ثلاثة أبعاد، هي: وجهة النظر التي يمكن من خلالها مناقشة مفهوم رأس المال الفكري، الدور الذي يملكه في المناقشة، والمُكوِّنات التي تتضمَّنُها. واعتبار هذه التصنيفات والفئات الفرعية نقطةً بدايةً للحصول على تعريفات أكثر دقة. فقد عرَّفَه⁽²⁾ بأنه قدرة متفردة تتفوق بها المنظمات والشركات بمختلف مجالاتها على منافسيها، ويتحقق ذلك من خلال تكامل مهارات مختلفة للشركات والمنظمات تسهم في زيادة القيمة المقدمة لجميع المستثمرين وهي مصدرٌ من مصادر الميزة التنافسية.

1- (Marr & Moustaghfir, 2005)

2- (Prahalad & Hamel, 1994)

ويقدم^(١) مثلاً مجازياً لمفهوم وأهمية رأس المال الفكري حيث تخيل الكاتبان المنظمة كائناً حياً شَبَّهاها بشجرة حيث يمكن النظر إلى خطط المنظمة وتقاريرها الفصلية والسنوية ونَشْرَاتِها على أنها جَدْعُ هذه الشجرة لذلك فإن المستثمر الحكيم وذو الخلفية التعليمية العالية ينظر إلى قُدْرَةِ الشجرة لتزويده بالثمار الناضجة.

والجدير بالذكر أنه في جميع هذه التعريفات تعتبر المعرفة مركزاً رئيسياً في المنظمة وجزءاً من رأس المال الفكري للمنظمة. في حين ركزت تعريفات أخرى لرأس المال الفكري في التسعينيات على طبيعة رأس المال الفكري، والقيم الموجودة وراء سلوك الأفراد، والتي ساهمت في سياقات أخرى في تغيير لغة المنظمة. ويمكن القول أن المرحلة الأولى من تطبيق رأس المال الفكري قد ركزت على تعريف رأس المال الفكري، ووصفه، وقياسه^(٢).

وفي عام ١٩٩٩ قدّمت منظمة التعاون والتطوير الاقتصادية والتنمية (OECD) تعريفاً لرأس المال الفكري بأنه القيمة الاقتصادية لفتنّين من الأصول غير الملموسة للمنظمة هما: رأس المال الهيكلية، ورأس المال البشري.

أما^(٣) فقد عرف رأس المال الفكري بأنه الفرق بين القيمة السوقية - كما تعبر عنها قيمة الأسهم في السوق - والقيمة الدفترية لأصول المنظمة.

وبهدف توضيح مفهوم رأس المال الفكري، وضع^(٤) مجموعة من التعريفات من وجهات نظر مختلفة ومتعلقة بحقول علمية متنوعة، فعرف رأس المال الفكري من منظور عام بأنه يتمثل بالمعرفة التي يمكن أن تتحوّل إلى قيمة أو فائدة، فهي القيمة المخبأة ضمن الأفكار المخبأة لدى الأشخاص، والعمليات، والزيائن، وحاملي الأسهم.

ويعرف^(٥) رأس المال الفكري بأنه رأس المال الحقيقي الذي تملكه المنظمات.

أهمية رأس المال الفكري

يعتبر موضوع رأس المال الفكري أحد الموضوعات الرئيسية للموارد البشرية الذي يركّز على فئة معينة من الأشخاص العاملين الذين يمتلكون معارف ومهارات خاصة، ويمثل اليوم

1- (Edvinsson & Malone, 1998 ,P21)

2- (Ross, 1998)

3- (Heising, Vorbeck, 2001)

4- (P7 Chatzkel, 2002,)

5- (Han. & Han ,2004)

موضوعاً حياً بالنسبة للباحثين والممارسين على حدٍ سواء . لقد أكد^(١) على أهمية استثمار رأس المال الفكري بقوله «إنَّ رأس المال الفكري غير المستثمرِ عمليةٌ يمكن تشبيهها بالذَّهَبِ غير المستخرج» هذا الوصف لهذه الفئة تجعل من اليسير التأكيد على الفوائد التي يمكن أن تجنيها أيُّ منظمّةٌ أو مجتمع من خلال الاهتمام برأس المال الفكري، ودعم العنزي (٢٠٠١: ١١٧) بأنَّ رأس المال الفكري كَنْزٌ مدفون يحتاج إلى من يبحث عنه واستخراجه للوجود والممارسة.

ويرى^(٢) بأنَّ أهميّةَ رأس المال الفكري تكمنُ في قدرته على تحقيق فارق كبير بين القيمة السوقية للشركات وقيمتها الدفترية.

كما تناول^(٣) أهميّةَ رأس المال الفكري من منظور المنافع التي يحققها لمختلف الأطراف ذات العلاقة، وتذكّرُ هذه المنافع فيما يلي:

- بالنسبة للشركة: يساعدُ في تحديد الهوية وتحديد إستراتيجية التطوير انطلاقاً من تحليل البيئة - الداخلية والخارجية-.

- بالنسبة للموارد البشرية المتوقع التحاقهم بالمنظمة: يُعطي مؤشراً على كيفية استخدام موارد المنظمة وكيف يمكن تطوير هذه الموارد.

- بالنسبة للعملاء: يُعطي مؤشراً للقيمة التي سيحصلون عليها في المستقبل أو من خلال التعامل مع المنظمة.

- بالنسبة للشركاء المتعاونين - أو بالتحالف-: قوّة رأس المال الفكري تُمكننا من الحصول على تحالف مع شركاء ذوي قوّة عالية.

- بالنسبة للمستثمرين: يمثّل دليلاً على قدرة المنظمة على خدمة المنافسة المستقبلية وتحقيق عائد متميز (تعظيم عائد السهم).

- بالنسبة للمواطنين (الجمهور العام): يُعطي الثّقّةَ في أنّهم سيحصلون على أعلى المستويات المُمكنة في أداء الخدمات العامة.

- بالنسبة للنظام السياسي: يفيد في تقييم جدارات المنظمات وجوّدتها ومدى قدرة المنظمات على الانطلاق وتحقيق معدّلات تنمية ورفاهية مجتمعية متنامية.

أشارت معظم التعريفات السابقة المتعلقة برأس المال الفكري على أنه المصدر الأهم

1- (Suciu & et al,2011)

2- (Bose & Thomas,2007)

3- (Mouritsen & Larsen, 2004)

للميزة التنافسية للشركة. وأحدى المصادر الأساسية للربحية. والتي تساهم بشكل فعّال في تطوير وتنمية الموقف التنافسي. حيث إن رأس المال الفكري هو العامل الرئيسي في تحقيق القيمة المضافة ويعزز فاعلية وكفاءة الأنماط التنظيمية وإن مكونات رأس المال الفكري هي الأساس لأي ميزة تنافسية.

الدراسات السابقة :

تمّ تصنيف الدراسات السابقة إلى دراسات عربية ودراسات أجنبية:

- دراسات باللغة العربية

١- دراسة (الحواجرة) (٢٠١٠) بعنوان « دراسة ارتباط استراتيجيات استثمار رأس المال المعرفي بالأداء التنافسي للمؤسسات». هدفت هذه الدراسة إلى تحليل علاقة ارتباط استراتيجيات الاستثمار في رأس المال المعرفي (استراتيجية تنمية التعلم المعرفي، ومأسسة المعرفة، تكامل المعرفة وتوظيفها) بالأداء لدى شركات التأمين الأردنية، ولتحقيق أهداف الدراسة تمّ توزيع استبانة بحثية وزعت على عينة بلغت (٢١٣) مفردة، وتم استرجاع (١٨٥) استبانة. وخلصت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين استراتيجيات الاستثمار في رأس المال المعرفي والأداء التنافسي للشركات المبحوثة، كما أشارت الدراسة لوجود علاقة ترابطية بين مؤسسة المعرفة والأداء التنافسي ضمن عدد من المجالات مثل اعتماد آليات توثيق وتسجيل المعرفة وتصنيفها مما يدل على أن هذه الشركات تولي اهتماماً كبيراً لرأس المال المعرفي وترسخ مخزونها المعرفي، وتضعه موضع التنفيذ السليم بما يعزز قدرتها الإدارية.

٢- دراسة العمري (٢٠٠٨) بعنوان « أثر آليات وتكنولوجيات إدارة المعرفة في تطوير رأس المال الفكري في الشركات الصناعية الأردنية». هدفت الدراسة إلى تحديد أثر آليات وتكنولوجيات إدارة المعرفة في تطوير رأس المال الفكري في الشركات الصناعية الأردنية، شمل مجتمع الدراسة جميع الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية، والبالغ عددها (٦٤) شركة، بحيث تكونت العينة من (٥٨) شخصاً من كل شركة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: محدودية أقسام تكنولوجيا المعلومات ومحدودية الاهتمام بإدارة المعرفة ورأس المال الفكري. وكانت المعايير أكثر إسهاماً في إثراء رأس المال الفكري والهيكلية والعلاقات، في حين كان التدريب في موقع العمل أكثر مساهمة في إثراء رأس المال البشري. في حين أن قواعد البيانات التكنولوجية كانت أكثر إسهاماً في إثراء رأس المال الفكري والبشري والهيكلية، كما كان الانترنت

أكثر التكنولوجيا إسهاماً» في إثراء رأس مال العلاقات.

دراسات باللغة الانجليزية:

١- دراسة Ahangar، (٢٠١١) بعنوان: «The relationship between intellectual capital and financial performance: An empirical investigation in an Iranian company». هدفت الدراسة إلى اختبار العلاقة بين رأس المال الفكري والأداء المالي باعتبار أن عدداً قليلاً من الدراسات فقط اهتمت بتحليل العلاقة بين مكونات رأس المال الفكري وهي (رأس المال الهيكلي ورأس المال البشري) والنجاح التنظيمي في الشركة، وقد أُجريت الدراسة في إيران على إحدى الشركات فيها، ولغايات الدراسة فقد تم استخدام نموذج معامل القيمة الفكرية المضافة لقياس القيمة المعتمدة على أداء الشركة، بالإضافة إلى استخدام مقاييس الأداء التعاوني، والربحية، وإنتاجية الموظفين، ونمو المبيعات، كما تم تحليل أثر رأس المال الفكري والمتمضمن (رأس المال الهيكلي والبشري) على الأداء التعاوني باستخدام معايير الانحدار المتعددة. وقد أشارت نتائج التحليل التجريبي إلى وجود علاقة بين أداء رأس المال الهيكلي في الشركة وكل من الربحية وإنتاجية الموظفين والنمو في المبيعات، كما بينت النتائج أن إدارة رأس المال الفكري تُقدّم تفسيراً لكل من الربحية والإنتاجية في الشركة.

٢- دراسة Hu, et. l (٢٠٠٩) بعنوان: «Research on the relationship between intellectual capital and listed companies performance of China» هدفت الدراسة إلى اختبار العلاقة بين رأس المال الفكري بأبعاده (البشري، والهيكلية، والعلاقات) وأداء الشركات في الصين، بالإضافة إلى الكشف عن أثر رأس المال الفكري على أداء الشركات في الصين. وقد أُجريت الدراسة من خلال جمع البيانات المتعلقة بمئة شركة صينية في الصين (٥٠ شركة تكنولوجيا مرتفعة، و٥٠ شركة أخرى). بهدف الكشف عن تأثير رأس المال الفكري بأبعاده (البشري، الهيكلي، العلاقات) على أداء الشركات من حيث الإنجاز والجودة في العمل وتنمية الموارد البشرية. وأشارت النتائج إلى وجود علاقة إيجابية بين رأس المال الفكري والأداء وعناصر مكونات رأس المال الفكري، كما أشارت إلى أن رأس مال العلاقات يملك التأثير الأكبر، فيما تعتبر أهمية رأس المال الهيكلي متوسطة، ولا يوجد أي أثر مميز لرأس المال البشري.

الفصل الثالث

منهجية البحث

• منهجية الدراسة :

قامت هذه الدراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي: من خلال استعراض أهم الأدبيات ذات العلاقة في الجوانب التي هدفت الدراسة إلى إبرازها، مع إجراء بعض التحليل والمقارنات كلما أمكن ذلك لتغطية الجانب النظري من الدراسة.

• مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من الإداريين في البنوك التجارية في المملكة الأردنية الهاشمية.

• عينة الدراسة :

سوف يتم اختيار عينة عشوائية ممثلة من المديرين بمستويات (مدير، مساعد مدير، مدير دائرة، قائد مجموعة، رئيس قسم) للبنوك التجارية، وبلغ عدد افراد عينة الدراسة ٥٠ فرداً.

• أدوات الدراسة :

لتحقيق الغرض من الدراسة الحالية والهادفة إلى قياس تأثير رأس المال الفكري على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن، فإن الباحثة اعتمدت على إعداد استبانة لجمع البيانات لتحقيق أهداف الدراسة.

• معالجة البيانات الإحصائية وتحليل النتائج :

تم استخدام (SPSS) التحليل للبيانات التي سوف يتم جمعها من مجتمع الدراسة، كما سوف يتم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة. وسوف يتم استخراج معامل الانحدار، كما سوف يتم إجراء أي تحليل يناسب بيانات الدراسة.

الفصل الرابع

تحليل النتائج

تضمن هذا الفصل عرضاً لتحليل النتائج التي خرجت بها الدراسة وهي كالآتي:

للإجابة عن السؤال الأول والذي ينص على « ما مستوى تأثير رأس المال الفكري بأبعاده مجتمعة على الأداء البنكي من وجهة نظر مدراء البنوك التجارية في الأردن؟ فقد تم إيجاد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والجدول (١) يبين تلك النتائج:

الجدول (١):

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى تأثير رأس المال البشري على الأداء

البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الانطباق
٢	تستفيد المؤسسة من ذاكرتها في بناء الحلول لمشكلات تعيق تطور أدائها	٣,٧٠	١,٢٦	١	مرتفعة
٣	تمتلك الشركة خبرات تمكنها من تحقيق تكامل في وظائفها المؤسسية	٣,٠٣	١,٠٥	٢	متوسطة
١	تمتلك المؤسسة رصيماً معرفياً يمكنها من الحصول على مقترحات جديدة تخدم أصحاب المصالح.	٢,٨٥	١,١٠	٣	متوسطة
٥	يتم توزيع الموارد البشرية داخل الشركة بناءً على أسس موضوعية تحقق الانسجام بين قيم العمل وقيم الموظفين.	٢,٤٦	١,١٧	٤	متوسطة
٤	تولي المؤسسة أهمية في تطوير المعرفة الفنية التخصصية أثناء العمل عند اختيار الموظفين	٢,٣٩	١,٠٦	٥	متوسطة
	الأداء ككل	٢,٨٩	٠,٤٥		متوسطة

يظهر من الجدول (١) أن المتوسطات الحسابية لفقرات الدراسة جاءت متوسطة ومرتفعة ضمن المجال الذي يقيس تأثير رأس المال البشري على الاداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟ لإجابات أفراد عينة الدراسة حيث جاء المتوسط الحسابي الكلي بدرجة انطباق متوسطة بلغت (٢,٨٩) وبانحراف معياري (٠,٤٥) حيث جاءت الفقرة رقم (٢) والتي تنص على: «تستفيد المؤسسة من ذاكرتها في بناء الحلول لمشكلات تعيق تطور أدائها» في المرتبة الاولى بمتوسط حسابي (٣,٧٠) بدرجة انطباق مرتفعة وجاءت الفقرة رقم (٣) والتي تنص على: «تمتلك الشركة خبرات تمكنها من تحقيق تكامل في وظائفها المؤسسية» بمتوسط حسابي (٣,٠٣) بدرجة انطباق متوسطة كما جاءت الفقرة رقم (٥) والتي تنص على: «يتم توزيع الموارد البشرية داخل الشركة بناءً على أسس موضوعية تحقق الانسجام بين قيم العمل وقيم الموظفين» في المرتبة قبل الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٤٦) بدرجة انطباق متوسطة وجاءت الفقرة رقم (٤) والتي تنص على: «تولي المؤسسة أهمية في تطوير المعرفة الفنية التخصصية أثناء العمل عند اختيار الموظفين» بمتوسط حسابي (٢,٣٩) بدرجة انطباق متوسطة.

- النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني والذي ينص على: «ما مستوى تأثير رأس المال الهيكلية على الاداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن.

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى تأثير رأس المال الهيكلي على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الانطباق
٨	تلتزم الشركة بقواعد المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية.	٣,٩٧	٠,٨٦	١	مرتفعة
٩	تحرص المؤسسة على تطبيق مبادئ التنمية المستدامة لأدائها المؤسسي	٣,٧٢	٠,٧٦	٢	مرتفعة
٧	تعتمد إدارة المؤسسة على حماية العلامة التجارية وترسيخها في أذهان الزبائن لتعزز ولائهم للمؤسسة.	٣,٢٦	١,٠٤	٣	متوسطة
١٠	تعتمد الشركة إجراءات مُحكَّمة في مجال تقييم نوعية خدماتها لتطوير أدائها المؤسسي.	٢,٨٥	٠,٦٤	٤	متوسطة
٦	تسعى المؤسسة إلى تطبيق الجزء الأكبر من أفكار الموظفين الابتكارية	٢,٠١	٠,٨١	٥	متوسطة
	الأداء ككل	٣,١٦	.٤٩		متوسطة

يُظهر من الجدول (٢) أنَّ المتوسطات الحسابية لفقرات الدراسة جاءت متوسطة ومرتفعة ضمن المجال الذي يقيس تأثير رأس المال الهيكلي على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن لإجابات أفراد عينة الدراسة حيث جاء المتوسط الحسابي الكلي بدرجة انطباق مرتفعة بلغت (٣, ١٦) وبانحراف معياري (٠, ٤٩) حيث جاءت الفقرة رقم (٨) والتي تنص على: «تلتزم الشركة بقواعد المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية» في المرتبة الاولى بمتوسط حسابي (٣, ٩٧) بدرجة انطباق متوسطة وجاءت الفقرة رقم (٩) والتي تنص على: «تحرص المؤسسة على تطبيق مبادئ التنمية المستدامة لأدائها المؤسسي» بمتوسط حسابي (٣, ٧٢) بدرجة انطباق متوسطة، كما جاءت الفقرة رقم (١٠) والتي تنص على: «تعتمد الشركة إجراءات مُحكَّمة في مجال تقييم نوعية خدماتها لتطوير أدائها المؤسسي». في المرتبة قبل الأخيرة بمتوسط حسابي (٢, ٨٥) بدرجة انطباق متوسطة وجاءت الفقرة رقم (٦) والتي تنص

على « تسعى المؤسسة على تطبيق الجزء الأكبر من أفكار الموظفين الابتكارية » بمتوسط حسابي (٢,٠١) بدرجة انطباق متوسطة.

• النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث والذي ينص « ما مستوى تأثير رأس مال العلاقات على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن:

الجدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى تأثير رأس مال العلاقات على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الانطباق
١١	يعتبر ولاء الزبون أحد معايير قياس الموجودات الفكرية.	٣,٤٤	٠,٦٨	١	مرتفعة
١٣	تحاول المؤسسة تقديم وصف دقيق لخدماتها لإرضاء الزبائن.	٢,٩٠	٠,٩٦	٢	متوسطة
١٢	تعمل إدارة المؤسسة على وضع برامج لزيارة الزبائن والتعرف على آرائهم.	٢,٦٨	٠,٤٥	٣	متوسطة
١٥	تدرب الشركة الموظفين على كيفية تلبية حاجات زبائنهم بشكل يرفع من مستوى أدائها المؤسسي..	٢,٤٥	٠,٨٤	٤	متوسطة
١٤	تعمل إدارة الشركة على تبادل المعلومات مع زبائنهم لفتح آفاق جديدة للتعاون	٢,٤١	٠,٧٧	٥	متوسطة
	الأداء ككل	٢,٧٨	٠,٧٨		متوسطة

يظهر من الجدول (٣) أن المتوسطات الحسابية لفقرات الدراسة جاءت متوسطة ومرتفعة ضمن المجال الذي يقيس تأثير رأس مال العلاقات على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن لإجابات أفراد عينة الدراسة حيث جاء المتوسط الحسابي الكلي بدرجة انطباق مرتفعة بلغت (٢,٠٦) وبانحراف معياري (٠,٤١) حيث جاءت الفقرة رقم (١١) والتي تنص على: «يُعتبر ولاء الزبون أحد معايير قياس الموجودات الفكرية» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٤٤) بدرجة انطباق مرتفعة وجاءت الفقرة رقم (١٣) والتي تنص على: «تحاول المؤسسة تقديم وصف دقيق لخدماتها لإرضاء الزبائن» بمتوسط حسابي (٢,٩٠) بدرجة انطباق متوسطة كما جاءت الفقرة رقم (١٥) والتي تنص على: «تدرب الشركة الموظفين

على كيفية تلبية حاجات زبائننا بشكل يرفع من مستوى أدائها المؤسسي « في المرتبة قبل الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٤٥) بدرجة انطباق .

الفصل الخامس

• مناقشة النتائج

تضمن هذا الفصل عرضاً لمناقشة نتائج أسئلة الدراسة وهي كالآتي:

مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول والذي ينص على: «ما مستوى تأثير رأس المال البشري على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟ وقد أظهرت نتائج الدراسة: «تستفيد المؤسسة من ذكورها في بناء الحلول لمشكلات تعيق تطورها أدائها» جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٧٠) وتعيد الباحثة هذه النتائج إلى أن رأس المال البشري يؤثر في تطوير الشركة من خلال تحسينها والمشاركة في حل أخطاءها ومشاكلها بناءً على الأخطاء السابقة التي مرت بها الشركة والوقوف على نقاط الضعف التي كانت تُضعف من أداء الشركة كما أن رأس المال البشري يتمثل بالأفراد الذين يمتلكون المهارات والخبرات ذات الصلة بتكوين الثروة لشركاتهم، بل هناك من اعتبره عنصراً غير ملموس يُعبر عنه دائماً بالمعرفة المتواجدة لدى المستخدمين في الشركة والقدرة الإبداعية لديهم والتي قد تفوق في قيمتها القيمة الحقيقية لموجودات الشركة المادية. «تولي المؤسسة أهمية في تطوير المعرفة الفنية التخصصية أثناء العمل عند اختيار الموظفين» بمتوسط حسابي (٢,٣٩) بدرجة انطباق متوسطة وتعيد الباحثة هذه النتائج إلى أنها لا تُعتبر من المهام الرئيسية لرأس المال البشري ولا يُوجد لهذه الأهمية تأثير كبير في دعم وتطوير المنظمة.

- مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: ما تأثير رأس المال الهيكلي على الأداء البنكي من وجهة نظر مديري البنوك التجارية في الأردن؟ وأظهرت النتائج حصول الفقرة: «تلتزم الشركة بقواعد المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية» على أعلى متوسط حسابي. وتعيد الباحثة النتائج إلى أن هذا الالتزام يُعتبر تمييزاً خاصاً بالمنظمة ويفرقها عن غيرها بحيث يزيد من ميزتها التنافسية. كما أظهرت نتائج الدراسة «حصول الفقرة: «تسعى المؤسسة إلى تطبيق الجزء الأكبر من أفكار الموظفين الابتكارية، أدنى متوسط حسابي وتعيد الباحثة هذه النتائج إلى عدم وجود الحاجة الجادة إلى تطوير أفضل الطرق بالنسبة لإدارة الاستثمار وذلك من حيث تطوير مهارات وخبرات العاملين.
- مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث وهو: «ما مستوى تأثير رأس مال العلاقات على الأداء البنكي من وجهة نظر مدراء البنوك التجارية في الأردن؟ وأظهرت نتائج الدراسة أن الفقرة رقم (١١) والتي تنص على: «يُعتبر ولاء الزبون أحد معايير قياس

الموجودات الفكرية» في المرتبة الأولى وتفسّر الباحثة هذه النتيجة بأنّ ولاء الزبون يعتبر نماذج تزوّد الشركات بأدوات قياسية قادرة على القياس الدقيق لأداء المنظمة وقيمتها. كما أظهرت نتائج الدراسة حصول الفِقرَة: «تعمل إدارة الشركة على تبادل المعلومات مع زبائنها لفتح آفاق جديدة للتعاون» على أدنى متوسط حسابي. وتعيد الباحثة هذه النتائج إلى عدم توضيح العلاقة ما بين المعرفة والخبرات المتواجدة لدى الزبائن وبين الأهداف الاستراتيجية للشركة وكيف تسهم المعرفة في نجاح الشركة ومقارنة أدائها مع أداء الشركات الأخرى.

التوصيات:

- ضرورة فهم وإدراك أهمية رأس المال الفكري من قبل إدارات البنوك التجارية لما يمثله من قيمة خاصة للشركات ترفع من كفاءتها على المستوى المحلي والعالمي .
- ضرورة بناء قاعدة فكرية متينة في أي شركة صناعية للرفع من قيمة وكفاءة البنوك التجارية وذلك من خلال اتباع الخطوات التالية :
- وضع معايير عالية لأداء العاملين في الشركة والعمل على تطويرها من خلال مقارنة الوضع الحالي للشركة مع الهدف الذي تسعى للوصول اليه.
- القيام بتطوير كفاءات وقدرات العاملين من خلال تكليفهم بمهام جديدة تتسم بالصعوبة.
- استقطاب أعضاء لمجالس إدارات البنوك التجارية ممن يمتلكون مواهب فكرية متنوعة

د. عمران ابراهيم عايد درابسه
مُشرفٌ تربية لمادة الفيزياء في وزارة التربية والتعليم الأردنية

درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي في الأردن

مُلخص الدراسة :

هدفت الدراسة إلى تحديد درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر ، ومعرفة وجود فروق في درجة الإتقان تعزى لمتغير الخبرة في التدريس، حيث أتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم بطاقة ملاحظة مكونة من (٣٤) مهارة موزعة على خمس مجالات. وتم تطبيق الدراسة على عينة مكونة من (٤٥) معلماً ومعلمة أُختيرت بالطريقة القصدية من معلمي الفيزياء للصف العاشر في مديرية التربية والتعليم للواء الرمثا/الأردن .

وأُسفرت نتائج الدراسة عما يلي:

- إنَّ درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر ضعيف، وكانت درجة إتقانهم للمهارات المرتبطة بتوليد التيار والقوة الدافعة الحثية ضعيف جداً، بينما كانت درجة إتقانهم أفضل في المهارات المرتبطة بمعرفة الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي.

- عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى ($\alpha = 0,05$) في درجة إتقانه معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تعزى إلى متغير الخبرة في التدريس.

وفي ضوء نتائج الدراسة أوصى الباحث بضرورة تدريب معلمي الفيزياء على المهارات المخبرية للصف العاشر ، وأن يترافق ذلك مع تدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات التدريس الحديثة، التي تدعم تفعيل مختبرات العلوم في العملية التعليمية التعليمية.

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

المبحث الأول: مدخل الدراسة

المقدمة

إنّ المتأمل لواقع تدريس الفيزياء في المدارس الأردنية يلاحظ التركيز على الجانب النظري ولا يُولي الجانب العملي العناية الكافية. بينما الاتجاه الحديث لتدريس الفيزياء يولي اهتماماً خاصاً للجانب العملي؛ لأنه إحدى الوسائل لاكتساب خبرات مباشرة في مجال علم الفيزياء.

وبما أنّ للعمل المخبري أهمية في ربط الجوانب النظرية بالعملية، وكون المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية التعلّمية؛ لذا يجب تزويده بالمهارات المخبرية التي تساعده على ترجمة المحتوى النظري إلى أنشطة عملية تترجم المفاهيم المجردة إلى محسوس.

إنّ التجريب العملي يرتبط ارتباطاً مباشراً بمفهوم العلم الحديث، ويُعد من أفضل أساليب تدريس الفيزياء، ولكن التجريب يحتاج إلى معرفة كافية وتدريب خاص للمعلم حتى يكون قادراً على تنفيذ الأنشطة بطريقة فعّالة، وأن يتحقق الغرض الأساسي من التجريب، وهو تكوين خبرات تعليمية مباشرة وتمييز مهارات التفكير العلمي واكتساب مهارات إجراء التجارب^(١).

وبالرغم من أهمية المُختبرات والتجريب العملي في تدريس الفيزياء فقد لاحظ الباحث الذي يعمل مشرفاً تربوياً لمبحث الفيزياء في وزارة التربية والتعليم أن هناك تقصيراً في تفعيل دور المختبرات في تدريس العلوم بشكل عام والفيزياء بشكل خاص، وهناك عوامل متعددة انعكست سلباً على تفعيل دور مختبرات العلوم في العملية التعليمية التعلّمية مثل: عدم قدرة المعلم على ضبط الطلاب، والخوف من الفشل في تنفيذ التجارب، وزيادة أعداد الطلبة في الغرفة الصفية، إلّا أنّ عدم إتقان المعلمين للعديد من مهارات إجراء التجارب المخبرية يُعد معيقاً رئيسياً من معوقات تفعيل مختبرات العلوم وإجراء التجارب المخبرية لدى معلمي الفيزياء^(٢).

أولاً: مشكلة الدراسة وأسئلتها

انطلاقاً من أهمية المختبر في تدريس الفيزياء، وأهمية إعداد معلم الفيزياء المُتمنّن

١- الخزرجي، نصيف جاسم عبّيد (٢٠٠٣): أثر تدريس الفيزياء باستخدام بعض التقنيات التربوية في تحصيل الطلاب وتمييز ميولهم نحو المادة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد، ص ٢٠.

٢- عبدالله، فاطمة محمد ناصر (٢٠٠٠): معوقات إجراء التجارب العملية للفيزياء في المرحلة الثانوية بمدينة نينوى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- عدن، جامعة عدن اليمن، ص ١٧.

للمهارات المخبرية، القادر على توظيف مختبرات العلوم لتحقيق أهداف تدريس الفيزياء، ومساعدة المتعلمين على تنمية مهاراتهم المخبرية من خلال تنفيذ التجارب والأنشطة؛ وكون الدراسات المتعلقة بالجانب العملي المخبري في تدريس الفيزياء في جميع مراحل التعليم قليلةً ونادرةً فإنَّ هذه الدراسة سَعَت للتعرف على درجة إتقان معلمي الفيزياء للصف العاشر الأساسي للمهارات المخبرية، ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- ١- ما المهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي؟
- ٢- ما مدى إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي؟
- ٣- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha = 0,05$) في درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تُعزى للخبرة في التدريس؟

ثانياً: أهداف الدراسة

إنَّ الهدف الرئيس لهذه الدراسة تحديد درجة إتقان معلمي الفيزياء للصف العاشر الأساسي لمهارات إجراء التجارب والقياسات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء، ويشمل هذا الهدف الأهداف الفرعية التالية:

- تحديد المهارات المخبرية التي تلزم معلمي الفيزياء للصف العاشر الأساسي.
- التعرف على مدى إتقان معلمي الفيزياء للصف العاشر الأساسي للمهارات المخبرية.
- التعرف على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تمكُّنهم من هذه المهارات وفقاً لمتغير سنوات الخبرة في التدريس.

ثالثاً: أهمية الدراسة

تُكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- ١- تُعد استجابة لنداءات الكثير من التربويين المهتمين بتطوير تدريس الجانب العملي في الفيزياء.
- ٢- يمكن أن تفيد قائمة المهارات المخبرية في مساعدة معلمي الفيزياء في الميدان على

تطوير أدائهم العملي وتفعيل دور المختبرات المدرسية.

٣- قد تسهم هذه الدراسة في تطوير الإشراف التربوي من خلال الاستفادة من بطاقة الملاحظة لتقويم أداء معلمي الفيزياء أثناء تنفيذهم التجارب والأنشطة التعليمية.

٤- أنّ الدراسة الأولى من نوعها حسب علم الباحث، وبذلك فإن نتائجها يمكن أن تكون مرجعاً لمتخذي القرار في وزارة التربية والتعليم من شأنه تفعيل دور المختبرات العلمية في المدارس.

٥- إفادة الباحثين بأداة قياس محكمة يستفاد منها في تقييم معلمي الفيزياء والتمثلة ببطاقة ملاحظة.

رابعاً: حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة على الحدود التالية:

- ١- مُعلّمِي الفيزياء للصف العاشر الأساسي في مديرية التربية والتعليم للواء الرمثا.
- ٢- المهارات العملية المتضمنة في التجارب العملية في كتاب الفيزياء للصف العاشر الأساسي.
- ٣- طبقت هذه الدراسة في المملكة الأردنية الهاشمية للعام الدراسي (٢٠١٤/٢٠١٥).

خامساً: مصطلحات الدراسة

الإتقان: قدرة المعلم على بلوغ مستوى محدد في أداء المهارات المخبرية الفيزيائية من حيث الدقة والسرعة، ويقاس وفق محكّات معينة.

المهارات المخبرية: مجموعة من الخطوات المتتابعة التي يقوم بها المعلم، وتتضمن تناول الأجهزة والأدوات المخبرية والتعامل معها بمستوى محدد من الدقة والسرعة في الأداء.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة

أجرى روجر وروبرت (Roger & Robert, 2009) في الولايات المتحدة الأمريكية دراسة هدفت إلى التعرف على مدى امتلاك معلمي العلوم للكفايات والمهارات اللازمة لهم لأداء مهماتهم ومسؤولياتهم في مختبر العلوم، واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، ولتحقيق هدفها قام الباحثان بإعداد استبانة اشتملت على (٤١) فقرة توزعت على ستة محاور هي:

- ١- المهارات اللازمة لإجراء التجارب ،
- ٢- التمكن من محتوى المختبر

٣- مهارات حفظ المواد، ٤- توجيه الطلاب، ٥- إدارة المختبر، ٦- الأعمال الإدارية.

وطبقت الاستبانة على عينة تعدادها (١٤٥) من معلمي العلوم والفيزياء في ولاية جورجيا ممن تقل خبرتهم عن سنتين في مجال تدريس المواد العلمية، وأظهرت نتائج الدراسة أن محوّر مهارات التجارب ومهارات التمكن من محتوى المختبر جاء في المرتبة الأولى والثانية من حيث امتلاك المعلمين لهما وان أكثر مهارات التجارب التي يشعر المعلمون بامتلاكها مهارتي الإعداد والأمن والسلامة، ومراعاة الاحتياجات التدريبيّة لمُعظم الطلبة، كما أظهرت حاجة معلم العلوم لبعض مهارات الحفاظ على المعدات وصيانتها وكفاية التوظيف الفاعل للأجهزة والمعدات والوسائل في عملية إدارة المختبر .

وهدفَت دراسة كيم (Kim, 2008) التي أُجريت في كوريا إلى الكشْف عن مدى استخدام معلمي العلوم لمهارات المختبر في حصص الأحياء والفيزياء، كما هدفت الدراسة إلى الكشف عن المهارات المختبرية الفعلية لدى هؤلاء المعلمين، تكونت عينة الدراسة من (٤٢) معلماً ومعلمة يدرّسون في المدارس الحكومية الكورية، وقد استجاب المعلمون لقاومة شطب مكونة من (٢٢) مهارة مختلفة، ثم أجابوا على سؤال مفتوح حول درجة استخدام هذه المهارات في حصص الأحياء والفيزياء، وبينت الدراسة أن المعلمين يوظفون مهاراتهم المختبرية في حصص الأحياء والفيزياء بدرجة متوسطة بسبب طبيعة المادة وضعف المختبرات الموجودة، أما المهارات التي يمتلكونها فعلاً فهي: إعداد التجارب وإجرائها، مناقشة تقارير التجارب، حفظ وتخزين المواد المختبرية، والسلامة والأمان داخل المختبر.

كما أجرى المخلافي (٢٠٠٧) دراسة هدفت إلى تحديد مستوى تمكّن طلبة المستوى الرابع بكلية التربية - جامعة صنعاء للمهارات المختبرية اللازمة لتدريس الفيزياء بالمرحلة الثانوية؛ للكشف عن مدى الفروق بين متوسطات مستوى تمكّنهم لهذه المهارات تبعاً للنوع (ذكور - إناث) ولمستوى التحصيل (مرتفع - متوسط - منخفض)، وللتفاعل بين النوع ومستوى التحصيل العلمي، كما هدفت إلى الكشف عن مدى وجود علاقة بين مستوى تمكّن الطلبة للمهارات المختبرية، ومستوى تحصيلهم العلمي، وتكونت عينة الدراسة من (٤٠) طالباً وطالبة، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وتم استخدام بطاقة ملاحظة لأهم (١٠) مهارات مختبرية، وأظهرت نتائج الدراسة أن مستوى تمكّن الطلبة للمهارات بشكل عام متدّ؛ حيث لا يصل إلى الحد الأدنى لمستوى التمكن المقبول (٦٢, ٥٪) ولم يتبيّن وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات تمكّن الطلبة للمهارات بشكل عام، ولكل مهارة على حدة عند مستوى الدلالة (٠, ٠٠٥) تبعاً للنوع وللتفاعل بين النوع ومستوى التحصيل العلمي، بينما تبين وجود فروق تبعاً لمتغير مستوى

التحصيل ؛ حيث كانت الفروق لصالح مرتفعي التحصيل .

وهدفت دراسة الفالح (٢٠٠٥) إلى تحديد المهارات المخبرية اللازمة لتدريس الكيمياء بالمرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية ، وتحديد درجة أهمية وممارسة المهارات المخبرية في تدريس الكيمياء بالمرحلة الثانوية ، وتكونت عينة الدراسة من (١٧١) من معلمي الكيمياء في مدينتي الرياض والدمام . وتم استخدام استبانة تكونت من (٥) محاور ، اشتملت على (٧٤) عبارة .

وخلصت الدراسة إلى الآتي :

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات معلمي الكيمياء بالمرحلة الثانوية لتدريس الكيمياء بالمختبر تُعزى للخبرة .
- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠ , ٠١) بين تحديد درجة الأهمية والممارسة لدى أفراد عينة الدراسة لأربعة مجالات من مجالات المهارات المخبرية اللازمة لتدريس الكيمياء بالمختبر ، في حين لا يوجد ارتباط دال إحصائياً بالنسبة لمجال الأمن والسلامة في مختبر الكيمياء .

التعليق على الدراسات السابقة :

تشابهت هذه الدراسة في الهدف مع جميع الدراسات السابقة وهو الكشف عن مدى إتقان المعلمين من المهارات المخبرية التي تساعدهم في أداء مهامهم ومسؤولياتهم تجاه طلابهم بكفاءة واقتدار ، وتشابهت هذه الدراسة مع دراسة الدراسات السابقة في استخدام المنهج الوصفي ، كما تشابهت هذه الدراسة مع دراسة كل من روجر وروبرت (Roger & Robert ,2009) والمخلافي (٢٠٠٧) في الأداة وهي بطاقة الملاحظة ، وأثبتت جميع الدراسات السابقة كما في هذه الدراسة عدم إتقان المعلمين من بعض المهارات المخبرية اللازمة لإجراء التجارب المخبرية وضعف في تصميم التجارب المخبرية .

إنَّ اختلاف هذه الدراسات في بعض الجوانب لا يعني تعارضها أو تناقضها ، فهذا يرجع إلى طبيعة الأدوات المستخدمة والعيّنات وأحجامها ، واختلاف البيئات التعليمية التي أُجريت فيها الدراسة .

الفصل الثاني :

الإطار النظري للدراسة :

إنَّ العلوم بفروعها المختلفة (فيزياء ، كيمياء ، أحياء) من المواد الأساسية التي تتميز

عن غيرها بالعمل في المختبرات التعليمية، مما جعل الكثير من التربويين يركزون على المختبر باعتباره مكوناً أساسياً في تدريس العلوم، وذلك لما له من أهمية كبيرة في تسهيل تعليم وتعلم العلوم خصوصاً وأنّ تعليم وتعلم العلوم دون الأجهزة والمواد في المختبرات يُعدُّ بمثابة الجسم الخامد من دون شرايين، ويصف العديد من الاختصاصيين في مجال تدريس العلوم أن المختبرات بمثابة القلب النابض في تعليم وتعلم العلوم^(١).

إنّ العلوم ليست علوم حقيقية ما لم تكن مصحوبة بالتجريب والعمل المخبري، إذ يعتبر المختبر مكاناً لاختبار الظواهر الطبيعية، ويقدم فرصاً لتعلم طرق نظامية عامة للتفكير قابلة للتوظيف في مواقف جديدة^(٢).

ومما لا شك فيه أن التدريس في المختبر يُعدُّ من الخصائص المميّزة لتدريس الفيزياء في المدارس، وتقوم أهمية المختبرات على افتراض مهم، وهو النظر إلى العمل المخبري باعتباره أهم الركائز التي تقوم عليها دراسة الفيزياء وتدريسه، ومكاناً للعمل الهادف والتجريب، ويتطلب ذلك التعامل مع أجهزة ومواد وأدوات مختلفة، كاستخدام التيار الكهربائي، وتوصيل الدوائر الكهربائية والتعامل مع أجهزة ثمينة وأدوات حادة، إلى غير ذلك، بما قد يتخلله وقوع أخطاء ينشأ عنها أخطار متفاوتة؛ لذلك فإنّ على معلّم الفيزياء التعرف على المهارات والواجبات التي تصيد في التقليل من هذه الأخطاء التي تقع في التجريب وتحقيق السلامة العامة في المختبر.

ولعل مبررات استخدام العمل المخبري في تدريس الفيزياء جعلت منه إستراتيجية فعّالة في التدريس، ومن هذه المبررات: صعوبة تدريس الفيزياء بالأسلوب النظري؛ لأنّ المعرفة التي يتم تطبيقها تكون سريعة النسيان، كما تعطي فرصة لاستخدام الحواس في تعليم منهجية التفكير العلمي وممارسته، كما أن الدراسة في المختبر تعطي تعلماً ذا معنى^(٣).

إنّ توظيف المختبرات في تدريس الفيزياء أبرز العديد من المشكلات منها: الافتقار إلى تقديم التغذية الراجعة في معظم الأحيان، وإرباك الطلبة أثناء العمل المخبري وخاصة عند إجراء تجارب صعبة في مدة زمنية قصيرة، ذلك إن معظم التجارب الفيزيائية بحاجة إلى فهم عميق، إضافة إلى الصعوبات التي تواجه معلم الفيزياء، المتمثلة في:

- ١- الصانع، محمد إبراهيم (٢٠٠٦): المختبرات المدرسية في الجمهورية اليمنية الواقع والمعوقات والطموح. دراسة ميدانية، المؤتمر العلمي الثامن عشر، مناهج التعليم وبناء الإنسان العربي، مجلد ٣، ص ٥٦٦.
- ٢- تراويج، ليزل ديليو وآخرون (٢٠٠٤): تدريس العلوم في المدارس الثانوية- استراتيجيات تطوير الثقافة العلمية، ترجمة ومراجعة: محمد جمال الدين وآخرون، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات، ص ٢٩٤.
- ٣- المومني، إبراهيم (٢٠٠٢): فاعلية المعلمين في تطبيق نموذج بنائي في تدريس العلوم للصف الثالث الأساسي في الأردن، دراسات في العلوم التربوية، العدد ٢٩، مجلد ١، الأردن، ص ٤.

- ١- عدم وجود حصّة خاصة بالمختبر في البرنامج الدراسي .
- ٢- عدم وجود فني مختبر متمكن للقيام بإعداد التجارب والتحضير للأنشطة .
- ٣- عدم إعداد المعلم إعداداً كافياً يمكنه من إجراء التجارب المخبرية .
- ٤- عدم تمكين كل متعلم من إجراء التجربة في المختبر بنفسه .
- ٥- عدم تمكّن المعلم أحياناً من التعرف على مشكلات الطلبة التي تواجههم أثناء تنفيذهم التجارب الفيزيائية .
- ٦- عدم توفّر الوقت الكافي للتحضير للتجارب بسبب كثرة عدد الحصص التي يدرسها المعلم^(١) .

يُعدّ معلم العلوم بشكل عام ومعلم الفيزياء بشكل خاص المفتاح الرئيس في العملية التعليمية التعلّميّة معاً، (فالمناهج الدراسية والإمكانات المادية والأجهزة والمواد والوسائل التعليمية هي من العوامل المساعدة على نجاح عملية التدريس)، إلا أنّ معلّم الفيزياء هو المسؤول عن تنظيم هذه العوامل وبلورتها على شكل مخططات موضوعية قريبة إلى الواقع، لذلك يجب إعداد معلمي الفيزياء بصورة تمكنهم من القيام بأدوارهم المختلفة بشكل جيد، إذ أن المعلم الجيد يكون قادراً على التصدي لأيّ مشكلة تواجهه أثناء تدريسه للمقررات الدراسية، والمعلم الجيد يكون أقدر من غيره على تشخيص الصعوبات التي تواجهه أثناء عملية التدريس ووضع الحلول المناسبة لها^(٢) .

ونظراً لأنّ طريقة الوصول للمعرفة العلمية هي الجانب الأكثر أهمية بالنسبة للتعلم، ولأنّ الدراسة العملية تحتاج إلى توافر العديد للمهارات العملية التي تتطلب استخداماً أكبر لأعضاء الحس والحركة، والسرعة، والدقة في الاستنتاجات، مع تحقيق الأمان، وتلافي الأخطار عند استخدام الأدوات والأجهزة المتعددة في مجال تعليم العلوم، فإن هذه المهارات جميعها يجب توفّرها لدى معلمي الفيزياء حتى يقوم بمسؤولياته التدريسية. ولا يتسنى لمعلّم الفيزياء تنفيذ الدروس العملية، وتنمية المهارات العملية لدى طلابه دون المرور بفترة تدريب كافية تؤهله لإتقان هذه المهارات^(٣) .

وحتى يتمكّن المُتعلّم من إجراء التجارب المخبرية وإتقان المهارات وأخذ القياسات بدقة لا

١- زيتون، عايش محمود (٢٠٠٤): أساليب تدريس العلوم، الإصدار الرابع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص ١٧٧-١٧٨.
٢- عبابنة، صالح (١٩٩٩): الاحتياجات التدريبية لمعلمي العلوم في المرحلة الثانوية في ضوء المناهج الجديدة من وجهة نظرهم ومن وجهة نظر المشرفين رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، ص٧.

3- Hodson,D;Hodson,J.(1998).from Construtivism to Social Construtivism :a Vygotskian Perspective on Teaching and Learning Science . School Science Review 79(2),33-41-

بد أن يمتلك المهارات الآتية^(١):

- ١- القراءة الجيدة لخطوات التجربة.
 - ٢- التخطيط الجيد لتنفيذ التجربة (التجهيز، القدرة على تصنيف الأدوات والأجهزة والمواد المستخدمة).
 - ٣- القدرة على التصميم التجريبي لبيان علاقة ما أو حقيقة ما.
 - ٤- المهارة في التعامل مع الأدوات والأجهزة والمواد المستخدمة.
 - ٥- مهارة التواصل مع الأقران .
 - ٦- مهارة التحكم اليدوي أثناء تنفيذ التجربة.
 - ٧- القدرة على التحكم ومعالجة الأدوات والأجهزة والمواد المخبرية .
 - ٨- القدرة على الملاحظة والمشاهدة ورصدها بدقة.
 - ٩- القدرة على تسجيل البيانات والقراءة.
 - ١٠- القدرة على الربط بين المُشاهدات والملاحظات والحقائق والبراهين العلميّة.
 - ١١- تفسير البيانات والمشاهدات والتعبير عنها بأسلوب علمي.
 - ١٢- التوصل إلى الحقيقة العلمية التي تهدف لها التجربة.
 - ١٣- إتباع إرشادات السلامة في المختبرات.
 - ١٤- تطبيق وسائل الأمن والسلامة الشخصية.
- ولتحقيق ما سبق، ينبغي لمعلم العلوم أن يُهيئَ مواقفَ تعليميّةً تعليميّةً (عملية) مناسبة، وذلك من خلال التركيز على العمل المخبري (الفردية والجماعية) واستخدام الأدوات والأجهزة العلمية وكتابة التقارير العلمية المخبرية بأسلوب ينسجم مع أساسيات البحث التربوي في دراسة العلوم وتدريسها. إنَّ معلّم الفيزياء الناجح هو الذي يخلق الرغبة والتشويق لدراسة هذه المادة، وهو الذي يستطيع تغيير الصورة الذهنية لدى الطلبة عن صعوبة علم الفيزياء وتخوُّفِ الطلبة منها.

١- زيتون، عايش محمود:(١٩٩٦ أساليب تدريس العلوم، ط٢، الأردن، دار الشروق، ص:١٠٨-١٠٩. - النجدي، أحمد(٢٠٠٢): «طرق وأساليب واستراتيجيات حديثة في تدريس العلوم»، القاهرة، دار الفكر العربي، ص:١٢٣-١٤٣.

الفصل الثالث:

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

أولاً: منهج الدراسة

اتَّبعت الدراسة المنهج الوصفي المَسَّحي، وهو منهج يقوم على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية ونوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون؛ للوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره. وهو منهج يهتم بوصف الظاهرة أو الحدث محطَّ اهتمام الباحث وصفاً دقيقاً^(١).

ثانياً: مجتمع الدراسة

تكوَّن مجتمع الدراسة من معلمي الفيزياء للصف العاشر الأساسي في محافظة إربد للعام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٤ وقد بلغ عددهم (٣٦٠) معلماً ومعلمة.

ثالثاً: عينة الدراسة

تكوَّنت عينة الدراسة من (٤٥) معلماً ومعلمة بنسبة (١٢,٥٪) من المجتمع الأصلي، تم اختيارهم بالطريقة القصدية من المعلمات والمعلمين العاملين في مدراس مديرية التربية والتعليم للواء الرمثا التي يعمل بها الباحث مشرفاً تربوياً.

رابعاً: أداة الدراسة

بما أن هدف الدراسة الحالية تحديد درجة إتقان معلِّمي الفيزياء لمهارات إجراء التجارب والقياسات المخبرية، والتي يتوقع أن يُظهِرَهَا معلِّمو الفيزياء داخل مختبر العلوم أثناء تنفيذهم للأنشطة الفيزيائية، وتحقيقاً لهذا الهدف؛ فإن وسيلة القياس الملائمة هي ملاحظة ما يحدث في المختبر أثناء تنفيذ التجربة العملية. لذا فقد أعدَّ الباحث بطاقة ملاحظة كأداة تخدم أهداف الدراسة.

ولبناء بطاقة الملاحظة اتبع الباحث الخطوات الآتية:

- تحليل كتاب الفيزياء للصف العاشر ودليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لتحديد الأنشطة والتجارب العملية.
- تحليل التجارب والأنشطة إلى المهارات العملية المكونة لها.
- بناء بطاقة الملاحظة من خلال تحليل المهارات إلى عدد من الخطوات التي صيغت بشكل

١- الجادري، عدنان حسين وأبو الحلو، يعقوب عبدالله (٢٠٠٩): الأسس المنهجية والاستخدامات الإحصائية في بحوث العلوم التربوية والنفسية، عمان، إثراء للنشر والتوزيع، ص ١٩٧.

عبارات إجرائية قابلة للملاحظة والقياس.

وفي ضوء ما سبق أعدّ الباحث الصورة الأولى لبطاقة الملاحظة، واشتملت هذه القائمة في صورتها الأولى على (٣٤) مهارة موزعة على خمس مجالات على النحو التالي:

- المهارات المرتبطة بقياس المجال الكهربائي وعددها (٨) مهارات.
 - المهارات المرتبطة بقياس المقاومة الكهربائية وعددها (٨) مهارات.
 - المهارات المرتبطة بمعرفة الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي وعددها (٦) مهارات.
 - المهارات المرتبطة بتوليد التيار والقوة الدافعة الحثية وعددها (٥) مهارات.
 - المهارات المرتبطة بتكريب المحول الكهربائي وعددها (٧) مهارات.
- وقد حسب الباحث صدق بطاقة الملاحظة، أداة الدراسة على النحو الآتي:

صدق بطاقة الملاحظة :

• صدق المحكمين :

عرض الباحث بطاقة الملاحظة في صورتها الأولى على عدد من المحكمين من مشرفي ومعلمي الفيزياء في وزارة التربية والتعليم الأردنية، وبعد تعديل وإعادة صياغة بعض الفقرات بناءً على ملاحظات المحكمين بلغ عدد فقرات بطاقة الملاحظة بصورتها النهائية (٣٤) فقرة موزعة على خمسة مجالات، حيث أُعْطِيَتْ لكل فِئْرَة وَزْنٌ مَدْرَجٌ وَفَقَّ سَلْمٌ تَقْدِيرٌ عَدْدِي خَمَاسِي (عالية جداً، عالية، متوسطة، ضعيفة، ضعيفة جداً) وأعطيت لها الأوزان التالية: (٥، ٤، ٣، ٢، ١)، وبهذا تنحصر الدرجة التي يحصل عليها المعلم بين (٣٤-١٧٠) درجة، والملحق يبين بطاقة الملاحظة في صورتها النهائية.

• صدق البناء :

لاستخراج دلالات صدق البناء لبطاقة الملاحظة، استُخْرِجَتْ معاملات ارتباط فقرات البطاقة مع الدرجة الكلية في عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة تكونت من (٨) معلمين، حيث تم تحليل فقرات البطاقة وحساب معامل تمييز كل فقرة من الفقرات، حيث إن معامل التمييز هنا يمثل دلالة للصدق بالنسبة لكل فقرة في صورة معامل ارتباط بين كل فقرة وبين الدرجة الكلية من جهة، وبين كل فقرة وبين ارتباطها بالمحور التي تنتمي إليه، وبين كل محور والدرجة الكلية من جهة أخرى، وقد تراوحت معاملات ارتباط الفقرات مع الأداة ككل ما بين (٤٢، ٩٥-٠)، ومع المحور (٣٩، ٩٧-٠)، والجدول التالي يبين ذلك.

جدول (١)

معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية والمجال التي تنتمي إليه

رقم الفقرة	معامل الارتباط مع محور	معامل الارتباط مع الأداة	رقم الفقرة	معامل الارتباط مع محور	معامل الارتباط مع الأداة
١	.٦٣	.٤٣	١٨	.٧٢	.٧٢
٢	.٨٣	.٤٨	١٩	.٣٩	.٤٨
٣	.٤٠	.٤٦	٢٠	.٨٢	.٨٨
٤	.٧١	.٨٣	٢١	.٤٥	.٤٠
٥	.٨٢	.٩٥	٢٢	.٤٧	.٧٦
٦	.٩٧	.٨٨	٢٣	.٨٦	.٧٠
٧	.٤٠	.٤٣	٢٤	.٦٠	.٧٦
٨	.٦٠	.٤٠	٢٥	.٨٥	.٨٣
٩	.٤٥	.٤٣	٢٦	.٧١	.٦٧
١٠	.٧٥	.٤٢	٢٧	.٤١	.٤٨
١١	.٨٣	.٥٧	٢٨	.٤١	.٤٩
١٢	.٧٦	.٨٣	٢٩	.٤٦	.٦٧
١٣	.٤٠	.٤٣	٣٠	.٤٦	.٤٣
١٤	.٩٥	.٩٥	٣١	.٦١	.٤٣
١٥	.٩٥	.٨٩	٣٢	.٥٩	.٨١
١٦	.٩٥	.٩٥	٣٣	.٤٣	.٤٥
١٧	.٤٨	.٤٦	٣٤	.٤٠	.٦٠

وتجدر الإشارة أن جميع معاملات الارتباط كانت ذات درجات مقبولة ودالة إحصائية، ولذلك لم يتم حذف أي من هذه الفقرات.

ثبات بطاقة الملاحظة :

للتأكد من ثبات بطاقة الملاحظة، تم حساب الاتساق الداخلي على عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة عددها (٨) معلمين، حسب معادلة كرونباخ ألفا، والجدول أدناه يبين هذه المعاملات، واعتبرت هذه النسب مناسبة لغايات هذه الدراسة.

جدول (٢)

معامل الاتساق الداخلي كرونباخ الفا

المهارات المرتبطة بالمجالات	الاتساق الداخلي
المهارات المرتبطة بقياس المجال الكهربائي.	٠,٨٦

٠,٨٣	المهارات المرتبطة بقياس المقاومة الكهربائية.
٠,٧٣	المهارات المرتبطة بمعرفة الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي.
٠,٩٣	المهارات المرتبطة بتوليد التيار والقوة الدافعة الحثية.
٠,٨٨	المهارات المرتبطة بتركيب المحول الكهربائي.

خامساً: عرض نتائج الدراسة ومناقشتها

١- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول، والذي ينص على:

ما المهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي؟
ولإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بمجموعة من الإجراءات التي سبق توضيحها سابقاً، تمَّ خلالها تحديد قائمة بالمهارات المخبرية اللازمة لمعلمي الفيزياء الذين يدرسون الصف العاشر الأساسي، حيث احتوت القائمة على (٣٤) مهارة موزعة على خمس مجالات كما هو موضح في الملحق.

٢- النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني، والذي ينص على:

ما مدى إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي؟ لإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء للصف العاشر الأساسي مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المجال	الرتبة
٣١٠	٢,٨٣	المهارات المرتبطة بمعرفة الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي.	١
٢٨٠	٢,٧٦	المهارات المرتبطة بقياس المجال الكهربائي.	٢
٢٤٠	٢,٥١	المهارات المرتبطة بقياس المقاومة الكهربائية.	٣
٢٢٠	٢,٣٦	المهارات المرتبطة بتركيب المحول الكهربائي.	٤
١٩٠	٢,١٧	المهارات المرتبطة بتوليد التيار والقوة الدافعة الحثية.	٥

يبين الجدول (٣) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (١٧، ٢-٢,٨٣)، حيث جاء

مجال الأثر المغناطيسي للتيار الكهربائي في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (٢, ٨٣)، بينما جاء مجال توليد التيار والقوة الدافعة الحثية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٢, ١٧)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٢, ٥٢).

وقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على الفقرات، حيث كانت على النحو التالي:

جدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	رقم الفقرات (المهارة)	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	رقم الفقرات (المهارة)
٥٠.	٢,٥٥	١٨	٥٧.	٢,٧٠	١
٥٠.	٢,٤٠	١٩	٥٩.	٢,٨٥	٢
٥١.	٢,٤٠	٢٠	٥١.	٢,٤٥	٣
٤٩.	٢,٣٥	٢١	٤٩.	٢,٦٥	٤
٤٤.	٢,٧٥	٢٢	٦٤.	٢,٧٥	٥
٥١.	٣,٥٠	٢٣	٦٥.	٢,٠٠	٦
٥٩.	٢,٨٥	٢٤	٤٩.	٣,١٥	٧
٥٧.	١,٣٠	٢٥	٥١.	٢,٥٠	٨
٥٩.	٢,٨٥	٢٦	٤٩.	٢,٦٥	٩
٥١.	٣,٤٥	٢٧	٥٠.	٢,٦٠	١٠
٤٩.	٢,٦٥	٢٨	٥٥.	٣,٢٥	١١
٦٤.	٢,٧٥	٢٩	٥٠.	٢,٦٠	١٢
٦٥.	٢,٠٠	٣٠	٦٥.	٣,٠٠	١٣
٤٧.	٢,٧٠	٣١	٤٩.	٣,١٥	١٤
٥١.	١,٤٥	٣٢	٥٦.	٣,٠٠	١٥
٥٠.	٢,٤٠	٣٣	٧٢.	٢,٢٥	١٦
٥١.	٣,٠٥	٣٤	٥١.	٣,٥٠	١٧

يبين الجدول (٤) أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (١, ٣٠٣, ٥٥) -، حيث جاءت الفقرة رقم (١٨) والتي تنص على: «ينثر برادة الحديد بشكل صحيح»، في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (٢, ٥٥)، بينما جاءت الفقرة رقم (٢٥) والتي تنص على: «يحدد اتجاه التيار الحثي في ملف لحظة اغلاق الدارة الكهربائية». بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (١, ٣٠).

من خلال نتائج التحليل الإحصائي تبين للباحث أن هناك تندياً عاماً عند عامة المعلمين - أفراد العينة - في درجة إتقان معظم المهارات المخبرية المحددة في بطاقة الملاحظة، حيث جاء مجال المهارات المرتبطة بالأثر المغناطيسي للتيار في المرتبة الأولى من حيث درجة الإتقان، بينما جاءت المهارات المرتبطة بتوليد التيار والقوة الدافعة الحثية في المرتبة الأخيرة بأدنى درجة إتقان، تلاها المهارات المرتبطة بتركيب المحول الكهربائي. ويرى الباحث أن هناك أسباباً عامة أدت إلى ضعفٍ عند جميع المعلمين في درجة الإتقان في عامة المهارات المخبرية، وفيما يلي تفسير ذلك :

- الأسباب العامة في تندي درجة إتقان المعلمين في عامة المهارات:
- ندرة الدورات التدريبية للمعلمين في استخدام أجهزة وأدوات المختبر.
- اعتماد المعلم على الجانب النظري في التدريس.
- عدم وجود حصّة خاصة بالجانب العملي في البرنامج المدرسي.
- الحاجة إلى تحضير بعض التجارب مسبقاً بوقت كافٍ.
- عدم توفر الرغبة للمعلمين في إجراء التجارب المخبرية؛ لعدم قدرة المعلم على ضبط الطلبة أثناء إجراء التجارب.
- شيوع طرائق التدريس التي لا تتطلب استخدام المختبر.
- حرص المعلم الشديد على ضرورة إنهاء المادة النظرية المقررة في موعدها حسب تعليمات وزارة التربية والتعليم، وإن كان ذلك على حساب تنفيذ الأنشطة والتجارب المخبرية.
- عدم وجود فني مختبر قادر على مساعدة المعلم في التحضير للتجارب.
- ضعف ميول واتجاهات المعلم نحو العمل المخبري.

٣- النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث، والذي ينص على :

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha = 0,05)$ في درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تُعزى للخبرة في التدريس؟
ولإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإيجاد الفروق في درجة تمكن معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تعزى إلى متغير سنوات الخبرة في التدريس، وذلك كما هو موضح في الجدول (٥).

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإيجاد الفروق في درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تُعزى إلى مُتغيّر سنوات الخبرة في التدريس

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد	المؤهل
٣,٧٨	٠,٥٤	١١	١-٥ سنوات
٣,٦١	٠,٤٨	١٧	٦-١٠ سنوات
٣,٤٨	٠,٥١	١٠	١١-١٥ سنة
٣,٥٦	٠,٣٩	٧	١٦ سنة فأكثر

يتبين من الجدول أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) في درجة إتقان معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية تُعزى للخبرة في التدريس.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى ضعف جميع المعلمين في المهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء، وذلك بسبب خلو برامج تدريب معلمي الفيزياء من الاهتمام بالجانب العملي، ولم تهتم أي من الدراسات السابقة بدراسة العلاقة بين إتقان المعلمين للمهارات المخبرية ومتغير الخبرة في التدريس.

سادساً: التوصيات والمقترحات

في ضوء نتائج الدراسة وضع الباحث التوصيات والمقترحات الآتية:

التوصيات

- ضرورة تدريب معلمي الفيزياء على أساليب التعليم المختبري، وأساليب تعليم المهارات المخبرية المتنوعة.
- إعادة النظر في محتوى المقررات المخبرية المقدمة للطلاب خلال الدراسة الجامعية، بحيث تتوافق مع المهارات المخبرية المقدمة للطلاب خلال المراحل الدراسية.
- العمل على صيانة وتوفير البنى التحتية التي تقتدر إليها المختبرات المدرسية وزيادة حجم التجهيزات المخبرية الحالية.
- إعادة النظر بحجم الحصص الأسبوعية للمعلم، والمهام التي يكلف بها؛ لتمكينهم من ممارسة العمل المخبري بشكل مناسب.
- تدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات التدريس الحديثة؛ التي تدعم تفعيل مختبرات العلوم في العملية التعليمية التعلمية.

د. رياض عثمان

أستاذ لغة عربية - جامعة الجنان

د. إدريس محمود ربابعة

طالب دكتوراه، لغة عربية - جامعة الجنان

فاعلية وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة (لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الأردن)

• ملخص البحث:

استهدف هذه البحث قياس فاعلية وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؛ ولتحقيق هذا الهدف قام الباحثان بإعداد ثلاث وحدات تعليمية تحتوي نصوصاً إثرائية ذات مضمون ثقافي، بالإضافة إلى تمارين وتدرّيبات على مهارتي التحدث والكتابة، كما أعدّ الباحثان اختبارين: الأول لقياس مهارة التحدث، والثاني لقياس مهارة الكتابة، ولتقدير أداء المتعلمين في الاختبارين السابقين، أعدّ الباحثان سلم تقدير لمهارات التحدث وآخر لمهارات الكتابة، وأعدا دليلاً لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الذي سيطبق هذه الوحدات التعليمية المقترحة متأملاً من ذلك أن يكون مرشداً ومورداً له في تخطيط وإعداد الدروس وتنفيذها. حيث ضمنت صفحاته مجموعة من العناصر التي يعتقد أنها تمثل أبرز جوانب الموقف التعليمي التعلّمي، ومثل مجتمع البحث مجموعة من طلبة شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية في المستوى المتقدم بلغ عددهم (٤٩) طالباً وطالبة من مختلف الجنسيات مقسمين إلى مجموعتين: الأولى تجريبية درّست بالوحدات التعليمية المقترحة عددها (٢٤) والثانية ضابطة درّست بالطريقة الاعتيادية المتبعة في معهد اللغات شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية وعددها (٢٥)، واعتمد الباحثان في بحثهما على المنهجين الوصفي وشبه التجريبي؛ الوصفي استخدماه في الإطار النظري، والدراسات العربية والأجنبية المتعلقة بالبحث، وشبه التجريبي في اختيار التصميم المناسب للبحث وتنفيذه لضبط متغيرات البحث، المتغير المستقل (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية) في المتغيرين

التابعين (مهارة التحدث، ومهارة الكتابة) وتوصلت نتائج البحث إلى إثبات فاعلية الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الأردن (أفراد البحث).

أولاً : مقدمة البحث :

تعتبر اللغة وسيلة للفهم والتفاهم بين أفراد أي مجتمع، وأداة للتواصل والتقارب الفكري ووسيلة للحوار الثقافي بينهم. لذا أولى الكثيرون من غير العرب اهتمامهم بتعلم ودراسة اللغة العربية وتعددت دوافعهم ما بين دوافع دينية بالنسبة للمسلمين منهم وثقافية رغبة في التعرف على الثقافة العربية واقتصادية وسياسية، لأن اللغة في أي مجتمع هي المرآة الحقيقية للثقافة فتعكس صورتها، وهي الوسيلة التي تستخدم للتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة كالعادات والمفاهيم والتقاليد والقوانين، وكما قال جمال الدين الأفغاني: « إنه لا سبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها»^(١).

واللغة العربية غيرها من اللغات البشرية وعاء ثقافة أهلها، فهي الوسيلة الأولى في الكثير من المجالات للتعبير عن الثقافة العربية، وقد يكون تدريس اللغة من دون تدريس الثقافة لا يفيد الدارسين بصورة فعالة. وتعلم اللغة العربية بالنسبة للناطقين بغيرها لا يعني أن يمتلكوا حصيلة هائلة من المفردات فقط، أو وعي كبير بتراكيبها فحسب، بل يجب عليه استخدام هذا كله في لقائه مع متحدثي العربية الأم وفي اتصاله بثقافتهم في هذه اللقاءات^(٢).

لذا شهد النصف الثاني من القرن الماضي اهتماماً متزايداً بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وبرز هذا الاهتمام واضحاً على المستويين العالمي والعربي؛ إذ عنيت جامعات ومؤسسات كثيرة في العالم بتعليم اللغة العربية، وازداد الإقبال عليها؛ فأدركت الدول العربية أن نشر اللغة العربية يتبعه تعريف شعوب أخرى بما وراء هذه اللغة من ثقافة وحضارة، ممّا يجعل هذه الشعوب أكثر فهماً لحياة البلاد العربية؛ لذا بادرت المؤسسات التعليمية في الدول العربية إلى فتح المعاهد والأقسام التي تعنى بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكانت البداية متواضعة وغير منسقة «مستندة إلى الاجتهاد الشخصي والاندفاع الذاتي حتى بؤادر التنسيق العالمي عام ١٩٧٨م^(٣).

وأخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في عام ١٩٦٤م وبعد ميثاق الوحدة الثقافية العربية على عاتقها مهمة نشر اللغة العربية وتعليمها وإعداد وتنظيم البرامج الخاصة

١- (طعيمة ، ١٩٩٨م ، ص ٨)

٢- (الناقة وطعيمة ، ٢٠٠٣م ص ٢٠)

٣- (الواسطي، ١٤٠١هـ ، ص ٢٢٢)

في ذلك^(١)، وبعد ذلك اعتبرت اللغة العربية لغة دولية باعتراف هيئة الأمم المتحدة في قرارها رقم (٢١٩٠) في ١٨/١٢/١٩٧٣ م، وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في مجلس الأمن الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة كباقي لغات العمل الخمس، حيث قامت الجمعية العامة بتبني هذا القرار في آخر يوم عن أشغالها للدورة الخامسة والثلاثين عام ١٩٨٠ م^(٢).

اللغة في الأساس، هي التحدث أو الكلام، أما الكتابة فهي محاولة لتمثيل الكلام، ولمهارتي التحدث والكتابة دور كبير في مدى إتقان متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، لأنهما ركنان أساسيان في عملية التواصل اللغوي. إذ يعد التحدث توأماً لبرموز صوتية ولكن الكتابة تعد توأماً لبرمز مكتوبة، ويمكن القول هنا أن التحدث هو الطريق المؤدية إلى الكتابة، لأن مهارة التحدث أسهل في تعلمها عن طريق السمع ولكن الكتابة تعد مرحلة متقدمة في تعلم المهارات اللغوية، ومهارتي التحدث والكتابة ليستا فرعيتين لغويتين معزولين عن باقي فروع اللغة، بل متشابكتين ومتداخلتين في المهارات اللغوية الأخرى وتعتمدان عليها اعتماداً كلياً^(٣). لذا كان لا بد من التركيز عليهما في هذا البحث لأهميتهما في عملية الاتصال والتواصل.

ثانياً: مشكلة البحث وأسئلته

تتمثل مشكلة البحث في ظل نتائج البحوث والدراسات التي اطلع عليها الباحثان وأظهرت شكوى متكررة من الطلبة غير الناطقين بالعربية من صعوبات في تعلم المهارات اللغوية بشكل عام ومهارتي التحدث، والكتابة بشكل خاص، ويرى الباحثان أنه قد يكون سبب هذه المشكلة هو ضعف البرامج التعليمية المقدمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

وتتمثل المشكلة أيضاً عندما أصبحت صورة العرب وثقافتهم مشوهة في جميع أنحاء العالم بتهمة الإرهاب فأصبح يحتم علينا الأمر تصميم محتوى تعليمي ثقافي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، يجمع بين تنمية المهارات اللغوية وتنقية صورة الثقافة العربية من الشوائب التي علقت في أذهانهم. ويمكن أن تلخص مشكلة البحث بالإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

(ما أثر وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث،

والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها؟)

ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

١- ما مكونات الوحدات التعليمية المقترحة قائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي

١- (العدوان، ٢٠٠٥، ص ٢)

٢- (الناقة وطعيمة، ٢٠٠٣، ص ١١).

٣- (شحاتة، ٢٠٠٤، ص ٢٤١)

التحدث، والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

٢- هل هناك اختلاف في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية)؟

٣- هل هناك اختلاف في تنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية)؟

ثالثاً : فرضيات البحث

انبثقت من أسئلة البحث السابقة الفرضيتان الآتيتان :

الفرضية الأولى : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha = 0,05)$ في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات المقترحة القائم على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية) ؟

الفرضية الثانية : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha = 0,05)$ في تنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات المقترحة القائم على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية) ؟

رابعاً : أهمية البحث

تنبثق أهمية هذا البحث من أهمية اللغة العربية ومكانتها المرموقة بين اللغات العالمية وتزايد الراغبين في تعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها رغبة في قراءة القرآن بالنسبة للمسلمين منهم ، أو للاطلاع على المعارف والعلوم والثقافات العربية بالنسبة لغير المسلمين. كما قد يسهم هذا البحث في توجيه اهتمام واضعي مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لتصميم وحدات تعليمية قائمة على الثقافة العربية لتحقيق فاعلية تعلم أكثر للمهارات اللغوية وخصوصاً مهاراتي التحدث ، والكتابة . كما يؤمل أن يعكس هذه البحث صورة الثقافة العربية الأصيلة عبر التاريخ الإنساني وتوضيح الصورة الحقيقية لحياة العرب وحضارتهم وثقافتهم . كما يؤمل أن يقدم هذا البحث ما هو جديد للباحثين في هذا المجال في المستقبل ويفتح أمامهم آفاقاً جديدة في هذا المجال ؛ ليبدؤوا من حيث ينتهي هذا البحث.

خامساً : أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تعرف فاعلية وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية لتعليم اللغة العربية في تنمية مهاراتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها .

ويتفرع منه الهدفان الفرعيان الآتيان :

- ١- إعداد وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية لتعليم اللغة العربية لتنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- ٢- التعرف إلى فاعلية الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها. بعد تطبيقه على مجموعتين (تجريبية وضابطة).

سادساً : حدود البحث ومحدداته

- ١- الحدود المكانية (Spatial boundaries): شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - معهد اللغات في الجامعة الأردنية - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية .
- ٢- الحدود الزمانية (Temporal boundaries) : طبق البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ٢٠١٢م/٢٠١٣م .
- ٣- الحدود البشرية (Human border) : اقتصر هذا البحث على طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - معهد اللغات في الجامعة الأردنية.
- ٤- الحدود الموضوعية (Objectivity border) : الوحدات التعليمية المقترحة لتعليم اللغة العربية التي قد تسهم في تنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - معهد اللغات في الجامعة الأردنية. باعتبار أنهم أصبحوا في مراحل متقدمة من إتقان اللغة العربية ولديهم مقدرة التواصل والتعامل مع أدوات البحث.
- ٥- حدود تعميم النتائج (Limits of generalizing the results) : يتحدد تعميم النتائج بمدى تمثيل العينة للمجتمع ، وما تمتاز به أدوات البحث التي أعدها الباحثان من صدق وثبات .

سابعاً : تعريف مصطلحات البحث إجرائياً

- ١- فاعلية (Effectiveness) : يعرفها الباحثان إجرائياً في هذا البحث بأنها : مستوى الأثر الناتج عن تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والمتمثلة في تنمية مهارتي التحدث والكتابة لديهم .
- ٢- الوحدات التعليمية (Modules) : يعرفها الباحثان إجرائياً في هذا البحث بأنها: وحدات تعليمية أعدها الباحثان لتشكل منظومة تعليمية ذات أهداف ومحتوى ووسائل تعليمية وأساليب تقويم لتنمية مهارتي التحدث والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين

بغيرها في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٢- التنمية (Development): يعرفها الباحثان إجرائياً في هذا البحث بأنها : رفع مستوى طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية ، في مهارتي التحدث، والكتابة بعد تطبيق البرنامج المقترح عليهم وقيست بأدوات البحث التي أعدها الباحثان.

٤- المهارة (Skill): يعرفها الباحثان إجرائياً في هذا البحث بأنها : مجموعة الأداءات التي يكتسبها طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية، من خلال تطبيق البرنامج المقترح ، والمهارات المستهدفة، وهي :

- مهارة التحدث (Skill to talk) : وهي القدرة على النطق الصحيح للغة العربية والتحدث بها حديثاً سليماً في الأداء فيأتي المعنى وقيست باختبار التحدث الذي أعده الباحثان لذلك.

- مهارة الكتابة (Writing skill) : وهي القدرة على الكتابة باللغة العربية بدقة ووضوح وجمال وقيست باختبار الكتابة الذي أعده الباحثان لذلك .

٥- الطلبة الناطقين بغيرها (Speaking to other students) : يعرفهم الباحثان إجرائياً في هذا البحث بأنهم : الطلبة الذين يدرسون اللغة العربية من الناطقين بغيرها ذكورا وإناثاً ومن جنسيات متعددة وأعمار مختلفة، من طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية ، في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ٢٠١٢م / ٢٠١٣م .

ثامناً: الدراسات السابقة

أجرت ويندن (Wenden ، 1987) دراسة هدفت إلى تحسين مهارات اللغة لدى الطلبة من خلال تحديد آرائهم وافترضااتهم حول طبيعة اللغة، ودور المعلمين، وطرائق التدريس، والمقررات الدراسية، واعتمدت في ذلك على المقابلات الشخصية، لتبين للدارس كيفية تعلم اللغة على العينة المكونة من (٢٥) طالباً في جامعة كولومبيا، واعتمدت الدراسة على المقابلات الشخصية، ومجموعة من المعايير المصممة لتحليل محتوى الأقوال وتحليل التسجيلات الصوتية للطلبة، وأوضحت الدراسة في نتائجها أن تعلم اللغة لا يكون داخل الغرفة الصفية، ولكن يمكن الاستفادة من المواقف الاجتماعية ومن خلال الممارسة في المواقف التعليمية وهي الأنجع في تعلم اللغة، مع أن النحو يعد حجراً أساسياً في تعلم اللغة، وأن المناقشة الشائعة تجعل الإنسان

مستعداً للتعلم بصورة لاشعورية.

وأجرى جاد (١٩٩٧م) دراسة هدفت إلى بناء برنامج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في المستوى المتوسط ، ومعرفة أثر تدريس البرنامج على تحصيل المتعلمين واتجاهاتهم نحو اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية «بجمهورية تشاد» وأسفرت نتائجها عن أهمية المدخل المنظومي، والطريقة السمعية الشفهية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، كما أشارت الدراسة إلى إيجابية اتجاه المتعلمين نحو تعلم اللغة العربية، والثقافة الإسلامية. وقد أوصت الدراسة بضرورة مراعاة اهتمامات واتجاهات المتعلمين الأجانب في تنظيم المحتوى المقدم لهم.

وأجرت هريدي (٢٠٠٣م) دراسة هدفت إلى تعرف فعالية برنامج مقترح لمعلم اللغة العربية للأطفال من سن (٥ - ٩) سنوات من غير الناطقين بها في ضوء بعض الكفايات اللغوية والثقافية والمهني. وطبقت أداة الدراسة (الاستبانة) على عشرة من مدرسين ورؤساء أقسام وموجهين من القائمين على تعليم اللغة لغير الناطقين بها في المدرستين الانجليزية والأمريكية، وتوصلت نتائجها إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين كل من التطبيق القبلي والبعدي لمعلمي اللغة العربية للأطفال غير الناطقين بها في الاختبارين اللغوي والثقافي وبطاقة الملاحظة للكفايات المهنية لصالح التطبيق البعدي. مما يدل على أن البرنامج له تأثير كبير في تنمية بعض الكفايات اللغوية والثقافية والمهنية لدى معلم اللغة العربية للأطفال غير الناطقين بها.

وأجرت خصاونة (٢٠٠٥) دراسة هدفت إلى قياس فاعلية برنامج محسوب لتعليم مهارتي القراءة والكتابة لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها في الجامعات الأردنية، مقارنة بالطريقة التقليدية، حيث أجريت على ٢٢ طالباً وطالبة من طلبة المستوى المبتدئ لطلبة اللغة العربية الناطقين بغيرها. حيث وزع الطلبة على مجموعتين الأولى ضابطة مكونة من (٤) ذكور و(٨) إناث. والثانية تجريبية مكونة من (٤) ذكور و(٦) إناث، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية للبرنامج في ناحية الفهم تعزى لطريقة التدريس باستخدام البرنامج الحاسوبي، كما أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الجنس والعمر، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للتفاعل طريقة التدريس والجنس والعمر.

وأجرى السيد (٢٠٠٥م) دراسة استهدفت بناء برنامج مقترح قائم على التكامل بين مهارات القراءة والكتابة في تعليم اللغة العربية للأجانب، وتعرف أثره في تنمية المهارات التي تبنتها الدراسة، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن فاعلية البرنامج في تنمية المهارات التي تبنتها الدراسة الخاصة بالقراءة والكتابة.

وأجرى شوي (Choi،2006) دراسة هدفت إلى معرفة أثر النصوص ذات المواضيع الممتعة والطريقة على الطلبة غير الناطقين بالانجليزية في الاستيعاب القرائي، حيث طبقت

على ٢٤٥ طالباً من طلبة السنة الأولى في المدارس العليا الكورية. وتوصلت إلى النتائج التالية: إنَّ التفاصيل الكثيرة الموسعة حتى لو كانت جذابة فإنها قد تذهب الفكرة العامة بعد أن يفهمها الطالب. وإنَّ المعلومات المفصلة الكثيرة تخفق في تحسين فهم القارئ. وإنَّ التفاصيل والمعلومات الجذابة أسهمت في تنمية الفهم والاهتمام قليلاً .

وأجرى السيد (٢٠٠٨م) دراسة هدفت إلى بناء برنامج مقترح لعلاج الصعوبات اللغوية الشائعة في كتابات دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها في ضوء مدخل التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء وطبق اختبار الكتابة على عينة من الطلاب الدارسين للغة العربية الناطقين بالإنجليزية في معهد الدراسات الخاصة بالبعوث والتابع للأزهر الشريف بعد تطبيق البرنامج المقترح . وبعد ذلك تمت المعالجات الإحصائية اللازمة وأثبتت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج المقترح في علاج الصعوبات اللغوية الشائعة في كتابات دارسي اللغة العربية الناطقين بالإنجليزية .

وأجرى الزعبي (٢٠٠٨م) دراسة هدفت إلى استقصاء فاعلية برنامج تعليمي في تنمية الاستيعاب الاستماعي والقرائي لدى طلبة اللغة العربية الناطقين بغيرها في الأردن . أجريت على (٢١) طالباً وطالبة من طلبة اللغة العربية للناطقين بغيرها من ذوي المستوى المتقدم في الجامعة الأردنية . وأسفرت نتائجها عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلبة على اختبار الاستيعاب الاستماعي وكانت هذه الفروق لصالح المجموعة التجريبية. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلبة على اختبار الاستيعاب الاستماعي وكانت هذه الفروق لصالح المجموعة التجريبية. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكور والإناث على اختبار الاستيعاب الاستماعي . وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكور والإناث على اختبار الاستيعاب القرائي .

تاسعاً : الإطار النظري للبحث

١- الثقافة العربية وعلاقتها بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

يكتسب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها طابعاً يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات. إذ يتعدى دوره من تحقيق الاتصال والتواصل بين أهل اللغة الأم وبين متعلميها من الناطقين بغيرها إلى نقل الثقافة أيضاً .

وإن العلاقة بين اللغة والثقافة كالعلاقة بين الروح والجسد، فالعلاقة وثيقة بينهما للغاية، حيث لا توجد ثقافة مجردة عن اللغة في تاريخ البشر وذلك أن الثقافة تعتبر مجموعة المعتقدات والمعنويات التي يهتدي إليها الأفراد والجماعات بتأملاتهم في الوجود والحياة من العقائد والمفاهيم والمعايير والقيم والأخلاق والآداب والفنون والصناعة والتجارة والرياضة والطبيعة وما تحتويه من مخلوقات والتقاليد والعادات. بينما اللغة هي تلك الأداة أو الوسيلة التي يستخدمها

الإنسان في تبادل هذه المعنويات والأفكار بينهم^(١).

وتبرز العلاقة بين اللغة والثقافة بشكل أكبر من حقيقة أن اللغة جزء من الثقافة، واللغة عمومية من عموميات الثقافة، فاللغة ظاهرة اجتماعية، شأنها شأن جميع الظواهر الاجتماعية الأخرى التي تتغير وتتبدل وتنتقل من طور إلى آخر حسب سنين مضطردة ومتتابعة^(٢). فمن خلال اللغة انتشر الأدب والفن والدين، كما إنها وسيلة التاجر لتسويق بضاعته؛ فمن خلالها ينشر عاداته وتقاليده ويتعرف على عادات وتقالييد الشعوب الأخرى، فيحدث التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب. فالمتعلم الذي نعلمه اللغة العربية، فتحن على الأصح نعلمه الثقافة العربية بكل تفصيلاتها، ليلتزم بقيم متكلميها ويتشرب أنماطهم في التفكير والرؤية إلى العالم والأشياء^(٣).

كما يمثل تدريس الثقافة في برامج تعليم اللغات الثانية البعد الخامس من أبعاد تعليمها. والثقافة بذلك تتم الأبعاد الأربعة المعروفة، أو ما يطلق عليها المهارات الأربعة الرئيسة، (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة). وتربط بينهما في شكل منظومة متكاملة^(٤). فالمهارات اللغوية لا يتصور ممارستها من خلال مفردات مستقلة ومنفصلة أو أداء أي منها في شكل جمل مجردة منفصلة كأن نقول: (فتح محمد الباب، أو ذهب الطالب إلى السوق) لذا أصبح من أهم مبادئ العمل في ميدان تعليم اللغات الثانية أن يتم تعليمها في محتوى وسياق، ليدرك الدارس له معنى ويحس من خلاله أن حاجة من حاجات الاتصال اللغوي عنده قد أشبعت. وبالتالي الحديث عن المحتوى والسياق يعني الحديث عن الثقافة بمفهومها الواسع. وذلك لأن الفهم الثقافي أصبح أمراً لا مفر منه في تعليم اللغات لغير أهلها بل إن الفهم الثقافي يعمق ويفني في المتعلم اللغة التي يتعلمها.

وانطلاقاً من هذا الاتصال المتلازم بين اللغة والثقافة يرى الباحثان أن اللغة والثقافة كلتاهما مرآة للأخرى وأنهما يؤثرنا في بعضهما؛ إذ أن اللغة هي أداة تبادل الأفكار والمفاهيم، في حين أن الأفكار والمفاهيم هي نفسها من مضمون الثقافة، فكلما ازدهرت الثقافة في بيئة ما، تطورت لغة هذه الثقافة أيضاً لأنها لسانها ورموزها، كما أن اللغة عندما تنتقل من قوم إلى قوم آخرين تنتقل معها ثقافتها أيضاً وإن كان ها الأمر يصدق على اللغات المختلفة وثقافتها فهو أصدق ما يكون على اللغة العربية وثقافتها، فاللغة العربية وثقافتها يسيران يداً بيد، ومن العسير

١- (بان شيجي، ١٩٩٥، ص ٢٩)

٢- (يونس، والشيخ، ٢٠٠٣، ص ١٢٠)

٣- (حاج حمد، ٢٠١٢، ص ١٨)

٤- (طعيمة، ١٩٩٨، ص ٧٧)

على دارس أجنبي أن يفهم اللغة العربية فهماً دقيقاً أو أن يستخدمها استخداماً جيداً دون أن يفهم ما يرتبط بها من مفاهيم ثقافية معينة.

٢- مهارة التحدث (ماهيتها وتعليمها) :

يعتبر التحدث أو التعبير الشفوي وسيلة لتنمية قدرات الطالب اللغوية، وبناء الأفكار في أسلوب واضح بعيد عن الأخطاء اللغوية، وهو عنصر مهم من عناصر النجاح التي لا يستغني عنها الإنسان في أي نشاط من الأنشطة الإنسانية، فهو بحاجة ماسة إليه حين يحاضر، أو يلقي حديثاً أو يأتي بخبر، حتى يكون لكل ما يقوله قيمة ثقافية تؤثر في المجتمع الذي يعيش فيه، وإن الممارسة السليمة لهذا الفن تهذب لغة الطلاب، وترفع المستوى الأسلوبي لفظاً وفكراً^(١).

أ- مفهوم مهارة التحدث (Skill to talk): والتي يطلق عليها أيضاً التعبير الشفوي وتعرف لغةً، بأنها: «كل ما يتكلم به من كلام وخبر»^(٢).

وأما تعريفها اصطلاحاً فهي ذلك الكلام المنطوق الذي يعبر به المتكلم عما في نفسه وما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس، وما يزخر به العقل من رؤى أو فكر، وما يريد أن يزود به غيره من معلومات أو نحو ذلك بطلاقة وانسياب مع صحة في التعبير وسلامة في الأداء^(٣).

ومن هنا يرى الباحثان أن مهارة التحدث تعتبر ظاهرة اجتماعية ووسيلة اتصال، وتتطلب من الفرد تعبيراً لفظياً لما يدور بعقله من أفكار ويحس به من مشاعر، وهو ترجمة للسان عما تعلمه الإنسان عن طريق الاستماع والقراءة والكتابة، والكلام بمعناه الحقيقي هو ما يصدر عن الإنسان ليحس به عن شيء له دلالة في ذهن المتكلم والسامع أو على الأقل في ذهن المتكلم، فهو يعبر به عن احتياجاته ومشاعره، وهو الوسيلة الرئيسة للتواصل مع الآخرين، وهو جزء هام من ممارسة اللغة واستخدامها.

ب- مهارة التحدث أهميتها ومكانتها بين المهارات الأخرى :

يعد التحدث فناً لغوياً، يظهر في حياة الإنسان مبكراً ولا يسبقه أي من المهارات اللغوية إلا الاستماع الذي من خلاله يتعلم التحدث. والتحدث خطوة أولى لتعلم القراءة والكتابة، من خلاله يكون المتعلم ثروة من المفردات والتراكيب والأفكار والمعاني ومن ثم فإن أي نتاج لغوي مكتوب يكون مرتكزاً على الطلاقة في التحدث. أضف إلى ذلك أن التحدث هو الشكل الأساسي في عملية الاتصال بين الأفراد، وهو أكثر أنواع الاتصال قدرة على ترجمة المشاعر والعواطف والأفكار

١- (الكلباني، ١٩٩٧، ص ١٢)

٢- (مدكور، ٢٠٠٠، ص ٢٢٨)

٣- (مجاور، ٢٠٠٠، ص ٢٢٣)

والانفعالات بشكل مباشر^(١).

ويحتل التعبير الشفوي مركزاً مهماً في المجتمع الحديث، وتظهر أهميته في أنه أداة الاتصال السريع بين الفرد وغيره، والنجاح فيه يحقق أهدافاً كثيرة في ميادين الحياة المختلفة، والتعبير الشفوي غاية أساسية لتعليم اللغة، وليس هناك أثمن في حياة المتعلم لأي لغة من تمكنه من مهارات التحدث واستطاعته التعبير عما يجول في فكره بطلاقة وجرأة^(٢).

وأما من حيث مكانة مهارات التحدث بين المهارات اللغوية يشير نصر والعبادي إلى التعبير الشفوي باعتباره التحدث ويحتل الرتبة الثانية بعد الاستماع في الترتيب المنطقي لمنظومة مهارات اللغة الرئيسية: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة^(٣).

والتحدث من أكثر فنون اللغة توظيفاً في عملية الاتصال، ومعظم الناس يمضون أكثر أوقاتهم في التحدث، ولا عجب في ذلك، فقد خلق الله الإنسان متكلاً قبل تهيؤه للكتابة أو القراءة، فالكلام وسيلة الإنسان في الفهم والإفهام، كما أنه وسيلة المتعلم في بناء ثقته بنفسه، ومقدرته على المواجهة بالكلمة، والارتجال في المواقف التي تتطلب ذلك، كما أن التحدث يسهم في زيادة الثروة اللغوية لدى المتعلم فيتسع قاموسه اللغوي^(٤).

ج- أهداف مهارة التحدث في اللغة العربية كلفة أجنبية :

التحدث من المهارات الأساسية، التي يسعى المتعلم إلى إتقانها وخاصة في اللغات الأجنبية. ومن الضرورة بمكان عند تعليم اللغة العربية، الاهتمام بالجانب الشفهي، وهذا هو الاتجاه، الذي نرجو أن يسلكه مدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وأن يجعل هدفه الأول، تمكين الطلاب من الحديث بالعربية بطلاقة ويسر.

ولمهارة التحدث في اللغة العربية كلفة أجنبية أهداف كثيرة وأما أهم أهدافها نلخصه بما يلي:^(٥)

- صحة النطق وطلاقة اللسان وتمثيل المعاني والتعبير شفويًا بدقة ووضوح.
- التغلب على الخجل واللجاجة واللعثمة والانطواء.
- تعويد المتعلمين على التمثيل للمواقف أثناء حديثهم باستخدام لغة الجسد، وإبعادهم عن التصنع والمبالغة في أثناء ذلك.
- تدريب المتعلمين على الإفصاح من مكونات أنفسهم بطريقة بسيطة وأسلوب راقٍ.

١- (عبد النبي، ٢٠٠٥م، ص ٧)

٢- (السيد، ١٩٨٨م، ص ٨٨)

٣- (نصر، والعبادي، ٢٠٠٥، ص ٥١)

٤- (أبو بكر، ٢٠٠٣م، ص ٤٦)

٥- (الفوزان، ١٤٢٨هـ، ص ٢٠)

- تعويد المتعلمين على التفكير المنطقي، وترتيب الأفكار، وربطها ببعضها.
- مقدرة المتعلمين على انتقاء الألفاظ والتراكيب المناسبة للمعنى الذي يريد توصليه والذي يؤدي بدوره إلى توضيح المعنى وعدم اللبس فيه.
- زيادة المستوى الثقافي للمتعلمين ، وتممية القدرة لديهم على التعبير عما يرغبون بكل صدق، ووضوح، ودقة.
- تنمية الثقة بالنفس من خلال مواجهة الآخرين سواء التحدث لفرد أو مجموعة .
- مقدرة المتحدث على توظيف أدوات الربط واستخدامها في المكان الصحيح لها.

د- مهارات التحدث (التعبير الشفوي) :

اللغة الأخرى، ويمكن إيجاز هذه المهارات بما يلي^(١):

- مهارات المرتبطة بالمضمون: ويندرج تحت هذا المجال مهارات فرعية ، منها : انتقاء الأفكار المناسبة لموضوع التحدث ، وتسلسل الأفكار وترابطها، فتؤدي كل فكرة إلى الفكرة التي تليها ؛ ليكون المعنى واضحاً ، وتدعيم الفكرة الرئيسة بالشواهد والأدلة، ويكون الاستشهاد بليغاً، وإبراز الفكرة الرئيسة للموضوع بلا استطراد؛ لأن في الإطالة مللاً للسامع وبعداً عن موضوع الحديث مما يفسد رونق التعبير وقدرة المتكلم على التركيز في الفكرة الرئيسة واستخدام التنعيم ليناسب المعنى، فالتنعيم عنصر صوتي مهم في التحدث ؛ إذ به يتم توضيح المعنى الذي يريد المتحدث إيصاله إليهم.
- مهارات المرتبطة بالألفاظ والتراكيب: ويندرج تحت هذا المجال مهارات فرعية، منها: اختيار الألفاظ المعبرة عن المعنى ، وعدم تكرار الألفاظ ؛ لأنه يؤدي إلى الضعف في الحديث، وعدم الترابط فيه عدم استخدام الألفاظ العامية ، واستخدام أدوات الربط المناسبة، وهذا يحتاج إلى دراية وتدريب المتحدثين لإتقانها على نحو صحيح، خلو الحديث من الأخطاء النحوية ، لذلك ركز الباحثان على هذه المهارة لأهميتها في إتقان التحدث بتضمين الوحدات التعليمية المقترحة فوائده نحوية تخدم المهارات المستهدفة في هذه الدراسة. وانتقاء الأزمنة المناسبة للأفعال ، وإلا أخل المعنى وفقدت العبارات مضمونها، واستخدام الضمائر وأسماء الإشارة المناسبة.
- مهارات المرتبطة بالأصوات: ويندرج تحت هذا المجال مهارات فرعية، منها: إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، والمواءمة بين سرعة الحديث وانتباه السامعين، وجهارة الصوت ووضوحه، والمرابحة بالصوت بين الارتفاع والانخفاض بما يتواءم والموقف.

١- (يونس ١٩٩٨ ، ص ١٢٣ - ١٢٥)، (الضبع ٢٠٠١ م. ص ٢٦٩ - ٢٧٥)

- مهارات المرتبطة بشخصية المتحدث : ويندرج تحت هذا المجال مهارات فرعية ، منها: الجرأة بالحديث والثقة بالنفس عند مواجهة الآخرين، والانطلاق بثقة من دون تردد أو خوف، والحديث من غير لجلجة ولا لعثمة، ومن هنا يجب على المتحدث الاسترسال في حديثه، من دون أن يقطعه بوقفات ناجمة عن تردد أو بعض صياغة الحروف أو الكلمات، واستخدام الحركات الجسدية المعبرة عن المعنى (لغة الجسد). ويساعد ذلك على جعل الحديث أكثر متعة، وحسن التلقي، والانصراف عن الملل. وقد أكد الجاحظ ذلك بقوله: «فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب، والإشارة واللفظ شريكان ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر أن تنوب عن اللفظ وتغني عن الخط على اختلاف طبقاتها ودلالاتها»^(١).

هـ- تنمية مهارة التحدث للناطقين بلغات أخرى:

وفي هذه المهارة المعلم معني أيضاً بتهيئة مواقف يستطيع فيها المتعلم ممارسة المهارات اللغوية في سياق اجتماعي حيوي، ليقبل على ممارسة اللغة الشفوية بكل ثقة واطمئنان، من دون تردد أو إعراض.

وإن حدوث عملية التحدث وإنتاج الكلام ليست حركة بسيطة تحدث فجأة، وإنما هي عملية معقدة تتم في عدة خطوات، وهي: الاستشارة، والتفكير، والترجمة، والإرسال. فقبل أن يتحدث الإنسان لا بد أن يستشار، والمثير إما أن يكون خارجياً، كأن يرد المتحدث على من أمامه، أو يجيب عن سؤال طرحه عليه مخاطبه، أو يشترك مع الآخرين في نقاش أو حوار أو ندوة، أو ما إلى ذلك من المجالات المختلفة، أو قد يكون داخلياً، كأن تلح على الفرد فكرة، ويريد أن يعبر عنها للآخرين، أو كأن ينشغل الإنسان بهموم أو مشكلات فيعبر عنها لزملائه وأصدقائه.

وبعد أن يستثار الإنسان كي يتكلم أو يوجد لديه الدافع للكلام يبدأ بالتفكير فيما سيقول، فيجمع الأفكار ويرتبها، وبعد ذلك يبدأ في انتقاء الرموز (أي الألفاظ والعبارات والتراكيب) المناسبة للمعاني التي يفكر فيها، ومن الصعب- في الواقع- التفريق بين مرحلة التفكير ومرحلة انتقاء الرموز، فالإنسان يفكر باللغة، أي بالنظام الرمزي، وليس المهم هنا أي المرحلتين يأتي أولاً، وإنما المهم هو أن المدرس الراشد هو الذي يعلم تلاميذه أن يفكروا ويتمعنوا قبل أن يتكلموا، وأن ينتقوا المناسب من الألفاظ والمعاني التي يريدون التعبير عنها وتوصيلها^(٢).

ويأتي بعد هذه المرحلة مرحلة الإرسال، فلا يكفي أن يكون لدى المتكلم دافع الكلام للكلام، وأن يفكر ويرتب أفكاره وينتقي من الألفاظ والعبارات ما يناسب مع هذه الأفكار، ويتناسب أيضاً

١- (المجارمة، ٢٠٠٦، ص ٢٥)

٢- (مدكور، ١٩٩١، ص ١٠٩)

مع نوعية المستمعين، بل لا بد أن يترجم الصور الذهنية المجردة إلى صور صوتية منطوقة وتقديمها بأداء يتلاءم وطبيعة المعاني والأفكار المحمولة وحال السامعين المستهدفين بعمليات الاتصال والتواصل فيراعي معايير الإرسال، والعرض من مرونة وتنغيم ودقة لغوية، وما يصاحب العرض من حركات جسدية مؤثرة^(١).

وهناك أساليب واعتبارات وتوجيهات هامة للمدرسين ولازمة لتنمية مهارات التحدث من أهمها^(٢):

- معرفة من أين يبدأ؟ وما الأداء المطلوب تعلمه؟ وما الخبرات المنتظمة والمتابعة التي يجب أن يوفرها لطلابه؟ وما المهارات التي يريد أن ينيها، وما أهدافها النهائية؟ حتى يكون الأداء استجابة لمواقف مختلفة.
- فهم مكونات مهارة التحدث بوضوح، واستغلال فهمه ومعلوماته للمهارة حتى يكون التعليم ناجحاً.
- توفير المواقف الحيوية التي يمكن ممارسة مهارة التحدث من خلالها، وهي المواقف المشابهة لتلك التي سيواجهها المتعلمون خارج قاعة التدريس.
- التدرج في إكساب الطلبة مهارة التحدث؛ لأن المهارة تكتسب تدريجياً سواء أكانت مهارة حركية أو عقلية.
- تدريبهم على مهارة التحدث وبشكل مستمر؛ لأن التدريب شرط أساسي في نمو المهارة.
- تصميم التدريبات بحيث تكفل المرونة، وتناسب الفروق الفردية. وتساعد على استخدام مهارة التحدث في مواقف متعددة، وأن تسمح لكل متعلم أن ينمو بحسب قدراته إلى أقصى الأداء.
- تزويد المتعلمين بشروة لغوية وميسرة لإتقان مهارة التحدث؛ لأن ضآلة المفردات لا تساعد على إتقانها.
- مراعاة استعداد المتعلمين لتعلم مهارة التحدث وخبراتهم السابقة.
- استثارة المتعلمين، وأن تزداد دوافعهم نحو تعلم مهارة التحدث حتى إتقانها بسرعة.
- التقويم يكون شاملاً للمهارات المراد التدريب عليها، والمهارات التي سبق التدريب عليها حتى لا تهمل هذه المهارات الأخيرة حين ينصرف التدريب إلى المهارات المراد تعلمها.

١- (نصر، والعبادي، ٢٠٠٥م، ص ٥٩)

٢- (شحاتة، ١٩٩٢م، ص ٢٥٠-٢٥٢)

٣- مهارة الكتابة (ماهيتها وتعليمها) :

تعد الكتابة من أهم أنماط النشاط اللغوي، فهي التي تبقى على ثقافة الأمم وتراثها؛ إذ لا بد من الكلمة المكتوبة أداة لحفظها ونقلها وتطويرها، والكتابة ذات أهمية قصوى في الحياة، يلجأ إليها الإنسان عندما يحتاج إلى نقل المعاني من إنسان إلى آخر تفصل بينهما المسافات الزمانية والمكانية، فالكتابة تؤدي الدور الذي يعجز عن تأديته التحدث، وهذا ما أكده الركابي بقوله «إن الكتابة وسيلة الاتصال بين الفرد وغيره، ممن تفصله عنه المسافات الزمانية والمكانية»^(١).

أو يمكن القول أن دور مهارة الكتابة مكمل لدور مهارة التحدث. فهما متشابهتان من حيث الغرض لكنهما مختلفتان من حيث الوسيلة والطريقة. وهذا ما أكده مناصرة بتعريفه الكتابة بأنها إعادة ترميز اللغة المنطوقة في شكل خطي على الورق من خلال أشكال ترتبط ببعضها بعضاً، وفق نظام معروف، اصطلاح عليه أصحاب اللغة في وقت ما، بحيث يعد كل شكل من هذه الأشكال مقابلاً لصوت لغوي يدل عليه^(٢).

أ- مفهوم مهارة الكتابة (Writing skill) لغةً فهي: «مصدر كَتَبَ يَكْتُبُ: خَطٌّ، فهو كاتب (ج) كُتَّابٌ وَكُتِّبَ. ويقال: كَتَبَ الْكِتَابَ: عَقَدَ الْقِرَانَ. وَكَتَبَ اللَّهُ الشَّيْءَ: قَضَاهُ، وَأَوْجَبَهُ، وَفَرَضَهُ»^(٣) وأما تعريفها اصطلاحاً فعرّفها الهاشمي بـ: «نشاط لغوي وظيفي أو إبداعي، يقوم به الطالب للتعبير عن الموضوعات المختارة تعبيراً واضح الفكرة، صافي اللغة، سليم الأداء، ويتطلب الإبداعي زيادة على ما تقدم التأثير في القارئ»^(٤).

ب- مهارة الكتابة أهميتها ومكانتها بين المهارات الأخرى:

تأتي مهارة الكتابة متأخرة بحسب ترتيبها بين بقية المهارات اللغوية الأخرى؛ فهي تأتي بعد مهارة القراءة^(٥). وتستمد أهميتها من أهمية حياة الإنسان، أما أهميتها التربوية فتأتي من مكانتها المميزة بين المواد الدراسية ومن الإسهام المنتظر منها في تكوين شخصية المتعلمين، وبسبب ذلك احتلت الكتابة مكانة لا تدانيها مكانة في فنون اللغة. فهي الحصيلة النهائية من تعليم اللغة، وهي أداة الإنسان في الإفصاح عما يجول بخاطره، وفي اتصاله بغيره من الناس، وبفضلها تمكن الإنسان من التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه^(٦).

١- (الركابي، ١٩٨٦م، ص ١١٦)

٢- (مناصرة، ١٩٨٧م، ص ١١٤)

٣- (المعجم الوجيز، ص ٥٢٦)

٤- (الهاشمي، ١٩٨٨، ص ٤٢)

٥- (الفوزان، ١٤٢٨هـ، ص ٤٤)

٦- (مجاور، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٦)

ج- أهداف مهارة الكتابة في اللغة العربية كلغة أجنبية :

للكتابة أهداف متعددة يتوجب على الإنسان الأخذ بها والعمل على تحقيقها؛ لأن الكتابة من أهم أنماط النشاط اللغوي، فهو الذي يبقى على ثقافة الأمم وتراثها؛ إذ لا بديل عنها في تعلم اللغات. ويعتبر التعبير ذا أهمية قصوى في حياة الإنسان عندما يحتاج إلى نقل المعاني من إنسان إلى آخر تفصل بينهما المسافات الزمانية والمكانية، لذا ينبغي العمل بهذه الأهداف وتمثلها، ومن هذه الأهداف ما يلي^(١):

- مقدرة المتعلمين على انتقاء الألفاظ الملائمة للمعاني بدقة، وجمع الأفكار ووضوحها وتنسيقها، وربط ببعضها بعضاً.
- تنمية الملاحظة والفهم لدى المتعلمين كأساسين لإثراء الفكر والكتابة بعمق.
- إتاحة الفرصة للمتعلمين لاستغلال المخزون اللغوي لديهم والاستفادة مما لديهم من خبرات ومعرفة بالموضوع.
- إزالة الخوف والتردد من نفوس المتعلمين عند الكتابة ليساعدهم في زيادة الثقة بالنفس.
- تنمية الاستخدامات الصحيحة للغة، ومعايير الكتابة ومكوناته، كعلامة الجملة، وتقسيم الموضوع إلى فقرات واستخدام علامات الترقيم، والمظهر اللائق بالكلمة المعبرة.
- الارتقاء بأسلوب المتعلمين وإنتاجهم الكتابي من حيث الاستخدام اللغوي، وسعه الأفق الفكري لديهم.
- تشجيع المتعلمين على الاستخدام السليم لعلامات الترقيم في كتاباتهم.
- يكتب بسرعة مقبولة وبشكل سليم بسهولة ويسر.

د- مهارات الكتابة :

للكتابة مستويات متنوعة، تتكون من مهارات فرعية تتلازم فيما بينها وتقوم على علاقة وثيقة، وكل مهارة يمكن أن تكون في معزل عن الأخرى، وحتى تتم الكتابة بفاعلية لا بد من تكامل المهارات في الموقف الكتابي، وقام طعيمة بتحديد مهارات الكتابة (التعبير الكتابي) بما يلي :

مهارة تعرف طريقة كتابة الحروف الهجائية بأشكالها المختلفة، ومواقع تواجدها في الكلمة، وكتابة الكلمات العربية بحروف منفصلة وبحروف متصلة مع تمييز أشكال الحروف، ومراعاة القواعد الإملائية والأساسية في الكتابة، ومراعاة التناسب والنظام فيما يكتبه بالشكل الذي يرضي عليه مسحة من الجمال، ومراعاة علامات الترقيم عند الكتابة، وترجمة أفكاره في فقرات مستعملاً المفردات والتراكيب المناسبة، وسرعة الكتابة وسلامتها معبراً عما يريد بيسر،

(١) - (شحاتة، ١٩٩٣، ص ٢٤٢-٢٤٣)، (الفوزان، ١٤٢٨، ص ٥٥).

ووصف ما يريد بخط مقروء، ومراعاة التناسب بين الحروف طولاً واتساعاً، وتناسق الكلمات في أوضاعها وأبعادها^(١).

وقد قام الهاشمي بتقسيم مهارات التعبير الكتابي إلى أربعة أقسام رئيسة، يندرج تحتها مهارات فرعية، هي^(٢):

- مهارات مرتبطة بالمفردات، وتشمل: كمهارة استخدام كلمات اللغة العربية الفصيحة، ومهارة اختيار الكلمات المناسبة، ومهارة رسم الكلمات رسماً إملائياً صحيحاً، ومهارة الصياغة الصرفية الصحيحة.

- مهارات ترتبط بالتراكيب والأسلوب، وتشمل: مهارة استخدام أدوات الربط بدقة، ومهارة إكمال أركان الجملة، ومهارة سلامة التراكيب النحوية، ومهارة صحة الأساليب المستخدمة.

- مهارات ترتبط بالأفكار، وتشمل: مهارة صحة الأفكار والمعلومات، ومهارة القدرة على تقديم الأفكار بوضوح، ومهارة القدرة على تقديم الأفكار بصورة مترابطة ومنتسلة.

- مهارات ترتبط بالتنظيم وتشمل: مهارة استخدام نظام الفقرات، ومهارة استخدام علامات الترقيم، ومهارة وضوح الخط، ومهارة سلامة الهوامش وتناسبها.

هـ- تنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها:

لا بد للمعلم أن يهتم بالمهارات الكتابية اهتماماً كبيراً، ليس لأنها حصيلة تعلم الطالب فحسب، وإنما لأن الاتصال من خلال الكتابة يعني الاتصال عن بعد، فالكاتب غير موجود كي يوضح للقارئ ما اختلط عليه، لذا يأتي الاهتمام بتوظيف المهارات اللغوية كافة في الأداء الكتابي حتى يتم التواصل على النحو المطلوب.

وعند عرض مهارة الكتابة في تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، نقصد التركيز على الجانب العقلي في الكتابة وهو ما يقصد بالتعبير الكتابي سواء المقيد من خلال الإجابة على أسئلة محددة أو الحر الذي يترك فيه المجال للمتعلم للتعبير عن موضوع ما، وينبغي، عندما يبدأ الطلبة في عملية الكتابة، أن يقوموا بذلك تحت إشراف المعلم المباشر، وينبغي أن يقلدوا نموذجاً أمامهم، وأن ينظروا دائماً إلى النموذج، المقدم وليس إلى ما كتبه على غرار النموذج حتى لا يتأثروا بالطريقة التي كتب بها النموذج. ومن أهم معايير الحكم على الكتابة: الوضوح والجمال، والتناسق في الجمل والأفكار، والسرعة النسبية.

١- (طعيمة، ومناع، ٢٠٠٠م، ص ١٧٠-١٧٢)

٢- (صومان، ٢٠٠٦، ص ٤٣-٤٤)

ومن المفيد أن يبدأ تعليم الكتابة من خلال المواد اللغوية ، التي سبق للطلاب أن استمع إليها ، أو قرأها. وفي هذا الصدد يجب أن يقوم تنظيم المادة ، ويتناسب محتواها مع ما في ذهن الطالب. فعندما يشعر الطالب أن ما سمعه ، أو قرأه ، أو قاله ، يستطيع كتابته ، فإن ذلك يعطيه دافعاً أكبر للتعلم والتقدم. والتدرج أمر مهم في تقديم المادة الكتابية للطلاب ؛ فمن الأفضل أن يبدأ الطالب بالجمل القصيرة والتعبيرات البسيطة ، ثم كتابة جمل أطول وهكذا^(١) ، لذلك اختار الباحثان أن تكون موضوعات الكتابة مستوحاة من الفكرة العامة للنصوص الإثرائية الموجودة في بداية كل وحدة تعليمية مقدمة للمتعلمين بهدف تزويد الطالب بأفكار ومفردات جديدة يمكن أن يستخدمها ويوظفها في الكتابة .

٤- مداخل تعليم مهاراتي التحدث والكتابة للناطقين بغيرها

وعلى الرغم من اتفاق المتخصصين على كون اللغة ظاهرة إنسانية ، إلا أنهم اختلفوا في طريقة تناولهم لطبيعتها من حيث كونها ظاهرة لغوية خالصة أو سلوكية أو اجتماعية ، ومن هنا يمكن التمييز بين ثلاثة مداخل للتناول ، وهي^(٢) :

أ- المدخل اللغوي النفسي (The Psycholinguistic Approach) : وهو يرى أن اللغة ظاهرة نفسية تهتم بسلوك الفرد الظاهر والكامن ، وعلى ذلك فاللغة من هذه الناحية فرع من فروع علم النفس ، وعموماً فإن هذا المدخل يهتم بصفة أساسية بدراسة اكتساب اللغة وعلاقتها بالإدراك الإنساني ، والإعمال النفسي وراء فهم وإنتاج الكلام.

ب- المدخل اللغوي الاجتماعي (The Sociolinguistic Approach) : وهو يهتم باللغة كظاهرة اجتماعية داخل المجتمع ، ويركز على الوظائف الاجتماعية للغة كوسيلة اتصال بين الناس ، وعلى هذا فاللغة تتضمن شبكة معقدة من العوامل مثل: اتجاهات الناس ، وطريقة معيشتهم ، وميولهم. أي أنها تتضمن دراسة اللغة في إطارها الثقافي ، ومن هنا فإن اللغة تعتبر علماً اجتماعياً .

ج- المدخل اللغوي (The Linguistic Approach) : ويهتم بدراسة اللغة في حد ذاتها وتركيبها الداخلي والخارجي بغض النظر عن وظائفها وكيفية اكتسابها ، ولذلك فإن جوانب هذا المدخل تتركز في النصوص والأحاديث المسجلة ، وهذا المدخل يصنف مكونات اللغة ، ويبحث عن العلاقات الموجودة بينها طبقاً للمستويات التقليدية وهي: الصوتية ، والمعجمية ، والنحوية.

١- (الفوزان، ٥١٤٢٨، صص ٤٥-٤٦)

٢- (يونس ، والشيخ ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٢٣)

ويرى الباحثان من خلال الحديث عن مداخل تعليم اللغات أن المدخل الاجتماعي يكاد يكون هو أفضل أسلوب لتناول اللغة في إطارها الثقافي وذلك لأن هذا التناول يعتبر تناولاً وظيفياً لأنه يصف السلوك النهائي للمتعلمين من خلال وظائف اللغة، بمعنى أنه يحدد الأدوار التي سيقوم المتعلمون بها في الثقافة الأجنبية، وكذلك المواقف التي سيشاركون فيها والمجموعات الاجتماعية التي سيتعاملون معها، أو بمعنى آخر يحدد هذا التناول الوظائف اللغوية التي يحتاج المتعلم إلى السيطرة عليها مع إدراك البعد الثقافي للغة. فاختيار الأسلوب اللغوي يخضع لكل من القيود اللغوية، والاجتماعية، وترتبط القيود اللغوية بفهم الحديث، أما القيود الاجتماعية فتتصل بالقدرة على تقبلها، ومن ثم يصبح اختيار الأسلوب اللغوي مشكلة عند ابتعادنا عما اعتدناه من البيئة الاجتماعية المحيطة بنا .

٥- طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

هناك عوامل كثيرة تعرقل سير تعليم العربية لغير الناطقين بها، ومن أبرز هذه العوامل الطريقة أو الطرائق التقليدية القديمة التي سار عليها معظم القائمين على أمر نشر اللغة العربية وما زالوا يسيرون، فمعظم معلمي العربية لغير أهلها في أنحاء العالم يسيرون في خطى من سبقوهم في ذلك دونما محاولة جادة لتمحيص ذلك النهج، ودراسة مدى مواكبته للتطور الذي طرأ في حقل تعليم اللغات، وهذا يؤكد أن هناك ضرورة ملحة لتطوير طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، إذا أردنا أن تأخذ اللغة العربية مكانها اللائق بين اللغات العالمية. ومن أبرز طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ما يأتي:

أ- طريقة النحو والترجمة (Grammar-Translation Method) : هذه الطريقة تعد أقدم طرائق تدريس اللغات الأجنبية حيث يرجع تاريخها إلى القرون الماضية. وهي حقيقة لا تبنى على فكرة لغوية أو تربوية معينة كما لا تستند إلى نظرية معينة، وإنما ترجع جذورها إلى تعليم اللغة اللاتينية واليونانية التي تتمحور حول تعليم القواعد اللغوية والترجمة. وقد صَنَفَ العلماء هذه الطريقة من ضمن طرائق المدارس القديمة لتعليم اللغات الأجنبية التي لا تزال سائدة الاستخدام حتى الآن في مناطق مختلفة من العالم رغم قدمها وفشل أساليبها. هذه الطريقة تشبه في أغلب جوانبها، الطريقة التي كان يستعملها شيوخ وفقهاء الكتابات القرآنية والجامعات الإسلامية وقد خضعت طريقة الترجمة هذه لنقاشات حادة بين الباحثين والمدرسين على السواء، حيث انقسموا إلى فريقين: مؤيد ومعارض. أما المؤيدون فيرون بأن الترجمة ضرورية في فصل تدريس اللغات الأجنبية لتحقيق هدف الفهم، خاصة في المستويات الأولى. وأما المعارضون فقد ذهبوا إلى القول بأن الترجمة تجعل المتعلم لا يتقدم بخطى حثيثة في اكتساب اللغة

الهدف، وتورثه عادات وأفات لغوية غير مرغوبة قد يصعب علاجها حتى في مراحل متقدمة من التعلم، ولذلك فإن اللجوء إلى الترجمة يجعلنا نقحم نظاماً لغوياً خاصاً في نظام مخالف، الشيء الذي يحدث صعوبات لدى المتعلم، ويضعف من الآفات والشوائب الناتجة عن التداخلات اللغوية^(١).

ب- الطريقة المباشرة (Direct Method): ظهرت هذه الطريقة المباشرة رداً على طريق القواعد والترجمة التي كانت لا تتبني على أية نظرة علمية للغة والتي تقتصر إلى أساس منهجي في أساليبها. وتسمى هذه الطريقة أحياناً بالطريقة الطبيعية إذ إن جذورها التاريخية ترجع إلى المبادئ الطبيعية لتعليم اللغة، وهي المبادئ التي تقول إن اللغة الأجنبية يمكن تعلمها بأسلوب طبيعي يتعلم به الطفل لغته الأم. وهدف هذه الطريقة هو تنمية قدرة الدارس على أن يفكر بالعربية وليس بلغته الأولى، ومن ثم فتعليم اللغة الأجنبية لا يتم بالضرورة من خلال الترجمة، إذ إن تعليم معاني الكلمات يمكن أن يتم من خلال التمثيل والحركة والصور واستخدامها بصورة عفوية في حجرة الدراسة، وكانت هذه الطريقة رائدة في استعمال الوسائل السمعية البصرية كبديل لعملية الترجمة، وينبغي تعليم اللغة العربية من دون أية لغة وسطية أو استعمال العامية أو أية لهجة أخرى، كما عمدت الطريقة المباشرة إلى تعويض حفظها عن ظهر قلب بالاتصال مباشرة باللغة والتدرب على استعمالها استعمالاً سليماً بالنطق والممارسة وتنشيط عملية التواصل^(٢).

ج- الطريقة السمعية الشفوية (Audio-lingual method): ظهرت هذه الطريقة رداً على طريقة النحو والترجمة والطريقة المباشرة معاً في جانب، واستجابة لاهتمام متزايد بتعلم اللغات الأجنبية في أمريكا في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي في جانب آخر. وكان هذا الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية ينتج من سياسة أمريكا في متابعة ما جرى في العالم من التطورات سواء كانت في المجال العلمي أم في المجال العسكري. فقد أدى ذلك إلى ضرورة إعادة النظر إلى اللغة مفهوماً ووظيفة، وإلى أساليب تعليم اللغة الأجنبية وتعلمها التي كانت لا تزال متأثرة بطريقة النحو والترجمة والطريقة المباشرة، ولم تعد اللغة وسيلة الاتصال الكتابي فقط، أو نقل التراث الإنساني، بل أصبحت أداة لتحقيق الاتصال الشفهي، أولاً بمهارتي الاستماع والكلام، يليه الاتصال الكتابي بمهارتي القراءة والكتابة، وترتب على هذه النظرة ظهور الطريقة السمعية

١- (بوشوك، ٢٠٠٢م، ص ٤٥-٤٦)

٢- (بوشوك، ٢٠٠٢م، ص ٤٧)

الشفوية. ويؤخذ على هذه الطريقة الفصل التام بين مهارات اللغة وتخصيص فترة طويلة من البرنامج للاستماع فقط، واعتمادها على نتائج التحليل التقابلي في إعداد الخطط والمناهج واختيار المواد التعليمية وتقديمها وتنفيذ الأنشطة والإجراءات^(١).

د- الطريقة التواصلية (Communicative) Method: قامت هذه الطريقة في السبعينيات من القرن العشرين، رداً على الطريقة السمعية، وكان هدفها بالدرجة الأولى تجاوز الأخطاء التي وقعت فيها الطريقة الشفوية الآلية من جهة، وتجاوز قصور التحويلية في التركيز على الجانب الاجتماعي للاستعمال اللغوي من جهة أخرى. وتشير هذه الطريقة إلى استعمال اللغة في الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي تدور فيه، وهي تنطلق في ذلك من ثورة هاييمز (Dell Hymes) على مفهومي الكفاية والأداء عند تشومسكي؛ إذ يرى هاييمز أن الوصف الذي قدمه تشومسكي وصف تجريدي مثالي بعيد عن الوسط الاجتماعي الذي تسير فيه اللغة، وذلك أن هناك قواعد اجتماعية إضافية إلى القواعد الصرفية والنحوية هي التي تحكم استخدامنا للغة في المواقف الاجتماعية المختلفة، فإذا ما أردنا أن نتعلم لغة أجنبية، فلا بد من مراعاة القواعد الاجتماعية والقواعد اللغوية^(٢).

وتعتبر الأنشطة التواصلية المحور المركزي في هذه الطريقة والغاية النهائية منها ومناطق مقصدها، ويرى «لتل وود» (w.little wood) أنها يمكن أن تقدم إسهامات عديدة في عملية تعليم اللغة^(٣).

ه- طريقة السمعية البصرية (Method Optical- Audio) : وهي طريقة تدريس تعتمد على الوسائل السمعية والبصرية معاً كالشرائط الفيلمية أو عارضات الشرائح المرتبطة بشريط سمعي. وتشمل المعينات المتعددة الحواس الأكثر تعقيداً الأفلام والحواسيب ومعدات الاتصالات.

وبدأت هذه الوسائل في ولوج ميدان التربية والتعليم على شكل مخابر تجريبية باهظة التكاليف، حيث يعمل مدرس اللغة على النطق بمقطع صوتي، يوزع على التلاميذ بواسطة آلة تسجيل وتجهيزات إلكترونية، وفي الوقت نفسه تصاحب هذا المقطع صورة خطية، تكون دعامة بصرية للتفريق بين النطق الصحيح وغير الصحيح، إلا أن هذه الوسائل ما لبثت أن تطورت وانتشرت وأصبحت تستعمل على نطاق واسع، وأضحت مخابر اللغات اليوم أكثر تطوراً وانتشاراً

١- (طعيمة، ١٩٨٩ م، ص ١٢٣-١٢٥)

2- John Munby 151983-pp 9.

3- (willam little,1984. P17)

؛ إذ تستثمر لتصحيح النطق، وإنجاز التمارين وتصحيحها في الحين، والتمرن على التواصل مع آلة التسجيل، تحت إشراف مدرس مختص، يمكنه أن يتدخل من مكان المراقبة في أية لحظة، ويتصل بأي متعلم ويرشده، وقلما نجد مؤسسة حديثة تهتم بتعليم اللغات الحية لا يتوافر فيها مخبر اللغات.

ومن عيوبها أنها تقوم بنفس الدور التلقيني الذي يقوم به الملقى التقليدي. ولا تسمح بتفاعل المتلقي مع الملقى. تحتاج لتصحيحات وضوابط حول موادها الثقافية. تحتاج لجهد كبير في إعدادها. مكلفة للغاية تحتاج لوقت. وهناك دراسات كثيرة تشير لآثار سلبية خطيرة على الشخصية، إذا كانت الوسيلة حرة وغير مقننة^(١).

و- الطريقة الانتقائية: (Method Selectivity): ظهرت هذه الطريقة رداً على الطريقة القواعد والترجمة والطريقة المباشرة والطريقة السمعية الشفوية معاً ومحاولة الاستفادة من هذه الطرائق الثلاث في نفس الوقت. ويرى أنصار هذه الطريقة أن نجاح عملية تدريس اللغة الأجنبية وفعاليتها لن يتحقق بطريقة تدريس واحدة وإنما بعدة طرائق ينتقى منها ما يناسب المتعلم ومواقف تعليمية يجد نفسه فيها.

ومن خلال ما سبق يتضح للباحث كثرة الاعتراضات والانتقادات الموجهة لطرائق تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لذا يرى الباحثان أنه لا بد من ضرورة البحث عن طرائق وأساليب جديدة لجعل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها سهلاً ويسيراً، وتكون جذابة وشائقة للمتعلمين وسهلة التطبيق بالنسبة للمعلمين بالإضافة إلى أهمية وجود مناهج تعليمية متكاملة تشد المتعلمين وتشجع المدرسين أيضاً على تعليم وتعلم اللغة وضمان إتقانها وتوصيل الصورة الحقيقية لتراثنا العربي الفكري والثقافي والحضاري.

عاشراً: الطريقة والإجراءات.

١- إجراءات البحث

قام الباحثان بالإجراءات الآتية لتحقيق أهداف البحث :

- مراجعة الأدب التربوي المتعلق بتدريس اللغات للناطقين بغير اللغة الأم بشكل عام وتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها بشكل خاص، وكذلك الأدبيات المتعلقة في إعداد الوحدات التعليمية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وإعداد أدوات البحث.
- إعداد الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية وعرضها على لجنة من المختصين والمحكمين للتأكد من مناسبتها لمستوى أفراد عينة البحث.

١- (بوشوك، ٢٠٠٢م، ص ٥٢)

- إعداد اختبارين الأول لقياس مستوى مهارة التحدث والثاني لقياس مستوى مهارة الكتابة لدى عينة البحث قبل تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية وبعدها ثم عرضهما على لجنة من المحكمين والمختصين للتأكد من صدقهما وثباتهما وإجراء التعديلات اللازمة عليهما.
- تجريب أداة البحث على عينة استطلاعية من خارج عينة البحث الأصلية.
- تحديد عينة البحث وهم طلبة المستوى المتقدم في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية وتقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية وضابطة.
- تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية على المجموعة التجريبية من خلال تدريسها من قبل معلم مختص في المعهد الذي طبق فيه البحث وكذلك يدرس معلم مختص في المركز نفسه العينة الضابطة ولكن بالبرنامج المتبع عندهم (الاعتيادي) .
- تطبيق اختبار المهارات اللغوية البعدي على المجموعتين التجريبية والضابطة .
- تصحيح الاختبارات وتفرغ استجابات المجموعتين التجريبية والضابطة بوساطة الحاسوب وفقاً لتصميم البحث ومتغيراته.
- القيام بالمعالجات الإحصائية اللازمة للإجابة عن أسئلة البحث .
- التوصل إلى النتائج ومعالجتها إحصائياً ومناقشتها ، وتفسيرها ، والتأكد من فاعلية الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة وتقديم التوصيات المناسبة في ضوء نتائج البحث.

٢- منهجية وتصميم البحث

جمع هذا البحث بين المنهجين الوصفي وشبه التجريبي، فاستخدم الباحثان المنهج الوصفي في الدراسات العربية والأجنبية والإطار النظري المتعلق بالبحث، كمجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ومهاراتها وطرائق تدريسها ومداخل تعليمها، والاطلاع على الأدبيات المتعلقة بالثقافة العربية؛ وذلك بهدف الحصول على مواصفات الوحدات التعليمية ومعاييرها وأسسها. كما قام الباحثان بإعداد اختبارين: الأول لقياس مهارة التحدث والثاني لقياس مهارة الكتابة .

أما المنهج شبه التجريبي فاستخدمه الباحثان في اختيار التصميم المناسب للبحث وتنفيذه لضبط متغيرات البحث: المتغير المستقل (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية)، في المتغير التابع (تنمية مهارتي التحدث، والكتابة). وطبق الباحثان اختبار مهارة التحدث، واختبار مهارة الكتابة اللذين أعدهما لإجراء هذا البحث على المجموعتين

(التجريبية والضابطة) قبل تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة وذلك بهدف التكافؤ بين المجموعتين، ثم أعاد تطبيقهما مرة أخرى على المجموعتين التجريبية بعد تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة التي تم تطبيقها على مدار (١٢) محاضرات مدة كل محاضرة (٥٠) دقيقة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي الجامعي ٢٠١٢م/٢٠١٣م والضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية المتبعة في شعبة تعليم اللغة العربية في معهد اللغات في الجامعة الأردنية. أما تصميم البحث فاستخدم الباحثان تصميمًا تجريبيًا يمكن التعبير عنه بالشكل الآتي :

G1	01	×	01
G2	01	-	01

ويفسر الباحثان الرموز السابقة على النحو الآتي :

G1 : المجموع التجريبية .

G2 : المجموعة الضابطة .

× : المعالجة باستخدام الوحدات التعليمية المقترحة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

- : الوحدات التعليمية الاعتيادية المتبعة في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية.

01 : اختبار مهارة التحدث واختبار مهارة الكتابة، اللذين أعدهما الباحثان لأغراض هذا البحث. وطبقا قبل تنفيذ الوحدات التعليمية المقترحة وبعد تنفيذها.

٣- أفراد البحث (العينات) :

تم اختيار أفراد البحث من طلبة المستوى المتقدم من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية للعام الدراسي الجامعي ٢٠١٢م/٢٠١٣م. وبلغ عدد أفراد البحث (٤٩) طالباً وطالبة. حيث تم اختيار شعبتين من طلبة المستوى المتقدم : الأولى التجريبية وبلغ عددها (٢٤) طالباً وطالبة خضعت لتدريس الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية التي أعدها الباحثان، والثانية الضابطة وبلغ عددها (٢٥) طالباً وطالبة ، دُرِّسَتْ وفق البرنامج المعتاد في شعبة تعليم اللغة العربية في معهد اللغات في الجامعة الأردنية.

وقد اختار الباحثان قسدياً أفراد البحث من متعلمي اللغة العربية في شعبة اللغة العربية في معهد اللغات في الجامعة الأردنية، لتوافر العدد الكافي من الطلبة لاختيار أفراد البحث، ولتعاون إدارة المعهد، ومدرسي اللغة العربية للناطقين بغيرها فيه لتطبيق البحث، وتوفير البيئة المناسبة لإجراء البحث.

٤- أدوات البحث :

لتحقيق أهداف البحث أعدَّ الباحثان اختبارين كأداة للبحث، هما: اختبار مهارة التحدث واختبار مهارة الكتابة وتكون اختبار مهارة التحدث من موضوعين اختارهم الباحثان من صلب موضوعات الوحدات التعليمية المقترحة وترك للمتعلمين الحرية في الحديث لمدة (٥) دقائق حول واحد منهما وسجل هذا الحديث ثم صحح من خلال سلم التقدير المخصص لذلك، وأما اختبار الكتابة فهو على قسمين القسم الأول مكون من أسئلة موضوعية محددة الإجابة وتصحح وفق الإجابة النموذجية المعدة لذلك والقسم الثاني اختار الباحثان موضوعين ليكتب فيهما المتعلمون بما لا يقل عن أربعة أسطر في كل موضوع وتصحح وفق سلم التقدير الذي أعده الباحثان لذلك. واستعان الباحثان لإعداد أداة البحث بالأدبيات ذات الصلة بهذا المجال، بالإضافة إلى الاختبارات التي تعدها شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معاهد اللغات في كل من جامعة آل البيت والجامعة الأردنية وجامعة اليرموك في الأردن. بقصد تحقيق أهداف البحث.

٥- صدق الاختبار :

وللتحقق من صدق الاختبارين عرضهما الباحثان على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في هذا المجال وطلب إليهم إبداء آرائهم ومقترحاتكم حولهما من إضافة أو حذف أو تعديل من حيث: ملائمة الاختبارين لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى المتقدم. والصياغة وسلامة اللغة، وارتباط البدائل بفقرة السؤال، ومدى قياسهما للمهارتين المستهدفتين في البحث، ومدى صعوبتهما ومراعاةهما للفروق الفردية، وتنظيمهما وتدرج الأسئلة فيهما من السهل إلى الصعب، وتوزيع الدرجات على الأسئلة. وفي ضوء ملاحظات المحكمين قام الباحثان بتعديل الاختبار سواء بالحذف أو بالتعديل أو بالإضافة، وقد أبدى المحكمون موافقتهم على الاختبارين، وأصبح الاختباران بصورتها النهائية.

٦- معاملات الصعوبة والتمييز للاختبارين:

ولمعرفة معاملات الصعوبة والتمييز لفقرات اختبار مهارة التحدث واختبار مهارة الكتابة تم تطبيقهما على عينة استطلاعية من خارج عينة البحث عددها (١٥) طالبا وطالبة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، وقام الباحثان بحساب معاملات الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبار، ففي اختبار التحدث بلغت قيمة معامل الصعوبة ما بين (٠,٥٢ إلى ٠,٥٨) وقيمة معاملات التمييز ما بين (٠,٦٢ إلى ٠,٦٨) أما في اختبار الكتابة فتراوحت قيم معاملات الصعوبة ما بين (٠,٣٦ إلى ٠,٧٨) ومعاملات التمييز ما بين (٠,٢٨ إلى ٠,٨٥) وهي درجات جيدة لأغراض هذا البحث.

٧- ثبات اختبار التحدث واختبار الكتابة:

ولقياس درجة ثبات اختبار التحدث واختبار الكتابة ، طبق الباحثان الاختبارين على عينة استطلاعية من خارج عينة البحث الأصلية وبلغ عددها (١٥) طالبا وطالبة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها ، وتم حساب معامل الثبات حسب معادلة (كودر- ريتشارد درسون ٢٠) اذ بلغ (٨٥,٠) ، ثم أعاد الباحثان الاختبارين على العينة نفسها بعد مرور أسبوعين ، وتم حساب ثبات الإعادة بتطبيق معادلة معامل ارتباط بيرسون بين درجات الطلبة في الاختبارين (القبلي والبعدي) وبلغت قيمته (٨٢,٠) .

٨- تحديد زمن اختبار التحدث واختبار الكتابة :

ولتحديد الزمن المناسب لاختبار التحدث واختبار الكتابة طبقا اختبار كل مهارة منفصلا عن الآخر حيث سُجِّل الوقت الذي استغرقه الطلبة في الإجابة عن فقرات كل اختبار مقسوماً على عدد الطلبة الكلي، فكان (٥٠) دقيقة بالنسبة لاختبار الكتابة أما اختبار التحدث فتم إعطاء كل طالب (٥) دقائق للإجابة عنه بحيث اختبر كل طالب على حدة.

٩- تصحيح اختبار التحدث واختبار الكتابة :

صححت إجابات الطلبة بناء على الإجابة النموذجية لاختبار كل مهارة على حده ووفق توزيع العلامات لكل اختبار ، بحيث أعطي كل اختبار (٥٠) درجة والمجموع الكلي لاختبار المهارات اللغوية الأربع (١٠٠) درجة، واستخدم الباحثان سلازم التقدير التي أعدها لأغراض هذا البحث لتصحيح الاختبارين واحتساب الدرجات.

١٠- تكافؤ مجموعتي البحث :

للتحقق من تكافؤ مجموعتي البحث تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار مهارة التحدث القبلي واختبار مهارة الكتابة القبلي تبعا لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة) ، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار «ت» تبعا لمتغير المجموعة على

اختبار المهارات اللغوية القبلي

المهارة اللغوية	المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
التحدث قبلي	تجريبية	24	32.42	2.569	-0.130	44	0.897
	ضابطة	25	32.50	1.626			

0.838	44	-0.206	2.748	30.63	24	تجريبية	الكتابة
			2.022	30.77	25	ضابطة	قبلي

يتبين من الجدول (١) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0.05$) تعزى للمجموعة في مهارتي التحدث والكتابة ، وهذه النتيجة تشير إلى تكافؤ مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة).

١١- الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية وإجراءات تنفيذها :

وهي مجموعة أنشطة منظمة ومخططة تضمنت أهدافاً ومحتوى ووسائل واستراتيجيات تقويم قائمة على الثقافة العربية التي أعدها الباحثان بهدف تنمية مهارتي التحدث والكتابة ، وتكونت الوحدات التعليمية من مقدمة وأهداف ومسوغات وأنشطة واستراتيجيات تقويم وتدریس، وأعدَّ الباحثان دليلاً خاصاً للمدرس الذي قام بتطبيقها على عينة البحث وتضمن هذا الدليل على أدوار المعلم والمتعلم وعلى استراتيجيات التدريس والوسائل المعينة من تسجيلات صوتية وأفلام فيديو وكذلك على أدوات التقويم بأنواعها. كما أعد الباحثان كتاباً للمتعلمين يحتوي على النصوص والصور المرافقة لها والأنشطة والتدريبات والفوائد النحوية ومعجم مصغر للكلمات الجديدة والصعبة.

وتولى تنفيذ الوحدات التعليمية المقترحة معلم مختص في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها ويعمل مدرساً في شعبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معهد اللغات في الجامعة الأردنية وهو من حملة شهادة الدكتوراه، ومن ذوي الخبرة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها. ولضبط الظروف التجريبية اجتمع الباحثان مع المدرس وزوداه بالإرشادات والمواد اللازمة ، وحددا له استراتيجيات التعلم والتعليم التي تم تنفيذها على عينة البحث، وتابع الباحثان المدرس من خلال الزيارات الميدانية له للتأكد من سير مجريات تنفيذ الوحدات التعليمية المقترحة كما هو مخطط لها . واستغرق تنفيذ الوحدات التعليمية المقترحة بجميع مراحلها (١٢) محاضرة خصص لكل وحدة دراسية (٤) محاضرات زمن المحاضرة الواحدة (٥٠) دقيقة.

وبغرض التحقق من صدق الوحدات التعليمية المقترحة، تم عرضها كاملة على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في تعليم اللغة العربية للناطقين بها وللناطقين بغيرها وفي المناهج وطرق التدريس وفي علم النفس التربوي واللغويات واللسانيات واللغة والنحو والأدب ممن يعملون في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأردنية والسعودية واللبنانية. فضلاً عن عدد من معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في معاهد اللغات الحكومية والخاصة، وذلك للتحقق من مدى صدقها وواقعيتها ومدى جدواها وشموليتها وانسجامها مع الهدف الرئيس للوحدات التعليمية المقترحة .

وعدل الباحثان على الوحدات التعليمية المقترحة في ضوء ملاحظات المحكمين مثل حذف بعض النصوص الإثرائية لعدم توافقها مع الثقافة العربية ومع هدف البحث واستبدالها بأخرى أكثر تناسباً أو إعادة صياغتها بلغة أسهل تتناسب مع متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها وكذلك الرجوع إلى آليات تدريس خاصة بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها واستبدالها بدلاً من آليات تدريس عامة كانت موجودة في الوحدات التعليمية المقترحة. وقد أثريت الوحدات التعليمية المقترحة وفق ما اقترحه المحكمون باستخدام وسائل تعليمية سمعية بصرية والوسائل التعليمية الحديثة كالحاسب الآلي بجميع تطبيقاته والإنترنت والسيورة الذكية والعروض التقديمية وغيرها.

الحادي عشر: نتائج البحث :

ولبيان أداء الطلبة في اختبار مهارتي التحدث، والكتابة وذلك بهدف التحقق من مدى فاعلية الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة استخدم الباحثان المعالجات الإحصائية الوصفية والاستدلالية الآتية:

- استخدم الباحثان المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لأداء أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في اختباري مهارة التحدث والكتابة ، كلا على حده.

- اختبار (ت) لمقارنة متوسطات أداء طلبة عينة البحث على الاختبار القبلي للتحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة قبل البدء بتطبيق البحث.

- حساب حجم التأثير (مربع إيتا) لقياس أثر الوحدات التعليمية المقترحة .

- استخدام تحليل التباين المشترك (ANCOVA) في حالة عدم تكافؤ المجموعات.

ويعرض الباحثان نتائج بحثه وفقاً لأسئلة البحث كالآتي :

١- نتائج سؤال البحث الأول ومناقشتها والذي نصه: «ما مكونات الوحدات التعليمية المقترحة القائم على الثقافة العربية لتنمية مهارتي التحدث، والكتابة لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها؟»

وقد أجاب الباحثان عن هذا السؤال مفصلاً بالعرض الذي أورده في بناء الوحدات التعليمية المقترحة باعتبار أن هذا السؤال ليس إحصائياً - حيث عرض الباحثان خطوات بناء الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية وأهدافها وأهميتها ومسوغاتها وكيفية اختيار محتواها التعليمي، وبيان استراتيجيات التدريس الملائمة والوسائل المعينة المستخدمة في تنفيذها وأدوار كل من المعلمين والمتعلمين فيها ، وإجراءات التحكيم والتقييم، وإجراءات التعديل المطلوب والنهائي عليها وعلى أدوات التقييم الخاصة بها. وكان تدريس مهارتي التحدث والكتابة على النحو الآتي :

٢- نتأج سؤال البحث الثاني ومناقشتها والذي نصه: «هل هناك اختلاف في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية)؟»

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء عينة البحث على مهارة التحدث تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، والجدول (٢) يوضح ذلك.

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسطات الحسابية المعدلة لمهارة التحدث تبعاً لمتغير المجموعة

العدد	المتوسط المعدل	البعدي		القبلي		المجموعة	المهارة
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي		
24	42.674	1.926	42.67	2.569	32.42	تجريبية	التحدث
25	38.219	2.581	38.23	1.626	32.50	ضابطة	
49	40.447	3.167	40.54	2.147	32.46	المجموع	

يبين الجدول (٢) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسطات المعدلة لمهارة التحدث بسبب اختلاف فئات متغير المجموعة (تجريبية، ضابطة). ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الأحادي المصاحب، الجدول (٣).

الجدول (٣)

نتأج تحليل التباين الأحادي المصاحب للمتوسطات الحسابية لأثر المجموعة في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

المهارة	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف الإحصائية	الدلالة
التحدث	القبلي (المصاحب)	7.653	1	7.653	1.513	0.225
	المجموعة	227.763	1	227.763	45.020	0.000
	الخطأ الكلي	217.544	43	5.059		
		451.413	45			

يتبين من الجدول (٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha = 0.05)$ تعزى لأثر المجموعة في مهارة التحدث وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية.

٣- نتائج سؤال البحث الثالث ومناقشتها والذي نصه: «هل هناك اختلاف في تنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها يعزى لنوع الوحدات التعليمية المقدمة (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية والوحدات الاعتيادية)؟» للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء عينة البحث على مهارة الكتابة تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، والجدول (٤) يوضح ذلك.

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسطات الحسابية المعدلة لمهارة الكتابة تبعاً لمتغير المجموعة

العدد	المتوسط المعدل	البعدي		القبلي		المجموعة	المهارة
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي		
24	40.763	1.984	40.75	2.748	30.62	تجريبية	الكتابة
25	36.122	2.494	36.14	2.022	30.77	ضابطة	
49	38.443	3.216	38.54	2.402	30.70	المجموع	

يبين الجدول (٤) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسطات المعدلة للمهارات اللغوية بسبب اختلاف فئات متغير المجموعة (تجريبية، ضابطة). ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الأحادي المصاحب، الجدول (٥).

الجدول (٥)

نتائج تحليل التباين الأحادي المصاحب للمتوسطات الحسابية لأثر المجموعة في تنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

المهارة	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف الإحصائية	الدلالة الإحصائية
الكتابة	القبلي (المصاحب)	8.670	1	8.670	192.	000.
	المجموعة	246.952	1	246.952	49.990	
	الخطأ	212.421	43	4.940		
	الكلية	465.413	45			

يتبين من الجدول (٥) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha = 0,05)$ تعزى لأثر المجموعة في مهارة الكتابة، وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية. الثاني عشر: تفسير النتائج وتحليلها.

يتضح من خلال النتائج التي سبق عرضها، ما يلي :

١- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر المجموعة في مهارة التحدث وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية . مما يدل على فاعلية المتغير المستقل (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية) في المتغير التابع (مهارة التحدث) .

٢- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر المجموعة في مهارة الكتابة وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية. مما يدل على فاعلية المتغير المستقل (الوحدات التعليمية المقترحة القائمة على الثقافة العربية) في المتغير التابع (مهارة الكتابة) .

وقد يعود سبب النتائج السابقة للآتي :

- تقديم الوحدات المقترحة محتوى تعليمي اشتمل على مهارات التحدث والكتابة بصورة منظمة ومنطقية ، ومن خلال سياق ثقافي له معنى مؤثر في نفوس المتعلمين بسبب نصوصه الشائقة.

- تقديم الوحدات المقترحة محتوى تعليمي اشتمل على نصوص إثرائية ثقافية أثرت المخزون اللغوي لدى المتعلمين لما تحويه هذه النصوص من مفردات وتراكيب لغوية جديدة كان لها أثرها في إتقانهم مهارتي التحدث والكتابة.

- مراعاة الوحدات التعليمية المقترحة مستوى المتعلمين اللغوي والثقافي، مما كان له الأثر في اكتسابهم مهارتي التحدث والكتابة .

- تنوع طرائق التدريس المستخدمة في تدريس الوحدات التعليمية المقترحة مما زاد فاعليتها وتفاعل المتعلمين ودافعتهم لاكتساب مهارتي التحدث والكتابة .

- توظيف العديد من الوسائل التعليمية المقترحة في تدريس الوحدات التعليمية مما زاد التفاعل الإيجابي لدى المتعلمين .

- استخدام مجموعة من الأنشطة التعليمية المصاحبة في تدريس الوحدات المقترحة ، والتي أثرت بدورها إتقان المتعلمين مهارتي التحدث والكتابة.

- إعداد دليل معلم حدد أدوار المعلم والمتعلم عند تطبيق الوحدات التعليمية المقترحة وكان بمثابة خارطة الطريق نحو اكتساب مهارتي التحدث والكتابة .

الثالث عشر: التَّوَصِيَّات

في ضوء مشكلة البحث ، والنتائج التي تم التوصل إليها يمكن التقدم بالتوصيات الآتية :

١- التركيز بشكل أكبر الباحثين بإجراء دراسات على تدريس مهارتي التحدث والكتابة ،

- لأنهما الركبان الأساسيان لعملية الاتصال والتواصل في أي لغة.
- ٢- الاهتمام في تبني المحتوى الثقافي أثناء إعداد مناهج تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها لما أثبتته من فاعلية في تعليم المهارات اللغوية لهم .
- ٣- تشكيل لجان من المختصين في الدول العربية للوصول إلى مناهج مدروسة ومنظمة ليعتمدها الجميع في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها ، بدلا من التخطيط التي هي عليه الآن .

الرابع عشر: المُقترحات

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث يقترح الباحثان إعادة هذه البحث على متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها ولكن هذه المرة لقياس فاعليتها في تدريس مهارتي الاستماع والقراءة .

أ. رهام محمد المهدي

طالبة دكتوراه تربية

أستاذة في كلية العلوم التربوية ، جامعة الحسين بن طلال، الأردن

فاعلية برنامج تعليمي قائم على اللعب في تحصيل أطفال الروضة للمفاهيم البيئية وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء فاعلية برنامج تعليمي قائم على اللعب في تحصيل أطفال الروضة للمفاهيم البيئية وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة، وقد تم اختيار أفراد عينة الدراسة والبالغ عددهم (١٦٨) طفلاً من روضتي القبس الحديثة، والنهضة الخيرية التابعتين لمديرية التربية والتعليم لقصبة معان قصدياً، وتم توزيعهم عشوائياً على مجموعتي الدراسة (٨٥) طفلاً في المجموعة التجريبية و(٨٢) طفلاً في المجموعة الضابطة. أشارت النتائج إلى وجود أثر للبرنامج التعليمي ولصالح المجموعة التجريبية في تحصيل الأطفال المفاهيم البيئية وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة، في حين لم يظهر أثر للبرنامج حسب متغير الجنس في تحصيل الأطفال للمفاهيم البيئية، ولكن ظهر في تنمية الاتجاهات نحو البيئة ولصالح الإناث. وفي ضوء هذه النتائج تم التوصل إلى توصيات من أهمها: بناء المزيد من البرامج التي تقيس العلاقة بين التحصيل والاتجاهات نحو البيئة، وإجراء دراسات حول استخدام الألعاب التعليمية في تدريس مفاهيم جديدة لأطفال الروضة.

الكلمات المفتاحية: (اللعب، المفاهيم البيئية، أطفال الروضة)

خطة البحث

الصفحة	الموضوع
٣	المبحث الأول: مقدمة الدراسة
٥	أولاً: مشكلة الدراسة
٦	ثانياً: أسئلة الدراسة

٦	ثالثاً: فَرَضِيَّاتُ الدِّراسة
٦	رابعاً: أُمِّيَّةُ الدِّراسة
٧	خامساً: أُهُدافُ الدِّراسة
٧	سادساً: حُدودُ الدِّراسة
٧	سابعاً: مَنهَجِيَّةُ الدِّراسة
٧	ثامناً: مِصطلحاتُ الدِّراسة إجرائياً
٩	تاسعاً: الدِّراساتُ السَّابِقة
	المبحث الثاني: الجانِبُ النِّظريُّ للدِّراسة
١١	أولاً: اللُّعبُ (مفهومه، أنواعه، مراحلُ استخدامِ الأُلْعابِ، النِّظرياتُ المُفسِّرةُ للعبِ).
١٦	ثانياً: التَّحصيلُ (مفهومه، طُرُقُ قِياسِه، أُمِّيَّتُه، العِواملُ المُؤثِّرةُ فيه).
١٨	ثالثاً: الاتِّجاهُ (مفهومه، مكوِّناتُه، مراحلُ تكوِّنه، أُمِّيَّةُ دِراسةِ الاتِّجاهاتِ).
٢٠	رابعاً: طِفْلُ الرُّوضةِ (خصائِصُ نموِّه، أُمِّيَّةُ تَعَلُّمِ المِفاهِيمِ لِطِفْلِ الرُّوضةِ).
	المبحث الثالث: الجانِبُ العَمليُّ للدِّراسة
٢٢	أولاً: الطَّرِيقَةُ والإِجْراءاتُ (مَجْتَمَعُ وُعيْنَةُ الدِّراسةِ، أَدواتُ الدِّراسةِ، تَصمِيمُ الدِّراسةِ، المِعالِجاتُ الإِحْصائِيَّةُ)
٢٤	ثانياً: نَتائِجُ الدِّراسةِ ومناقشتُها
٣٠	المِقتَرَحاتُ
٣١	المِصادرُ والمِراجِعُ

المبحث الأول: مِقدِّمةُ الدِّراسةِ

قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

تُمثِّلُ التَّربِيَّةُ البِئِيَّةُ جِزءاً هَاماً مِنَ المِناهِجِ التَّعْلِيميِّ، وَعَمَلِيَّةٌ مَهْمَةٌ مِنَ عَمَلِيَّاتِ الإِعدادِ السَّليْمِ لِلتَّعاَمُلِ النَّاجِحِ مَعَ البِئِيَّةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيها، حَيْثُ يَتَطَلَّبُ هَذَا الإِعدادُ إِمدادَ الأَفْرادِ بِالْمِعلُوماتِ والمِهاراتِ والمِفاهِيمِ الَّتِي تَساعِدُهُم عَلى فِهْمِ العِلاقاتِ المُتبادِلةِ بَينَ الإِنسانِ والبِئِيَّةِ، وبِالتَّالِي تَمِيةُ سِلوَكاتِهِم تِجاهَ البِئِيَّةِ وإِثارةُ مِوَلُهُم واتِّجاهاتِهِم لِلحِفاظِ عَلَيْها.

وَقَد اتَّفَقَ الكَثِيرُ مِنَ الباحِثِينَ عَلى أَنَّ الإِنسانَ أَهمُّ عَاملٍ مِنَ عِواِمِلِ إِحداثِ الاختِلالِ

البيئي بتحكّمه وسيطرته عليها وخاصة في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي. وما الخَبْرُ الذي تتناقله وسائل الإعلام بخصوص اتساع تُقْبِ الأوزون والذي يهدد درجة الحرارة على الأرض إلا سبباً من أسباب التعامل السيء مع البيئة. (١)

فإذا كان التقدم العلمي والتكنولوجي سبباً من أسباب تقدّم الأمم، إلا أنه سببٌ من أسباب الاختلال في النظام البيئي حيث إن معظم المشكلات البيئية التي نعاني منها ترجع إلى الأنماط السلوكية الخاطئة، والتي تُعزّي إلى افتقارنا للمعلومات الصحيحة في التعامل الأمثل مع البيئة، فالقرارات والقوانين التي تُسنُّ لا يمكن أن تكفي وحدها للحفاظ على البيئة، وإنما بقوة الوازع الداخلي لدينا والمتمثل بخلقِ نَمَطِ سلوكي قويٍّ تجاه المحافظة على البيئة كسلاح في مواجهة هذه المشكلات.

ونظراً لتداخل المشكلات البيئية وتعمّقها وعالميتها فقد عُقدت العديد من المؤتمرات التي دعت إلى الحفاظ عليها وكان أهمها مؤتمر قمة الأرض (جوهانسبرغ/ جنوب إفريقيا ٢٠٠٢) والذي ركز على استدامة التطور والتقدم الصناعي وإعادة توزيع الثروة مع الاستمرار في المحافظة على البيئة.

ويُتضح مما سبق أن الاهتمام العالمي بالبيئة يعكس حجماً وعمقاً المشكلات البيئية التي تواجهنا وهي في جوهرها مشكلاتٌ سلوكية أوجدتها الإنسان بسلوكياته الخاطئة حيث من الأفضل أن يبدأ الحل من صانع المشكلة وهو الإنسان، ومن هنا يبدأ الدور التربوي في تنمية المفاهيم البيئية لدى الأطفال من خلال المؤسسات التربوية المختلفة والتي تمثل المدرسة القاعدة الأساسية فيها.

هذا وتعدُّ عملية تنمية الوعي البيئي للأطفال مجالاً مهماً من مجالات الاهتمام بالطفولة، ويمكن تنمية هذا الوعي من خلال برامج التربية البيئية في المدرسة، والتي تتضمّن بعض الأنشطة الفنية والموسيقية والحركية فيتعلّمون منها كيف يحمّون البيئة ويحافظون عليها. (٢)

فأطفال اليوم هم شباب الغد لذا لا بد من تحصيلهم وغرس المفاهيم البيئية السليمة في نفوسهم في وقتٍ تتعمّق فيه مشكلات البيئة من حولنا مما ترك أثراً سلبياً على حياتنا. ويتطلب تعليم الأطفال للمفاهيم البيئية وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة استخدام أساليبٍ تدرّس تضمن

١- وفاء سلامه (٢٠٠٢)، التربية البيئية لطفل الروضة، دار الفكر العربي للنشر. عمان: الأردن، ط١، ص١٨.

٢- مرفت برعي (٢٠٠٦). برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعض الأنشطة الفنية والموسيقية. مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية - جامعة المنصورة ١٢-١٣ أبريل ٢٠٠٦، ص٥٧٢.

سلامة المفهوم والاحتفاظ به. فبرنامج قائم على اللعب له أثره في تنمية مثل هذه المفاهيم واستثارة دافعية المتعلم، وغرس سلوكيات سليمة في نفس الطفل.

هذا وقد أشار القران الكريم إلى أهمية اللعب في مرحلة الطفولة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿أرسله معنا غداً يرتج ويلعب وإنما له لحاظون﴾^(١).

ويعتبر التعلم باللعب من أفضل استراتيجيات التدريس لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة حيث ذكر بياجيه أن اللعب وسيلة للتعليم، وأن ما يتوافر في البيئة يُعتبر مصدر تعلم للتلاميذ.

ويُشار هنا إلى تأثير اللعب في استثارة المتعلم نحو التعلم. حيث يُعد استخدام اللعب في مرحلة ما قبل المدرسة أسلوباً فاعلاً وممتعاً، يساهم في تنمية خيال الطفل ويطور من إمكانياته ويُكسبه الاتجاهات السليمة في التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها^(٢).

ولا تقتصر أهداف استخدام الألعاب على الجانب الانفعالي فقط، حيث الإحساس بالمتعة في العمل وزيادة الدافعية نحو التعلم، بل تعدى ذلك لتساعد الطفل على تنمية كافة الجوانب المعرفية والمهارية من خلال المشاركة في ألعاب هادفة متنوعة وبالتالي يتعلم الطفل مهارات التخطيط، واتخاذ القرار وحل المشكلات.

وفي ضوء ما سبق يمكننا اعتبار اللعب من أفضل الأساليب التربوية التي تسعى لتنمية النمو الشامل للطفل وبشكل متوازن. ونقصد هنا الناحية الوجدانية التي تعمل على تنمية مشاعر الطفل وأحاسيسه تجاه البيئة. وتعتبر مواقف اللعب بمثابة خبرات حسية تؤدي إلى تكوين صورة إيجابية تنتهي بسلوكيات إيجابية أثناء التفاعل مع البيئة.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن التحصيل العلمي البيئي للطلاب عملية تراكمية تبدأ من الصغر ومن ثم يتدرج الطفل في تحصيل المعارف والاتجاهات والقيم البيئية بما يتناسب مع المرحلة الدراسية التي يعيشها^(٣).

كما ونادى علماء البيئة إلى ضرورة تنمية الوعي بمشكلات البيئة لدى الأفراد من خلال البرامج التوعوية والنشرات الإرشادية ولكن يقع الدور الأكبر على المؤسسات التربوية في تنمية

١- سورة يوسف: الآية ١٢

٢- طلال الزعبي(٢٠١٠). فاعلية برنامج قائم على مجموعة من أنشطة اللعب في اكتساب أطفال الروضة للمفاهيم العلمية وبعض مهارات التفكير العلمي وأثره في تنمية ميولهم العلمية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. المجلد (٨)، العدد (٣)، ص٣٧.

٣- مساعد بن عبدالله النوح(١٤٢٧هـ). مدى أهمية مفاهيم التربية البيئية لتلاميذ الصف السادس الابتدائي بالرياض ومدى تعاملهم معها من وجهة نظر معلمهم. مجلة كلية المعلمين (العلوم التربوية). المجلد (٧). العدد (١). ص٥٥

ذلك الوعي باعتبارها الحلقة التي تربط الطفل بالبيئة التي يعيش فيها.

وقد أشار باسيل (Basile,2000) إلى أهمية مرحلة الطفولة في زيادة وعي الطفل نحو البيئة وتكوين اتجاهات إيجابية نحوها. حيث إن وعي الطفل ببيئته يرتبط بمدى معرفته لها ويُقدّر ما تكون المعرفة سليمة والاتجاهات ايجابية يكون التعامل مع البيئة سليماً وإيجابياً⁽¹⁾.

فالربط بين البيئة والطفل يدعونا للحديث عن التوعية البيئية وتوجيه الطفل إلى التعامل السليم مع البيئة، والمساعدة في حلّ المشكلات، ومنع حدوث مشكلات جديدة. لا سيما وأن من أبرز الأهداف التي يركّز عليها المنهاج التفاعلي لرياض الأطفال في الأردن هو معرفة وفهم المشكلات البيئية من خلال الإحساس بالمسؤولية، وتعزيز المشاركة بحمايتها ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة.

أولاً: مشكلة الدراسة

أشارت الكثير من الدراسات إلى أهمية اللعب كأسلوب تدريسي في تعلم الأطفال للمفاهيم المختلفة وبالتالي القدرة على إكسابهم الاتجاهات المرغوبة. وتزداد هذه الأهمية عندما يتعلق الأمر بالبيئة وقضاياها المختلفة في وقت تُشكّل فيه البيئة أزمة عالمية .
فسلوكات الأطفال غير الواعية تجاه البيئة أمر يبعث على القلق ويدعونا إلى الانتباه إلى خطورة هذه السلوكات على الفرد والمجتمع. وقد لوحظ للباحثة من خلال زياراتها لمؤسسات رياض الأطفال غياب الوعي البيئي لدى هذه الفئة. ومن هنا كان لا بد من تنوير هذه الفئة وغرس المفاهيم البيئية لديهم بشكل يحقق التوازن والأمان البيئي على الأرض.

ثانياً: أسئلة الدراسة

ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة للمفاهيم البيئية وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١- ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم تبعاً للجنس؟

٢- ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة؟

٣- ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات

1- Basile,G.(2000). Environmental Education as catalyst for transfer of learning in young children. The Journal of Environmental ducation. vol(32), no(2), P:2127-

أطفال الروضة نحو البيئة تبعاً للجنس؟

٤- ما حجم تأثير البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل

أطفال الروضة لهذه المفاهيم؟

٥- ما حجم تأثير البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية

اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة؟

ثالثاً: فرضيات الدراسة

في ضوء أسئلة الدراسة أعلاه تم صياغة الفرضيات الصفرية الآتية لفحصها بهدف

الإجابة عن أسئلة الدراسة:

١- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم.

٢- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم تبعاً للجنس.

٣- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة.

٤- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة تبعاً

للجنس.

رابعاً: أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من الموضوع الذي تسعى لدراسته حيث تلقى الضوء على

أهمية تعليم المفاهيم البيئية لمرحلة رياض الأطفال كمرحلة أساسية من مراحل التعليم. ويكون

الطفل فيها عند أقرب نقطة من الاستكشاف والتعلم، وبالتالي تكون لديه القدرة على تكوين

اتجاهات إيجابية نحو التعامل مع البيئة والمحافظة على عناصرها. كما ستفيد مخططي المنهاج

في التركيز على المفاهيم البيئية عند صياغته، وستفتح هذه الدراسة الأبواب لإجراء دراسات

أخرى تتعلق بالتربية البيئية في مراحل مختلفة.

خامساً: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى:

- ١- فاعلية اللعب في تعلم المفاهيم البيئية لدى أطفال الروضة وتحصيلهم لها.
- ٢- فاعلية اللعب في تنمية اتجاهات الأطفال نحو البيئة.
- ٣- فاعلية اللعب في تعلم المفاهيم البيئية وتحصيلها لدى الأطفال تبعاً للجنس.
- ٤- فاعلية اللعب في تنمية الاتجاهات نحو البيئة لدى الاطفال تبعاً للجنس.

سادساً: حدود الدراسة

- اقتصرَت الدراسةُ على طلبة رياض الأطفال في مديرية التربية والتعليم لقصبة مَعان للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢
- اقتصرَت الدراسة على عددٍ محدّدٍ من المفاهيم البيئية (الهواء ، الماء ، النبات ، الحيوان ، والأصوات).

سابعاً: منهج الدراسة

تمَّ استخدامُ المنهجِ الوصفيِّ أثناء جمع المادة النظرية، وكذلك المنهجِ شبهِ التجريبي بالتطبيق على مجموعتين: تجريبية وضابطة أثناء التطبيق العملي.

مصطلحات الدراسة

وردت في هذه الدراسة مجموعة من المصطلحات وتمَّ تعريفها بما يتوافقُ وهدفَ الدراسة:

- ١- البرنامج القائم على اللعب: وهو مجموعة الخبرات التي نُظِّمَتْ معاً من خلال الألعاب، وقُدِّمَتْ للأطفال في إطارِ عددٍ من الدروس، بشكل يتناسب وخصائص النُمُو لديهم^(١).
- وفي هذه الدراسة تُعرَّفُ الباحثة البرنامج القائم على اللعب بأنه مجموعة الأنشطة العضلية والعصبية التي نُظِّمَتْ لكي تتناسب مع ميول الأطفال وحاجاتهم لتساعدهم على اكتساب المفاهيم البيئية.

- ٢- المفاهيم البيئية: تجريد يُعطى له اسماً أو عنواناً أو رمزاً ويُطلق على عدد من الظواهر أو المكونات البيئية التي تتميزُ بخصائص أو صفات مشتركة^(٢).
- وتُعرَّفُ الباحثة المفهوم البيئي بأنه: كلُّ كلمةٍ أو عبارةٍ تطلقُ على البيئة (مكوناتها ، مواردها والمشكلات التي تتعرض لها). وتتكوَّنُ نتيجة معرفة الخصائص المشتركة لأفراد هذه الظاهرة.
- ٣- اللُّعبُ: نشاطٌ موجهٌ يقوم به الأطفال لتنمية سلوكهم، وقُدِّراتهم العقلية، والجسمية

١- طلال الزعبي(٢٠١٠). فاعلية برنامج قائم على مجموعة من أنشطة اللعب في اكتساب أطفال الروضة للمفاهيم العلمية وبعض مهارات التفكير العلمي وأثره في تنمية ميولهم العلمية، مرجع سابق، ص ٤٠ .

٢- سوزان خضر(٢٠٠١)، إعداد تصميمات لتنمية الوعي بالمفاهيم البيئية للطفل، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان، مصر، ص ١٧.

والوجدانية ويحقق المتعة.^(١)

وتعرّفهُ الباحثة على أنه مجموعة من الأنشطة الجسمية والعقلية المختلفة التي يمارسها الطفل لإشباع حاجاته.

٤- التحصيل: مدى استيعاب الطلاب لما تمّ دراسته وتعلّمه في مادة دراسية معيّنة ويقاس بالدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب في الاختبار^(٢).

والتعريف الإجرائي للتحصيل في هذه الدراسة: العلامة التي يحصل عليها الطفل في الاختبار المُعدّ لقياس المفاهيم البيئية من قِبَلِ الباحثة.

٥- الاتجاه البيئي: هومحصلة المفاهيم والمعلومات البيئية لدى الفرد والتي اكتسبها وتعلمها بالوسائل المختلفة وترسّخت في وجدانه، وتنعكس على مشاعره وانفعالاته، وتظهر في سلوكه وتعبيراته واستجابته نحو الموضوعات والقضايا البيئية، وتتميّز بالقابلية للتنمية والتعديل^(٣).

وفي هذه الدراسة تُعرف الباحثة الاتجاه البيئي على أنه الموقف الذي يتخذه الطفل إزاء بيئته واستشعاره لمشكلاتها والمساهمة في حلّها.

٦- مرحلة رياض الأطفال: ويقصد بها المرحلة التي تسبق المرحلة الأساسية وفي هذه الدراسة يُقصدُ بها الأطفال في الصفّ التمهيدي ممن تتراوح أعمارهم من (٥-٦) سنوات.

ثامناً: الدراسات السابقة

١- الدراسات التي تناولت اللعب في مرحلة الرُوضة

جاءت دراسة الهذيلي (٢٠٠٥)^(٤) للتعرف على فاعلية برنامج تدريبي مستند الى اللعب في

تتمية

التفكير الابتكاري لدى الأطفال المعاقين سمعياً في مرحلة ما قبل المدرسة، وتكوّنت عينة

١- محمد الحيلة (٢٠٠٣)، الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها سيكولوجياً وتعليمياً وعلمياً، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص ٣٥.

٢- صالح النصار (١٤٢٨ هـ)، دور النشاط المدرسي في التحصيل الدراسي، ورقة عمل منشورة ضمن أعمال اللقاء التربوي: «النشاط تربوية وتعليم» الرياض: السعودية، ص ٣.

٣- مصطفى محمد حسن (٢٠٠٣). فاعلية برنامج للتدخل الإرشادي في تنمية الاتجاهات نحو البيئة لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية والثقافة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، القاهرة، ص ٢٠.

٤- نهاد الهذيلي (٢٠٠٥)، فاعلية برنامج تدريبي مستند الى اللعب في تنمية التفكير الابتكاري لدى الأطفال المعاقين سمعياً في مرحلة ما قبل المدرسة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن، ص ١٠.

الدراسة من (٢٤) طفلاً تمّ تقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية وضابطة بواقع (١٧) طفلاً لكل مجموعة. وقد أظهرت النتائج وجود أثر للبرنامج التدريبي في تنمية التفكير الابتكاري لدى أطفال الروضة، بينما لم يظهر أي فرق ذي دلالة إحصائية يعزى للجنس.

كما أجرت عويس (٢٠٠٥)^(١) دراسة هدفت إلى إكساب أطفال الروضة مجموعة من المهارات الرياضية باستخدام اللعب. حيث بلغت عينة الدراسة (١٢٨) طفلاً في رياض الأطفال في مدينة دمشق ممن تتراوح أعمارهم بين (٥-٦) سنوات. وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية في التطبيق البعدي لصالح المجموعة شبه التجريبية في المفاهيم الرياضية. بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات إناث المجموعة شبه التجريبية وذكورها في التطبيق البعدي للمفاهيم الرياضية.

٢- الدراسات التي تناولت تنمية المفاهيم البيئية لأطفال الروضة

قامت الحربات (٢٠٠٤)^(٢) بدراسة هدفت إلى التعرف على فاعلية طريقة المناقشة في إكساب مفاهيم بيئية لأطفال الرياض ما بين عمر (٥-٦) سنوات حيث تكونت عينة الدراسة من (٢٥١) طفلاً وأشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في اكتساب المفاهيم البيئية وكذلك لا يوجد فروق دالة إحصائية بين أطفال الريف وأطفال المدينة في اكتساب المفاهيم البيئية، ولكن يوجد فرق دال إحصائياً عند المستوى (٠,٥)، لصالح الأطفال الذين درسوا المفاهيم البيئية بطريقة المناقشة مقارنة مع الأطفال الذين درسوا بالطريقة العادية.

وهدفّت الدراسة التي أجرتها الشاهي (٢٠٠٩)^(٣) إلى استقصاء فاعلية برنامج في

التربية البيئية في

ضوء نظرية تريز (Triz) في تنمية التفكير الإبداعي لطفل ما قبل المدرسة في رياض الأطفال بمحافظة جدة. وتكوّنت عينة الدراسة من (٦٠) طفلاً من الأطفال الملتحقين بالمرحلة التمهيدية وتم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة. وأشارت نتائج الدراسة إلى تفوق أطفال المجموعة التجريبية في نمو المفاهيم البيئية عند مستوى دلالة إحصائية (٠,٥).

١- رزان عويس (٢٠٠٥)، فاعلية اللعب في إكساب أطفال الروضة مجموعة من المهارات الرياضي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٢، العدد الأول، ص ٢٧٦.

٢- ريمه الحربات (٢٠٠٤)، فاعلية طريقة المناقشة في إكساب مفاهيم بيئية لأطفال الرياض ما بين عمر (٥-٦) سنوات، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق، ص ١٥١.

٣- لطفية الشاهي (٢٠٠٩)، فاعلية برنامج مقترح في التربية البيئية في ضوء نظرية (Triz) في تنمية التفكير الإبداعي لطفل ما قبل المدرسة في رياض الاطفال في محافظة جدة، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، السعودية، ص (أ).

كما أجرت أبوغزالة (٢٠٠٨)^(١) دراسة لاستقصاء أثر طريقتي الدراما الإبداعية والحوارية للكشف عن استيعاب طلبة المرحلة الأساسية للمفاهيم البيئية واتجاهاتهم نحو البيئة في الأردن. حيث تكوّنت عيّنة الدراسة من (٩٢) طالبة من طالبات الصف السادس الأساسي في مدارس الدر المنثور الخاصة للعام ٢٠٠٦/٢٠٠٧ وتمّ تقسيمهنّ بشكل عشوائي إلى ثلاث شُعَبٍ موزَّعات على مجموعتي الدراسة الضابطة والتجريبية. وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية في استيعاب المفاهيم البيئية تُعزى لطريقة التدريس لصالح المجموعتين التجريبيتين، كما وجدت فروق دالة إحصائية في الاتجاهات نحو البيئة لدى الطالبات وتعزى لطريقة التدريس ولصالح المجموعتين التجريبيتين.

أما دراسة كاهريمان وآخرين (٢٠١٢)^(٢) فقد تناولت اتجاهات أطفال ما قبل المدرسة نحو القضايا البيئية مع التركيز على قضية الجنس كعامل يؤثر على اتجاهاتهم، وتكونت عينة الدراسة من (٤٠) طفلاً من أطفال مرحلة ما قبل المدرسة ممن يعيشون في أنقرة (تركيا). واستخدم الباحثون المنهج النوعي، وأشارت نتائج الدراسة إلى أنّ معظم الأطفال بعمر (٥-٦) سنوات يمتلكون اتجاهات تركّز على البيئة وقضاياها في كافة الأبعاد. ولم تُبيّن الدراسة فروقات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أطفال ما قبل المدرسة تعود للجنس.

التعليق على الدراسات السابقة

يُلاحظ من الدراسات السابقة التي تمكنت الباحثة من الاطلاع عليها، تأكيدها على فاعلية التدريس بطريقة اللعب وأثره الواضح في تنمية جوانب شخصية الطفل وتلقّي هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في مناقشة أهمية استخدام اللعب في مرحلة ما قبل المدرسة كأسلوب تعليمي، وكأسلوب علاجي مثل دراسة (الهذيلي، ٢٠٠٥؛ عويس، ٢٠٠٥).

أما فيما يتعلّق بالمفاهيم البيئية فقد كان لأساليب التدريس دورٌ في تعلّم المفاهيم البيئية كاستخدام أسلوب المناقشة، ونظرية تريبز، وكذلك الدراما الإبداعية. وجاء ذلك في دراسات كل من (الحربات ٢٠٠٤، الشاهي ٢٠٠٩، أبوغزالة ٢٠٠٨).

ولكنّ أهمّ ما يميّز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة أنّها تناولت اللبّ هنا إستراتيجية تدريسية في تنمية المفاهيم البيئية لدى أطفال الروضة وتنمية اتجاهاتهم نحو البيئة

١- فيحاء أبوغزالة (٢٠٠٨)، أثر طريقتي الدراما الإبداعية والحوارية في استيعاب طلبة المرحلة الأساسية للمفاهيم البيئية واتجاهاتهم نحو البيئة في الأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان: الأردن.

2- Kahrman, Ozturk, Olgan, Refika, Tuncer, gaye. (2012). A Qualitative study on Turkish preschool Children's Environmental Attitudes Through Ecocentrism and Anthropocentrism. International Journal of Science Education, mar2012, vol(34), no(4), p:629650-

وهو ما لم تتناوله أيُّ دراسةٍ أخرى في ضوءِ علمِ الباحثة.

المبحث الثاني: الجانب النظري للدراسة

تُعتبر مرحلة رياض الأطفال من المراحل المهمة في إكساب الطفل المفاهيم والمعلومات المناسبة لحاجاته، إضافةً إلى تعلّمِهِ السلوكيات المرغوب فيها ليكون مقبولاً وسط بيئته المحيطة. وقد تعدّدت الاستراتيجيات التدريسية التي يستخدمها المعلمون في إكساب الأطفال المعلومات والمفاهيم المختلفة كاستخدام التدريس المباشر، التعلم في مجموعات، استخدام الألعاب التعليمية. وذلك من منطلق أن الطفل يبني معرفته بنفسه من خلال المرور بالخبرات المتنوعة بحيث يعمل على استخدام هذه الخبرات لكشف غموض البيئة من حوله أو حلّ المشكلات التي تواجهه. وفي هذا المبحث سنتعرف إلى إستراتيجية التعلم باللعب ودورها في تنمية المفاهيم البيئية لدى أطفال الروضة، وكذلك مفهومَي التحصيل والاتجاه لدى طفل الروضة

أولاً: اللعب

يُعتبر اللعب من منظور علماء النفس والتربية مطلباً أساسياً للطفل وعلى الأسرة والمدرسة تهيئة البيئة المناسبة لممارسة هذا المطلب. فهو لغة الطفل التي يعبر بها عن نفسه ومشاعره وأفكاره، ويستخدمه عند تفاعله مع عالم الكبار. وقد أشارت دراسات الباحثين إلى أن التعلّم عن طريق اللعب من أهمّ الأساليب التعليمية التي يُمكنها أن تجسّد المفاهيم المجردة، كما يُمكنها أن تجعل المتعلّم نشيطاً وفاعلاً أثناء عملية التعلّم^(١).

وتعود أهمية اللعب إلى دوره في الكشف عن عالم الأطفال السحريّ ومعرفة الطريق الذي يسلكونه في الحصول على المعرفة، ومن ثمّ ربطها بواقع الحياة التي يعيشونها، وبالتالي توسيع آفاقهم لإكسابهم القدرة على حلّ المشكلات التي تواجههم. كما ويساعد الأطفال على التعبير الصحيح عن أفكارهم ومشاعرهم التي لا يملكون اللغة الكافية للتعبير عنها للمحيطين بهم. ولا يقتصر دور اللعب على ذلك وإنما يتعداه إلى أكثر من ذلك فهو يزرع في نفس الطفل الالتزام والقدرة على التحمّل والصبر.

فاللعب يبني العقول لأنّ الطفل عندما يلعب يكون مُبتكراً ومتيقظاً ويحلّ الكثير من المشاكل التي تعترضه، كما أنّه يشعر الطفل بالسعادة، ويميل إلى إحداث عالم من الوهم والخيال يمارس

١- زيد الهويدي (٢٠١٢)، الألعاب التربوية استراتيجية لتنمية التفكير، دار الكتاب الجامعي. العين، الإمارات العربية المتحدة،

فيه خبراته الباعثة على السرور والثقة، دون خوفٍ من تدخُلِ الآخرين^(١).

١ : مفهوم اللعب

كثيرة هي التعاريف التي تناولت اللعبَ كنشاطٍ ترفيهي، تعليميٍّ تعليميٍّ وعلاجي. وسنورد هنا بعضاً من تلك التعاريف:

- هو سلسلةٌ من الحركات الجسدية، الانفعالية، العقلية والاجتماعية التي يقوم بها الطفل من أجل إشباع حاجاته المختلفة^(٢).
- النشاط الذي يُمكنُ الأطفال من الاستطلاع والاستكشاف لأنفسهم وللعالم المحيط، واستخدام المواد والخامات للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم والتواصل مع الآخرين^(٣).
- النشاط الذي يقوم به الفرد بهدف الترويح عن نفسه، والإحساس بالمتعة، وقد يكون من النوع البسيط أو المليء بالحركة^(٤).

وتتفق جميع هذه التعريفات في أن اللعب نشاطٌ يمارسه الطفل بهدف استكشاف العالم، فالطفل في كثير الأحيان لا يلعب بقصد اللهو، وإنما لتحقيق أهدافٍ غير ظاهرةٍ لعالم الكبار. هذا وتُعرف الباحثة اللعب على أنه: نشاطٌ عقليٌّ حركيٌّ ممتعٌ ومُشوقٌ يقوم به الطفل لتنمية قدراته وسلوكاته وتحقيق أهدافه. ولم يتوقف الأمر على الاهتمام باللعب لطفل ما قبل المدرسة كنشاطٍ ترفيهي بل تعدى ذلك إلى وضع أنواعٍ ومواصفاتٍ للألعاب وكيفية استخدامها مع طفل الروضة.

٢ : أنواع اللعب

تتنوع أنشطة اللعب عند الأطفال من حيث شكلها ومضمونها وطريقتها ويعود سبب هذا التنوع إلى الاختلاف في مستويات نمو الأطفال، وخصائص المراحل العمرية من جهة، وإلى الظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بالطفل من جهةٍ أخرى. وعلى هذا يمكننا تقسيم اللعب بشكلٍ عامٍّ إلى ثلاثة تصنيفات وهي كما يلي:

أ- اللعب الإيهامي

يُقصدُ به ذلك اللعب الذي يتوهم فيه الطفل بأنه يقوم بممارسة عملٍ واقعيٍّ مستمد من

١- علي عبدالنواب عثمان (٢٠١٠). طرق التعليم في الطفولة المبكرة. دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، ط١. ص٤٥.

٢- نبيل أحمد عبدالهادي (٢٠٠٠). نماذج تربوية تعليمية معاصرة، دار وائل للطباعة، عمان: الأردن، ط١. ص٢٦٨

3- Craft, A.(2000).creativity across primary curriculum. London: Routledge.p:34

4- Canning, n. (2007).children's empowerment in play. European Early childhood Education Research Journal ,vol (15), no(2),p:227236-

الخيال، حيث يُظهِرُ الطفلُ في هذا النوع من اللعبِ قُدْرَاتِهِ العُضَلِيَّةَ والابتكارية والاجتماعية فهو يتعامل مع المواد والمواقف كما لو أنها تحمِلُ خصائصَ أكثر مما تتَّصِفُ به في الواقع^(١). كما ويعتمد اللعب الإيهامي بشكل كبير على المحاكاة. ويضفي الطفل على اللعب في هذه المرحلة صفةً الإحيائية، بحيث يستخدم الطفل العصا وكأنها بندقيّة، أو مجموعة قطع الليجو وكأنها قطار.

ب- اللعب الاستكشافي

تعدُّ الألعاب الاستكشافية طريقةً للتعلُّم في مرحلة الطفولة المبكرة حيث يضع المعلم من خلالها الطفل في مواجهة عدد من التحديات التي تمكنه من التحرك بحرية في مواقف التعلم المختلفة، حيث يساعد استخدام هذه الطريقة المتعلم على كشف المعلومات بنفسه من خلال البحث والتفتيش وهي الحالة التي يكون عندها العقل في أقصى درجات نشاطه وبالتالي تثبت المعرفة في ذهنه بدقة.

ومما يثيرُ محاولة الاستكشاف عند الطفل أمور ثلاثة هي: الجِدَّة، التعقيدُ والغرابةُ. فالطفل حين يخطئ، لا يخطئ لأنه يريد أن يخطئ، بل لأنه لم يتعلم بعد كيف لا يخطئ، فكلمة زاد عمر الطفل كلما زادت رغبته في اكتشاف الأشياء من حوله وهنا يقع على عاتق الأهل والمربين مسؤولية العناية بالألعاب للطفل، فاختيار الألعاب يجب أن يتناسب مع عُمرِ الطفل وقُدْرَاتِهِ العُقَلِيَّةَ وميوله ورغباته^(٢).

ج- اللعب الاجتماعي

يشكل اللعب الجماعي وسيطاً تعليمياً فاعلاً في تشكيل شخصية الطفل ونموه الاجتماعي عن طريق إكسابه الاتجاهات والقيم والأنماط السلوكية والاجتماعية التي يحتاجها. ومع تقدُّم الطفل في العمر يبدأ بالتحول من اللعب الفردي إلى اللعب الجماعي ليكتسب الطفل دلالات تربوية تسهم في تشكيل شخصيته بأبعادها الجسمية والعقلية وبالتالي التكيف مع البيئة^(٣).

ونظراً لخطورة مرحلة رياض الأطفال العُمريَّة فإنه يتوجب على المؤسسات التربوية أن تعطى اللعب في هذه المرحلة عنايةً واهتماماً من خلال تنظيم مواقف اللعب والإشراف عليها وبما يتناسب مع نمو شخصية الطفل بصورة سوية.

١- محمد صوالحة (٢٠٠٤)، علم نفس اللعب، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط ١، ص ١٠١.

٢- محمد صوالحة (٢٠٠٤)، علم نفس اللعب، مرجع سابق، ص ٧٧.

٣- محمد الحيلة (٢٠٠٢)، الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها سيكولوجياً وتعليمياً وعلمياً، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، ط ٦، ص ٥٦.

٣ : مراحل استخدام الألعاب في العملية التعليمية

يُمرُّ استخدام الألعاب التعليمية أيّاً كان نوعها بأربع مراحل هي^(١):

أ- مرحلة الإعداد: وهي المرحلة التي تسبق ممارسة اللعب وينبغي مراعاة بعض الأمور في هذه المرحلة مثل إعداد الألعاب وإعداد المكان وتجريب اللعبة قبل استخدامها.

ب- مرحلة الاستخدام: وهي المرحلة التي يقوم فيها الأطفال باستخدام هذه الألعاب. وهنا يتضح دور كل من المعلم والطالب في اللعب، حيث يمكن للمعلم إعطاء الطفل الفرصة للعمل مع الاكتفاء بالإرشاد والتوجيه.

ج- مرحلة التقييم: وهنا يتضح مدى نجاح الطفل في تحقيق الأهداف المنشودة من اللعبة ويكون من خلال مناقشة الأطفال في النشاط الذي قاموا به.

د- مرحلة المتابعة: على المعلم متابعة الأطفال والعمل على تنويع الخبرات التي تؤدي إلى زيادة الخبرة بالتدرج.

إنّ ما تقدّم ذكره من أنواع ومراحل خاصة باللعب ينسجم مع طبيعة النمو في مرحلة الطفولة، ومع ما جاءت به نظريات علم النفس والتي أكدت على أهمية اللعب في حياة الصغار وهنا سنتقف على بعض النظريات التي فسرت اللعب في هذه المرحلة.

٤ : النظريات المفسرة للعب

هناك عدّة نظريات قامت بتفسير اللعب، سيتمّ التعرف هنا إلى بعض منها:

أ- نظرية التحليل النفسي:

تتبع هذه النظرية المدرسة الفرويدية وتتخصّص في إمكانية الطفل التخلص من الأحداث المؤلمة والمشاعر المرتبطة بها من خلال اللعب. وأنّ الإنسان يميل الى السعي دائماً وراء الخبرات الباعثة على السرور وتكرارها. ويعتبر (فرويد) اللعب وسيلة الطفل في خفض مستوى الخوف والقلق وبالتالي حل المشكلات النفسية^(٢).

ب- نظرية الطاقة الزائدة

ظهرت على يد الشاعر الألماني (شيلر) ومن ثم صاغها (هربرت سبنسر) على شكل نظرية الطاقة الزائدة وتقوم على فكرة أنّ الطفل يمتلك طاقة زائدة لا يحتاجها ناجمة عن تراكم حاجات

١- أحمد النجدي ومنى عبدالهادي وعلي ورائد (٢٠٠٢)، طرق وأساليب واستراتيجيات حديثة في تدريس العلوم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط١، ص٢٠.

٢- محمد الحيلة (٢٠١١)، الألعاب التربوية وتقنيات انتاجها سيكولوجياً وتعليمياً وعملياً، مرجع سابق، ص٧٢.

داخله مما يدفعه إلى التخلُّص من هذه الطاقة عن طريق اللعب والصراخ والتصفيق^(١).
ووفقاً لهذه النظرية فإنَّ المشاعرَ الجماليةَ تنمو نتيجةً لممارسةِ اللُّعبِ. إلا أنَّ هذه النظريةَ واجهتْ انتقاداتاً وهو أنَّ الطفلَ قد يلعبُ على الرغم من تعبِهِ ومَرَضِهِ، فليس اللعبُ هنا مقصوراً على من لديه طاقة زائدة.

ج- نظرية الإعداد للحياة المستقبلية

تعود هذه النظرية إلى العالم (كارول جروس) الذي يرى أنَّ الإنسانَ أكثر الكائنات الحية حاجة إلى اللعب وذلك لأنَّ تركيبته جسميه أكثر تعقيداً وأعماله أكثر أهميةً واتساعاً. وتستند هذه النظرية إلى الأساس البيولوجي للإنسان أكثر من اعتمادها على مظاهر اللعب ذاته. فالطفل لا يلعب لمجرد أنه طفل وإنما لأنَّ الطبيعة جعلت من هذه المرحلة إعداداً لنشاط الكبار^(٢).

د- النظرية التلخيصية

تشير هذه النظرية إلى أنَّ لعبَ الطفلِ يتطوَّرُ ففي بداياته يكونُ فردياً، ومن ثمَّ يتحوَّلُ ليكونُ جماعياً، ويتطوَّرُ اللعبُ الجماعي ليكونُ جماعياً تعاونياً، ويتطور ليصبح لعباً تنافسياً اعترافاً منه بقوة الجماعة وحب الانتماء إليها. ولكنَّ يؤخِّدُ على هذه النظرية أنها تعرَّضتْ لنوع واحد من اللعب ولم تتعرض لألعاب الحاضر^(٣).

هـ- النظرية البيئية (السلوكية)

يرى (سكنر) أنَّ اللُّعبَ سلوكٌ تعليمي يمكن أن يكتسبه الطفلُ بفضل ما يترتَّبُ على استجابته لنشاط اللعب من تعزيزات تُشعره بالرضا فيعملُ على تكرار هذا السلوك الاجرائي.
وقد فسَّرتْ هذه النظرية اللعب على أنه ارتباطٌ بين المثيرات والاستجابات، بمعنى أنَّ الطفلَ يُتقِنُ اللُّعبَ عن طريق التكرار والممارسة والتعزيز^(٤). حيث يرى أصحاب هذه النظرية أنَّ مواقف اللعب المتشابهة تؤدي إلى سلوكيات لعب متشابهة أي تكون الاستجابات متشابهة حتى وإنَّ اختلفت الأدوار.

- ١- جيهان العمادي (٢٠٠٩). أثر استخدام طريقة لعب الأدوار في تدريس القراءة على تنمية التفكير التأملي لدى طلبة الصف الثالث الأساسي. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية / غزة، ص ١١٥.
- ٢- جيهان العمادي (٢٠٠٩). أثر استخدام طريقة لعب الأدوار في تدريس القراءة على تنمية التفكير التأملي لدى طلبة الصف الثالث الأساسي. مرجع سابق، ص ١١٦.
- ٣- محمد صوالحة (٢٠١١)، علم نفس اللعب، مرجع سابق، ص ٣٥.
- ٤- نهاد الهذيلي (٢٠٠٥)، فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى اللعب في تنمية التفكير الابتكاري لدى الأطفال المعاقين سمعياً في مرحلة ما قبل المدرسة، مرجع سابق، ص ٤٦.

و- النظرية المعرفية (بياجيه)

ينظرُ (بياجيه) الى اللعب على أنه الوسيط الذي يتم من خلاله النمو المعرفي العقلي لدى الطفل، كما يرى أن اللعب ينطوي على خاصية فطرية وهي قدرة الطفل على التكيف مع البيئة التي يعيش فيها من خلال عمليتي التمثّل والمواءمة^(١). وبالتالي تحقيق التوازن المعرفي عند الطفل. كما وينظر إلى اللعب بشكليه (كتمرين حسي وكممارسة رمزية) على أنه استيعاب للواقع في النشاط الذاتي، إذ يزوّد هذا النشاط بغذائه الضروري، ويحوّل الواقع حسب الاحتياجات المتعددة للأنسا.

بعد استعراض النظريات التي فسّرت اللعب، يمكننا القول أنه وبالرغم من التباين الواضح بين تلك النظريات في تفسير اللعب، إلا أنها في الوقت نفسه مكّمة لبعضها البعض، حيث إنها اتفقت على أهمية اللعب كنشاط إنساني يقوم به الفرد بدافع ما، قد يكون داخلياً، وقد يكون خارجياً. ولكن الاختلاف كان في تفسير كل نظرية للعب من جانب معين. فالنظرية التلخيصية أرجعت اللعب الى الوراثة فقط، في حين

ربطه (فرويد) بنشاط الطفل الخيالي، بينما ربطت النظرية السلوكية اللعب بالثواب والعقاب، في حين ربطته النظرية المعرفية بالنمو العقلي. ولكن هناك اتفاق واضح حول أهمية اللعب في مرحلة الطفولة وبالتالي علينا الاهتمام بتوفير البيئة الغنية بالمواقف الطبيعية والاجتماعية وإتاحة الفرصة للطفل للتعامل معها.

ثانياً: التحصيل

يُعتبر التحصيل من أكثر المفاهيم التربوية تداولاً، حيث يتم من خلاله التعرف على المستوى الذي وصل إليه الطفل ومدى اكتسابه للمعلومات والمهارات بخصوص المنهاج المقرر.

١ : مفهوم التحصيل

يُعرفُ التحصيل على أنه: القُدرةُ على أداءِ متطلبات النجاح المدرسي لمادة دراسية معينة^(٢).

فهو إتيانُ جملةِ المهارات والمعارف التي يمكن أن يمتلكها الطالب بعد تعرّضه لخبراتٍ تربوية في مادةٍ دراسية معينة أو مجموعة من المواد، وعادةً ما يتم قياس ذلك بالاختبارات.

٢ : طرق قياس التحصيل

تُعتبرُ الاختبارات التحصيلية من أهم وأقدم وسائل تقويم التحصيل وتحديد المستوى

١- محمد صوالحة (٢٠١١). علم نفس اللعب . مرجع سابق.ص٤١.

٢- فرح عبدالقادر طه (٢٠٠٢)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب للنشر ، مصر ، القاهرة ، ص ١٨٢.

الذي وصل إليه الطالب، ولهذا فقد ظهرت وسائل وأساليب تقويم جديدة يمكن من خلالها قياس تحصيل الطالب للمفاهيم والمهارات المختلفة، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي^(١):

أ- التَّقْوِيمُ المَعْتَمَدُ على الأداء: وهو التقويم الذي يقيسُ قُدْرَةَ الطالب على استخدام المعارف والمهارات في المواقف الواقعية المختلفة. وقد جاء الاهتمام بتقويم الأداء كَرَدٌ فِعْلٌ مَبَاشِرٌ للانتقادات الحادة التي وُجِّهَتْ إلى الاختبارات والتي لا تقيسُ في العادة سوى العمليات العقلية في أدنى مستوياتها. فتقويم الأداء يَعتَمِدُ على قدرة الطالب على ترجمة المعارفِ إلى فعلٍ وعملٍ، ويقدم أدلة تشير إلى مهارات أدائية يستخدم فيها تلك المعارف.

ب: Portfolio (ملف انجاز الطالب): ويُقصدُ به حقيبة إنجازات الطالب وأعماله، والتي تضم سجلات تراكمية تحتوي على مجموعة من الوثائق (كالرسومات، الكتابات، المشروعات) الخاصة بالطالب، والتي تُعطي مؤشراً عن مستواه، مهاراته وخبراته. حيث يستند إليها المعلم في إصدار الحكم على الطالب بدقة وموضوعية.

ج: الملاحظة: ويُقصدُ بها رَصدُ أداء الطالب في موقف تعليمي على أرض الواقع، من قبل الملاحظ بغرض جمع المعلومات ومن ثم إصدار الحكم على الطفل^(٢).

وهي من أدوات التقويم الحقيقية التي يستطيع المعلم من خلالها تحديد مدى تقدُّم الطلاب من خلال أفعالهم. وهناك نوعان لقوائم الملاحظة، أولهما: قوائم الشطبِ والتي تتضمن قائمة من السلوكات يقابلها نعم / لا. أما ثانيهما فهي سلاسل التقدير والتي تتضمن قائمة من السلوكات يقابلها قائمة من النتائج (كبيرة، متوسطة، قليلة، ضعيفة). كما ويوجد نوعان للملاحظة هما: الملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة^(٣).

٣: أهمية التحصيل الدراسي

تُعدُّ مرحلة رياض الأطفال من أهم المراحل التعليمية لا بل وأخطرها على الإطلاق، لأنها تساهم وبشكل فعال في بناء شخصية الطفل في تلك المرحلة الهامة من حياته. كما أنها تزوِّده بالأساسيات الضرورية اللازمة لاستمرارهم في المراحل التعليمية التالية. ونظراً لوجود الفروق الفردية بين أطفال تلك المرحلة وبشكل كبير كان لا بد من مراعاتها عند تقديم المفاهيم والمهارات المختلفة للطفل وبشكل يُسهِّلُ على المعلم قياسها لدى الأطفال، لأن عدم مراعاة ذلك

١- ماهر صبري، ومحب الرافي (٢٠٠١)، التقويم التربوي «أسسه وإجراءاته»، مكتبة الرشيد، الرياض، السعودية، ط ١، ص ٣٦٢-٣٦٣.

٢- إبراهيم نوفل (٢٠٠١)، علاقة التحصيل التعليمي بالنجاح الاجتماعي، رسالة دكتوراة، جامعة دمشق، سوريا، ص ٢٩.

٣- عبد الحكيم مهيدات، وإبراهيم المحاسنة (٢٠٠٩)، التقويم الواقعي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ص ١١٢.

سيؤدي إلى تباين في مستوى تحصيل الاطفال فنجد بينهم من هم مرتفعو التحصيل ومن هم متدنو التحصيل داخل الفصل الدراسي الواحد .

ولأن التنمية في المجتمعات الحديثة تعتمد على ما توفره لها مخرجات التعليم بأنواعه، وهذه المخرجات لا يمكنها المشاركة الإيجابية في عملية التنمية دون تأهيل مناسب، كان لا بد من الاهتمام بقياس التحصيل الدراسي، والذي يُعتبر مقياساً يحدد مدى نجاح المتعلم وتقدمه من صف تعليمي إلى صف آخر، ومن مرحلة تعليمية إلى مرحلة تعليمية أخرى، حتى يصبح قادراً بتحصيله العلمي على المشاركة في تنمية مجتمعه^(١).

٤ : العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي

لقد بقيَ الإهتمامُ مركزاً ولفتراتٍ طويلة على أن التحصيلَ العلميَ للطلاب يتأثرُ بجوانبٍ عقلية في الشخصية وذلك عن اعتقاد قوي أن هذه الجوانب تُعتبرُ أكثرَ تأثيراً على التحصيل العلمي إلا أننا سنعرض في هذا البحث بعضاً من العوامل التي تؤثرُ على التحصيل للطلاب ومنها^(٢):

أ: العوامل الجسمية: وتشمل ضعفُ البصرِ والسمعِ والهزال، والإصابة بالامراض التي تفقد الجسم حيويته، وبالتالي عدم القدرة على بذل الطاقة المطلوبة في عمليتي التعليم والتعلم.

ب: العوامل العقلية: وتشمل التأخر في القدرة على القراءة لعدم الإلمام بأساسياتها في وقت مبكر، وبالتالي عدم القدرة على التذكر بشكل صحيح، بالإضافة الى القدرات الذكائية المنخفضة.

ج: عوامل تتعلق بالبيئة المدرسية: كانتقال الطفل من مدرسة الى أخرى، وكثرة التغيب عن المدرسة، وعدم ملاءمة طرق التدريس للمنهج الدراسي وسن الطفل، وكذلك طول المنهج الدراسي وفقدان الدافعية لدى الطالب.

د: العوامل الأسرية: حيث يؤدي الجو الذي تهيئه الأسرة دوراً كبيراً في مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، حيث وجد بأن كثيراً من الأطفال الذين حصلوا على مستويات عالية بالمقارنة مع زملائهم كان وراءهم آباء يبدون الكثير من الحب والاهتمام ويدفعونهم

١- أحمد سالم، وأحمد مصطفى (٢٠٠٥)، فاعلية برنامج تعليمي مقترح في تنمية مهارات التقويم التربوي لدى طلاب شعبة اللغة الفرنسية بكلية التربية في ضوء المعايير القومية لجودة التعليم في مصر، جامعة الملك سعود، المؤتمر العملي (١٢) للجمعية السعودية للعلوم التربوية ٢١-٢٢ فبراير ٢٠٠٥.

٢- إبراهيم كريري (٢٠١١)، فاعلية برنامج حاسوبي مقترح لتدريس الرياضيات في التحصيل واختزال القلق الرياضي لدى طلاب الصف الرابع الابتدائي، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، السعودية، ص ٢٢-٢٣.

للتمييز من خلال المثابرة ومضاعفة الجهد، أما الأطفال الذين يعيشون في أسرٍ تكثر فيها الصراعات ويغلب عليها الاضطرابات فإنهم عادةً ما يواجهون مصاعب كبيرة تنعكس على مستوى تحصيلهم الدراسي^(١).

ثالثاً: الاتجاه البيئي

١: مفهوم الاتجاه البيئي

مجموعة استجابات الأفراد كما تتمثل في سلوكهم نحو الموضوعات البيئية المختلفة، وتسم تلك الاستجابات إما بالرفض أو القبول أو الحياد، وبدرجات متفاوتة بين الأفراد^(٢). وفي هذه الدراسة يُقاس الاتجاه البيئي باستجابات الأطفال تجاه المشكلات البيئية على مقياس الاتجاه الذي أُعدّ والتي يُعبّر عنها الطفل بالقبول أو الرفض أو الحياد.

٢: مكونات الاتجاه البيئي

تتكون الاتجاهات نتيجةً لانتقال الفرد بالبيئة المحيطة به، حيث يكتسب الفرد اتجاهاته ويتعلمها من خلال المواقف والخبرات التي يتعرض لها أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تكون من خلال الراشدين سواء عن طريق التواصل اللفظي معهم، أو عن طريق نموذج سلوكياتهم أثناء ملاحظة الأطفال لسلوكيات الكبار. وعلى هذا الأساس فالاتجاهات بشكل عام تتكون من^(٣):

أ: المكون المعرفي العقلي: ويتضمن هذا المكون المعلومات والحقائق المتوفرة لدى الفرد، وبالتالي فالإتجاه يتطلب مجموعة من العمليات العقلية لفهمه كالتمييز والاستدلال.

ب: المكون العاطفي: حيث يثير هذا المكون مشاعر الحب والكراهية التي يوجهها الفرد نحو موضوع ما، ويرتبط بتكوينه العاطفي، فهو قد يحب موضوعاً ما، فيندفع نحوه، وقد يكره آخر فينفر منه.

ج: المكون السلوكي: تعمل الاتجاهات كمحفزات لسلوك الانسان، فهي تدفعه للعمل على نحو إيجابي عندما يمتلك اتجاهات إيجابية، والعكس صحيح. فمثلاً الفرد الذي يحمل اتجاهات إيجابية نحو البيئة لا يقوم برمي النفايات على الارض.

١- محمد شراز(٢٠٠٦)، أبرز العوامل الأسرية المؤثرة على التحصيل الدراسي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد (١٨)، العدد (٢)، ص٩٤.

٢- حسن شحاته، زينب النجار(٢٠٠٢)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص ١٧.

٣- شاكر المحاميد(٢٠٠٢)، علم النفس الاجتماعي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ص ٢٠١.

٣ : مراحل تكوين الاتجاهات البيئية

تتكون الاتجاهات البيئية من مجموعة من المراحل نُوردها على النحو الآتي^(١):

أ: المرحلة الاختيارية: وترتبط بنشاط الفرد في البيئة التي يعيش فيها لإدراك عناصرها الطبيعية والاجتماعية، مما يجعله يكتسب خبرة كبيرة بكل محتوياتها تكون بمثابة تراث معرفي. ولذلك تسمى هذه المرحلة أحياناً بالمرحلة الإدراكية المعرفية.

ب: المرحلة التفضيلية: ترتبط هذه المرحلة برؤية الفرد للأمر المحيط به بنظرة قد تكون ثابتة وقد تكون سطحية، وحكمه عليها بطريقة قد تكون موضوعية وقد تكون ذاتية. لذلك يُجري الفرد عمليات تقويمية مستمرة لخبراته السابقة من أجل تحديد الأسس التي يبني عليها تفضيله لأي منها دون غيرها، وتسمى هذه المرحلة أحياناً بالمرحلة التقويمية، أو مرحلة الاختيار.

ج: المرحلة الاستقرارية: في هذه المرحلة يكون الاتجاه النفسي قد نما وتطور حتى وصل الى صورته النهائية التي يستقر ويثبت عليها، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الاخيرة (التقريرية) أو مرحلة ثبوت الاتجاه واستقراره.

٤ : أهمية دراسة الاتجاهات البيئية

تمثل الاتجاهات العوامل التي تؤثر في مشاعر الفرد الوجدانية واستعدادته، حيث يقوم بتوجيه سلوكه على نحو معين في البيئة التي يعيش فيها. ومن هنا كانت دراسة الاتجاهات بشكل عام والدراسات البيئية بشكل خاص عنصراً أساسياً في تفسير السلوك الحالي للفرد ومن ثم التنبؤ بسلوكه المستقبلي، حيث إن تراكم الاتجاهات في ذهن الفرد وزيادة اعتماده عليها تحدد من حريته في التصرف وبالتالي تصبح أنماطاً سلوكية متكررة يسهل التنبؤ بها، كما أن الانتظام في السلوك والاستقرار في أساليب التصرف أمر ممكن وميسر للحياة الاجتماعية^(٢).

رابعاً: طفل الروضة

تعتبر رياض الأطفال إحدى المداخل الهامة لتنمية شخصية الطفل، والتي تعترف بالطفل كإنسان من حقه أن يستمتع بالمرحلة التي ينمو فيها في ظل توافر عنصرَي الأمان والمرح، وبما يضمن تنمية إمكاناته وقدراته وعلى ذلك يكون الهدف هو إعداد الطفل من أجل تنمية المجتمع.

١- عبيد الهولي (٢٠٠٨)، الوعي البيئي والاتجاه نحو البيئة في مرحلة رياض الأطفال بدولة الكويت، مجلة الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مصر، العدد (١٢٨)، الجزء (١)، ص ١٤.

٢- صالح ابو جادو (٢٠٠٠)، علم النفس التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط٢، ص ٢١٧.

والرؤضة كمؤسسة تعليمية تهدف أساساً إلى العمل على تنمية المفاهيم المختلفة لدى الطفل سواء كانت المفاهيم علمية، أو رياضية، أو لغوية، أو حتى مفاهيم بيئية، والتي تؤهله لاكتساب هذه المفاهيم في جو يسوده الحب والتسامح وعن طريق الأنشطة المتنوعة تنمو شخصية الطفل كما تنمو قدراته على التعبير عن رغباته وتكوين مفهوم إيجابى عن ذاته .

ولهذه المرحلة خصائص نمو خاصة بها يجب على المربين أن لا يغفلوا عنها من أجل المساعدة على فهم متطلبات نموه وسهولة إشباع هذه المتطلبات، والعمل في ضوءها. وبالتالي مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال أثناء التخطيط للموقف التعليمي. وتشتمل خصائص النمو على ما يأتي:

١- النمو الجسمي: حيث يحتاج طفل هذه المرحلة إلى الغذاء الصحي والهواء النقي، إضافة إلى إتاحة الفرصة له للعب والحركة بحرية تامة. وهنا تظهر الحاجة إلى حماية الطفل من الحوادث التي يتعرض لها، من خلال توفير بيئة لعب آمنة، وتعليمه كيفية حماية نفسه من الأخطار^(١).

٢- النمو العقلي: حيث يغلب على الطفل في هذه المرحلة (التفكير الحدسي) والذي يعني أن فهم الطفل للمفاهيم في هذه المرحلة يكون مرتكزاً على ما يراه ويسمعه وليس على المنطق. كما أن الطفل يسقط الحياة على كل شيء يتحرك حوله بما في ذلك الجماد^(٢).

ومن مظاهر النمو العقلي الأخرى زيادة قدرة الطفل على فهم الكثير من المفاهيم التي تقع داخل نطاق اهتمامه، كما تزداد قدرته على التذكر المباشر، كما يملك خيالاً واسعاً يظهر بوضوح في لعبه الإيهامي^(٣).

٣- النمو الانفعالي: تتميز انفعالات الطفل في هذه المرحلة بأنها انفعالات غير مستقرة تتغير بين الحين والآخر، ولكنها تميل نحو الانضباط عند نهاية السنة الخامسة. ومن أكثر الانفعالات التي يمر بها الطفل في هذه المرحلة الخوف، الغيرة، الغضب^(٤).

ويتأثر النمو الانفعالي للطفل بالعديد من العوامل منها ما هو عضوي خاص بالطفل كحالة الطفل الصحية، ومنها ما يتعلق بالعوامل البيئية والاجتماعية المحيطة بالطفل. كما يحتاج الطفل إلى إشباع حاجاته النفسية الأساسية مثل الشعور بالأمن والحب حتى يحقق التوازن والثبات الانفعالي^(٥).

١- جاسم محمد (٢٠٠٤)، النمو والطفولة في رياض الأطفال، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ص١٤.

٢- هدى الناشف (٢٠٠٥)، رياض الأطفال، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، مصر، ط٤، ص٧٤.

٣- خليل الكسواني، ابراهيم الخطيب، يوسف ابو الرب (٢٠٠٣)، برامج طفل ما قبل المدرسة، دار قنديل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ص٢١.

٤- ايناس خليفة (٢٠٠٣)، رياض الأطفال « الكتاب الشامل»، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ص٣٩.

٥- هدى الناشف (٢٠٠٥)، رياض الأطفال، مرجع سابق، ص٧٣.

٤- النمو الاجتماعي: تُعتبر هذه المرحلة بداية الوعي الشخصي الاجتماعي والذي يتمثل أساساً في الشعور بالأمن والطمأنينة، وهذا هو أساس النمو السليم لشخصية الطفل. وحتى نُرسِي قواعد النمو الاجتماعي السليم لدى الطفل علينا بدايةً أن نبنيَ عنده الثقة بنفسه وبمن حوله. ومن ثمَّ تشجيعه على التعاون واللعب الجماعي، بحيث يتعود الطفل على المشاركة مع الآخرين تدريجياً وليس عن طريق الإكراه^(١).

أهمية تعلم المفاهيم لطفل الروضة

يرى (بياجيه) أن المرحلة العمرية التي تقع بين (٥-٨) هي البدايات الأولى لتكوين المفاهيم ونموها عند الطفل والتي تتكون بالتدرج وتعتبر هذه الفئة العمرية مهمة في حياة الفرد فاذا لم يتم تكوين المفاهيم خلالها وبصورة صحيحة فإن سائر المعلومات التي يكتسبها عن طريقها لاحقاً ستظل ناقصة وغير متكاملة.

كما أكد (برونر) على أن تشكيل المفاهيم لدى الأطفال في وقت مبكر تهدف إلى زيادة قدرتهم على معالجة المعلومات وتوسيع أنظمتهم المفاهيمية عن طريق قيامهم بنشاطات تعليمية تمكنهم من اكتساب مفاهيم جديدة يستخدمونها في مواجهة معلومات أو مشكلات أخرى^(٢).

كما يُمكننا الاستدلال على تعلم المفهوم عند المتعلمين من خلال قدرتهم على أداء العمليات الآتية: (التنبؤ بما يمكن أن يحدث في موقف معين، وتفسير ما يحدث في ضوء العلاقات، وحل المشكلات التي تكون ذات علاقة بالمفهوم)^(٣)

المبحث الثالث: الجانب العملي للدراسة

١: الطريقة والإجراءات

أ: مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة رياض الأطفال في قصبية معان والبالغ عددهم (٥٠٠) طفلاً. وقد تم اختيار العينة من طلبة رياض الأطفال في روضتي القبس الحديثة، والنهضة الخيرية وتبعمان القطاع الخاص اختياراً مقصوداً قصدياً. وتم اختيار سبعين عشوائياً إحداهما تمثل المجموعة التجريبية والأخرى تمثل المجموعة الضابطة وبلغ عدد أطفال العينة (١٦٨) طفلاً.

١- هدى الناشف (٢٠٠٥)، رياض الأطفال، مرجع سابق، ص ٧٤.

٢- صالح ، اوبجادو(١٩٩٨). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ، الأردن، ط١، ص٢٧٧.

٣- عادل ابو العز سلامة (٢٠٠٢)، طرائق تدريس العلوم ودورها في تنمية التفكير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ص١١٨.

الجدول (١)

تقسيم العينة على مجموعات الدراسة

المجموع	الإناث	الذكور	الجنس
			المجموعة
٨٥	٤٥	٤٠	المجموعة التجريبية
٨٣	٣٧	٤٦	المجموعة الضابطة
١٦٨	٨٢	٨٦	الإجمالي

ب: أدوات الدراسة:

تم الاستناد إلى الأدوات التالية في إجراء البحث:

- البرنامج التعليمي: برنامج صمّمته الباحثة ويقوم على مجموعة المفاهيم البيئية حيث تمّ تقديمها للأطفال من خلال اللعب. وقد تم استخدام الرحلات الميدانية، التجارب المخبرية والطبيعية، ولعب الروضة لتنمية المفاهيم للطفل. وبواقع (١٠) جلسات تدريسية مقسمة على شهر بواقع (٣) جلسات أسبوعياً.

وتم استخراج صدق محتوى البرنامج التعليمي من خلال عرضهِ على مجموعة من المحكّمين وعددهم أربعة من ذوي الاختصاص في مجال المناهج والتدريس وعلم النفس التربوي، لبيان مدى ملاءمة مفردات المحتوى للمفاهيم البيئية لأطفال الروضة وتمّ الأخذ بالملاحظات وتعديل البرنامج وفق ما هو مطلوب. أمّا ثبات المحتوى فقد تمّ استخراجهُ من خلال حساب معامل التوافق بموجب معادلة (هولستي) لنقاط التوافق والاختلاف بين المحكّمين.

$$٢ت/١ن+٢ن$$

حيث (ت) تمثل نقاط الاتفاق بين المحكّمين، (ن) المحكّمين

$$٢٥+٢٤/٢٨٢٣ = ٤٩/٤٦ = ٩٣، نسبة التوافق$$

$$٢٤+٢٣/٢٨٢٢ = ٤٧/٤٤ = ٩١$$

$$٩٢ = \text{ثبات المحتوى الإجمالي}$$

- اختبار لقياس تحصيل الأطفال للمفاهيم البيئية: حيث تكوّن الاختبار في صورته الأولى من (٢٠) فقرة وتتضمّن كل فقرة أربعة بدائل (صور) يختار الطفل البديل المناسب الذي يقيس المفهوم البيئي لديه.

ولضمان صدق الاختبار فقد تمّ عرضه على أساتذة جامعيين ومشرفين تربويين ومعلمات

الروضة للتأكد من حسن صياغة الفقرات، وملاءمة البرنامج لطفل الروضة وسلامة الصور ووضوحها وترتيبها. وقد جاءت آراء المحكمين متفقة مع الاختبار ولم يتم إجراء أي تعديل.

وتمَّ قياسُ ثباتِ الاختبار من خلال تطبيقه على عينة استطلاعية من خارج الدراسة بلغت (٣٠) طفلاً وباستخدام مُعاملِ ارتباطِ (بيرسون) وبإعادة الاختبار بعد أسبوعين بلغت قيمة ثبات الاختبار التحصيلي (٩١٦،) والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (٢)

معامل ارتباط الاختبار التحصيلي

الاختبار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الارتباط
القبلي	١٢،٠٦٦٧	٢،٢٨٨٤	٩١٦**
البعدي	١٣،٨٦٦٧	٢،٥٦٩٥	

- مقياسُ الاتجاهِ نحوِ البيئة: تمَّ تصميمُهُ من قبل الباحثة وبلغت فقراتُ المقياس (٢٥) فقرةً ضمن (٥) أبعادٍ ومرتبة الإجابة (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة) وتم استخدامه قبل وبعد البرنامج لقياس اتجاهات الأطفال نحو البيئة، حيث كانت الإجابة من خلال المقابلة الفردية للأطفال بحيث تقرأ المعلمة الفقرة ويجيب الطفل عنها. وللتأكد من صدق المقياس تم عرضه على مجموعة من المحكمين من حقلِي المناهج والتدريس وعلم النفس التربوي وتم تعديل بعض الفقرات من ناحية الصياغة اللغوية. أما الثبات فقد تم التأكد منه من خلال استخدام مُعاملِ ارتباطِ (بيرسون) وبإعادة الاختبار بعد أسبوعين بلغت قيمة ثبات المقياس (٨١١،) والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (٣)

معامل ارتباط بيرسون من خلال الاختبار بالإعادة

الأبعاد	معاملات الارتباط
الهواء	٧١٣**
الماء	٥٧٣**
النبات	٦٥٧**

،٤٦٣*	الحيوان
،٥٢١**	الأصوات
،٨١١**	الإجمالي

حيث يلاحظ من الجدول السابق أن قيمة الثبات مرتفعة وتعتبر مقبولة لغايات الدراسة.

ج: تصميم الدراسة :

تم استخدام التصميم شبه التجريبي

G1 O1 O2 X O1 O2

G2 O1 O2 X O1 O2

G3 O1 O2 O1 O2

G4 O1 O2 O1 O2

G1 (المجموعة التجريبية ذكور)

G2 (المجموعة التجريبية إناث)

O1 (إختبار الاتجاهات)

O2 (الاختبار التحصيلي)

X المعالجة التجريبية (برنامج قبلي)

د: إجراءات البحث:

اتبعت الباحثة الإجراءات الآتية:

- ١- مراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة ذات الصلة بتعرّف المفاهيم البيئية وخصائص رياض الأطفال ومقاييس الاتجاهات.
- ٢- الحصول على الموافقات اللازمة من قبل مديرية التربية والتعليم لقصبة معان.
- ٣- تطوير أدوات البحث واستخراج صدقها وثباتها من خلال التطبيق على عينة استطلاعية.
- ٤- تطبيق المعالجة التجريبية للبحث.
- ٥- القيام بالمعالجة الإحصائية لنتائج الدراسة.

هـ: المعالجات الإحصائية :

استخدمت الباحثة المعالجات الإحصائية الآتية:

- ١- استخدام معادلة هولستي Holesty لاستخراج ثبات المحتوى .
- ٢- استخدام مُعامل ارتباط (بيرسون) لاستخراج ثبات أدوات الدراسة.
- ٣- استخراج المتوسطات الحسائية والانحرافات المعيارية لمجموعات الدراسة واستخدام تحليل التباين المشترك (المصاحب) ANCOVA لفحص فرضيات الدراسة.
- ٤- حسابُ معامل حجم التأثير (EFFECT SIZE) ومربع إيتا (η^2) لاستخراج كفاءة البرنامج التعليمي.

٢ : نتائج البحث ومناقشتها

هَدَفَ هذا البحثُ إلى معرفة أثر برنامج قائم على اللعب في تعلم المفاهيم البيئية لدى أطفال الروضة وتحصيلهم لها وكذلك تنمية اتجاهاتهم نحو البيئة. وفيما يأتي عرض للنتائج تبعاً لتسلسل أسئلة البحث.

أ: النتائج المتعلقة بسؤال البحث الأول:

ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم؟

للإجابة عن هذا السؤال تم إجراء اختبار تحصيلي قبلي وبعدي على مجموعتي الدراسة (التجريبية والضابطة) وفيما يأتي جدول يبين المتوسطات الحسائية والانحرافات المعيارية لنتائج المجموعتين في التطبيق القبلي والبعدي .

جدول رقم (٤)

المتوسطات الحسائية والانحرافات المعيارية لعينة الدراسة

الاختبار البعدي		الاختبار القبلي		المجموعة
الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
٢,٥٢٥	٢٠,٦٤٧	١,٩٩٣	١١,٠٤٧	التجريبية
٢,١٠٤	١٢,٠٣٦	٢,٠٦٧	١٠,٦٧٥	الضابطة

يُلاحظ من الجدول وجود فروق ظاهرية بين متوسطات كل من المجموعتين (التجريبية والضابطة) على الاختبارين (القبلي والبعدي) في تحصيل الأطفال للمفاهيم البيئية.

ولفحص هذه الفروق الظاهرية تم إجراء تحليل التباين المشترك (المصاحب) لفحص

الفرضية الصفرية :

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم. وفيما يلي ملخص نتائج تحليل التباين المشترك (المصاحب).

جدول رقم (٥)

ملخص نتائج تحليل التباين المشترك (المصاحب) للاختبار التحصيلي

المصدر	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	حجم التأثير (مربع إيتا)
الاختبار القَبلي	٦٥٤،١١٣	١	٦٥٤،١١٣	٤٤١،١١٣	،٠٠٠	
الجنس	،٠٥٣	١	،٠٥٣	،٠٣٦	،٨٥١	،٠٠٠
المجموعات	٢٨١٢،٨٢٨	١	٢٨١٢،٨٢٨	١٨٩٦،٨٨٢	،٠٠٠	،٩٢٠
الخطأ	٢٤٣،١٩٠	١٦٤	١،٤٨٣			
المجموع	٣٧١٠،١٨٤	١٦٧				

يُلاحظ من الجدول أن المجموعتين (التجريبية والضابطة) غير متكافئتين حيث إن قيمة (ف = ٤٤١،١١٣) وهي دالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$

كما يُلاحظ من الجدول أن قيمة (ف = ١٨٩٦،٨٨٢) دالة إحصائية عند مستوى الدلالة $(\alpha \leq 0.05)$ بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) في التطبيقين القبلي والبعدي للاختبار التحصيلي ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢٠،٦٤٧) وانحراف معياري (٢،٥٢٥). وبالتالي يتم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند (مستوى $\alpha \leq 0.05$) للبرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم.

لقد أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية لأثر البرنامج القائم على اللعب في تحصيل الأطفال ولصالح المجموعة التجريبية. وتتفق هذه النتيجة مع جميع الدراسات السابقة، وهذا يعزى لتصميم البرنامج التعليمي المُقدم للأطفال من حيث:

١- خروجه عن النمط التقليدي في التدريس حيث تم إعطاء الأطفال فرصة للمشاركة والبحث والاكتشاف

احتوائه على الألعاب، الرسومات. وطبيعة أنشطة اللعب التي تم استخدامها أثناء تنفيذ البرنامج التعليمي.

استخدام الصور الملونة في الاختبار التحصيلي زاد من استمتاع الأطفال أثناء الإجابة عن الفقرات.

يُعزى التفوق أيضاً إلى أن تطبيق هذه الإستراتيجية حققَ جَوْاً من المرح والمتعة وإثارة الدافعية عند الأطفال، مما زاد الحماسَ وهو ما أكَّدت عليه دراسة (أبو غزالة، ٢٠٠٨).
كما أن استخدام اللعب في تعلم المفاهيم البيئية قلَّص من الشرود الذهني عند الأطفال، وسبَّب ذلك مخاطبة البرنامج لعقل الطفل ومشاعره ومهاراته الحركية.

ب: النتائج المتعلقةُ بسؤالِ البحثِ الثاني:

ما فاعليَّة البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم تبعاً للجنس؟

للإجابة عن هذا السؤال تمَّ حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لنتائج المجموعتين في التطبيق القبلي والبعدي وحسب الجنس. والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (٦)

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعينة الدراسة حسب الجنس

المجموعة	الجنس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي	
		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التجريبية	الذكور	١١،١٠٠	٢،٠٨٥	٢٠،٦٥٠	٢،٩٠٥
	الإناث	١١،٠٠٠	١،٩٣١	٢٠،٦٤٤	٢،١٦٥
الإجمالي		١١،٠٤٧	١،٩٩٣	٢٠،٦٤٧	٢،٥٢٥
الضابطة	الذكور	١٠،٧٣٩	١،٩٧١	١٢،١٧٤	١،٩٥٩
	الإناث	١٠،٩٥٩	٢،٢٠٤	١١،٨٦٥	٢،٢٨٧
الإجمالي		١٠،٦٧٥	٢،٠٦٧	١٢،٠٣٦	٢،١٠٤

يُلاحظ من الجدول وجود فروق ظاهرية بين متوسّطات كل من (الذكور والإناث) في المجموعتين على الاختبارين (القبلي والبعدي) في تحصيل الأطفال للمفاهيم البيئية.

ولفحص هذه الفروق الظاهرية تم إجراء تحليل التباين المشترك (المُصاحب) لفحص الفرضية الصفرية:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم تبعاً للجنس. ولفحص متغير الجنس تبين من الجدول (٥) عدم وجود فروق دالة إحصائية بين (الذكور والإناث) حيث أن قيمة (ف = ٠,٠٣٦) وهي غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة α أي لا يوجد فروق بين المتوسطات الحسابية للذكور والإناث.

لم تُظهر النتائج أي فرق ذي دلالة إحصائية يعزى لأثر الجنس في تحصيل المفاهيم وقد يعود سبب ذلك إلى أن الأطفال قد استقوا ثقافتهم البيئية من ذات المصدر سواء في التربية البيئية غير المقصودة (الشارع، الأسرة، الإعلام) أو التربية المقصودة (المنهج التعليمية). وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (الحربات ٢٠٠٤).

ج: النتائج المتعلقة بسؤال البحث الثالث:

ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لنتائج المجموعتين في التطبيق القبلي والبعدي والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعتي الدراسة على مقياس الاتجاهات

المجموعة	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التجريبية	١١,٥٧٧	١,٤٥١	١٨,٩٠٦	٢,٠٥٦
الضابطة	١١,٥٥٤	١,٥١٦	١٢,٠٢٤	١,٤٨١

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المجموعتين (التجريبية والضابطة) غير متكافئتين حيث إن قيمة (ف = ٢٨,١٤١) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ كما يلاحظ من الجدول أن قيمة (ف = ٨٠٧,٥٦) دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة $(\alpha \leq 0.05)$ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق القبلي والبعدي لمقياس الاتجاهات نحو البيئة لأطفال الروضة ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (١٨,٩٠٦) وانحراف معياري (٢,٠٥٦) وبالتالي يتم رفض الفرضية الصفرية:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم

المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة. وقبول الفرضية البديلة (يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ للبرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة). حيث أظهرت النتائج ارتفاع متوسط أداء أفراد الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو البيئة في الاختبار البعدي مقارنة بمستوى أدائهم على الاختبار القبلي مما يشير إلى أثر البرنامج التعليمي في تنمية اتجاهات الأطفال نحو البيئة ويمكن تفسير هذه النتيجة من مبدأ إعطاء الطفل حرية التفاعل مع مواقف اللعب والتعلم.

د: النتائج المتعلقة بسؤال البحث الرابع:

- ما فاعلية البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة تبعاً للجنس؟
للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لنتائج المجموعتين في التطبيق القبلي والبعدي وحسب الجنس والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعتي الدراسة على مقياس الاتجاهات

الاختبار البعدي		الاختبار القبلي		الجنس	المجموعة
الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي		
١,٩٥٩	١٨,١٠٠	١,٦٠١	١١,٥٢٥	الذكور	التجريبية
١,٨٨٦	١٩,٦٢٢	١,٣١٩	١١,٦٢٢	الإناث	
٢,٠٥٦	١٨,٩٠٦	١,٤٥١	١١,٥٧٧		الإجمالي
١,٤١٥	١١,٦٧٤	١,٥٣٠	١١,٥٦٥	الذكور	الضابطة
١,٤٦٥	١٢,٤٦٠	١,٥٢٠	١١,٥٤١	الإناث	
١,٤٨١	١٢,٠٢٤	١,٥١٦	١١,٥٥٤		الإجمالي

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المجموعتين (التجريبية والضابطة) غير متكافئتين حيث إن قيمة (ف = ٣٨,١٤١) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$. ولفحص متغير الجنس يتبين من الجدول أعلاه وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث حيث إن قيمة (ف = ٢٢,٩٠٢) وهي دالة إحصائية عند مستوى الدلالة $(\alpha \leq 0.05)$ ولصالح الإناث وبمتوسط

حسابي (١٦،٣٩٠) وانحراف معياري (٣،٩٦٨).

وتشير النتائج إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) تُعزى إلى الجنس على مقياس الاتجاهات نحو البيئة ولصالح الإناث وتُرجع الباحثة سبب ذلك إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية للأنثى والتي تبدأ من الأسرة، وكذلك إلى تمتع الأنثى بقدر كبير من الحس الجمالي، وقد اختلفت هذه النتيجة مع دراسة (كاهايمان ٢٠١٢).

هـ: النتائج المتعلقة بسؤال البحث الخامس:

- ما حجم تأثير البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تحصيل أطفال الروضة لهذه المفاهيم؟

لحساب حجم التأثير للبرنامج التعليمي تبين أن مربع إيتا (١٦2) (٠,٩٢٠) وهذه القيمة مرتفعة جداً وتُعزى لنسبة أثر البرنامج التعليمي وبنسبة قدرها ٩٢٪. كما أن مربع إيتا (١٦2) = (٠,٠٠٠) أي ليس للبرنامج التعليمي أثر تبعاً للجنس وهذا ما أثبتته مستوى دلالة α (٠,٨٥١).

وقد تم حساب المتوسطات الحسابية المعدلة للاختبار التحصيلي بفترة ثقة ٩٥٪ والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول رقم (٧)

المتوسطات الحسابية المعدلة للاختبار التحصيلي

فترة الثقة المعدلة (٩٥٪)		الخطأ المعياري	الوسط الحسابي	المجموعات
الحد الأدنى	الحد الأعلى			
٢٠,٧٣٠	٢٠,٢٠٧	١٣٢	٢٠,٤٦٨	التجريبية
١٢,٤٨٤	١١,٩٥٣	١٣٤	١٢,٢١٩	الضابطة
١٦,٦٢١	١٦,١٠١	١٣٢	١٦,٣٦١	الذكور
١٦,٥٩٢	١٦,٠٥٩	١٣٥	١٦,٣٢٦	الإناث

يلاحظ من الجدول أن الحد الأعلى لمتوسط المجموعة الضابطة (١٢,٤٨٤) وهو أقل من الحد الأدنى لمتوسط المجموعة التجريبية البالغ (٢٠,٢٠٧) مما يؤكد دلالة الفارق ويحدد فترة الثقة المعدلة للمتوسط الحسابي.

بينما يلاحظ أن الحد الأعلى لمتوسط الذكور (١٦,٦٢١) أعلى من الحد الأدنى لمتوسط الإناث البالغ (١٦,٠٥٩) أي يقع ضمن فترة الثقة المعدلة مما يؤكد عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في المجموعتين.

و: النتائج المتعلقة بسؤال البحث السادس:

ما حجم تأثير البرنامج القائم على تعلم المفاهيم البيئية من خلال اللعب في تنمية اتجاهات أطفال الروضة نحو البيئة؟

ولحساب حجم التأثير للبرنامج التعليمي تبين أن مربع إيتا (η^2) (٠,٨٣١)، يُعزى لأثر البرنامج التعليمي وبنسبة قدرها (٠,٨٣١)، تبعاً للمجموعات. كما أن مربع إيتا (η^2) = (٠,١٢٣)، لأثر البرنامج التعليمي تبعاً لمتغير الجنس مما يقدّم مؤشراً على أن أثر البرنامج التعليمي في الاتجاهات تبعاً للجنس ضعيف جداً.

وقد تمّ حساب قيم المتوسطات الحسابية المعدلة لمقياس الاتجاهات بفترة ثقة (٩٥٪) كما هو موضح في الجدول الآتي .

جدول رقم (١٠)

المتوسطات الحسابية المعدلة لمقياس الاتجاهات

المجموعات	الوسط الحسابي	الخطأ المعياري	فترة الثقة المعدلة (٩٥٪)	
			الحد الأدنى	الحد الأعلى
التجريبية	١٨,٨٦٧	,١٦٧	١٨,٥٢٧	١٩,١٩٧
الضابطة	١٢,٠٩٢	,١٦٩	١١,٧٥٧	١٢,٤٢٦
الذكور	١٤,٩٠٩	,١٦٦	١٤,٥٨٠	١٥,٢٣٧
الإناث	١٦,٠٥٠	,١٧٠	١٥,٧١٣	١٦,٣٨٦

يُلاحظ من الجدول أن الحد الأعلى لمتوسط المجموعة الضابطة (١٢,٤٢٦) وهو أقل من الحد الأدنى لمتوسط المجموعة التجريبية (١٨,٥٢٧) مما يؤكد وجود فروق الدالة إحصائياً. بينما كان المتوسط الأعلى للذكور (١٥,٢٣٧) وهو أقل من الحد الأدنى لمتوسط الإناث البالغ (١٥,٧١٣) مما يؤكد وجود فروق بين الذكور والإناث في مقياس الاتجاهات ولصالح الإناث. ويمكن إرجاع فاعلية البرنامج التعليمي في تحصيل أطفال الروضة للمفاهيم البيئية واتجاهاتهم نحو البيئة إلى:

- ١- وضوح أهداف البرنامج وارتباطها بالمواقف الحياتية التي يعيشها الطفل.
- ٢- إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن رأيهم فيما يتعلق بالمشكلات البيئية وكيفية التغلب عليها.
- ٣- توفير فرص التعاون والعمل الجماعي أثناء تعلم مفاهيم البرنامج.

وأخيراً يمكننا القول إن النتيجة التي خلص إليها البحثُ قد جاءت متفقة مع غالبية الدراسات السابقة.

المُقترحات

- بناءً على النتائج التي توصل إليها البحثُ فإن الباحثة تُوصي بما يأتي:
- ١- تنويع وسائل نشر الوعي البيئي بين فئات المجتمع وبخاصة الأطفال.
 - ٢- زيادة الاهتمام بالأنشطة الصفية على نحو يساعِدُ الأطفال على تحمُّل المسؤولية تجاه البيئة.
 - ٣- بناء المزيد من البرامج التي تقيس العلاقة بين التحصيل والاتجاهات نحو البيئة .
 - ٤- إجراء دراساتٍ حول استخدام الألعاب التعليمية في تدريس مفاهيم جديدة لأطفال الروضة.
 - ٥- أن يهتم القائمون على تطوير منهاج رياض الأطفال بتزويده بالتطبيقات الملائمة والمترابطة والتي تُتيح للأطفال اكتساب الخبرات والمفاهيم البيئية المناسبة لهم .

Nawal Abou Raad

MCF Université Libanaise

Faculté de Pédagogie

UMR-ADEF -Université de Provence INRP

L'enseignement de la modélisation et ses effets sur les productions des élèves Etude de cas en classe de seconde au Liban

Résumé: Dans ce travail, nous nous intéressons à dégager les effets de l'enseignement de la modélisation en classe de Première Secondaire (ES1) dans le système éducatif libanais, à partir de l'objet de savoir «Système linéaire». Nous articulons notre travail autour de la question suivante : les élèves de la classe de seconde (ES1) ont-ils des difficultés à modéliser un problème extramathématique ?

Pour répondre à cette question, nous avons analysé les travaux des élèves autour de deux problèmes, l'un plutôt classique et l'autre nécessitant une recherche des inconnues implicites. Nous avons trouvé que ces élèves fonctionnent en « automates ». Pour eux, la mathématisation d'un problème extramathématique n'est qu'une modélisation en système de deux équations à deux inconnues qu'ils recherchent dans l'énoncé.

Mots clés : modélisation, extramathématique, système linéaire.

Introduction

Dans ce travail, nous nous interrogeons sur l'effet de l'enseignement de la modélisation dans l'intérêt d'en dégager des problématiques. Pour ceci, nous nous sommes fixée comme objectif de faire des recherches à ce propos sur l'enseignement de l'objet de savoir « Système linéaire », en classe de Première Secondaire (ES1) dans le système éducatif libanais.

Cela amène le travail sur trois volets : Dans un premier volet, nous nous appuyerons sur des travaux de recherche pour présenter des approches de définitions et des démarches de la modélisation. Dans le second volet, nous essayerons de comprendre les enjeux didactiques de l'enseignement de la modélisation en centrant notre étude autour de deux grandes perspectives théoriques : le point de vue de l'écologie des savoirs et celui du contrat didactique. Le troisième volet se rapportera aux travaux des élèves autour de deux problèmes, l'un plutôt classique⁽¹⁾ et l'autre nécessitant une recherche des inconnues implicites.

1- Tout problème qui se modélise en répondant aux étapes de «la démarche Φ » que nous expliciterons plus tard dans le travail, et qui est sans rupture d'aucune des règles élaborées du contrat didactique, sera désigné dans ce travail par: problème classique.

A - I - Travaux de référence à propos de la modélisation

Le modèle et la modélisation sont des termes souvent employés dans la recherche, en sciences expérimentales, en didactique et en épistémologie. Il nous a semblé utile de préciser ce que certains chercheurs entendent par ces termes.

La modélisation «est une des interfaces entre les mathématiques et la biologie ou la physique» (Ney 2007). Elle est un élément fondamental de la démarche scientifique, puisque le modèle permet de représenter une situation ou un phénomène afin de pouvoir les présenter et les expliquer. Pour Ney (ibid), la construction de modèle implique l'outillage des connaissances théoriques et des connaissances pratiques pour résoudre des problèmes. Cette idée ne s'éloigne pas de celle de Brousseau (1998) qui confère à la modélisation le rôle de créer des outils mathématiques. Dans toutes les situations concrètes proposées dans ses expérimentations, les élèves sont amenés à construire un modèle mathématique pour répondre aux questions. Ce modèle, durant les séquences de travail, sera validé ou invalidé par les élèves soit par rétroaction du milieu, soit par débat entre les groupes ou avec l'enseignant. Par exemple, la modélisation de la situation des «feuilles de papier» demande des élèves la création d'un nouvel objet⁽¹⁾ mathématique «les fractions» que les élèves ont construites à partir des couples de nombres. Les multiples situations expérimentées furent créés par Brousseau, donc elles sont absentes du système éducatif. Ce qui nous mène à se poser la question : la modélisation utile pour l'acquisition de connaissances mathématiques est-elle enseignée dans nos classes au Liban ? Pour répondre à cette question, nous avons étudié le système éducatif libanais dans ces trois pôles : le curriculum, le programme et le manuel.

L'enseignement par la modélisation à l'école oscille entre deux extrêmes, du «centré-mathématiques» au «centré-sciences» dont les mathématiques ne sont que des recettes. Ce qui nous laisse dire que la modélisation mathématique est mise en valeur en tant qu'outil⁽²⁾ pour d'autres disciplines. Plusieurs chercheurs en didactique des mathématiques (Chevallard (1989), Di Martino et al (1995), Coulange (1997), Brousseau (1998), Henry (2001),...) ainsi qu'en didactique de la physique, de la biologie (Guillaud et Robardet (1993), Orange (1997), Tiberghien et Vince (2004), Ney (2007),...) avancent, qu'apprendre la modélisation, c'est acquérir la compétence de mise en concordance des faits et de la théorie. Il s'agit de maîtriser à la fois, non seulement, les outils théoriques, les règles, le formalisme mais aussi un savoir-faire de résolution de problème par les modèles. La modélisation n'est qu'un passage du stade discursif ou schématique au stade formel (appelée mathématisation). En d'autres termes modéliser revient à passer du modèle verbal ou symbolique aux formules pour résoudre le problème et enfin à interpréter les résultats. Ceci ne s'éloigne pas de la définition du modèle mathématique tiré de l'Encyclopedia Universalis⁽³⁾: «le modèle mathématique est une transposition abstraite mais contrôlée par la pensée logique ou mathématique d'une réalité concrète ou empirique, ayant pour but de décrire, d'étudier le monde sensible ou celui qui est conceptualisé dans le langage naturel».

- 1- Un «objet» est le concept mathématique considéré comme objet culturel ayant sa place dans un édifice plus large qui est le savoir savant à un moment donné, reconnu socialement (Douady, 1984).
- 2- Un concept mathématique est un « outil » par son fonctionnement scientifique dans les divers problèmes qu'il permet de résoudre. Il prend son sens par son caractère outil qui met en jeu les relations qu'il entretient avec les autres concepts impliqués dans le problème (Douady, 1984).
- 3- Encyclopedia Universalis (1990, 15 : 529530-), citée par Coulange (1997).

A - II - Que recouvre le terme de modélisation?

La «modélisation mathématique» est un thème trop vaste pour l'aborder ici dans toute sa spécificité. Nous avons décidé de nous restreindre à la démarche de modélisation mathématique à partir d'une situation «réelle» identifiée par «problème extramathématique». Nous allons dans cette partie présenter, d'une façon succincte, trois processus de modélisation proposés par trois didacticiens qui ont travaillé sur la modélisation au niveau secondaire. Nous voulons par ceci répertorier des caractéristiques de la modélisation mathématique qui nous servira d'outil d'analyse pour la suite de notre travail.

Pour Chevallard (1989), le processus de modélisation comprend schématiquement trois étapes articulantes un système (mathématique ou non) et un modèle (mathématique) de celui-ci. En première étape, qui est proprement mathématique, il s'agit de définir le système à étudier en identifiant les variables qui permettent de rendre compte du domaine de réalité considéré. La mise en relation des différentes variables, qui vient en seconde étape, contribue à la construction du modèle qui n'est autre que l'ensemble de ces relations. Alors que la troisième étape est celle du travail sur le modèle, qui permet de produire des connaissances relatives au système étudié, connaissances qui prennent la forme de nouvelles relations entre les variables du système dont on ne vérifie pas explicitement la validité. Le travail sur le modèle conduit à redéfinir le système étudié et par conséquent le modèle lui-même. Alors, pour répondre aux questions d'un système, nous devons le modéliser mathématiquement en précisant les aspects pertinents de ce modèle.

Henry (1997) a apporté, par ses travaux sur la modélisation mathématique, des compléments à la démarche de Chevallard. Il a introduit le niveau du « modèle pseudo-concret » qui est, en quelque sorte, un premier niveau d'abstraction de la « réalité ». Il est un modèle intermédiaire entre la situation réelle et le modèle mathématique à étudier. Il schématise le passage de la situation réelle que l'on cherche à modéliser mathématiquement en un système simplifié et structuré. Il s'agit de donner une présentation du modèle en termes courants ou schématiques, par suite interpréter le système étudié en langage naturel. Il a, aussi, évoqué une quatrième phase qui est exclue de la schématisation de Chevallard qu'il a nommé «phase de validation du modèle».

Coulangue (1997) s'est inspirée, dans sa démarche de modélisation, des travaux de Chevallard (1989) et d'Henry (1997). Elle s'est basée dans sa démarche sur la notion de « modèle pseudo-concret » introduite par Henry. Et, comme Chevallard, elle a insisté sur le fait que la construction d'un modèle mathématique à partir d'une situation réelle se fait relativement à des questions en rapport avec la dite situation. Sa démarche est constituée de quatre étapes en interrelation les unes avec les autres :

Étape 1 : Passage de la situation réelle de départ à un modèle pseudo-concret.

Étape 2 : Passage du modèle pseudo-concret au modèle mathématique.

Étape 3 : Phase de travail purement mathématique dans le modèle mathématique.

Étape 4 : Retour à la situation étudiée.

Tout ceci nous laisse dire que la modélisation d'un problème mathématique en équations est un processus à trois étapes. Celle de la mise en équations, puis la résolution mathé-

matique de ces équations et enfin le retour à la situation initiale afin de cerner la pertinence des solutions trouvées.

B - I - Le cadre théorique de référence

Pour pouvoir cerner la vie des objets de savoir enseignés en rapport avec la démarche de modélisation mathématique, nous avons trouvé la nécessité d'introduire quelques éléments de deux grandes perspectives théoriques de la didactique des mathématiques, celle de l'écologie des savoirs et celle du contrat didactique. L'analyse écologique du système éducatif libanais (curriculum, programmes et manuels) nous permettra de dégager des hypothèses des règles du contrat didactique sous-jacentes à la modélisation reconnues par les enseignants et les élèves. L'articulation de ces deux points de vue théoriques nous permettra a) de repérer l'existence d'objets de savoirs autour du thème de la modélisation dans l'enseignement actuel des mathématiques ; b) de relever i) le rôle de ces objets de savoir dans le système scolaire ; ii) le rapport de ces objets de savoir avec la démarche de modélisation; iii) les activités mise en place dans la classe autour de la modélisation mathématique ; c) d'émettre des hypothèses des règles du contrat didactique.

i) L'écologie des savoirs

Chevallard (1994) fut le premier à considérer que les objets d'enseignement occupent des places différentes et jouent différents rôles les uns par rapport aux autres. Ils sont considérés comme des objets vivants susceptibles de se transformer sous la contrainte des autres objets avec lesquels ils interagissent. Il a emprunté à l'écologie la notion d'habitat et celle de niche pour les théoriser. L'habitat des savoirs est caractérisé par les lieux de vie d'un objet de savoir. Il s'agit des objets dans lesquels il interagit mais aussi des situations d'enseignement dans lesquelles il apparaît, de l'espace de problèmes et d'exercices auquel nous nous référons de manière privilégiée. Alors que la niche est définie comme la fonction que remplit l'objet dans le système d'objets dans lesquels il interagit. Elle est la place occupée dans un habitat donné de l'être mathématique.

ii) Le contrat didactique

Pour relever le comportement de l'enseignant et de l'élève, dans une démarche de modélisation, le contrat didactique se trouve pertinent. Il est selon Brousseau (1998) une modélisation des droits et des devoirs implicites des élèves et de l'enseignant lors de l'enseignement d'un savoir mathématique. Alors que, selon Chevallard (1988) le contrat didactique énonce la manière, prescrite par l'institution, de se comporter dans cette institution, par les acteurs en position. Il désigne les contraintes relatives au traitement du savoir, qui pèsent sur l'évolution de ces rapports personnels vers une référence. Cette référence peut être le rapport institutionnel vers laquelle sont censé tendre les rapports personnels des élèves, ou le rapport institutionnel et officiel.

D'où la possibilité de relever les règles contractuelles de la démarche de modélisation dans le système éducatif libanais.

iii) Les questions de recherche

Notre choix par rapport au cadre théorique nous a permis de formuler nos questions de recherche.

1. Quels sont les habitats et les niches des objets de savoir en rapport avec la modélisation en système d'équations existants dans le système éducatif libanais et en particulier dans la classe de seconde (ES1).
2. Quelles types d'activités sont mises en place dans la classe autour de la modélisation mathématique ?
3. Quelles sont les règles du contrat didactique existants dans la modélisation d'un problème extramathématique ?
4. Quelles sont les difficultés rencontrées par les élèves dans la modélisation d'un problème extramathématique ?

B - II - Etude du système éducatif libanais

Notre point de départ est une analyse écologique du curriculum et des programmes officiels libanais en vigueur actuellement⁽¹⁾, et de deux manuels nationaux.

i) Analyse du curriculum

Les objectifs généraux du curriculum mettent en avant le développement des compétences telles que : « observer, conjecturer, argumenter, modéliser, prouver, ..., retrouver des modèles mathématiques, manier des techniques de simulation, construire et utiliser des algorithmes, prendre des décisions, vérifier, ..., établir des liens entre les mathématiques et la réalité environnante dans toutes ses dimensions, ... ». Les concepteurs du curriculum mettent en évidence l'habitat de la modélisation dans des modèles mathématiques (la résolution des problèmes) ainsi que la niche dans le lien de ces modèles avec la réalité, mais ils ne parlent pas explicitement de la compétence « modéliser ».

Un regard sur les objectifs spécifiques de chaque cycle montre que:

1. l'habitat de la modélisation est « la résolution des problèmes ». Comme exemple :
 - «Utiliser des techniques mathématiques appropriées pour résoudre des problèmes de la vie courante » (Premier Cycle).
 - «Lire, comprendre et interpréter un texte mathématique en le traduisant en figures, représentations ou équations» (Second Cycle).
 - « Construire un modèle mathématique associé à une situation » (Cycle Moyen).
 - « Utiliser une interprétation mathématique adéquate pour représenter les données d'un problème » (Cycle Secondaire).
2. la niche est le lien entre les mathématiques et la vie réelle. Comme exemple :
 - «Utiliser et appliquer les Mathématiques dans différents domaines» (Second Cycle).
 - «Relier des observations du réel à des représentations et relier celle-ci à des concepts» (Cycle Moyen).

1- Décret-loi No 10227, Mai1997.

- «Formuler un problème à partir de situations étudiées en Mathématiques, dans les autres sciences ou rencontrées dans la vie courante» (Cycle Secondaire).

Nous remarquons, d'après cette étude succincte que le terme « modélisation » n'apparaît pas, c'est le « modèle » qui est en apparence.

ii) Analyse du programme

La modélisation mathématique semble présente dans les programmes officiels dans les domaines géométriques et algébriques, dans différents thèmes et en particulier dans les thèmes «Equation», « Systèmes d'équations » et « Systèmes linéaires ». Une recherche sur les programmes de ces trois thèmes, nous permet de dire que la modélisation a un habitat à tous les niveaux à partir du Cycle Moyen. En EB7, elle apparaît dans le travail sur les équations du premier degré à une inconnue. Dans la classe supérieure, en EB8, l'élève a la tâche de résoudre des équations et des inéquations du premier degré à une inconnue. Alors qu'en EB9 et en ES1, il confronte, en plus, la modélisation des problèmes extramathématiques à deux ou trois inconnues pour arriver, à la fin du cycle secondaire, à résoudre des systèmes de m équations linéaires à n inconnues.

Conformément à nos choix méthodologiques, nous examinons maintenant comment est transposée la modélisation dans les manuels scolaires, pour obtenir des observables relatifs au contrat, qui vont nous permettre de dégager certaines hypothèses sur les règles du contrat didactique, que nous allons tester à partir d'une expérimentation sur un groupe d'élèves de la classe de ES1, dans l'espoir de relever l'effet de l'enseignement de la modélisation.

iii) Analyse de deux manuels

Comme l'apprentissage de la modélisation, en système d'équations, est initié à partir de la classe de EB9, nous focalisons notre étude sur deux manuels⁽¹⁾, celui de la classe de EB9 en premier puis celui de la classe de ES1⁽²⁾, puisque notre objectif est la modélisation en système d'équations à plus qu'une inconnue des problèmes extramathématiques. Nous prévoyons que les manuels seront une source pour établir des hypothèses sur des règles du contrat didactique liées à la démarche de modélisation.

L'habitat de la modélisation en système d'équations, dans le manuel de la classe de EB9, est le chapitre «Systèmes d'Equations» dont parmi les six les objectifs annoncés dans la partie «Introduction» nous retrouvons le quatrième objectif sujet de notre étude «Organiser les données d'un problème, les traduire par un système de deux équations du premier degré à deux inconnues, trouver la solution et la valider». Alors que les cinq autres objectifs parlent de l'identification d'un système de deux équations à deux inconnues, de la vérification si un couple de valeurs données est solution d'un tel système, de sa résolution par plusieurs méthodes, de l'interprétation de sa solution comme étant les coordonnées du point d'intersection des droites associées aux équations du système et en fin de son utilisation pour déterminer:

-
- 1- Les deux manuels ont la même structure composée de huit parties : Introduction, Activités, Cours, Bilan-Méthode, Exercices, Auto-évaluation, Problèmes et Espace-Jeu.
 - 2- Construire les Mathématiques, 9ème année éducation de base, le livre scolaire national, CNRDP, 2000; et Construire les Mathématiques, enseignement secondaire première année, le livre scolaire national, CNRDP, 1998.

l'équation d'une droite passant par deux points, le point d'intersection de deux droites, etc.

Deux activités sont proposées à l'élève. La première, intitulée «Le compte est bon!», demande de l'élève de vérifier si les valeurs ou les couples de valeurs donnés sont des solutions pour des équations à deux inconnues. La deuxième porte le titre «Pèse et calcule». Dans cette activité deux images d'une balance Roberval sont proposées, les plateaux de gauche sont pour les fruits: poires (P) et bananes (B): 3 P et 2 B dans la première image dont la masse est en masses marquées 200g + 100g + 50g, et dans la seconde 3B et 2P, dont la masse est en masses marquées 200g + 200g. Sachant que l'aiguille de la balance est en équilibre, il est demandé à l'élève de répondre à la question suivante pour chaque image « Est-ce que la pesée suivante est suffisante pour calculer la masse d'une banane et celle d'une poire?».

Dans la partie «Bilan-Méthode», qui regroupe pour l'élève l'essentiel à retenir, les auteurs posent la question suivante «A quoi sert le système d'équations du premier degré à deux inconnues?», pour laquelle ils donnent trois réponses. Nous ne nous intéressons qu'à la première réponse «A résoudre certains types de problèmes». Cette confirmation est expliquée par un exemple intramathématique et sa solution :

1) **«Exemple:** Trouve deux nombres dont le double du premier avec le triple du second vaut 8, et le triple du premier avec le double du second vaut 7.

2) Solution

- choix des inconnues : désignons par x le premier nombre et par y le second.
- organisation des données et mise en équation : le double du premier est $2x$, le triple du second est $3y$, leur somme est $2x + 3y = 8$; de même, le triple du premier est $3x$ et le double du second est $2y$, leur somme est $3x + 2y = 7$;
- résolution du système : on obtient $x = 1$ et $y = 2$;
- validation : pour vérifier que les valeurs trouvées sont plausibles ».

Ces directives de résolution présentent le processus de modélisation comme un réel enjeu d'enseignement et d'apprentissage. Signalons que dans la partie « Cours » aucune explication n'est donnée autour de la résolution d'un problème. Les auteurs explicitent, dans cette partie, sur un même exemple mathématique préconstruit, la résolution d'un système de deux équations à deux inconnues du premier degré, suivant trois méthodes numériques (de substitution, de comparaison et de combinaison). De plus, la méthode de groupement ou chunking est exposée toujours sur un système préconstruit. Par contre dans la solution exposée ci-dessus, ils ont donné les valeurs de x et de y , sans se référer à l'une des méthodes explicitées dans la partie « Cours ». Comme si les auteurs, pour modéliser un problème et le résoudre, supposent que le résolveur maîtrise la résolution des équations.

Ce panorama nous laisse dire que l'habitat de la modélisation est les «problèmes», sans avoir des indications sur la nature de ces problèmes, sont-ils intramathématiques et/ou extramathématiques? Et de plus, les méthodes numériques⁽¹⁾ proposées dans la partie «Cours»

1- Signalons que dans le cours, la méthode de résolution graphique est explicitée, mais nous l'avons négligée puisqu'elle ne répond pas à notre problématique.

ne sont que des outils pour résoudre un système de deux équations du premier degré à deux inconnues.

Retournons maintenant au processus de modélisation cité ci-dessus. Nous remarquons que ce processus est en lien étroit avec le processus de Coulange déjà mentionné, sauf en dernière étape. Dans la solution proposée, il est demandé de l'élève de valider les réponses (ceci se rapproche de la phase de Henry (1997)), alors que Coulange propose un retour à la situation que nous identifions par la démathématisation de la situation.

L'habitat de la modélisation en système d'équations dans le manuel de la classe de ES1 est censé être le chapitre « Systèmes linéaires », dont les objectifs (« a) Résoudre un système linéaire de deux équations à deux inconnues ; b) Résoudre graphiquement un système linéaire de deux équations à deux inconnues ; c) Résoudre graphiquement une inéquation ou un système d'inéquations linéaires à deux inconnues ») annoncés au début du chapitre, tournent autour de la résolution algébrique et graphique d'un système préconstruit de deux équations et de deux inéquations à deux inconnues, et non pas de la modélisation. Nous avons tout de suite deviné que les traces de vie de la modélisation n'existent pas.

Nous avons retrouvé dans la partie « Introduction » une niche pour le système linéaire «de nombreuses disciplines, notamment l'Economie, font appel à la résolution des systèmes linéaires».

Les activités introductives ne placent pas l'élève dans une situation de modélisation. Une des activités peut être qualifiée par «activités de rappel», puisque l'élève a la tâche de résoudre un système prêt suivant chacune des trois méthodes numériques (de substitution, de comparaison et de combinaison) étudiées en EB9, et de tracer les droites correspondantes aux équations proposées. Les deux autres activités tournent autour des équations paramétrées et des inéquations.

Dans la partie «Cours» ainsi que celle de « Bilan-Méthode », la modélisation n'a pas d'habitat. Il ne s'agit, dans la partie « Cours », que des connaissances théoriques sur la résolution de systèmes linéaires : définition d'un système linéaire d'inéquations, d'un système linéaire paramétré et interprétation graphique des systèmes déjà construits d'équations et des inéquations. Par contre, dans la partie « Bilan-Méthode », les auteurs exposent à l'élève, pour retenir, la méthode de résolution graphique d'un système linéaire de deux équations à deux inconnues (paramétré ou non), ainsi que l'algorithme d'utilisation de la calculatrice scientifique pour résoudre un système linéaire de deux équations à deux inconnues et à coefficients numériques. De plus ils explicitent le processus de résolution d'une inéquation linéaire à deux inconnues et d'un système d'inéquations linéaires aussi à deux inconnues.

Nous constatons d'après cet examen de ces deux manuels scolaires que la modélisation mathématique en système d'équations vit, au niveau de la classe de EB9, sous la forme d'une méthode de résolution à quatre étapes, uniquement dans l'habitat relatif aux « Systèmes d'équations », alors que la niche est restreinte par comparaison à sa présence dans le curriculum et les programmes. Ceci nous conduit à penser qu'il ne s'agit pas réellement d'apprendre à modéliser mathématiquement des phénomènes intramathématiques et extramathématiques, surtout au niveau de la classe de seconde, il s'agit plutôt de présenter des modèles déjà construits avec des outils de résolution.

Revenons maintenant de plus près à la méthode proposée dans la partie « Bilan-Méthode » du manuel de la classe de EB9. La résolution est présentée en quatre étapes : choix des inconnues, organisation des données et mise en équations, résolution du système, validation, à lesquelles nous ajoutons une cinquième étape « retour au problème posé », que nous empruntons de la démarche de modélisation de Coulange (1997). Ainsi nous adoptons une démarche de modélisation à cinq étapes que nous appelons dans la suite du travail « la démarche ϕ ».

Analysons les exercices et les problèmes extramathématiques associés à chaque chapitre sujet d'étude. Puisque cette analyse se rapporte aux énoncés, il est évident que les trois dernières étapes de « la démarche ϕ » ne sont pas assujetties pour cette étude.

Dans la partie « Exercices », du manuel de la classe de EB9, nous collectons quinze exercices dont deux seulement sont du type extramathématique. Alors que dans la partie « Problème », neuf problèmes parmi seize sont du type extramathématique. Signalons que certains de ces problèmes pourront être résolus par des techniques arithmétiques qui ne sont pas du tout évoquées ni dans les programmes, ni dans les manuels, donc ipso facto elles ne sont pas enseignées. L'unique outil mis à la disposition des élèves pour résoudre de tels problèmes fut le système de deux équations à deux inconnues, et les trois méthodes numériques introduites dans la partie «Cours».

Les énoncés de tous ces problèmes, sauf pour un, sont en rapport avec la modélisation d'une situation réelle dont les processus de résolution sont assez similaires. Ils ont les mêmes contraintes. L'élève est amené à modéliser la situation par un système de deux équations du premier degré à deux inconnues dont les grandeurs à choisir comme inconnues sont toujours explicitement demandées dans la question posée à la fin de l'énoncé. Observons un exemple:

«Une rose coûte 800 L.L de plus qu'une marguerite. Un bouquet formé de 7 roses et de 5 marguerites coute 10 400 LL. Quel est le prix d'une rose ? Et celui d'une marguerite?» (no 9 p 78).

En se référant aux deux premières étapes de «la démarche ϕ », nous remarquons que les inconnues «rose» et «marguerite» sont explicitées dans les questions. L'élève a la charge de faire correspondre une lettre pour chaque genre de fleur, de faire correspondre les grandeurs présentes dans l'énoncé pour formuler deux équations afin de les résoudre par l'une des méthodes numériques introduites dans la partie «Cours».

Retournons maintenant au problème (no 13 p 78) que nous avons sorti du groupe des neuf problèmes. Il est l'unique problème qui demande de l'élève une validation.

«Devant moi, à la solderie, une personne a acheté 4 draps de bain et 5 gants de toilette. Elle a payé seulement 110F, alors j'ai pris ce qui restait : 6 draps de bains et 4 gants de toilette; mais je pense qu'il y a une erreur, car j'ai payé 172 F, dit une dame.

- a) Traduis cette situation par un système de 2 équations à 2 inconnues, puis résous ce système.
- b) La dame a-t-elle raison de penser qu'il y a une erreur?»

En se référant aux deux premières étapes de «la démarche ϕ », nous remarquons qu'il

y a toujours deux inconnues dans l'énoncé, mais elles ne sont pas explicitées dans la question. En revanche la première question induit à l'élève la recherche de deux inconnues. Par suite, pour répondre à la deuxième question, l'élève a la charge, dans la première question, de repérer des informations pertinentes pour détecter les inconnues, les faire correspondre aux grandeurs présentes dans l'énoncé, écrire le système de deux équations à deux inconnues, le résoudre par l'une des méthodes numériques introduites dans la partie «Cours», et puis vérifier si la dame a fait le bon compte.

Signalons que toutes les réponses trouvées dans les exercices et les problèmes, après résolution du système, sont des entiers naturels, qui pour nous, ne placent pas l'élève dans le souci de validation des valeurs trouvées.

Dans la partie «Exercice» du manuel de la classe de ES1, nous n'avons détecté aucun habitat pour la modélisation. Les quatorze exercices proposés ne présentent que des systèmes préconstruits à résoudre soit algébriquement, soit graphiquement. En revanche, la partie «Problème» est un habitat vaste pour les problèmes extramathématiques. Douze problèmes des dix-sept présentés dans cette partie répondent à notre étude, mais ils sont à contraintes différentes. Ils se modélisent par un système de deux équations à deux inconnues ou par un système de trois équations à trois inconnues. Six de ces douze sont une niche pour la modélisation, ils sont en lien avec la physique, l'économie,... Onze de ces douze problèmes ont les mêmes contraintes que celles déjà étudiés pour les problèmes de la classe de EB9. Alors que, dans un seul énoncé, les inconnues sont absentes de la question finale. Observons de près cet énoncé (no7 p 234) :

« Un voyageur parcourt l'autoroute entre deux villes A et B à une vitesse constante. S'il augmente sa vitesse de 20 km/h, il gagne 2 minutes. Si, au contraire, il diminue sa vitesse de 20 km/h, il perd 3 minutes. Trouver la distance qui sépare les deux villes ».

L'énoncé cache la grandeur « distance : d » qui est en lien étroit avec les deux inconnues : le temps « t » et la vitesse « v ». L'élève a la charge de remplacer d par le produit de v et de t pour passer d'un système de trois équations à trois inconnues à un système de deux équations à deux inconnues, afin de pouvoir le résoudre par l'une des méthodes numériques introduites dans la partie « Cours » en classe de EB9.

Même au niveau de cette classe, les réponses sont des entiers naturels qui ne suscitent pas l'élève à la validation.

A l'examen de l'ensemble de problèmes et des exercices associés aux deux chapitres sujets d'étude, nous pouvons dire que la plupart des énoncés proposés satisfont les contraintes suivantes : 1) la plupart des énoncés cachent un système de deux équations du premier à deux inconnues ; 2) les grandeurs à déterminer sont explicitées dans l'énoncé ; 3) les inconnues correspondent à ces grandeurs ; 4) les inconnues sont explicitées dans les questions.

Il paraît que l'enseignement de la modélisation ne répond pas à l'objectif du curriculum «Construire un modèle mathématique associé à une situation». La modélisation des problèmes intramathématiques et extramathématiques se limite à une démarche de « mise en équation ». Cette démarche demande la sélection des informations pertinentes pour élaborer le modèle mathématique de la situation. Ce modèle est une interprétation simplifiée des objets non mathématiques dans un langage et dans un symbolisme mathématique.

B - III - Règles du contrat didactique

Afin de comprendre et interpréter le comportement des élèves dans la modélisation des problèmes extramathématiques, nous allons utiliser les hypothèses sur les règles du contrat didactique que nous avons élaborées avec Atieh⁽¹⁾ (2014) suite à l'étude écologique des exercices et des problèmes des deux manuels de la classe de ES1. Nous avons dégagé sept règles du contrat didactique que nous avons groupées par rapport à (ou aux) tâche(s) nécessaires pour résoudre un problème extramathématique:

Règle 1: Pour résoudre un problème extramathématique, il faut écrire un système d'équations.

Par rapport au choix des inconnues :

Règle 2: Les inconnues correspondent aux grandeurs à chercher qui sont explicitées par la donnée et par la question.

Par rapport à l'écriture du système :

Règle 3: Les informations dans l'énoncé sont nécessaires et suffisantes pour pouvoir écrire le système.

Règle 4: Pour pouvoir écrire une équation, il faut faire une relation entre deux variables au plus.

Par rapport aux valeurs numériques employées dans l'énoncé

Règle 5: Les valeurs numériques figurant dans l'énoncé sont utilisées directement dans l'équation.

Règle 6: Les valeurs numériques employées aboutissent à des nombres entiers naturels.

Par rapport à la résolution du système :

Règle 7: Pour être résoluble par une des méthodes numériques⁽²⁾ apprises, le système doit être un système de deux équations à deux inconnues.

Ces règles de contrat didactique seront un outil pour tenter de répondre à notre problématique.

C - Expérimentation

Pour arriver à notre objectif, nous avons repris une partie de l'expérimentation d'Atieh (2014) que nous avons analysée à notre besoin.

L'expérimentation a eu lieu dans une classe de ES1 d'un lycée public dans le nord du

1- Atieh Z (2014); Les difficultés des élèves d'une classe de ES1 dans la «Modélisation» des problèmes «extramathématiques»; Mémoire de Master recherche de didactique des mathématiques, sous la direction de Nawal Abou Raad. Université libanaise, Faculté de Pédagogie.

2- Nous rappelons que ces méthodes sont : de substitution, de comparaison et de combinaison.

Liban. Notre échantillon est d'effectif vingt-quatre. Ces élèves ont réussi le brevet national, dont l'une des questions de l'épreuve des mathématiques comporte la modélisation d'un problème classique extramathématique. De plus, l'enseignante, de la classe de seconde, mise à l'épreuve, a fait un rappel sur les trois méthodes numériques étudiés en EB9 avec des applications, puis elle a travaillé le chapitre «Systèmes linéaires» et elle a insisté dans un des problèmes du chapitre à valider la réponse du fait que la question était «En cherchant le nombre des garçons et celui des filles de la classe de Riad, expliquez l'affirmation du professeur» (no4, p.234). L'expérimentation a eu lieu un mois après l'apprentissage de cette notion. La tâche dévolue aux élèves, est en deux étapes. En première étape, les vingt-quatre élèves avaient à résoudre un problème (Confiture) que nous avons qualifié de classique, puisqu'il répond aux étapes de « la démarche ϕ », sans rupture d'aucune des règles élaborées du contrat didactique. Notre objectif est de détecter les élèves qui sont capables de modéliser une situation extramathématique classique. Cette situation peut aussi être résolue dans le domaine arithmétique. La deuxième étape fut réservée aux treize élèves qui ont réussi les deux premières étapes de « la démarche ϕ », pour le premier problème. Parmi les quatre problèmes proposés dans le travail d'Atieh (ibid), dans cette étape, nous avons choisi d'exposer dans ce travail le problème (McDonald's) qui nécessite de répertorier deux inconnues implicites.

Les élèves avaient à résoudre chaque problème de manière individuelle pour vingt minutes chacun à intervalle d'une semaine entre les deux. Nous leur avons demandé, en rédigeant leurs réponses, de ne rien effacer ni raturer, ni sur le brouillon, ni sur la copie, afin de pouvoir détecter, si possible, certaines difficultés.

Nous nous focalisons, dans nos analyses des productions des élèves, sur la modélisation en systèmes d'équations et non pas sur la résolution du système. Aussi, nous n'allons pas rentrer dans les solutions arithmétiques détectées dans le travail d'Atieh.

i) Première étape de l'expérimentation

Enoncé : «Confiture:

La maman de Manal vient de finir la préparation de 6000 g de confiture d'abricot. Elle laisse un mot à Manal lui disant « Manal ma fille j'ai besoin de ton aide, tu dois répartir les 6000 g de confiture dans 14 pots. Mais fais attention, certains ont une contenance de 500 g, et d'autres une contenance de 375 g ». Aidez Manal à savoir le nombre nécessaire de pots de chaque contenance».

Ce problème classique n'est qu'une situation de la vie quotidienne de l'élève.

Pour écrire le système S $\begin{cases} x + y = 14 \\ 500x + 375y = 6000 \end{cases}$

avec x la lettre qui représente le nombre de pots de contenance de 500 g, et y la lettre qui représente le nombre de pots de contenance de 375 g, l'élève a la tâche

- i. dans l'étape 1 de « la démarche ϕ »: «choix des inconnues », de relever les inconnues de la dernière phrase de l'énoncé « Aidez Manal à savoir le nombre nécessaire de pots de chaque contenance» qui camoufle la question « quel est le nombre de pots de chaque contenance? ». Ce qui répond à la règle 2.
- ii. dans l'étape 2 de «la démarche ϕ » : «organisation des données et mise en équations»,

de faire le lien entre le nombre de pots et la contenance de chaque pot pour écrire les équations. Toutes les grandeurs sont présentes dans l'énoncé. Ce qui répond aux règles 1, 3, 4 et 5.

- iii. dans l'étape 3 de «la démarche ϕ »: «résolution du système», de résoudre le système S suivant l'une des méthodes numériques étudiées et appliquées en EB9 et revues et appliquées en ES1. Ce qui répond à la règle 7.
- iv. dans l'étape 5 de «la démarche ϕ »: «retour au problème posé», de dire à Manal le nombre de pots de chaque contenance. Ce qui répond à la règle 6.

Signalons que l'énoncé n'explique pas l'étape 4 de «la démarche ϕ »: «validation». La question exige la recherche du nombre des pots uniquement (6 pots de contenance 500 g et 8 pots de contenance 375g).

L'analyse des productions des vingt-quatre élèves suivant chacune des étapes de «la démarche ϕ » a montré que :

- i. Pour l'étape 1: «choix des inconnues»

18 élèves ont fait le bon choix des inconnues, et 3 ont écrit le système sans donner une identité aux deux lettres x et y outillées pour écrire leur système. (Signalons que 3 élèves ont tenté la démarche arithmétique de résolution et ils ont échoué à trouver les bonnes réponses).

- ii. Pour l'étape 2: «organisation des données et mise en équations»

4 des 18 élèves, qui ont réussi l'étape 1, n'ont pas écrit le système. Donc, au total, nous avons 17 élèves qui ont écrit un système, dont 13 ont donné le système S.

- iii. Pour l'étape 3 : «résolution du système »

6, parmi les 13 élèves qui ont écrit le système S, ont trouvé les valeurs exactes de x et de y, les autres ont commis des erreurs de calcul.

- iv. Pour l'étape 4 : «validation»

Nous n'avons relevé aucune trace pour cette étape dans aucune des copies.

- v. Pour l'étape 5 : «retour au problème posé »

8 élèves seulement ont pensé à démathématiser leurs résultats.

Ces résultats confirment la stabilité des règles du contrat didactique. En particulier, la règle 1 «Pour résoudre un problème extramathématique, il faut écrire un système d'équations», la règle7: « pour être résoluble par une des méthodes numériques apprises, le système doit être un système de deux équations à deux inconnues.», ainsi que la règle 6 : «Les valeurs numériques employées aboutissent à des nombres entiers naturels » et par suite aucune validation n'est nécessaire, ce qui explique la non présence de cette étape dans le travail des 24 élèves.

ii) Deuxième étape de l'expérimentation

Enoncé: «Mc Donald's :

McDonald's Liban offre le même prix réduit, le lundi et le samedi, sur le plat «Big

Mac» entre 12 h et 15h. Le lundi en fin de la journée, le chef comptable a signalé un gain de 54000 LL pour une vente de 20 plats au prix réduit et 40 plats au prix normal. Le Samedi, en fin de la journée, le chef comptable a signalé un gain de 104000LL pour une vente de 10 plats au prix réduit et 75 plats au prix normal.

Le prix réduit représente-t-il un gain ou bien une perte?»

Ce problème non classique n'est qu'une situation de la vie quotidienne de l'élève. Tous les jeunes se précipitent pour manger chez Mc Donald's et de plus les annonces des prix réduits sont partout sur les panneaux.

Pour écrire le système S1
$$\begin{cases} 20x + 40y = 54000 \\ 10x + 75y = 104000 \end{cases}$$

avec x la lettre qui représente le gain réalisé par le prix réduit, et y la lettre qui représente le gain réalisé par le prix normal,

l'élève a la tâche

- i. dans l'étape 1 de « la démarche Φ »: « choix des inconnues », de répertorier deux inconnues, «le gain réalisé par le prix réduit» et «le gain réalisé par le prix normal», qui ne sont pas explicitées dans l'énoncé, ni dans la question. Ce qui est en rupture avec la règle 2.
- ii. dans l'étape 2 de «la démarche Φ »: « organisation des données et mise en équations», de faire le lien entre le nombre de plats vendus (20 et 40 ; 10 et 75) de chaque genre et le gain correspondant pour arriver à écrire chacune des deux équations. Toutes les grandeurs sont présentes dans l'énoncé. Ce qui répond aux règles 1, 3, 4 et 5.
- iii. dans l'étape 3 de « la démarche Φ »: « résolution du système », de résoudre le système suivant l'une des trois méthodes numériques étudiées et appliquées en EB9 et revues et appliquées en ES1. Ce qui répond à la règle 7.
- iv. dans l'étape 5 de « la démarche Φ »: « retour au problème posé », de dire que «comme $x = -100$, alors le prix réduit représente une perte de 100 L.L ». Ce qui ne répond pas à la règle 6.

La difficulté dans ce problème réside

- au niveau de la première étape «choix des inconnues». Les inconnues ne sont pas explicitées ni dans le texte, ni dans la question (rupture avec la règle 2). La présence multiple dans l'énoncé des indicateurs «gain, perte, prix» pourront pousser l'élève à identifier deux d'entre eux comme inconnues.
- au niveau de la réponse à la question posée dans l'énoncé qui n'est pas un entier naturel ($x = -100$). Cette réponse est en rupture avec la règle 6.
- au niveau de l'étape 4 «validation». L'élève pourra se douter de la valeur négative qui le poussera à reprendre ses calculs, mais non pas à se douter de son choix des inconnues.

Signalons que l'énoncé n'explique pas l'étape 4 de «la démarche Φ »: «validation». Par

contre, si l'élève a identifié deux des inducteurs comme inconnue, la validation s'impose.

L'analyse des productions des treize élèves suivant chacune des étapes de «la démarche ϕ » a montré que :

i. pour l'étape 1 : «choix des inconnues»

Aucun élève n'a fait le bon choix des inconnues. Tous ont répertorié « le prix réduit » et « le prix normal » pour inconnues.

ii. pour l'étape 2 : «organisation des données et mise en équations»

12 élèves ont donné le système S1:
$$\begin{cases} 20x + 40y = 54000 \\ 10x + 75y = 104000 \end{cases}$$

avec x représente le prix réduit et y représente le prix normal.

Un seul élève a reproduit le système
$$\begin{cases} x + y = 54000 \\ 20x + 40y = 54000 \end{cases}$$

Il n'a répertorié que l'information de vente du lundi.

iii. pour l'étape 3 «résolution du système»

Le système S1 fut résolu correctement par les 12 élèves, suivant l'une des trois méthodes numériques étudiés et appliquées. Mais, les valeurs numériques trouvées, « -100 et 1400 » correspondent au prix réduit et au prix normal.

iv. pour l'étape 4 : «validation»,

La réponse «-100 » n'a placé aucun élève dans le doute. Le sens du mot « réduit » a envahi celui du «prix».

v. Pour l'étape 5 : « retour au problème posé»,

11 de ces 12 élèves ont répondu à la question de départ. Pour 4 d'entre eux « le prix réduit représente une perte », alors que les 7 autres ont justifié leur affirmation en disant « le prix réduit représente une perte puisque le résultat trouvé est un nombre négatif ».

Ces résultats confirment que ces élèves ne font pas le lien entre la question de départ et le résultat trouvé. Ils sont capables de résoudre un système de deux équations du premier degré à deux inconnues par l'une des trois méthodes numériques étudiés et appliquées en EB9 et ES1, mais ils sont incapables de sortir de « l'habituel » pour répertorier des inconnues implicites.

Conclusion

Dans ce travail, nous nous sommes intéressée à étudier la modélisation dans l'enseignement. Nous avons restreint notre étude à l'objet de savoir « Systèmes Linéaires», comme outil de modélisation existant en classe de ES1. A partir de l'étude écologique de notre système éducatif dans ses trois pôles nous avons abouti à l'étude du contrat didactique relatif à la mise en équations.

Ainsi, à travers cette étude, et en réponse à nos questions, nous pouvons dire que

- la modélisation se limite à une méthode de mise en équation pour résoudre des problèmes extramathématiques, que nous avons désignée par « la démarche ϕ ».
- la modélisation a un habitat assez vaste dans le curriculum et le programme. En revanche, dans le manuel de la classe de ES1, cet habitat n'est pas explicité.
- les exercices et les problèmes, dans leur majorité, ne présentent que des informations simplifiées et structurées dont leur mathématisation se fait par une simple traduction du domaine verbale au domaine mathématique. Aucune question sur la validité du modèle n'est posée.
- la tendance de l'enseignement de la modélisation est de ne pas placer les élèves en position de rechercher l'outil mathématique de résolution.
- le comportement de nos élèves dans la résolution des problèmes extramathématiques s'inscrit dans les règles du contrat didactique. La seule tâche laissée à leur responsabilité dans la résolution des problèmes est l'écriture d'un système d'équations à partir de l'énoncé que nous nous permettons de qualifier par « bon » et de le résoudre par l'une des méthodes numériques étudiées.
- la modélisation, pour nos élèves, est davantage vue comme un exercice d'application: pour toute situation donnée ne correspond qu'un modèle unique répondant aux sept règles du contrat didactique que nous avons élaborées.

Finalement, nous nous permettons de confirmer, à partir des résultats de notre expérimentation, et de l'étude écologique et en réponse à notre question de départ, que, dans notre enseignement les mathématiques telles qu'elles sont présentées ne sont pas une fin, elles ne sont que des algorithmes à retenir. Les élèves n'apprennent que des techniques de résolution, ils ne construisent pas des modèles mais les adaptent, les manipulent.

Nous fabriquons alors des «automates».

أ. م. د. عبد الرحمن مغربي
أستاذ التاريخ الإسلامي الوسيط
جامعة القدس المفتوحة فرع نابلس - غزة، فلسطين

دار الإمارة الأموية في القدس

The Umayyad Emirate House

Dar El Emara Al Omawia - in Jerusalem

الملخص باللغة العربية

جاءت هذه الدراسة بعنوان: «دار الإمارة الأموية في القدس»، وتقع هذه الدار التي كانت مركز الإدارة الأموية في القدس، في الجهة الجنوبية وامتدادها في جزء من الجهة الغربية من الحرم القدسي الشريف، وقد جرى طمس معالمها نهائياً، وأقيم على أنقاضها حديقة توراتية، ومتحف يستعرض التاريخ اليهودي، ومنتزه سياحي باسم «مظاهر الهيكل».

تناول الباحث في الفصل الأول فتح القدس، والتطورات التي طرأت على هذه المدينة خلال صدر الإسلام والدولة الأموية، كما استعرض الفصل الثاني القدس كعاصمة لجند فلسطين، وفي الفصل الثالث تم الحديث عن دار الإمارة الأموية من حيث اكتشافها ومعالمها وأبنيتها وما تبقى منها.

وفي الفصل الرابع جاء الحديث عن تهويد دار الإمارة الأموية، وطمس معالمها، وإقامة حديقة توراتية باسم «حديقة الملك داود» على قسم منها، وفي القسم الثاني أقيم متحف يستعرض مراحل التاريخ اليهودي في فلسطين، وفي خارج أسوار القدس الحالية حيث امتداد دار الإمارة، أقيم ما يعرف باسم «مظاهر الهيكل»، كمحطة سياحية على الطريق السياحي التلمودي الذي يربط بين جنوب القدس وشمالها، مروراً بالبلدة القديمة من القدس.

ويعتبر ما طرأ على هذا الموقع الإسلامي من تشويه، والذي يشكل جزءاً من التهويد الممنهج للمدينة، تحدياً سافراً ومخالفة واضحة للقوانين والأعراف والمعاهدات الدولية كافة، التي تنظر إلى القدس كمدينة محتلة، كما أن ما أقيم على دار الإمارة الأموية هو اعتداء صريح على التراث الثقافي الإسلامي في هذه المدينة، واستباحة في غير وجه حق لأراضي الوقف الإسلامي فيها.

Abstract

The Umayyad Emirate House –
Dar El Emara Al Omawia - in Jerusalem

This study is conducted under the title «The Umayyad Emirate House». This House is located in the southern and western Haram al-Sharif. This House, which was the center of the Umayyad Administration, is located on southern and western side of the sacred Haram in Jerusalem. Its landmarks were completely obliterated and a Torah Park and a museum were built on its ruins. This museum reflects the Jewish history and the park is a touristic place in the name of «Mataher Al Haykal».

In the first chapter, the researcher handled the conquest of Jerusalem and the developments which occurred to this city during the peak of Islam and the Umayyad State; in the Second chapter the researcher presented Jerusalem as the Capital of the Jond Palestine; in the Third chapter the researcher handled the discovery, monuments and building of the Umayyad House and its ruins; and in the Fourth chapter the researcher handled the judaization of the Umayyad Emirate House, the obliteration of its landmarks and establishing a Torah park named «King David Park» on one part of it; and on its second part, a museum was established . This museum presents the stages of the Jewish History in Palestine.

On the other hand, outside the current walls of Jerusalem, where the Umayyad Emirate House extends, a tourist station named «Mataher Al Haykal» was established as a station on the Talmudian Tourist Road which connects south Jerusalem to North Jerusalem passing through the Old City of Jerusalem.

The action of distortion and obliteration of this Islamic site, as a part of the methodological judaization of the city, is considered a serious challenge and clear violation for all international conventions and treaties which consider Jerusalem as an occupied city. Also, the constructions which were established on the Umayyad Emirate House is considered an explicit infringement and breach and unrightful desecration of the lands of Islamic Waqf in this Holy City.

المقدمة

يبدو أنَّ الهدفَ الرئيسَ الذي يسعى إليه الاحتلال في البلدة القديمة من مدينة القدس هو تهويدها، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، وما قام به من تدمير لحارة المغاربة، وتفكيك «دار

الإمارة الأموية» جنوب الحرم القدسي الشريف وغربه، هو جزء من مخططٍ يزداد ضراوةً وفتكاً بالمدينة يوماً بعد يوم.

وكانت الحفريات الإسرائيلية غير الشرعية، والمخالفة لكافة الأعراف والقوانين والمعاهدات الدولية، في البلدة القديمة من القدس تأخذ شكلاً أفقياً حتى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، من أجل الحصول على أكبر كمية ممكنة من مساحة البلدة القديمة لمصادرتها، بحجة البحث عن الآثار اليهودية هناك، وبعد هذا التاريخ بدأ الشكّل العمودي والنزول في باطن الأرض حتى وصلت بعض الحفريات إلى عمق أكثر من (٤٠) متراً، وتحطيم كل ما هو إسلامي في طريقها، واستعملت خلاله آلات الحفر، وكل المواد الكيماوية المحرّمة، والتي من شأنها تفتيت الصخور، وتوسيع الأنفاق، للنفوذ تحت المباني المقامة في ساحات المسجد الأقصى، ومع بداية عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م بدأت الحفريات تأخذ طابعاً جديداً، حيث تم البناء على ما تم حفره أو التقيب فيه في السابق^(١).

وهنا لا بدّ من التأكيد على أنّ الحفريات الإسرائيلية تستند إلى أسس فكرية ومنهج طوّره علماء توراتيون منذ القرن التاسع عشر، ويبدو واضحاً أنّ طابع هذه الحفريات يأخذ بعداً سياسياً أكثر من كونه علمياً وموضوعياً، وتم تسخير علم الآثار لخدمة أهداف الدولة السياسية، واستخدم كمسوّغٍ سياسي لإضفاء شرعية تاريخية على وجودهم في القدس بخاصة، وفي فلسطين بعامة. والواقع أنّ كثيراً من المقولات التي سيطرت على علم الآثار الإسرائيلي تستند إلى مجموعة من القصص والأساطير التي تم تسويقها لتطبع ثقافة المجتمع الإسرائيلي وتفكيره، واستخدمت الحفريات^(٢) لرسم أسطورة عظيمة، مع خيال واسع، ودراسات تستند إلى فرضيات ينقصها التّبتّ العلمي الدقيق والموضوعية، لرسم هالة كبيره لما كانت عليه مدينة القدس قبل الفترة الرومانية.

وهدفت هذه الدراسة إلى توضيح مكانة القدس وأهميتها الدينية والسياسية خلال صدر الإسلام والدولة الأموية، وإلى توثيق القصور الأموية كمعلم حضاري إسلامي إلى جانب المسجد الأقصى وقبة الصخرة، كما هدفت إلى التنويه على أنّ ما جرى ويجري في القدس، من تهويد وطمس لمعالم إسلامية سواءً دار الإمارة الأموية أم غيرها مخالفٌ لكل قوانين الشرعة الدولية، كما نبّهت الدراسة إلى قيام إسرائيل بتدمير معالم التراث الثقافي الإسلامي قرب الحرم القدسي

١- للمزيد عن الحفريات التي تجري حالياً في القدس. راجع: صحيفة القدس: ٢٢/٥/٢٠١٢م، عدد ١٥٢٦٥؛ صحيفة القدس: ١٠/٧/٢٠١٢م، عدد ١٥٤١٤؛ سلسلة تقارير القدس: تقرير رقم (١): القدس ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران ١٩٦٧- ٢٠٠٩م، ص ١٠-١١.

٢- نظمي الجعبة، القدس بين الاستيطان والحفريات، مجلد ٢٠، عدد ٧٩، ص ٢٩-٤٠؛ للمزيد عن ترابط البيئات الأثرية في إسرائيل بالتوراه. راجع: فرانكن، القدس في العصر البرونزي ٣٠٠-١٠٠٠ ق. م، ص ٢٤، ٢٣، ٤٠.

الشريف، واحتلال هذا الموروث وتاريخه، وإظهاره للعالم على أنه موروث ثقافي يهودي، كما أن دولة الإحتلال تنتهك بشكل صريح ممتلكات الوقف الإسلامي في القدس.

وتكونت الدراسة من أربعة فصول: تناول الأول منها مدينة القدس وفتحها وأهميتها في صدر الإسلام والدولة الأموية، وفي الفصل الثاني تم الحديث عن دور القدس الديني والثقافي كعاصمة لجند فلسطين، وفي الثالث تحدث الباحث عن دار الإمارة الأموية وأقسامها وما تبقى منها، وتناول الفصل الرابع بإسهاب قيام الإحتلال بتدمير دار الإمارة الأموية «، وإجراء حضريات غير شرعية فيها، وطمس معالمها وتهويدها وتقديمها للعالم على أنها جزء من التراث الثقافي اليهودي.

إن ما يجري في مدينة القدس هو تهويد بخطى متسارعة، ينبغي التصدي له بحزم على مختلف الأصعدة رسمياً وشعبياً، وفضح ممارسات الإحتلال في كافة المحافل الدولية، والتنويه إلى أهمية قيام منظمة اليونسكو بدور فاعل وحازم في هذا المجال، لحماية ما تبقى من التراث الثقافي الإسلامي هناك.

أولاً : القدس في صدر الإسلام

١ . الفتح الإسلامي للقدس

كانت مدينة القدس المكان الوحيد الذي زاره الرسول صلى الله عليه وسلم، خارج شبه الجزيرة العربية ضمن معجزة الإسراء والمعراج^(١) - والتي كانت بمثابة الفتح الروحي لها-، وهي قبلة المسلمين الأولى كذلك^(٢)، وهناك أحاديث نبوية عدة بيّنت مكانتها الدينية إلى جانب الحرم المكي، والحرم النبوي الشريفين^(٣)، وهذا أضفى عليها بُعداً روحياً لدى مكونات العالم الإسلامي على اختلاف طوائفه وتجمعاته.

١- «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» سورة الإسراء: آية (١).

٢- قال البخاري في صحيحه: «حدثنا عبد الله عن رجاء قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء عن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستّة عشر، أو سبعة عشر، شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ» (البقرة: ١٤٤) فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود «مَا وَاللَّهِمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (البقرة: ١٤٢) فضلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل، ثم خرج بعد ما صلى فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ». البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ج ١، ص ١٢٠، رقم الحديث ٣٩٩. راجع كذلك: مسلم، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم الحديث: ١٢، ١١، ج ١، ص ٣٧٤.

٣- البخاري، صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس، ج ٢، ص ٧١، ٧٢، رقم الحديث: ١١٨٩، ١١٩٧؛ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ج ٢، ص ١٠١٤، رقم الحديث: ٥١١، ٥١٢؛ ابن الجوزي، تاريخ ابن الجوزي، ص ٤٥-٤٨؛ الحافظ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٣٩-٤٢.

وقد شغلت روايات فتح القدس حيزاً واسعاً من روايات الفتح الإسلامي لفلسطين، وأثارت زيارة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمدينة، وبنائه المسجد الأقصى في منطقة الحرم الشريف، وإصداره العُهُدَّة العُمَرِيَّة - التي أجمع العديد من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين على موثوقيتها وصحتها - جدلاً واسعاً لدى العديد من الباحثين المعاصرين، وأخذت بعداً سياسياً واضحاً في وقتنا الحاضر، حين أضحت مثاراً تشكيك بعض من المؤرخين المُحدَثين للنيل من مكانتها كمدينة مقدسة^(١) في العالم الإسلامي^(٢).

وبعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام قسّمها المسلمون إلى أربع وحدات إدارية عرفت بالأجناد^(٣)، كان منها جُند فلسطين الذي تولاه علقمة بن محرز رضي الله عنه^(٤)، ومركزه مدينة القدس زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٥).

واستقر والي فلسطين في مركز ولايته في القدس، وتحديداً في دار الإمارة التي أقيمت في الجهة القبيلية من المسجد الجامع^(٦)، هو وأسرته، إلى جانبه جهاز إداري ساعده في عمله ومقره الديوان، ودار للقضاء، وبيت المال، ودار صاحب الشُرطة الذي يحفظُ جُنده الأمان في المدينة،

١- تُبدي بعض الدراسات الاستشراقية تشكيكاً في مكانة القدس في الإسلام، فحتى المسجد الأقصى ووجوده في القدس، ومعجزة الإسراء والمعراج تضعها في باب الأسطورة والخيال. للمزيد راجع: الواسطي، فضائل بيت المقدس، ص ١١- ١٩ «مقدمة المحقق»؛ يافه، قدسية القدس في الإسلام، ص ٣٥- ٤٥؛ Kister, 'You Shall Only Set out for Three Mosques'. A Study of an Early Tradition, Le Muséon, 82 (1969), 173-96.

٢- أكدت الروايات الإسلامية والسريانية واليونانية واللاتينية صحّة زيارة الخليفة عمر بن الخطاب للقدس، حيث ورد خبر الزيارة في المصادر الإسلامية، وحوليات ثيوفانس البيزنطية، وميخائيل السرياني، وأغابوس وغيرها. راجع: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ٦٠٧-٦١٢؛ وحول المصادر غير العربية للفتح الإسلامي للقدس. راجع: دانيال ساهاس، البطريك صفرونيوس والخليفة عمر بن الخطاب وفتح القدس، ص ٦٤- ٦٨؛ غويتاين، «القدس في الفترة العربية ٦٣٨ - ١٠٩٩م»، ص ١٣- ١٤؛ Busse, Omar b. al-Hattab in Jerusalem, *JSAT*, 5, (1984), P.P. 73- 119; Goitein, 'Al-Kuds', *EI*², Vol. VI, P.P.322-325.

٣- الجند: مصطلح معناه الجيش النظامي، وأطلق على الأقسام الإدارية لبلاد الشام بعد الفتح الإسلامي، وهي جند: حمص، الأردن، دمشق، فلسطين، قيسرين. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٥- ١٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٢؛ هيوار، «جند»، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٧، ص ١١٨ - ١١٩. للمزيد راجع: خماش، الأجناد وإدارتها، ص ٢٨٥.

٤- علقمة بن محرز رضي الله عنه: أوّل والٍ للمسلمين على جند فلسطين، توفي عام ٢٠هـ/٦٤٠م، وهو على رأس حملة لفتح سواحل الحبيشة. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٢٣ - ٥٢٤.

٥- عين الخليفة عمر بن الخطاب علقمة بن حكيم رضي الله عنه على نصف فلسطين وجعل مركزه الرملة، وعلقمة بن محرز رضي الله عنه على النصف الثاني وجعل مركزه بيت المقدس، وفي زيارته الثانية لبلاد الشام بعد طاعون عمواس أكد تعيين علقمة بن محرز على جند فلسطين بالكامل. راجع: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦١٠، ج ٤، ص ٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٦٥، ص ٤٩٥. للمزيد راجع: عثمانة، الوجه السياسي لمدينة القدس في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٦٨.

٦- حول تخطيط المدن الإسلامية، والنمط المعماري الأموي، وبناء دار الإمارة جنوب المسجد الجامع. راجع: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤٢ - ٣٤٣؛ البعقوبي، كتاب البلدان، ص ١٣؛ البدور، فلسطين في العهد الأموي «الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية»، ص ٢٩٥؛ Olig Grabar, The Architecture of the Middle Eastern City from Past to Present: The Case of 0 the Mosque, P.P.26- 45.

ودار قائد الحرس، الذي تولّى حراسة الوالي أو الخليفة في قصره، وحتى خلال صلاته بالمسجد، ورافقه في حله وتراحاله في حالة السلم والحرب، وأمسك بزمام الأمور حال وفاته أو ترحيله^(١)، وهناك أيضاً دار الكاتب، والحاجب، ودار السجن، وكل ما يتعلق بالجهاز الإداري في الولاية^(٢).

وفي دراسة متأنية لبقايا المباني التي وُجِدَتْ آثارها جنوب الحرم القدسي الشريف، والتي تتعرض للطمس والتهويد والإخفاء، نراها تنطبق تماماً على ما تمّ ذكره من متطلبات الجهاز الإداري، هذه البقايا التي تمّ الكشف عنها في حفريات أثرية أجريت منذ عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، كانت بقايا ما عرف بدار الإمارة الأموية^(٣).

٢. القدس عاصمة جند فلسطين

الواقع أنّ المعاجم الجغرافية الإسلامية، وحتى كتب التاريخ والسّير، لم تذكر مصطلح العاصمة كمركز سياسي وإداري يقيم فيه الخلفاء أو الولاة، وإنما أطلقوا مصطلح «القَصْبَةُ» على المكان الذي تتركز فيه الإدارة حيث يحل فيها الخليفة أو الأمير، وحين يتحدث ياقوت الحموي^(٤) عن فلسطين يذكر أنها ولاية قصبُتها بيت المقدس، فيقول: «... وهي آخر كُور (ولايات) الشام من ناحية مصر، قصبُتها بيت المقدس...»^(٥).

وفي استعراض لروايات أخرى حول عاصمة فلسطين بعد الفتح الإسلامي^(٦) نجد أنّها تذكّر الرملة^(٧) أحياناً، وأحياناً أخرى عمّاس^(٨) كقصبَة لفلسطين^(٩)، ويبدو أنّ رواية القدس كعاصمة لفلسطين كانت الأكثر دقة، خاصةً وأنّها المدينة ذات المكانة الدينية المتميزة لدى كافة مكونات

١- أوكلت مهمات عدة لصاحب الشرطة في العهد الأموي، فكان يتولى أحياناً أمر الخاتم، وبيت المال. خمّاش، الأجناد وإدارتها، ص ٢٩١.

٢- حول المؤسسة الإدارية في دار الإمارة، أو قصر الخليفة. راجع: البيهقي، كتاب البلدان، ص ١٢؛ ديكسون، «من رسوم الخلافة في العصر الأموي»، عدد ٤٨، ص ١٠٩-١١٤؛ خمّاش، الأجناد وإدارتها، ص ٢٨٩-٢٩٦.

3- Ben-Dov, 'The Omayyad Structures Near The Temple Mont, P.P. 37-44.

٤- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، رحالة وجغرافي وأديب، أهم مؤلفاته كتابه المعروف باسم (معجم البلدان)، توفي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص ١٢٧-١٢٩؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ٢٣٥.

٥- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧٤.

٦- البيهقي، كتاب البلدان، ص ٨٩؛ الأصلطخري، المسالك والممالك، ص ٤٢.

٧- الرملة: مدينة فلسطينية على بعد (٢٨) كم شمال غرب القدس، وتمثل مركزاً استراتيجياً هاماً على ملتقى الطرق في وسط فلسطين، جدد بنائها الخليفة سليمان بن عبد الملك، عندما كان والياً على فلسطين قبل توليه الخلافة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٩-٧٠؛ هونيكمان، الرملة، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٠، ص ١٩٣-١٩٧.

٨- عمّاس: بلدة فلسطينية على بعد (٢٨) كم جنوب شرق يافا، وقع بها طاعون عمّاس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٩هـ/١٨م بعد فتح القدس، ومات بسببه عدد من المسلمين منهم الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٦٠-٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٧-١٥٨؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٤، ص ٥١٠-٥١١.

٩- البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٤٢.

العالم الإسلامي، وذات الموقع المتوسط، إذا عَلِمْنَا أَنَّ تَعْمِيرَ الرملة كان قد تمَّ على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك^(١) عام ٧١٦م/٩٨هـ^(٢)، كما أن انتشار الطاعون في عمّواس مع بداية الفتوحات الإسلامية عام ١٨هـ/٦٣٩م، إضافة إلى كَوْنِهَا قَرْيَةً متواضعة يبعد الاحتمال الثاني بشكل كبير.

ويؤيِّدُ هذه الفرضية أَنَّهُ كان للقدس قاضٍ خاصٌّ - وهذه الوظيفة خاصَّةٌ بالأمصار حيث يقيم الولاةُ -، وهو عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه^(٣) الذي مارس مهامه كقاضٍ فيها منذ الفتح الإسلامي، وهذا الأمر لم يَفْعَلْهُ الخليفة إلا مع مراكز الأمصار فقط^(٤)، إضافة إلى العثور على قِطْعَةٍ نَقْدٍ نحاسية تعود لفترة سبقت فترة تعريب النقود التي قادها الخليفة عبد الملك بن مروان^(٥)، حملت صورة الخليفة معاوية بن أبي سفيان^(٦)، ونُقِشَ عليها «إيلياء» إضافة إلى كلمة «فلسطين»^(٧)، كما أن الخليفة سليمان بن عبد الملك همَّ باتخاذها عاصمة للخلافة الأموية^(٨)، كل هذا يجعلنا نرجح أن القدس كانت عاصمة فلسطين منذ أن وَطِئَتْ بها أقدام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب^(٩).

١- سليمان بن عبد الملك : تولى الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك بين عامي ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م، وفي عهده تمت محاولة فتح القسطنطينية، وتوفي والجيش الإسلامي يحاصر هذه المدينة. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٩ - ٣١٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ٥٤٨-٥٤٩؛ تسترشتين، «سليمان بن عبد الملك»، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ١٧٢ - ١٧٤.

٢- البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٩؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٣٤٠-٣٤١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، ص ٢٢١.

٣- عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه : صحابي من الأنصار، ومن أوائل من أسلم في المدينة المنورة، حضر بَيْعَتِي الْعَقَبَةِ الأولى والثانية، وكان عبادة أول مَنْ وُلِّيَ قضاء فلسطين زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان والياً عليها أيضاً، توفي عام ٦٥٤هـ/٣٤م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٤١٢-٤١٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٧-٢٨؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، ص ٢٦١، ٢٨٦.

٤- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٧-٢٨؛ الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى، ص ١٣٤.

٥- عبد الملك بن مروان: خامس الخلفاء الأمويين، توسعت في عهده الدولة الأموية وازدهرت، تولى الخلافة بعد والده مروان بن الحكم، توفي عام ٨٦هـ/٧٠٥م. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٦١-٢٩١؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤١٨-٤٢٢؛ Gibb, "Abdal Malik B. Marwan", EI², Vol. 1, P.P. 76-77.

٦- معاوية بن أبي سفيان: صحابي أسلم قبل الفتح وأحد كتّابِ الوحي، تولى جند الأردن في عهد عمر بن الخطاب، وبعد وفاة أخيه يزيد وولاه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من مناطق، وأصبح خليفة المسلمين في الفترة بين (٤١-٦١هـ/٦٦١-٦٧٩م). خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٢-٢٢٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٢٩-٣٢٨.

٧- راجع : شكل (١).

٨- ابن المرجا، فضائل القدس، ص ٢٢٦؛ ابن سرور المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص ٢٤٦.

٩- للمزيد راجع : غويبتاين، القدس في الفترة العربية ٦٣٨-١٠٩٩م؛ عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص ٢١٦-٢١٧.

شكل (١) (١)



قطعة النقود النحاسية المكتشفة في القدس من فترة الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

أضفَ إلى ذلك أن جند فلسطين، وبسبب وجود القدس تمتعوا بأفضلية خاصة على سائر أجناد الشام، حيث استُتبي من الصلاحيات التي خُولتَ للأمير الشام معاوية بن أبي سفيان حق تعيين الولاية ضمن مناطق إدارته، وظلَّ ولاية فلسطين يعينون من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن لمعاوية حقُّ الولاية عليهم^(٢)، هذه الوضعية الخاصة تبين أهمية فلسطين الدينية والسياسة منذ الفتح الإسلامي لها.

ثانياً. القدس خلال الفترة الأموية

أبدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان اهتماماً خاصاً بالقدس فبنى سوراً للحرم، واهتم بمسجدها الذي كان يتسع لثلاثة آلاف مُصلٍّ^(٣)، وأكد حرمتها الدينية من خلال خطبه المتكررة من على منبر المسجد الأقصى^(٤)، وعُرف عنه التردد الدائم عليها^(٥)، وتحدث عنها قائلاً: «ما بين حائطي هذا المسجد أحبُّ إلى الله تعالى من سائر الأرضين»^(٦)، وأنها الأرض المقدسة التي

١- القسوس، مسكوكات الأمويين في بلاد الشام، ص ٨٤. Bahat, The Illustrated Atlas of Jerusalem, P.87.

٢- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦١٠. Hinds, «Muawiya 1», EI², Vol. VII, P.P. 263-268.

٣- الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى، ص ١٢٥، ١٥٢، ٤٧٥؛ عثمانة، الوجه السياسي لمدينة القدس في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٧٤.

٤- Arculfus, «The Pilgrimage of Arculfus In The Holy Land», P.P.T.S., Vol. VII I, P.P.4-5.

٥- لا يزال هناك محراب في المسجد الأقصى يعرف بمحراب معاوية. غربي المنبر الحالي. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ٢، ص ١٢.

٥- ابن المرجا، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، ص ٧٩؛ ابن الفركاح، باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، ص ٣٤.

٦- ابن المرجا، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، ص ١٤٨؛ ابن الفركاح، باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، ص ٤٩.

جعلها الله موطن الأنبياء والصالحين^(١)، «وأرض المحشر والمنشر»^(٢).

وأكد أهميتها السياسية كعاصمة للعالم الإسلامي بأسره، حين نُصِّبَ خليفةً للمسلمين من على منبر حرّمها الشريف، وتلقَّى البيعةَ فيها كخليفة للمسلمين عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م^(٣)، وينقل لنا المؤرخ السرياني المجهول المراسم والاحتفالات التي تمت في القدس بمناسبة بيعة معاوية، حيث الأمراء والعامّة والإعلان عنه خليفة^(٤)، وهذا ليس حدثاً عابراً، بل يشير بشكل واضح للدور السياسي والديني الذي لعبته مدينة القدس^(٥)، ليس كعاصمة لجند فلسطين فقط، وإنما عاصمة للعالم الإسلامي خلال تلك الفترة.

وفي مناسبة أخرى، وفي ظروف شبيهة بالظروف التي نُصِّبَ فيها معاوية خليفةً للمسلمين، وفي ظل انقسام حاد في العالم الإسلامي، جاء إعلان عبد الملك بن مروان نفسه خليفةً للمسلمين، حيث تلقَّى البيعةَ فيها عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م^(٦)، وهذا استمرار للدور الذي لعبته القدس خلال فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن الدافع لهذه الخطوة دينياً فحسب، أو محاولة لاكتساب شرعية دينية، بل تكريساً لسياسة واضحة تمثّلت في كونه مقرر الخلافة يجب أن تكون في الشام حاضرة البيت الأموي حيث المدن والقبائل الموالية، وحيث الاستقرار والهدوء، وفي مدينة القدس التي تحظى باحترام وتقدير لدى فئات المجتمع الإسلامي كافة.

والعاصمة ليست مكان إقامة الخليفة فقط، بل إنَّها المكان الذي تصدر منه الأوامر، ويستقبل الخليفة فيها الوفود، ويتلقى الشكاوي، ويبدو واضحاً أنَّ هناك مخططاً عند عبد الملك بن مروان وابنه الوليد^(٧)، لإعمار القدس بحيث يبينان فيها قصرًا لإقامة الخليفة، وآخر لإدارة الدولة، وثالث للأسرة المروانية، وقصرًا للضيافة كذلك، فهل كان عبد الملك وابنه ينيوان اتخاذ

١- المنقري، وقعة صفين، ص ١٢؛ الواسطي، فضائل بيت المقدس، ص ٢٠.

٢- ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٠؛ الواسطي، فضائل بيت المقدس، ص ٢٠.

٣- رعت القدس كذلك الاتفاق السياسي بين معاوية وعمرو بن العاص للوقوف في وجه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في صدر الإسلام. ابن سرور المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص ٢٠١. للمزيد عن هذا الاتفاق. راجع: المنقري، وقعة صفين، ٣٧ - ٤٤.

٤- المؤرخ السرياني المجهول: نقلاً عن يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ص ٨٥.

٥- جرت محاولة لاغتيااله في المسجد الأقصى عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٢١؛ ابن سرور المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص ٢١١.

٦- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٦١؛ الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى، ص ١٣٦.

٧- الوليد بن عبد الملك: تولى الخلافة بعد وفاة والده عبد الملك الذي ترك له دولة مترامية الأطراف تميزت بالغنى، وهذا ساعده على القيام بإصلاحات ونهضة عمرانية كبيرة، وتوسعت الدولة في عهده وأصبح المسلمون على أبواب الصين، وأضحت بلاد الأندلس تحت الحكم الإسلامي، وكانت وفاته عام ٩٦هـ/ ٧١٤م. بعد حكم دام قرابة عشر سنوات. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩٩ - ٣٠٩؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٩٦ - ٤٩٩.

القدس عاصمة للدولة الإسلامية^(١).

ومن خلال استعراض مخططات المباني والمنشآت بجوار جنوب وجنوب غرب الحرم القدسي، نلاحظ أنها أشارت بوضوح إلى أن القدس كانت عاصمةً لجند فلسطين، وعاصمة للعالم الإسلامي قاطبة في أكثر من مناسبة، خاصةً وأن هذه المباني ليست بعيدة عن النمط المعماري المستخدم في دور الإمارة التي تأسست في المدن «الأمصار» خلال الفترة الأموية، وخصوصاً المنشآت الواقعة بجوار الحائط القبلي للمسجد الجامع، قريباً من المنبر حيث يعتلي الخليفة أو الوالي للخطابة^(٢).

وفي سياق متصل كذلك تتحول القدس إلى عاصمة للعالم الإسلامي، عندما يستقبل الخليفة سليمان بن عبد الملك الوفود، وَيَصُوبُ سَرَادِقَهُ بَيْنَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَيَقْرُشُ الْبُسْطَ وَالنَّمَارِقَ^(٣) للمبايعة بالخلافة^(٤)، ويأتي الولاة ليستقبلهم ويتعرف أخبار ولايتهم، فيأتيه موسى بن نصير^(٥) من الأندلس، حيث أوسع جبهات الفتوح في أوروبا، وأخوه مَسْلَمَةَ^(٦) أهم قادته على أوسع جبهات صراعه مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام، ويأتيه الشاعر الفرزدق^(٧) مادحاً فيقول :

وبالمسجد الأقصى الإمام الذي اهتدى به من قلوب الممترين ظللاً لها
به كَشَفَ اللهُ البلاءَ وأشـرقت له الأرض والأوقات نحسُّ هلالها^(٨)

«البحر الطويل»

١- نقولا زيادة، «المراكز الإدارية والعسكرية في بلاد الشام في العصر الأموي»، ص ٢١٢.

٢- راجع: توثيق رقم (١١).

٣- النمارق: وهي وسائل من الحرير صُفَّت للجلوس والانتكاء عليها. سورة الفاشية: آية ١٥؛ الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص ٦١٠.

٤- الحنبلي، الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٤.

٥- موسى بن نصير: قائد إسلامي من التابعين، نشأ في دمشق، ودخل في خدمة الخلفاء الأمويين، ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولأه إفريقية الشمالية عام ٨٨ هـ/٦٠٧م، ثبَّت الحكم الإسلامي في أفريقيا وفتح هو وطارق بن زياد بلاد الأندلس، توفى عام ٩٧ هـ/٦٧١ م. خليفة بن خياط، ص ٢٠٤، ٢١١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢١٨-٢٢٩؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، ص ١٥-٣٠.

٦- مَسْلَمَةَ بن عبد الملك: من قادة الدولة الأموية الأكتفاء، في أكثر من جبهة، وقد برز بشكل واضح في جبهة الصراع مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام، ولم يصبح خليفة كإخوته لأن والدته ليست عربية، ولكن برز في ميدان الجهاد، توفى عام ١٢١ هـ/٧٢٨م. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٣، ٢٠٧، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٢٩، ٤٣٠، ٥٣١.

٧- الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر من الطبقة الأولى من شعراء الدولة الأموية، اشتهر بشعر النقااض هو والشاعر جرير، توفى عام ١١٤ هـ/٧٢٣م. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٦، ص ٨٦ - ١٠٠؛ الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص ٥ - ٨.

٨- الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص ٤٢٥.

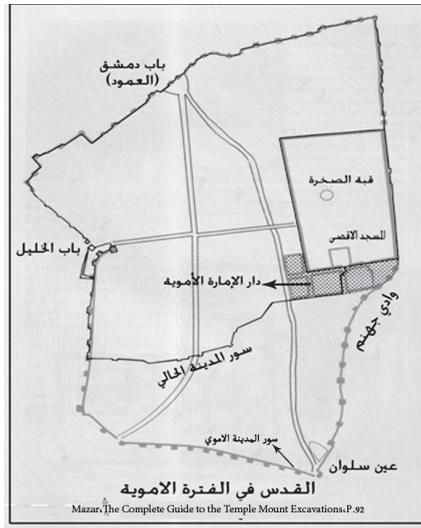
وفيها اتخذ قراراً تاريخياً يُعدُّ من أكثر القرارات خطورةً ودقةً، وهو فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية آنذاك^(١).

وفي حادثةٍ أخرى تتحول القدس إلى عاصمةٍ للعالم الإسلامي؛ حيث يجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز^(٢) فيها، ويجمع السُّجَّلاتِ والكشوفَ ليحاسبَ ولاتَه، ويدقُّ فيها الوثائق والدواوين، واضعاً القدس على رأس الهرم في العالم الإسلامي بأسره، ويكرِّسُ قدسيتها حين يطلب من عمال الخليفة السابق، أداء يمين الأمانة وبراءة الذمة المالية في حرمة الشريف^(٣).

ثالثاً . دارُ الإمارةِ في القدس « القصورُ الأمويةُ »

١ . بقايا دار الإمارة

شكل (٢) : موقع دار الإمارة



كانت دار الإمارة الأموية في القدس تحيط بالحرم الشريف من الجهة الجنوبية، وتمتد لتشمل أجزاءً من الجهة الغربية^(٤)، وكان مقرُّ هذه الدار بمثابة الجهاز الإداري الذي حكم جند

١- ابن المرجا، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، ص ٢٢٦. راجع كذلك : ابن سرور المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص ٢٨٥.

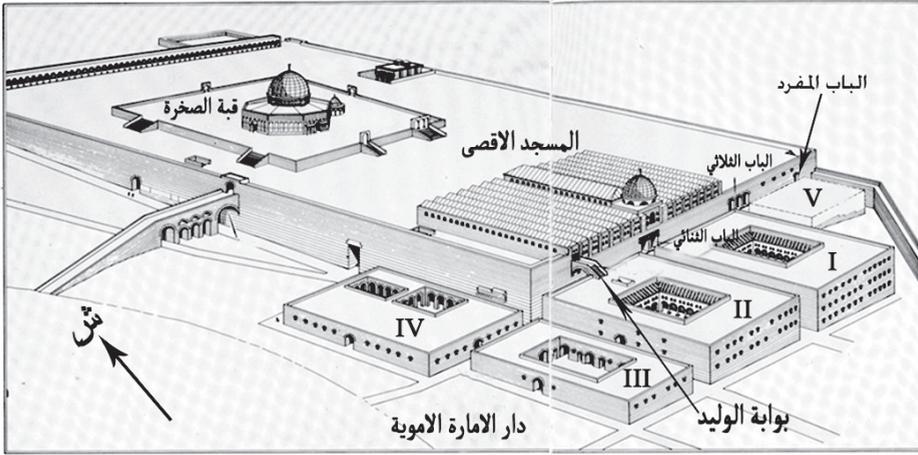
٢- عمر بن عبد العزيز: ثامن الخلفاء الأمويين، تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك في دمشق سنة ٩٩هـ / ٧٢٠م، ولم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف. الطبري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢١٧ - ٢٢١؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٦٦-٥٧٠.

٣- ابن المرجا، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، ص ١١٤؛ ابن هشام الأنصاري، تحصيل الأنس لزائر القدس، ١٤٥-١٤٦.

٤- راجع: شكل (٢).

فلسطين في الفترة الأموية، وفي مخططها قصر مميز للخليفة، وقصرٌ للعائلة الأموية من أقارب الخليفة، وقصر خاص لضيوفه، ومبنى آخر جمع الجهاز الإداري من قضاء وجهاز أمن وشرطة، وفي أقصى الجهة الجنوبية من جهة الشرق كان هناك مبنى استخدم كمخازن لما يلزم هذه الدار^(١)، ويبدو أنه استخدم كذلك بيتاً للمال، فيما عرف بدار الأخماس، واستمرت هذه الدار تقوم بدورها في فترة الأموية، وتلاشت خلال الفترات اللاحقة حتى دُمِّرَتْ جُزئياً وهجرت خلال الحرب بين الفاطميين والسلاجقة^(٢).

شكل (٣) (٣)



مخطط دار الإمارة وبنائها

ويبدو أنها تضررت من الزلزال الذي ضرب القدس عام ١٥٤هـ/ ٧٧٤م فدُمِّرَ المسجد الأقصى، وحيثُ جرى ترميم المسجد بقيت دار الإمارة أطلالاً، كما تضررت كذلك من زلزال عام ١٥٨هـ/ ٨٨٤م، ولكنَّ أعنفها كان زلزال عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م، والذي أثار بشكلٍ واضحٍ على المسجد الأقصى والمباني المحيطة به^(٤).

١- عن مخططات هذه الدار راجع: شكل (٣)، (٥).

٢- عن أقسام هذه الدار راجع:

Ben-Dov, *Historical Atlas of Jerusalem*, P.P.147-179; Ben – Dov, *The Omayyad Structures Near The Temple Mont* Preliminary Report, P.37-39.

للمزيد عن هذه المباني راجع: العابدي، الحفريات الأثرية حول الحرم المقدسي، ص ٥٤٠ - ٥٤٢.

3- Bahat, *The Illustrated Atlas of Jerusalem*, P.82-83.

٤- عن الزلازل التي ضربت القدس بعد الفترة الأموية. راجع: الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، ٢٨٢ - ٨٣؛

٣٠٤؛ العارف، الفصل في تاريخ القدس، ص ١٣٦، ١١٩.

وفي الفترة الفاطمية والصليبية وما تلاها أصبحت هذه المنطقة مصدراً لمواد البناء، ولم تجر أية محاولات لإعادة تأهيلها، وعلى مر السنين تحولت البنايات إلى أطلال، واستُغلت من قبل لصوص الحجارة؛ فجرى تخريبها، وأهملت ولم يتم الحديث عنها في أي من المصادر التي تحدثت عن مدينة القدس.

وبدلت جهود إعادة استخدام أجزاء من هذه المباني لأغراض السكن، باستخدام الجدران القائمة وبناء قواطع إضافية، وغالباً ما تم إضافة عدة غرف داخل إحدى الساحات، ليس لها ارتباط مع مخطط دار الإمارة، وعند إجراء الحفريات عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م تم العثور على مقاطع صغيرة من الجدران الأصلية، مبعثرة فوق مستوى الأرض يصل ارتفاع أعلاها إلى (٤ م)، وهناك تفاصيل كثيرة ناقصة في هذه المباني حرمتنا من التعرف عليها بشكل كامل^(١).

٢. الحفريات في دار الإمارة

بدأت الحفريات الإسرائيلية بالقرب من الزواية الجنوبية الغربية للحرم القدسي^(٢) عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، وواجهت معارضة شديدة من قِبَل الهيئة الإسلامية العليا بالقدس - التي أشرفت على القدس بعد احتلالها عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م - ومعارضة واسعة كذلك على المستويات العربية والإسلامية والعالمية، واعتبرت مخالفة لكافة القوانين الدولية السارية على أرض احتلت بقوة السلاح^(٣).

شكل (٤)^(٤)



منطقة الحفريات الإسرائيلية التي بدأت عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧م

1- Ben – Dov, The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary Report,P.P.37-39.

٢- عن الحفريات الإسرائيلية قرب الحرم الشريف. راجع: Mazar, The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.P.1-5; Mazar, « The Excavations in the old city of Jerusalem near the Temple Mount», P.P.1-36.

٣- العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، ص ١٣٩-١٤٢، ١٧٧- ١٧٨، ٢٠٢، ٤٣٨، ٤٤١-؛ سلسلة تقارير ثالثقدس: تقرير رقم (١) القدس: ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي، ص ٢٨.

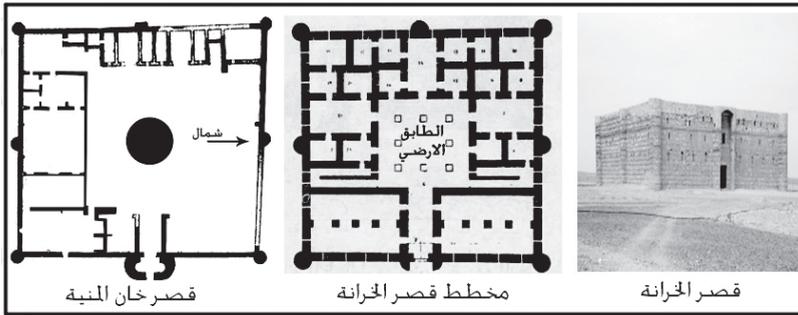
4- Mazar,The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.VI.

وفي بدايتها عُثِرَ على بناية واسعة مربعة مساحتها (٧،٥) دونم، ومع استمرار الحفريات عُثِرَ على مبانٍ أخرى بحجم مشابه بجانبها تبين أنها تعود للفترة الأموية، وقد كانت بقايا مجمع المباني المجاور للحرم الشريف الذي أطلق عليه «دار الإمارة، أو القصور الأموية»، ولا يزال قسم منها من الجهة الغربية مطموراً تحت الشارع وتحت أبنية حديثة^(١).

٣. مخطط بنايات دار الإمارة

كانت هذه البنايات متشابهة في مخطط إنشائها، ويوجد في كل منهما ساحة داخلية مفتوحة محاطة بأروقة مغطاة، مع سلسلة من القاعات تقع على طول الجدران الخارجية الأربعة^(٢)، ويشبه مخطط هذه البنايات مخطط القصور والمباني العامة والتي بناها الخلفاء الأمويون في مناطق عدة من بلاد الشام، التي يأخذ معظمها شكلاً مربعاً أو قريباً من المربع^(٣)، ومنها مخطط قصر الخزانة^(٤)، وخان المنية^(٥) التي بناها الخليفة الوليد بن عبد الملك في بلاد الشام.

شكل (٥)^(٦)



وعند مقارنة المخططات لم يتم اكتشاف أي أثر للأبراج الخارجية في دار الإمارة

1- Ben – Dov, «The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary Report, P.37.

٢- راجع : شكل (٧).

٣- محمود العابدي، القصور الأموية، ص ٢٢ .

٤- قصر الخزانة : قصر صحراوي في الأردن على بعد (٢٠) كم جنوب شرق عمان، ينسب بناء هذا القصر للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام ٩٢هـ / ٧١٠ م. العابدي، القصور الأموية، ص ٥٦-٦٣؛ العابدي، الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، ص ٢١٣-٢١٥ .

٥- قصر خان المنية : يقع جنوب غرب بحيرة طبرية، ويعتقد انه بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٨٩هـ / ٧٠٧م.

العابدي، القصور الأموية، ص ٩٢ - ٩٦
Jere Bacharach, «Marwned Umayyed Building Activities: speculations on Patronage», Muqarnas, Vol. XIII, P.35.

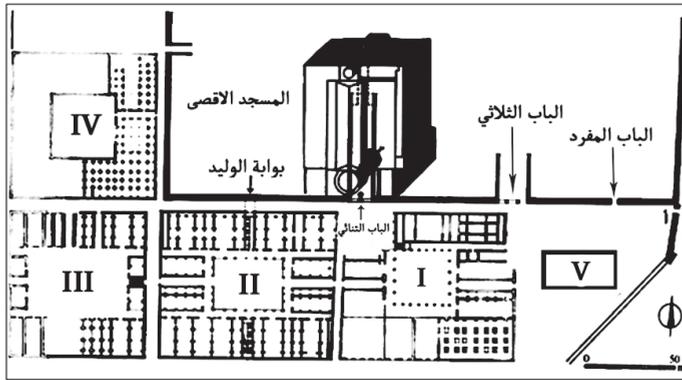
٦- العابدي، القصور الأموية، ص ٥٧-٥٨، ٩٢-٩٣ .

بالقدس^(١)، ويبدو أن مثل هذه الأبراج كانت غير ذات أهمية خصوصاً وأن الموقع كان داخل المنطقة المسوّرة من المدينة، أو أن أثارها طُمِسَتْ كلياً بسبب عوامل التخريب.

ويوجد لكل بناية من هذه البنايات مدخل محدد، على جانبيه دُكَّةٌ تعلوها مقاعد حجرية للحرس، تدخل بعدها رواقاً يؤدي بك إلى ساحة رئيسية، أحاطت بها الاواوين من الجهات الاربع، وفيها بهوٌّ رئيسٌ مكشوفٌ تقوم على جنباته الغرف، والقاعات^(٢)، والحمامات وغيرها من مستلزمات البيت، وهي بشكل عام مبنية من طابقيين أو أكثر^(٣).

ويمكن تقسيم البنايات فيها على النحو الآتي:

شكل (٦) (٤)



المخطط المتكامل لمباني دار الإمارة الأموية

١ . بناية رقم (I)

تقع في الجهة الجنوبية من سور الحرم الشريف، وهي مربعة الشكل، بيدومن خلال موقعها الداخلي المحصور بين سور القدس وقصر الخليفة - بناية رقم (II) - أن هذه البناية قد استُخدمت كمقرّ لأبناء الخليفة أو الأمير وأقاربه أثناء زيارتهم لمدينة القدس^(٥).

٢ . بناية رقم (II) «قصر الخليفة».

وهي من أضخم البنايات التي عُثِرَ عليها ضمن هذا المُجمَع، وتصل مقاساتها إلى (٨٤ × ٩٦ م)،

1- Ben - Dov, M., The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary Report,P.39-40.

٢- راجع : شكل (٨،٧) .

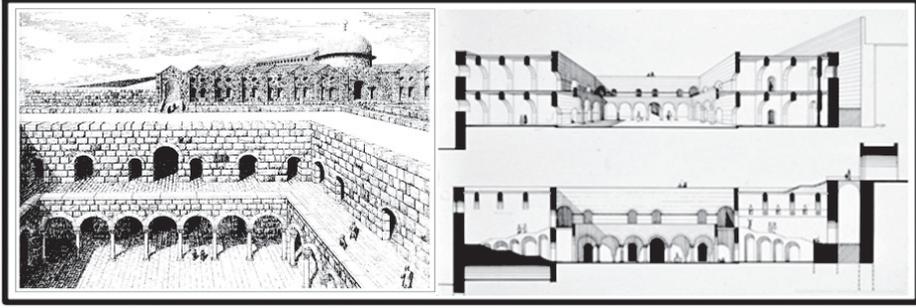
3- Ben - Dov, M., The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary Report, P.40-41.

4- Mazar,The Complete Guide to the Temple Mount Excavations,P.98.

٥- عن مخطط اللبناية رقم (I). راجع : شكل (٨، ٥) .

وسمكة جدرانها الخارجية ما بين (٢٠٧٥ - ٣،١٠ م)، والساحة الرئيسة معبّدة بحجارةٍ مربعةٍ منحوتةٍ بشكلٍ خاصٍ لهذا الغرض، وهي محاطة من جوانبها بممرات «دهاليز» مكشوفة في الطابق الأول، وتقود هذه الممرات عبر درجٍ إلى الطوابق العليا.

شكل (٧)^(١)



مقاطع عرضي من القصور الأموية، من (البنية II) الملاصقة للحرم الشريف

وفي هذه البنية قاعاتٌ يبلغ طولها (١٧) متراً تقريباً، ويتراوح عرضها بين (٤ - ٨) متر، ويبدو أنها كانت مخصصة للاجتماعات الخاصة بالخليفة.

شكل (٨)^(٢)



مقطع أفقي من البنيات (I، II)

وتوجدُ بوابتان رئيستان لهذه البنية، واحدة في جهة الشرق وهي البوابة الرئيسة، وتقع في وسط الجدار الشرقي، ويصل عرضها إلى (٢،٥) متر وارتفاعها إلى (٦،٥) متر، والثانية في جهة

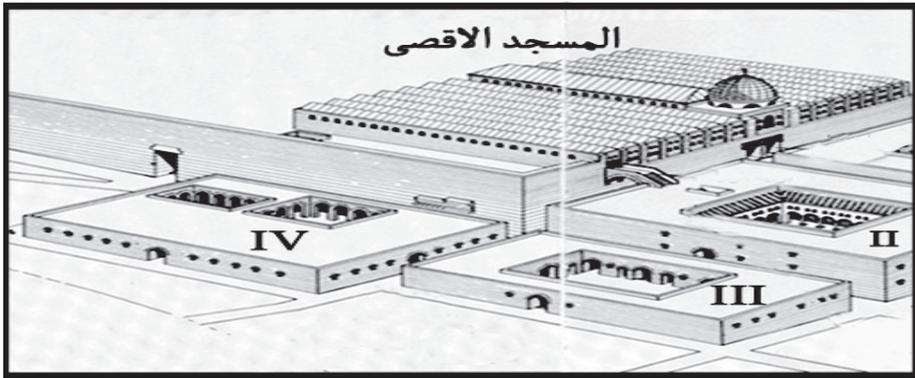
1- krc.orient.ox.ac.uk/krc/index.php/image-archive?func=detail&id; Ben-Dov, Historical Atlas of Jerusalem, P.179.

2- Mazar, The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.102.

الشمال وعرفت باسم «بوابة الوليد»^(١) يتم الوصول إليها عبر درج داخل البناية، وشكّل الجسرُ مدخلاً مباشراً بين سطح البناية والحرم، ويبدو أن هذه البناية الفخمة كانت قصراً للخليفة، وأنَّ بوابة الوليد كانت خاصة بدخول الخليفة إلى الحرم، ويدعمُ هذا الرأي وجودُ بقايا الجسر الذي يربطها بالحرم الشريف، وورد ذكرُ هذه البوابة عند كلِّ من المقدسي^(٢) في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»^(٣)، وابن عبد ربه^(٤) في كتابه «العقد الفريد»^(٥)، عند حديثهما عن بوابات الحرم الشريف^(٦).

٣ . بناية رقم (III)

شكل (٩)^(٧)



مقطع من البنايات (III، IV)

تقع في الجهة الغربية من بناية رقم (II)، وجزء منها مطمور تحت الشارع الواقع في

١- بخصوص هذه البوابة . راجع : مخطط دار الإمارة الأموية شكل (٢، ٨).

٢- البشاري المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، رحالة وجغرافي مسلم اشتهر بكتابه الجغرافيا «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، وكان جدُّه بنَّاءً أصلح ميناء عكا في فترة حكم أحمد بن طولون، توفي حوالي ٢٨٠هـ/٩٩٠م. للمزيد عنه راجع: البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٤٢؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص٢٠٩-٢١١.

٣- البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨-٩، ١٤٦؛ لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص١٦١.
٤- ابن عبد ربه : . ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨هـ = ٨٦٠ - ٩٤٠م) أحمد بن محمد بن عبد ربه، أديب وشاعر، من أهل قرطبة، واشتهر من خلال كتابه العقد الفريد. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٠-١٢؛ بروكلمان، «ابن عبد ربه»، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣.

٥- ابن عبد ربه، العقد الفريد، المقدمة، لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص٢٣، ١٦١.

6- Ben – Dov, The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary Report, P.43-44; Mazar, The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.102; Bacharach, Marwned Umayyed Building Activities: speculations on Patronage. P.33.

٧- راجع وثيقة رقم (٨) ، سلطة الآثار الإسرائيلية ، ص ١١ ، « بالعبرية » .

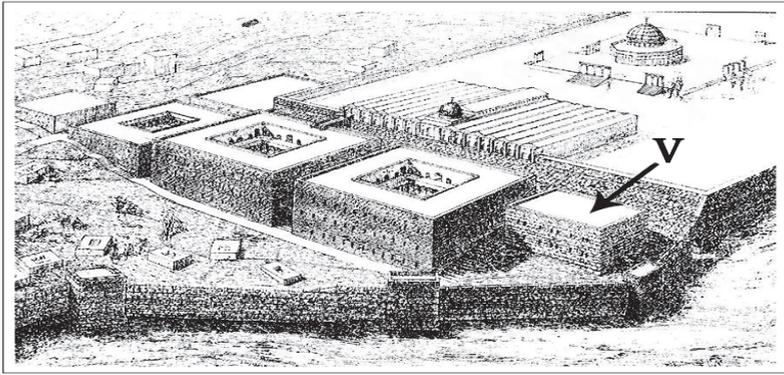
غرب الحرم الشريف ويبدو أنها كانت مقرّاً لضيوف الخليفة، والوفود الرسمية من كبار رجال الدولة والولاة الذين قَدِمُوا عليه للتَهْنِئَةِ، أو لإطْلَاعِ الخليفة على آخر المستجدات في ولاياتهم^(١).

٤ . بناية رقم (IV)

تختلف خطة البناية رقم (IV) عن بقية المباني، وتوجد فيها ساحتان مفتوحتان مع عدة صفوف من الأعمدة على كل جانب، ويبدو أنها تكونت من جناحين، جَنَاحٌ قَدَّمَتْ خدمات للحراسة، حيث تتمركز الشُرْطَةُ وقيادتها وحراسات الخليفة أو الأمير، وجناح آخر استخدم كمقرّ للقضاء^(٢).

٥ . بناية رقم (V)

شكل (١٠)^(٣)



البناية رقم (V)

يتضح أن هذه البناية قد استخدمت كمقرّ للحراسة في الجهة الشرقية من دار الإمارة، واستخدمت كمخازن للمؤون، ومستودع لما يلزم الجهاز الإداري في الولاية المتواجد في القدس خلال فترة حكم الدولة الأموية.

وارتبطت هذه البنايات بقنوات مياه نقيّة، ومياه صرف صحي، وكانت المياه داخل البناية تجري في أحواض خاصة، ويوجد في زاويتين من زوايا ساحات البنايات مجار لتصريف مياه الأمطار إلى خزانات منحوتة داخل الصخر أسفل المبنى، وتصل سعة الواحد منها إلى (٨٠٠) متر مكعب^(٤)، وتم العثور على قطع كثيرة من الرخام الأبيض خاص بالأعمدة، وشبكات للنوافذ،

١- راجع : شكل (٩ .٥) .

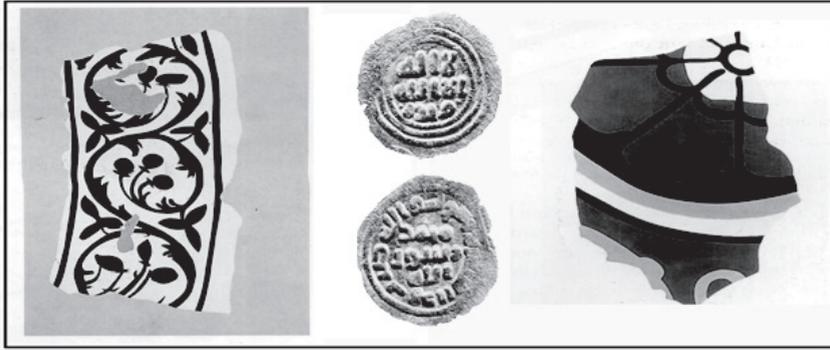
٢- راجع : شكل (٩ .٥) .

3- Ben-Dov, Historical Atlas of Jerusalem,P.177 .

4- Ben – dov, The Omayyad Structures Near The Temple Mont» Preliminary RePort,P.40.

وقطع للنقود^(١) تعود للفترة الأموية^(٢).

شكل (١١)^(٣)



نماذج من الفن الإسلامي والنقود الأموية وجدت في بقايا دار الإمارة في القدس

رابعاً: استيلاء الاحتلال على دار الإمارة وتهويدها

١ . القوانين الدولية والحماية

تُعتَبَرُ القدسُ شرقُها وغربُها أرضاً محتلة حسب القانون الدولي، والقرار الدولي الوحيد الذي ينطبق عليها هو قرار التقسيم الصادر عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م، والذي يمنح القدس إدارةً دولية، وبالتالي فإنَّ أيَّةَ حَصْرِيَّاتٍ مهما كانت غايتها أو أهدافها تعتبر غير شرعية وفقاً للقانون الدولي^(٤).

والواقع أنَّ مجموعة الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، شكَّلتَ الإطارَ الرئيسَ لحماية التراث الثقافي لكلِّ أمة من الأمم، وفي هذا المجال، نجد «اتفاقية جنيف الرابعة» الخاصة بالنزاع المسلح، ومعاملة المدنيين وقت الحرب الموقعة عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م، و«اتفاقية لاهاي» الخاصة بحماية التراث الثقافي العالمي في حالة النزاع المسلح والصادرة عام ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٤ م، والاتفاقية الدولية المتعلقة بحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل الممتلكات الثقافية لسنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م،

١- راجع شكل (١١).

٢- بخصوص هذه المباني، أقسامها، استخداماتها. راجع:

Ben – Dov, The Omayyad Structures Near The Temple Mount» Preliminary Report, P.37-44; Mazar, The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.P. 99-101.

3- Mazar, The Complete Guide to the Temple Mount Excavations, P.101; Ben – dov, The Omayyad Structures Near The Temple Mount» Preliminary Report, Plate XXVIII .

٤- العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، ص ٤٢-٤٦؛ الجعبة، القدس بين الاستيطان والحفريات، ص ٤٧.

والاتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي الموقعة في «باريس» عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م^(١)، أرسّت مجتمعةً بعضَ الأسس لحماية التراث الثقافي تحت الاحتلال، ولكنها على أرض الواقع فإن الاحتلال تحداها جميعاً.

ونصّت هذه الاتفاقيات على واجب دولة الاحتلال اتّخاذ كافة التدابير التي تضمن عدم المساس بمباني العبادة والفنون والعلوم والأعمال الخيرية والآثار التاريخية، ومن واجبها حماية الآثار التاريخية، وألزمتها تقديم العون لحكومة الطّرف الذي احتلت أرضه لحماية ممتلكاته الثقافية، كما يحظر القانون الدولي إجراء تنقيبات في الأراضي المحتلة^(٢)، ويعالج القانون الدولي أعمال التدمير المتعمد للتراث الثقافي، ويحاسب عليها كجريمة حرب^(٣).

وحقيقةً، فقد صدر العديد من القرارات عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بشأن مدينة القدس منذ احتلالها، والتي تدين إسرائيل وتطالبها بالتوقف عن تدمير الممتلكات الثقافية فيها، وتدعوها لحماية التراث الثقافي، والتي لم تُعد دولة الاحتلال لها أيّ اهتمام.

إنّ ما يجري في مدينة القدس لا يتعلّق بالقانون بقدر ما هو سيطرةٌ من قِبَل دولةٍ محتلة، تفرضُ نَفْسَهَا بالقوة على المشهد في مدينة القدس، فهي الدولة الوحيدة في هذا العالم التي تتحدّى القانون الدولي، وتعمل بقوانين عنصرية صنعتها بنفسها، والتي لا تلتقي أبداً مع قرارات الشرعية الدولية^(٤)، وتستغل ذلك من خلال:

٢- التدمير والتهويد

بدأت عملية تدمير وتهويد، وتصاعدت حدة العمل بشكل متسارع في القدس، بعد مصادقة الكنيست على ضمها بتاريخ ٢٠/٢/١٣٨٧هـ: ٢٧/٦/١٩٦٧م، كما وُضعت خطةٌ مُمنهجةٌ لتهويد القدس، وعلى رأسها منطقة الحرم بما فيها منطقة دار الإمارة الأموية، ولا تزال خطة التهويد هذه مستمرة حتى يومنا هذا.

١- اتفاقيات جنيف الأربع، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ملحق ١، ص ٤٢؛ ملحق ٢، ص ١٠٢؛ اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي- باريس، ص ١٠-١١؛ حسن جوني، «تدمير الأعيان الثقافية أو احتلال التاريخ»، ص ١٠-١٢.

2- Hamdan Taha, 'The Current State of Archaeology in Palestine', Present Pasts, Vol.2, (2010) P.P. 16-25; Holger Eichberger, 'Preparing For the Protection of Cultural Property in the Evant of Armed Conflict and Natural Disaster: Developing New Dimension Standars for sheltering Moveable Objects', Present Pasts, Vol.2, (2010), P.P. 177- 193.

٣- نظام المحكمة الجنائية الدولية « روما » ١٩٩٨، مادة ٨، ب، ٢، ٨، ٢، المجلة الدولية للصليب الأحمر، ص ٧٢٤، ٧٢٧.

٤- أسامة حمدان، «عوامل الدمار التي تؤثر على الممتلكات الثقافية الناتجة عن النشاط الإنساني في فلسطين»، ص ١٠٨-١١٠؛ سلسلة تقارير القدس تقرير رقم (١) «القدس: ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي» ص ٢٥-٣٦.

وفي بداية الحفريات تمَّ الكشفُ عن دار الإمارة الأموية، ولما تأكَّد مدير الحفريات^(١) أنَّ موقع التنقيب يعود للفترة الأموية، جرت محاولةٌ للتكتم على الموقع وتدميره، خصوصاً وأنَّه لم يردَّ له أيُّ ذكرٍ في المصادر التاريخية، وطلب من مساعده^(٢) تدمير الموقع، وهذا طبعاً يتنافى مع أبسط قواعد الموضوعية العلمية، ويتنافى كذلك مع القواعد المهنية والأخلاقية التي يجب أن يتحلَّى بها أيُّ باحثٍ أو عالمٍ، ويثبتُ بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الحفريات ميسَّسة، ولا تبحث عن الحقيقة العلمية.

ولكن مساعده الذي قرَّر الحصول على سبِّقٍ صحفي، -وهو من تمَّ الاكتشاف على يديه- توجه إلى الإذاعة، وأعلن عن هذا الاكتشاف، مما ساهم في معرفة بعض التفاصيل عنه ونشرها^(٣)، وعند زيارة وزير الدفاع «موشه ديان»^(٤) للموقع خلال تلك الفترة، لم يخفِ امتعاضه من الاكتشافات، وطلب توثيقها ثم تدميرها، وأكد على ضرورة الاستمرار في الحفريات حتى الوصول إلى الطبقات البيزنطية والرومانية، خصوصاً حول الحرم الشريف^(٥).

واستمرت عملية التهوديد والنهب والتزييف، حيث نُقلَ ثلاثة من الحجارة الكبيرة إلى مقرِّ إقامة الرئيس الإسرائيلي زلمان شازار^(٦) الذي خشي من الملاحقة الإعلامية والقانونية، فقرر إعادتها إلى مكانها^(٧)، كما أن أحد الحجارة الضخمة الذي يزن ٣ أطنان تمَّت سرقة ووضعه في ساحة الكنيسة الإسرائيلية، على اعتبار أنه من مخلفات الهيكل^(٨).

ولا تزال عملية بناء الأنفاق مستمرةً عبرَ القصور الأموية للوصول إلى أسفل الحرم القدسي الشريف تشكّل جزءاً لا يتجزأ من المشروع الاستيطاني اليهودي في القدس^(٩)، وخلق ما يسمى

١- المسؤول عن الحفريات كان بنيامين مازار Benyamin Mazar. استاذ بالجامعة العبرية. العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، ص ٤٢.

٢- المساعد كان خبير الآثار مؤثر بن دوف M. Ben - dov صحيفة القدس: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ١٤٢٤٥؛ صحيفة الأيام: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ٤٧٥٦.

٣- صحيفة القدس: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ١٤٢٤٥؛ صحيفة الأيام: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ٤٧٥٦. ٤

٥- وزيراً للدفاع في حرب عام ١٢٨٧ هـ/ ١٩٦٧م. حشابه، مارس ذو العين الواحدة، سيرة موشه ديان، ص ٢٦٤-٤٠٢؛ جوني، الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص ٢٣٦.

٥- العائدي، الحفريات الأثرية حول الحرم المقدسي، ص ٥٤٦. ٦- زلمان شازار: رئيس إسرائيل انتخب لأول مره عام ١٢٨٢ هـ/ ١٩٦٣م، وأعيد انتخابه عام ١٢٨٧ هـ/ ١٩٦٨م، وتوفي عام ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٤م. منصور، الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص ٢٨١.

٧- صحيفة القدس: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ١٤٢٤٥؛ صحيفة الأيام: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ٤٧٥٦.

٨- صحيفة القدس: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ١٤٢٤٥؛ صحيفة الأيام: ٤/١٣/ ٢٠٠٩م، عدد ٤٧٥٦. ٩- صحيفة القدس: ٢٢/٨/ ٢٠٠٨م، عدد ١٤٠١٦.

بالواقع الافتراضي للهيكل أسفل الحرم القدسي الشريف^(١).

إنَّ ما يجري في منطقة دار الإمارة الأموية في القدس ما هو إلاَّ خُطواتٌ مدروسةٌ لتدمير ما تبقى من أساسات القصور الأموية، ومحاصرة الحرم الشريف، وتغيير معالم تاريخية واضحة، وتزييف التاريخ والحضارة التي يجب ألاَّ تُجبر لصالح جهةٍ من الجهات، واعتداءً سافرٌ على وقفٍ إسلامي خالص لا يجوز التصرفُ به أو التعدي عليه^(٢)، وتقدمت الاعتداءات في هذا الموقع في اتجاهين، هما :

١ . داخل أسوار القدس الحالية

أ . تعمير حديقة داود :

بدأت عملية التمهيد لإنشاء حديقة أثرية في نهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي، وقد لفتت الهيئة الإسلامية العليا عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م لخطورة هذا العمل، وعدم شرعية الاستيلاء على أراضٍ وقفية، وتحويلها إلى حديقة أثرية، ولكن سلطات الاحتلال تجاهلت كل هذه النداءات، وعمدت إلى زراعة منطقة القصور الأموية بالأشجار الضخمة ضمن صفوف منتظمة، بشكل لا يسمح برؤية بقايا هذه القصور في عملية تمويه متعمد، وتمت تسميتها بحديقة داود^(٣) في خطوة لإحياء مفاهيم توراتية لا تستند إلى أساس علمي أو موضوعي دقيق.

شكل (١٢)



حديقة داود على أنقاض القصور الأموية

ب. متحف ديفيدسون

أقيم متحف «ديفيدسون» على أحد أنقاض القصور الأموية من خلال تشييد مبنيين يظهران

١- صحيفة القدس: ١١/٦/٢٠١٢م، عدد ١٥٢٨٥: ٩/٦/٢٠١٢م، عدد ١٥٤٧٠.

٢- العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، ص ٤٢-٤٦، ٤٣٨-٤٤١.

٣- راجع الشكل (١٢)؛ راجع كذلك: العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، ص ٤٤١..

فوق مستوى السطح، المبنى الأول مكون من شكل زجاجي شفاف يعكس أسوار القدس ويستطيع الدخول إلى المتحف مشاهدتها^(١)، والمبنى الثاني من الزجاج والفولاذ يشير إلى بناء حديث في الأسفل^(٢).

وتتحدث مقتنيات المتحف عن تاريخ المدينة من منطلق توراتي بَحَث، ومن خلال منظور التكنولوجيا المتقدمة، حيث يعرض في قاعات مخصصة الصور الرقمية والفيديو عالي الوضوح، تبين تجربة افتراضية لِحجَّاج الهيكل الثاني، يتم خلالها إعادة بناء الأحداث والأماكن بطريقة ثلاثية الأبعاد وخصوصاً الهيكل، استناداً إلى الكتابات القديمة والحفريات، وهذا العمل أنتجه فريق من قسم المحاكاة في جامعة كاليفورنيا، بشكل يُعطي الموجودين شعوراً بأنهم يسرون حقاً حتى الدرج إلى الهيكل والأروقة والوقوف أمام عظمة قدس الأقداس^(٣).

شكل (١٣)



متحف ديفيدسون المبنى الزجاجي

شكل (١٤)



متحف ديفيدسون المبنى السفلي

١- راجع الشكل (١٣).

٢- راجع الشكل (١٤).

٢. خارج أسوار القدس الحالية

تدشين مطاهر الهيكل

استمرت الحفريات في بقايا القصور الأموية خارج سور القدس الحالي، للوصول إلى طبقات أكثر عمقاً من الطبقة الإسلامية، وخصوصاً الرومانية منها والبيزنطية، وتزامنت كذلك مع الحفريات التي أجريت داخل أسوار القدس.

شكل (١٥)



تصوير الباحث

بقايا القصور الأموية خارج أسوار القدس

فقد دُمِّرَ الاحتلالُ معظم ما تبقى من القصور الأموية خارج أسوار القدس الحالية وأزالها، وتسارع العمل في البناء مكانها بشكل كبير منذ عام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، حيث تم إقامة ما يعرف باسم « مطاهر الهيكل » وهي عبارته عن منتزه ضخم أقيم على مسميات توراتية تلمودية مُختلفة، في داخله ساحة احتفالات، وركَّب في أقسامه عدد من الجسور والمنصات الحديدية، وفتحت بداخله العديد من الممرات والحفر^(١)، بشكل أتاح تركيب منصة حديدية عند كل حفرة من الحفر الناتجة عن الحفريات، وأطلق على كل واحدة منها اسم «مطهر»، وسيتم ربط هذه المطاهر بمسار سياحي توراتي يصل حتى شمال القدس، مروراً بسلوان عبر نفق خاص، ثم إلى جبل المشارف حيث يجري العمل لإقامة حديقة وطنية ضخمة ضمن مخطط «لن يعرفوا ولن يفهموا ٢٠١٢»^(٢). ويُسمى هذا بالمسار التوراتي للهيكل، ويشتمل على إقامة تسع حدائق تلمودية، تمتد من بلدة

١- بيانات مؤسسة الأقصى للوقف والتراث بتاريخ ٢٠١١/٣/٣م؛ ٢٠١١/٦/١٦م.

٢- عن هذا المخطط راجع: صحيفة القدس ١٤/١١/٢٠١٢م، عدد ١٥٥٣٦؛ صحيفة القدس ٥/١٢/٢٠١٢م، عدد ١٥٥٥٧.

سلوان مروراً بالمتحف التوراتي الذي يحمل اسم «بيت العين» والمقام على مساحة (٣) آلاف كيلو متر مربع في قلب مدينة سلوان^(١) حتى منطقة القصور الأموية^(٢) لعزل الحرم القدسي عن بلدة سلوان.

وقد افتتحت مظاهر الهيكل في ٢١/٧/١٤٣٢ هـ : ٢١/٦/٢٠١١ م برعاية بلدية القدس وسلطة الأناث^(٣)، وتجري فيها الاحتفالات بصورة مستمرة، حيث تغلو الموسيقى الصاخبة، والرقصات طوال فترة المساء، كما تقام الاحتفالات الصباحية، التي يرافقها الطبل دون مراعاة لحرمة الأماكن المقدسة المجاورة^(٤)، وحديثاً يجري العمل فيها بحفريات عميقة بغية توسيعها وتهيئتها كمسار سياحي في الطريق إلى القدس^(٥)، كما يجري نصب عرش ومظلات كبيرة ضمن هذا المسار^(٦).

شكل (١٦) (٧)



احتفالات تدشين مظاهر الهيكل

إنَّ ما يجري في القدس عامة، وفي موقع دار الإمارة الأموية خاصة هو تدميرٌ منظمٌ لتراثٍ إنساني عالمي، وسرقةٌ للتاريخ بكل ما للكلمة من معنى أمام أنظار العالم أجمع ومؤسساته المعنية، وتحدُّ سافرٍ للقانون الدولي وقراراته، في وقت تعتبر فيه أنَّ مدينة القدس حالةٌ خاصة

١- سلوان : قرية فلسطينية تقع على خطي (٢٥:١٤ درجة شرقاً و ٣١:٤٦ درجة شمالاً) وهي قريبة جداً من أسوار وأبواب القدس القديمة، من الناحية الجنوبية الشرقية المحاذية للمسجد الأقصى، وتتعرض اليوم لهجمة صهيونية استيطانية تدميرية شرسة. عبيد، دليل مواقع المدن والقرى والقبائل البدوية في فلسطين، ص ٢٧؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٨، ص ١٥١-١٥٧.

٢- صحيفة القدس ٢٢/٨/٢٠٠٨ م، عدد ١٤٠١٦.

٣- بيان مؤسسة الأقصى للوقف والتراث بتاريخ ٢١/٦/٢٠١١ م.

٤- صحيفة القدس: ١٠/٩/٢٠١٢ م / ٠١/٤٤٧٤٥٧.

٥- صحيفة القدس : ٢١/٨/٢٠٠٨ م، عدد ١٥٤٦٣؛ صحيفة الأيام: ٢١/٨/٢٠١٢ م، عدد ٥٩٧٨.

٦- صحيفة القدس : ٥/١٢/٢٠١٢ م، عدد ١٥٥٥٧.

٧- بيان مؤسسة الأقصى للوقف والتراث بتاريخ ٢١/٦/٢٠١١ م.

تطبقُ عليها كل الآلياتِ الخاصَّةِ بالمواقعِ التراثيةِ العالمية، وتأتي خصوصيتها هذه من كونها تَمْلِكُ قراراً دولياً صدرَ في وضعها لا يزال ينطبقُ عليها إلى اليوم، وأنها مدينةٌ محتلة في عرف القانون الدولي وقراراته.

الخاتمة

الواقع أنَّ ما يجري في مدينة القدس هو طمسٌ وتشويهٌ وتهويدٌ وسرقةٌ للتاريخ، وتحريفٌ بكل ما للكلمة من معنى، وقد انطلقت إسرائيل لتحقيق ذلك من خلال ثلاثة أهداف استراتيجية، هي:

١. المساس بحرمة المسجد الأقصى المبارك، والعمل على بسطِ الأمر الواقع فيه من خلال تقسيمة بين المسلمين واليهود ووضع موطنٍ قدم لهم فيه.

٢. طمسُ المعالم والآثار العربية والإسلامية بالمدينة المقدسة، وتشويهها وتقديمها للعالم على أنها آثار توراتية، وهو ما حصل فعلاً في منطقة دار الإمارة الأموية في القدس، وفي غيرها من المواقع في القدس.

٣. التهويد الكامل للمدينة على مستوى الجغرافيا والأرض، وعلى مستوى الديموغرافيا والسكان.

وقد خطأ الاحتلال في مخططاته وإجراءاته وسياساته خطوات متقدمة جداً لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة، حيث تعاني مدينة القدس معاناةً شديدةً، ففوق الأرض تجري مصادرة عشرات آلاف الدونمات، وهدمُ عشرات المنازل، وهناك آلاف المساكن المهتدة بالهدم والمصادرة بادعاء أنها مبنية من غير ترخيص، وتحت الأرض هناك حفريات أسفل ساحات الحرم الشريف، وتقام خلال هذه الحفريات شبكات أنفاق متشعبة، ومنتزهات سياحية ذات مسارات توراتية، وغيرها الكثير مما لم يكشف عنه حتى الآن.

إنَّ ما حدث في دار الإمارة الأموية جنوب، وجنوب غرب الحرم الشريف، هو مثالٌ على قيام الاحتلال بتغيير معالم هذه المدينة، ولا يزال الاحتلال يمارس سياسته هذه في مواقع أخرى من القدس، ليُظهِرَ للعالم وجهاً جديداً للمدينة، يتناغم مع رؤيته التوراتية القائمة على تاريخ مصطنع لها، لا يقوم على أساس علمي صحيح ودقيق، ولا يقف أمام السياق الموضوعي في مجال التاريخ الحقيقي للمدينة.

وهذا يتطلب وقفةً جادةً من قبل الباحثين لفضح ممارسات الاحتلال في القدس، عبر كتاباتهم الجادة والهادفة والتي تتسم بالموضوعية والدقة، ويتطلب كذلك تعاوناً بناءً من منظمات العالم الإسلامي لدعم صمود سكان القدس في كافة المجالات من جهة، ولبحث تهويد هذه المدينة في المحافل الدولية وكيفية التصدي له من جهة أخرى، يدعمها عملٌ جادٌ من قبل الحكومات العربية،

وهيئات العمل الشعبي، لفضح ممارسات الاحتلال إعلامياً، وتثبيت المقدسيين في بلدهم، بحيث لا يتترك أهالي القدس لوحدهم يدفعون عدواً يمتلك كل الإمكانيات، ويسخر مختلف الطاقات لتهود هذه المدينة، وتغيير طابعها الإسلامي.

إن تشويه التاريخ وطمسه في القدس وغيرها من المناطق يجري بكل قوة، ويبقى أهالي القدس غرباء في وطنهم مجرد سكان لا يمتلكون حقوق المواطنة الكريمة، كما أن صمودهم مرهون بتكاتف كافة القوى في مختلف أرجاء العالم الإسلامي للوقوف في وجه هذا الخطر الداهم الذي يستهدف كل شيء في الأرض المحتلة.

النتائج والتوصيات

في ضوء ما تقدم، توصل الباحث إلى عدد من النتائج، منها:

١. حظيت القدس باهتمام واضح خلال صدر الإسلام والدولة الأموية، وكان لها حضور قوي على المستوى الديني والسياسي.
٢. كانت القدس عاصمةً لجند فلسطين في صدر الإسلام، ولفترة طويلة خلال عهد الدولة الأموية.
٣. أن هناك مجتمعا متكاملا لدار الإمارة الأموية في القدس، يشتمل على تجهيزات كاملة لإدارة الولاية، واستقبال الخليفة فيها.
٤. أن الحفريات التي جرت والتي لا تزال جارية في القدس، هي مخالفة واضحة وصريحة لكافة قوانين الشريعة الدولية النازمة لهذا الموضوع.
٥. أن دولة الاحتلال تهوّد وتطمس معالم إسلامية سواء دار الإمارة الأموية أو غيرها، وتقوم بسرقة واضحة للتراث الثقافي الإسلامي في القدس، لإظهاره أمام العالم على أنه تراث يهودي.
٦. تعتدي دولة الاحتلال بشكل سافر وبدون وجه حق على ممتلكات الوقف الإسلامي في القدس.

وبناء على هذه النتائج يعرض الباحث عدداً من التوصيات، هي الآتي:

١. مطالبة الهيئات الدولية، وخصوصاً اليونسكو بضرورة الحفاظ على المواقع الإسلامية في القدس، وإيقاف جميع أعمال الاستيطان والتهود فيها، والحفاظ على الطابع العربي الإسلامي لمرافق المدينة المقدسة؛ لأن ذلك له أبرز الأثر في المحافظة على تراث المدينة الإسلامي أمام محاولات التهود طوال العقود الماضية.
٢. ضرورة بدء العمل على مأسسة التراث الثقافي للمدينة المقدسة، وتوسيع آفاقه وتطويره

- من خلال تشكيل «المجلس الأعلى للتراث الثقافي في مدينة القدس»، ومنحه
 صلاحيات المحافظة على هذا التراث وتطويره.
٣. مطالبة الجهات الدولية المختصة، وكافة الهيئات عربياً وإسلامياً وعالمياً، بتنفيذ
 نشاطاتها للمحافظة على التراث الثقافي للمدينة الذي يتعرض لمخاطرٍ جمّة.
٤. عقد مؤتمر دولي خاصّ بالقدس سنوياً تدعوله منظمة المؤتمر الإسلامي، للوقوف على
 أوضاع القدس سياسياً واقتصادياً وثقافياً، والعمل على توحيد الجهود للوقوف في وجه
 تهويدها.
٥. ضرورة قيام الدولة الراعية للأوقاف الإسلامية في القدس بتقديم شكوى للجهات
 الدولية المختصة حول الممارسات الإسرائيلية في القدس، خصوصاً وأنّ القدس مدرّجة
 على قائمة التراث الثقافي الإنساني المهدّد بالخطر.
٦. قيام المؤسسات المعنية عربياً وإسلامياً على المستوى الرسمي والشعبي، بعملٍ مشتركٍ
 لدعم الجهود المبذولة من أجل القدس وفضح ممارسات الاحتلال فيها.

د. أسامة خالد محمد حمّاد

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربيّة

الجامعة الإسلاميّة - غزّة

الْفَضِيضُ فِي الْمِيزَانِ

(الْفَضِيضُ) لِبَكْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَيْصَرِيِّ (ت ١٤٥ هـ)، وهو أحد شروح كتاب الإعراب

عن قواعد الإعراب لابن هشام الأنصاريّ (ت ٥٧٦ هـ)

(دراسة وصفية تحليلية)

بسم الله الرحمن الرحيم

بكر بن عليّ القيصريّ^(١)

نبذة مختصرة

ليس هناك الكثير ممّا يمكن أن نقوله عن عالمنا الكريم هذا، فلا يوجد إلا القليل النادر عنه، وكلّ ما وجدناه من معلومات عن سيرته: هو أنّه بكر بن عليّ فرديّ القيصريّ الروميّ المدرس الحنفيّ المعروف بأريحيّ زاده^(٢). أمّا الشارح نفسه، فهو لم يزد على ذكر اسمه واسم أبيه فقط: (بكر بن عليّ)^(٣).

أمّا هويّته الدينيّة التي ينتمي إليها، فقد أكّد بشكل واضح انتماءه إلى أهل السنّة والجماعة، وذلك بإشارته الصريحة إلى أنّ أهل البصيرة هم أهل السنّة والجماعة، وذلك في هذا الشرح الذي نقوم على دراسته^(٤).

وممّا ذكر من مؤلفاته: حاشية على شرح البخاريّ، وشرح قصيدة البردة^(٥).

١- انظر: الفضيف ٢٦-٢٢ (الدراسة).

٢- انظر: هدية العارفين ٢٢٤/٥ والفضيف ٢٧ (الدراسة).

٣- انظر: الفضيف ٢.

٤- انظر: الفضيف ٣.

٥- انظر: هدية العارفين ٢٢٤/٥ والفضيف ٢٢ (الدراسة).

وقد توفي عالمنا القيصريّ -رحمة الله تعالى عليه- عام خمسة وأربعين ومائة وألف هجرية (١)، والله نسأل سبحانه وتعالى أن يُقيِّضَ لهذا العالمِ الكريم من يُميط اللثام عن سيرته بصورة أكثر جلاء في قادم الأيام، إن شاء الله تعالى.

مقدمة

نصف في هذه الدراسة المتواضعة أمام شرح من شروح كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب -لابن هشام الأنصاريّ، هو الفضيض لبكر بن عليّ القيصريّ، والذي تكمن أهميته في كونه شرحاً لكتاب غير تقليديّ في التأليف النحويّ، إذ جاء به ابن هشام على غير النسق المعروف في التصنيف النحويّ - من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، وقد حاز هذا الكتاب شهرة واسعة، ما حدا بكثير من العلماء إلى الإقبال على شرحه، بل إن ابن هشام نفسه قام بتوسعة مشروع ذلك الكتاب القيم وتطويره، وذلك في كتاب مغني اللبيب، الذي كان كتاب (الإعراب عن قواعد الإعراب) بذرتة الأولى.

وبعدما نشير في نبذة مختصرة إلى ما استطعنا الوصول إليه من معلومات حول حياة القيصريّ، نعرض هذا البحث في ثلاثة مباحث، حيث نذهب في الأول منها إلى منهج القيصريّ وأصوله وشواهد ومصادره النحويّة، ثم نتحول في المبحث الثاني إلى موافقاته لابن هشام واعتراضاته عليه، واختياراته وآرائه خصوصاً إلى مذهبه النحويّ.

ثمّ نتقل في المبحث الثالث إلى فحص مسألة اطلاعه على شروح سابقة لكتاب الإعراب عن قواعد الإعراب لعلماء سابقين عليه، ومدى تأثره بأيّ منهم في حالة حصول ذلك الاطلاع، وسنعمد أخيراً إلى نوع من الموازنة بين هذا الشرح والشروح السابقة عليه، وذلك في بعض الجوانب، والشروح التي سنقارن الفضيض بها هي:

- ١- أقرب المقاصد، لابن جماعة (ت ٨١٩هـ).
- ٢- أوثق الأسباب، لابن جماعة (ت ٨١٩هـ).
- ٣- حواشي جلال الدين المحلّي على قواعد الإعراب (ت ٨٦٤هـ).
- ٤- شرح قواعد الإعراب، للكافيجي (ت ٨٧٩هـ).
- ٥- تعليق لطيف، للبصرويّ (ت ٨٨٩هـ).
- ٦- موصول الطلاب، للأزهرّي (ت ٩٠٥هـ).
- ٧- شرح قواعد الإعراب، للقوجويّ (ت ٩٥٠هـ).

١- انظر: هدية العارفين ٢٢٤/٥ والفضيض ٢٢ (الدراسة).

٨- حَلَّ مَعَاقِدِ الْقَوَاعِدِ، لِلزَّيْلِيِّ (ت ١٠٠٦هـ).

ونختم هذا البحث بعرض النتائج والثمار التي وصلنا إليها من خلال هذا العُجالة البحثية المتواضعة، التي نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

المبحث الأول

شرح الفضيض

بدأ القَيْصَرِيُّ شرحه بحمد الله سبحانه وتعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى الصحابة رضي الله عنهم، ثم بقوله: أمّا بعد، ثم أشار إلى عزمه على شرح هذا الكتاب المسمى بالإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام الأنصاري، وتسميته لهذا الشرح بالفضيض^(١)، ودعا الله جل جلاله أن يوفقه في ذلك ويسدد خطاه.

وسنعرض إلى سمات هذا الشرح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: منهج القَيْصَرِيِّ في الفضيض

نسوق سمات منهج القَيْصَرِيِّ في كل من النقاط الآتية:

١- صورة متن ابن هشام في الشرح: سار القَيْصَرِيُّ على طريقة المصنّف في شرحه، فهو يذكر عبارة ابن هشام، ثم يقوم بتوضيحها وكشف غوامضها وتدعيمها بالشواهد، وإظهار آراء العلماء فيها، وقد مزج القَيْصَرِيُّ بين متن المصنّف وشرحه^(٢)، ولكنه ميّز بينهما بوضع خطّ فوق كلام ابن هشام، أو بوضعه بين فاصلتين، أو بإحاقه بكلمات تدل عليه^(٣). وقد اهتم نوعاً ما بالاختلاف بين نسخ كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب^(٤).

٢- ضبط المفردات وشرحها: اهتم بالضبط والشرح للمفردات والكلمات، فمن الأمثلة على ضبطه لها قوله:

• الحِزْبُ في اللغة-بالكسر: الجماعة والطائفة والأصحاب^(٥).

• الجملة التفسيرية، أي المفسرة-بكسر السين^(٦).

١- انظر: الفضيض ٢.

٢- انظر: الفضيض ٢٥ (الدراسة).

٣- انظر: الفضيض ٨٨، (الدراسة)، وصفحة (ث) في مقدمة التحقيق.

٤- انظر: الفضيض ١٥، ١٠٢.

٥- انظر: الفضيض ٢٢. جاء ذلك تعليقاً على قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيَّ الحِزْبِينِ أَحْصَى﴾ سورة الكهف ١٨/٢٨.

٦- انظر: الفضيض ٤١.

- «أسفاراً: جمع (سَفَر) بالكسر والسكون، يقال للكتاب: سَفَرٌ»^(١).
 - ومن الأمثلة على شرحه للمفردات قوله:
 - قواعد: جمع (قاعدة)، مأخوذة من قواعد البيت، وهي أساسه^(٢).
 - «النكتة في اللغة: بياضٌ في سواد، ثم استعير لمعانٍ دقيقة»^(٣).
 - «الشرط في اللغة: العلامة، وفي الاصطلاح: تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وُجِدَ الأوّل يوجد الثاني، مثل: إنْ دَخَلتِ الدار؛ فأنتِ طالق»^(٤).
 - ٣- ذكر الحدود وتعريف المصطلحات: ومن الأمثلة على ذلك قوله:
 - «الفرق بين الاسم الموصول والحرفي احتياج الاسم الموصول إلى العائد بخلاف الحرفي»^(٥).
 - «الكلام في اصطلاح النحويين: المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام؛ فتكون الجملة أتمّ من الكلام، لا مرادفاً له»^(٦).
 - التعليق: إبطال العمل على سبيل الوجوب لفظاً لا معنى، فتعلق قبل الاستفهام أو النفي أو لام الابتداء، أمّا الإلغاء: فهو إبطال العمل على سبيل الجواز لفظاً ومعنى، وكلاهما من خصائص أفعال القلوب^(٧).
 - ٤- الأسلوب والعرض:
 - استعانته بأسلوب الحوار، نحو قوله: «إِعْلَمَ^(٨)، وألّا ترى؟^(٩)، وكما ترى^(١٠)، وأنت تعلم^(١١)،
-
- ١- الفضيض ٥٩. وذلك عند تعليقه على قوله تعالى: «كَمَثَلِ الْهَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً» سورة الجمعة ٥/٦٢.
 - ٢- انظر: الفضيض ٥، ٦.
 - ٣- الفضيض ١٠.
 - ٤- الفضيض ٢٦.
 - ٥- الفضيض ٢٧.
 - ٦- الفضيض ١٤.
 - ٧- انظر: الفضيض ٢٣.
 - ٨- انظر: الفضيض ٣، ٦، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٢، ٣٥، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٠، ٦٢، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٠، ٨٧، ٩٤، ١٠٧، ١١٠، ١١٩، ١٢١، ١٢٢.
 - ٩- انظر: الفضيض ٣، ٥٢.
 - ١٠- انظر: الفضيض ٨٨.
 - ١١- انظر: الفضيض ٥.

ولا تَعْفَلُ^(١)، واحْفَظْ^(٢)، وافْهَمْ^(٣)، وبَقِيَ لَكَ شَيْءٌ^(٤)، وَإِنْ قُلْتَ ... قُلْتَ ...^(٥).

• تحديده أحياناً لمواضع نهايات كلام العلماء عند النقل عنهم بكلمة (انتهى)^(٦)، كقوله -نقلاً عن المغني- حيث يذكر ابن هشام الجملة المسند إليها ضمن الجمل التي لها محل من الإعراب، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾^(٧) الآية، إذ أعرب (سواء): خبر، و(أنذرتهم): مبتدأ، انتهى^(٨).

• اتصاف لفته أحياناً بشيء من الركاكة والضعف^(٩)، نحو قوله: «فإن فيه تسامح»^(١٠). وواضح أنه كان ينبغي عليه أن يقول: (فإن فيه تسامحاً)، حيث إن (تسامحاً) جاءت اسماً منصوباً لـ(إن).

• استطراده أحياناً بذكر بعض اللطائف، نحو قوله: «ذكر ابن نجيم في الأشباه والنظائر: سئل الإمام الأعظم^(١١) -رحمة الله عليه- عمّن قال: لا أرجو الجنة، ولا أخاف النار، ولا أخاف الله تعالى، وأكل الميتة، وأصلي بلا ركوع وسجود، وأشهد بما لم أره، وأبغض الحق، وأحب الفتنة، فقال أصحابه: أمر هذا الرجل مُشْكِلٌ؛ فقال الإمام رحمة الله عليه: هذا رجل يرجو الله لا الجنة، ويخاف الله لا النار، ولا يخاف الظلم (من)^(١٢) الله في عذابه، ويأكل السمك والجراد، ويصلي على الجنابة، ويشهد بالتوحيد، ويبغض الموت، ونحو هذا، ويحب المال والولد، وهما فتنة؛ فقام السائل؛ فقبل رأسه وقال: أشهد أنك للعلم وعاء. انتهى»^(١٣).

• بعده عن الإطالة، كقوله: واعلم أن الفرق بين (حتى) و(إلى) أن مجرور (حتى) إمّا أن يكون آخر جزء من المذكور قبلها دخولاً فيه، أو ما يلا في آخر جزء منه. وأمّا مجرور

١- انظر: الفضيض ٤٣، ٤٩، ٦٧، ٨٦، ١١٩، ١٢٢، ١٣٦.

٢- انظر: الفضيض ٧١.

٣- انظر: الفضيض ١٠٣.

٤- انظر: الفضيض ٧٢.

٥- انظر: الفضيض ٨٣، ٩٨.

٦- انظر: الفضيض ٣٢، ٥٤، ٦٦، ١١٦، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٥.

٧- سورة البقرة ٦/٢.

٨- انظر: الفضيض ٣٢.

٩- انظر: الفضيض ٩٠ (الدراسة).

١٠- الفضيض ١٦٦.

١١- الإمام المقصود هنا هو الإمام أبو حنيفة النعمان. انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ٤٢٦.

١٢- وردت (في) في التحقيق، والصحيح ما أورده، فضلاً عن استقامة المعنى بذلك. انظر: مخطوطة الفضيض ٤٠ أ.

١٣- الفضيض ١٢٩.

(إلى) فهو أعمّ من أن يكون آخر جزء من المذكور قبلاً أو ما يلا في آخر جزء منه، أو أول منه أو أوسط جزء منه، نحو: فلو قلت نمت ليلة البارحة حتى نصفها، أو ثلثها؛ لم يجز، ولو قلت: نمت ليلة البارحة إلى نصفها أو ثلثها جاز. وفيه كلام طويل، فيرجع فيه إلى المطولات، لكن هذا فرق لطيف وأنصف^(١).

• حرصه على الاختصار، بل هو مولع به، ونرى ذلك في اختصاراته في أسماء السور، فأشار إلى سورة البقرة بالرمز (بق)، وسورة مريم بالرمز (مر)، وسورة المائدة بالرمز (ما)، إلخ، وذلك كثير^(٢). وكذلك الأمر في بعض الكلمات، نحو رمزه: بـ (الحر) للحرف، وبـ (فح) لـ (فحينئذ)^(٣)، وبـ (المص) لـ (المصنّف)^(٤)، والحقّ أنّ هناك انسجاماً لطيفاً وحقيقياً بين حرص القيصريّ على الاختصار، والخلاصة المختصرة لهذا الشرح، حيث وُفق القيصريّ فيما أراد.

• تجنب التكرار، نحو قوله: (الثانية): وجه التسمية سبق في المسألة الثانية في الباب الأوّل^(٥). وقوله: «حتى حرف ابتداء، أي أنّ تكون (حتى) ما يفتح به الكلام؛ فيكون ما دخلت عليه (حتى) جملة مستأنفة، فحينئذ لا تعمل عمل الجرّ عند الجمهور، خلافاً للزجاج وابن درستويه، وقد سبقت نبذة عنه في المسألة الثالثة من الباب الأوّل»^(٦).

• حضور أسلوب المقارنة لديه، وذلك في نحو قوله: الفرق بين (إذا) الظرفيّة الشرطيّة و(إذا) الفجائيّة من وجوه:

أ- الظرفيّة مخصوص إلى الفعلية فقط.

ب- الفجائيّة حرف لا يحتاج إلى الجواب، والظرفيّة اسم يحتاج إليه.

ت- الفجائيّة تقتضي ترتيب ما بعدها سريعاً على ما قبلها، بخلاف الظرفيّة.

ث- الظرفيّة مختصة لأوّل الكلام، بخلاف الفجائيّة.

ج- الفجائيّة تقع جواباً للشرط، بخلاف الشرطية^(٧).

١- انظر: الفضيض ٩٤.

٢- انظر: الفضيض ٢.

٣- انظر: الفضيض ٩.

٤- انظر: الفضيض ٢١.

٥- انظر: الفضيض ٨٨. جاء ذلك عند ابتدائه الحديث عن الكلمة الثانية— وهي (مَا)، من النوع الثالث— وهو سبع كلمات تأتي على ثلاثة أوجه، في الباب الثالث الذي يتناول تفسير عشرين كلمة يحتاج إليها المعرب، كما قال ابن هشام.

٦- الفضيض ٩٨. وللاطلاع على حالات أخرى من حرصه على تجنب التكرار: انظر أيضاً: ١٠١، ١٠٥.

٧- انظر: الفضيض ٨٤.

- ٥- الإعراب: اهتمَّ القَيْصَرِيُّ كثيراً بالإعراب^(١)، فأعرب معظم الشواهد، بل أعرب الكثير من كلام ابن هشام، ومن الأمثلة على ذلك قوله:
- «(أيضاً) يستعمل في مقام التشبيه، وهو منصوب بأنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (أض)، أي: أحملها في الحكم حملاً على ما سبق»^(٢).
 - (لا بدّ من تعلق الجار والمجرور بفعل أو في معناه)^(٣): «لا لنفي الجنس، اسمه بدّ، خبره: من تعلق الجار والمجرور»^(٤).
 - «كيف أنت أصحيح أم سقيم؟: (صحيح) بالهمزة بدل من (كيف)»^(٥).
- ٦- اهتمامه بالخلافات بين النحاة: وهو حاضر حضوراً حسناً في شرحه، ومن أمثلة ذلك:
- اعلم أنّ النحاة اختلفوا في أنّ المضاف إليه في الجملة الفعلية هو الفعل أو الجملة، والاتفاق أنّ المضاف إليه هو الجملة الاسمية بتمامها إذا أُضيف إليها.
 - في أثناء حديثه عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٦)، قال القَيْصَرِيُّ: «أصل (إنّا) (إنّنا)، حُدِّثَ إحدى النونات، على اختلاف بين القوم»^(٧).
 - اعلم أنّ النحاة اختلفوا في جازم جواب الشرط، فقال بعضهم: هو أداة الشرط فقط، وقال بعضهم: هو فعل الشرط فقط، وقال بعضهم: هو الأداة والفعل معاً، وأمّا فعل الشرط فمجزوم بالأداة اتفاقاً^(٨).
- ٧- استيفاء عناصر المسائل النحويّة التي تركها المصنف: فمثلاً، في الوقت الذي اقتصر فيه ابن هشام على ذكر أربعة أحرف زائدة لا تتعلق، استطرد القَيْصَرِيُّ فذكر أخرى، وهي: رَبُّ، في نحو: رَبُّ رجل كريم لقيته، وحروف الاستثناء: خلا، وعدا، وحاشا، في نحو: أساد القوم خلا زيد، وعدا زيد، وحاشا زيد، فإنها من الحروف الجارة، ولا تتعلق بشيء^(٩).

١- انظر: الفضيض ٤٠ (الدراسة).

٢- الفضيض ٢٢.

٣- الإعراب عن قواعد الإعراب ٥٥.

٤- الفضيض ٦٢.

٥- الفضيض ١٧٦.

٦- سورة الكوثر ١٠٨/١.

٧- الفضيض ٢٣.

٨- انظر: الفضيض ٢٦.

٩- انظر: الفضيض ٦٩.

- ٨- التنبية على الأخطاء: نحو قوله: تكون (حتى) حرف عطف إذا لم يدخل على اسم نكرة محضة؛ فيجوز أن نقول: جاءني الناس حتى رجل عالم منهم، ولا يجوز (رجل) فقط^(١).
- ٩- الربط بين فروع علوم اللغة، أو مع علوم أخرى: وقد أشار هو نفسه-بصورة واضحة- إلى عدم اقتصار الشرح على النحو^(٢)، ومن الأمثلة على ذلك:
- العقيدة: نحو قوله: «لفظة الجلالة: اسم لذات واجب الوجود المستجمع لجميع الصفات، وعرفوه: بعلم دال على إله الخلق دلالة جامعة بمعاني الأسماء الحسنی كلها»^(٣).
 - التفسير: كما ورد في أثناء تعليقه على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(٤)، قال القيصري: أي دعاكم إسرافيل على صخرة بيت المقدس دعوة واحدة: يا أهل القبور، اخرجوا بسرعة^(٥).
 - الصرف: نحو قوله: (أبواب) جمع (باب)، أصلها (بوب)، فقلبت الواو ألفاً^(٦)، وقوله: (سيئة) أصلها (سيوئة)؛ فقلبت الواو ياء، فأدغمت^(٧).
- ١٠- الإحالة إلى كتب أخرى: بلغت إحالاته إلى كتب أخرى أربعاً^(٨)، نذكر منها: «ولو أردت التعليل: فارجع إلى موضعه»^(٩)، وقوله: «أصل شيء شئ، بالتشديد عند الفراء، وأصل أشياء شياء، على وزن فعلاء عند الخليل، وأشياء عند الأخفش والفراء، على وزن أفعلاء، وإن أردت التفصيل؛ فارجع إلى الشروح الشافية»^(١٠).
- ١١- الحث على البحث، نحو قوله: تقع (إذا) الفجائية جواباً للشرط، بخلاف (إذا) الشرطية، تأمل فيها!^(١١)، وقد وردت كلمة تأمل^(١٢) في مواضع كثيرة سوى هذا المثال،

١- انظر: الفضيض ٩٥.

٢- وذلك بقوله عن شرحه هذا: إنه يحوي أكثر الفوائد من نحو وغيره. انظر: الفضيض ٢.

٣- الفضيض ٣. وقد جاء ذلك في أثناء تعليقه على لفظ الجلالة (الله).

٤- سورة الروم ٢٥/٣٠.

٥- انظر: الفضيض ٨٤.

٦- انظر: الفضيض ١٢.

٧- انظر: الفضيض ٢٧. وللمزيد من مسائل الصرف: انظر: ٥، ٦، ١٣، ٦٧، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٦٩.

٨- انظر: الفضيض ٤١ (الدراسة). وانظر: الفضيض ٦١، ٩٤، ٩٨، ١٥٥.

٩- الفضيض ٦١.

١٠- الفضيض ٩٨.

١١- انظر: الفضيض ٨٤.

١٢- انظر: الفضيض ٥، ١٢، ١٦، ١٨، ٤٥، ٦٦، ١٠١، ١٢٢، ١٢٩، ١٣١، ١٤٣.

وقوله: تَبَصَّرَ فِي الْبَوَاقِي^(١)، وفيه نظر^(٢).

١٢- وقد كان أحياناً يشير إلى معاني بعض المفردات أو الجمل باللغة التركية، نحو قوله: «الزهر، بالفتح، وفتح الهاء وسكونها، وفي التركي: (جحيك)»^(٣).

المطلب الثاني: أصول القيصريّ

حضرت الأصول النحويّة لدى القيصريّ في شرحه هذا، على تفاوت بينها في حجم حضورها، ولكنّ هذا الحضور لا يشبه حضورها في كتب الأولين، بفعل تأخر شارحنا، الذي عاش في القرن الثاني عشر، وسنطلّ على أصول هذا العالم الكريم في كل من المقاصد الآتية:

المقصد الأول: السماع

اهتم القيصريّ بالسماع، كسائر من عالج النحو ومسائله من النحاة، ويمكننا أن نلاحظ ذلك في كل من النقاط الآتية:

١- استشهاده بسبعة وأربعين شاهداً، وهي سوى شواهد ابن هشام الستة والخمسين والمائة الحاضرة في الشرح، ليكون المجموع الكلي للشواهد الواردة في هذا الشرح ثلاثة ومائتي شاهد.

٢- إشارته إلى لغات العرب سبع مرات^(٤).

٣- إشارته إلى القراءات القرآنية أربع عشرة مرة^(٥).

٤- حرصه على التمييز بين اللغات، وبخاصة الفصيحة منها، نحو قوله: تقع (مَنْ) موصولة، فتحتاج إلى صلة، وحينئذ تضاف إلى معرفة، وقيل: وتضاف إلى نكرة، ومثال الصلة، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾^(٦)، ثم إذا حُذِفَ صدر صلتها عادت إلى البناء على اللغة الفصيحة: (لافتقارها)^(٧) إلى ذلك المحذوف^(٨).

١- انظر: الفضيض ٨٧.

٢- انظر: الفضيض ١٠٣.

٣- الفضيض ٧٠. وللمزيد من مواضع ذكره لغة التركية. انظر: ١٣٣.

٤- انظر: الفضيض ٤٢، ٨٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٤، ١٥٧، ١٥٩.

٥- انظر: الفضيض ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٩، ٤٥، ٥١، ٧٣، ٩٠، ١١٩، ١٢١، ١٤٥، ١٥٠.

٦- سورة مريم ٦٩/١٩.

٧- وردت (لاقتصارها) في التحقيق، ولكن المعنى لا يستقيم إلا على الصورة التي أثبتناها، والحق أنّها غير واضحة في المخطوطة، بل ربما كانت أقرب إلى ما أثبتته المحققة الكريمة. انظر: مخطوطة الفضيض ٣٨ب.

٨- انظر: الفضيض ١٢٤.

٥- عندما تتصل (ما) الكافّة بِ(إِنَّ) وأخواتها؛ فإنّها لا تعمل عندئذ في أفصح اللغات^(١).
وقد جاء اهتمام القَيَّصِرِيِّ بالسَّماع مقدماً على القياس، فنراه مثلاً يقول: «اعلم أنّ (قط) إذا كان ظرفاً فلا يتصل بياء المتكلم، وإذا كان اسماً بمعنى (حسب)، فتتصل به فيقال: (قطي)، و(قطني)، على خلاف القياس^(٢). **المقصد الثاني: القياس**
حضر القياس بشكل قليل لدى القَيَّصِرِيِّ في هذا الشرح، فنراه يقول مثلاً: «نقول في الاستدلال: (زيد) في (ضرب زيد) مرفوع؛ لأنه مشتمل على علم الفاعلية، وكل مشتمل على علم الفاعلية مرفوع؛ فزيد مرفوع، وقِسْ على هذا سائر الأقيسة»^(٣).
ومن أقيسة القَيَّصِرِيِّ القليلة هذه نسوق قوله:

١- الفصحى تأنيث الأفصح، كما كانت الفضلى تأنيث الأفضل، والكبرى تأنيث الأكبر^(٤)، ما يوحي بحضور القياس عنده.

٢- الضمير المتكلم والمخاطب من أعرف المعارف، والغائب محمول عليهما^(٥).
٣- وكان القياس (لو اعمَرَ)، إلا أنه جرى على لفظة الغيبة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾^(٦). بل قد نبه على مخالفة القياس في بعض الأمور، نحو قوله: أصل ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(٧): ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، حُذِفَت الهمزة على غير القياس؛ فأدغمت النونان^(٨).

المقصد الثالث: التعليل

اهتم القَيَّصِرِيُّ بالتعليل، وقد كان حاضراً حضوراً طيباً عنده، كما هو عند سائر من عالج النحو ومسائله من النحاة، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من قوله:

١- لم تعمل (إذ) عمل الجزم؛ لأنّ المجزومية خاصة بالمستقبل، وهي تدخل على الماضي والاسم^(٩).

١- انظر: الفضيض ١٥٩.

٢- انظر: الفضيض ٨٠.

٣- الفضيض ٦. وقد دعا إلى القياس في غير موطن. انظر: الفضيض ٢٠.

٤- انظر: الفضيض ٧٩.

٥- انظر: الفضيض ١١٨.

٦- انظر: الفضيض ١٢٣. جاء ذلك في أثناء تعليقه على قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ لَفِ سَنَةٍ﴾ سورة البقرة ٩٦/٢.

٧- سورة الكهف ٣٨/١٨.

٨- انظر: الفضيض ١٨. وانظر أيضاً: ١٤١.

٩- انظر: الفضيض ٥٣.

٢- لم تعمل (إذا) عمل الجزم؛ لأنها تدلّ على اليقين^(١).

٣- قرأ الحسن البصريّ (الحمد) بالكسر؛ لإتباعها اللام في (لله)، ويقرأ بنصب الدال على أنه مصدر لفعل محذوف تقديره (أحمد الحمد)، والرفع أجود؛ لأنّ فيه عمومًا في المعنى^(٢).

٤- إنّما اختصت (لا النافية) بالنكرة دون المعرفة؛ لأنها في الأغلب لنفي الجنس، وذلك لا يُتصور إلا فيها^(٣). وقد جاء كلامه هذا تعليقًا على كلام ابن هشام: (لا) تكون نافية، وناهية، وزائدة، فالنافية تعمل في النكرات عمل (إنّ) كثيرًا، وعمل (ليس) قليلاً^(٤).

ويبدو أنّه اهتم بالتعليل إلى الدرجة التي تشعر فيها أنّه علّل لكل شيء، حتى لكلام ابن هشام، ولطريقة تبويبه للمادة العلمية الواردة، نحو قوله: الثانية^(٥) مما يأتي على خمسة أوجه (لو)، وإنما قال: الثانية، ولم يقل: ثانيهما؛ إشارة إلى أنّ الحرف يذكّر ويؤنث، أو إلى أنّ الأوّل اسم والثاني حرف، وأشار بقوله: (وأحد أوجهها) إلى طول بحثها؛ لأنّ التصريح يفيد التنبيه إلى عدم النسيان^(٦).

المقصد الرابع: التأويل

حضرت التأويلات في الفضيض كسائر المصنفات والشروح النحويّة، ومن التأويلات الواردة في هذا الشرح نذكر كلا مما يأتي:

١- في أثناء تعليقه على قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(٧)، قال القيصريّ: «لكن للعطف، والمعنى أنّ يُقال: لكن لا أقول كما تقول؛ بل هو الله ربي»^(٨).

٢- قوله: «﴿الْحَاقَّةُ﴾، أي الساعة، ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾»^(٩)، ما هي؟ أيّ شيء هي؟ فوضع الظاهر موضع الضمير تعظيمًا لشأنها»^(١٠).

١- انظر: الفضيض ٥٤.

٢- انظر: الفضيض ٧٣.

٣- انظر: الفضيض ١٠٥.

٤- الإعراب عن قواعد الإعراب ٧٥.

٥- وضعت خطأ هنا تحت كلام ابن هشام الذي يقوم القيصريّ على شرحه؛ حتى لا تلتبس الأمور.

٦- انظر: الفضيض ١٢٥.

٧- سورة الكهف ١٨/٣٨.

٨- الفضيض ١٨.

٩- سورة الحاقة ٦٩/٢.

١٠- الفضيض ١٨.

- ٣- في إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١)، قال القيصري: (يوماً): منصوب بنزع الخافض، أي: على المفعول به أو المفعول فيه، والتقدير على الأول: واتقوا في الدنيا مقابل يوم ترجعون فيه، وعلى الثاني: واتقوا عذاب الله يوماً ترجعون فيه^(٢).
- ٤- في أثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، قال القيصري: (سواء): خبر، و(أنذرتهم): مبتدأ، والمعنى: إنذارك وعدمه سيان عليهم^(٤).

المطلب الثالث: شواهد القيصري

بلغت شواهد ابن هشام الأنصاري في متن قواعد الإعراب اثنين وسبعين ومائة شاهد: ثلاثاً وأربعين ومائة آية، وحديثين، وعشرين بيتاً شعرياً، وسبعة أقوال مأثورة، فكم حضر من هذه الشواهد في شرح الفيض؟ ثم ما هي الشواهد التي أضافها القيصري من عنده؟ وللإجابة على هذين السؤالين نقول: حضر من شواهد المصنف في شرح الفيض ستة وخمسون ومائة شاهد، وسقط ستة عشر شاهداً، ثم بلغت الشواهد التي أضافها القيصري من عنده سبعة وأربعين شاهداً، وهي سوى شواهد ابن هشام الستة والخمسين والمائة الحاضرة في الشرح، ليكون المجموع الكلي للشواهد الواردة في هذا الشرح ثلاثة ومائتي شاهد، كما سنرى تفصيل ذلك في المقاصد الآتية:

المقصد الأول: القرآن الكريم

سقط من شرح الفيض عشر آيات من شواهد ابن هشام القرآنية الثلاثة والأربعين والمائة، ليحضر منها ثلاثة وثلاثون ومائة شاهد.

أمّا طريقة تعامل القيصري مع الشاهد القرآني الخاص بابن هشام، فقد كانت بالزيادة عليه من أصل الآية تارة، وقد وقع ذلك في سبع وعشرين آية، في الوقت الذي لم يفتحص إلا شاهد واحد فقط - عن الشكل الذي أورده ابن هشام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(٥)، فقد أورده ابن هشام على الشكل المذكور، أمّا القيصري، فقد جاء به من دون ﴿يَا مُوسَى﴾. ويجمال ذلك الجدول الآتي:

١- سورة البقرة ٢٨١/٢.

٢- انظر: الفيض ٢٩، ٣٠.

٣- سورة البقرة ٦/٢.

٤- انظر: الفيض ٢٢.

٥- سورة طه ١٧/٢٠.

عدد شواهد ابن هشام القرآنية				
كما وردت في قواعد الإعراب	الحاضرة في شرح الفيض	التي زادها القيصري شيئاً من أصل الآية	التي أنقص منها القيصري	التي تركها القيصري كما هي بالضبط
١٤٣	١٣٣	٢٧	١	١٠٥

وقد أضاف القيصري إحدى وثلاثين آية أخرى، سوى شواهد ابن هشام القرآنية؛ ليصبح مجموع الآيات الواردة في هذا الشرح أربعاً وستين ومائة آية قرآنية كريمة، ما يدل على مضي القيصري على خطى ابن هشام في تغليب الاستشهاد بالقرآن على الاستشهاد بالشعر، تماماً كما فعل سائر الشراح الذين سبقوه بشرح كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب^(١).

أما القراءات القرآنية الأخرى، فقد بلغت الإشارات إليها أربع عشرة مرة^(٢)، ومنها إيراده لشاهد ابن هشام القرآني وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾^(٣)، الذي استشهد به ابن هشام على (لما) الاستنافية، والتي هي بمعنى (إلا) في قراءة التشديد، حيث إن المعنى عندئذ: (ما كل نفس إلا عليها حافظ)^(٤)، ثم أورد القيصري قائلاً: «هذا على قراءة التشديد، أما على قراءة التخفيف؛ فإن مخفضة من الثقيلة، والتقدير: إن كل لعلها حافظ»^(٥).

المقصد الثاني: الحديث الشريف

حضر شاهداً ابن هشام من الحديث الشريف في شرح الفيض، وأضاف إليهما القيصري أربعة أحاديث شريفة؛ ليصبح العدد الكلي للأحاديث الواردة في هذا الشرح ستة أحاديث شريفة. ومن شواهد القيصري قوله صلى الله عليه وسلم: «الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٦)، وقد استشهد به على أن النعم الدنيوية أوفر في حق الكافر من المؤمن^(٧)، وهو استشهاد في غير النحو كما ترى.

١- انظر: قواعد الإعراب وشروحه ٢٠٤.

٢- انظر: الفيض ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٩، ٤٥، ٥١، ٧٣، ٩٠، ١١٩، ١٢١، ١٤٥، ١٥٠.

٣- سورة الطارق ٨٦/٤.

٤- انظر: الإعراب عن قواعد الإعراب ٧١.

٥- الفيض ٩٠.

٦- سنن الترمذي (رقم ١٦) ٥٦١/٤، (رقم ٢٣٢٤) ٥٦٢ ومسند أبي يعلى (رقم ٦٤٦٥) ٢٥١/١١ وصحيح ابن حبان (رقم ٦٨٧) ٤٦٢/٢، (رقم ٦٨٨) ٤٦٤ وشعب الإيمان (رقم ٥٦٤٥) ٢٧/٥ والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (رقم ٢٧٤٣) ٢٣٨/٣ وكنز العمال (رقم ٦٠٨١) ١٨٥/٣.

٧- ولسنا نرى ما ذهب إليه القيصري في هذا الشأن، فإن المنع الدنيوية أيضاً للمؤمن في الدنيا قبل الآخرة، ويصدق ما نذهب إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف ٣٢/٧).

المقصد الثالث: الشعر

ورد سبعة عشر بيتاً من شواهد ابن هشام الشعرية، وسقط ثلاثة، وقد قام بإكمال بيت واحد فقط- كان ابن هشام قد جاء به مشطوراً، وأنقص ثلاثة أبيات، وترك ثلاثة عشر بيتاً كما وردت عند المصنّف.

وقام القيصريّ بنسبة ستة أبيات إلى أصحابها، غير ثلاثة الأبيات التي كان ابن هشام قد نسبها في المتن، وبقيت ثمانية من دون نسبة في هذا الشرح، ولم يذكر أيّاً من أسماء البحور للشواهد الشعرية.

وقد استشهد بسبعة أبيات شعرية أخرى من عنده، ليكون المجموع الكلي للشواهد الشعرية الواردة في هذا الشرح أربعة وعشرين بيتاً.

ومن شواهد التي استدعاها للاستشهاد بها قول الشاعر:

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُفِيّ أَنْاسٌ فَتَى حَتَاكَ يَا بَنَ أَبِي بَزِيدٍ

والذي ذكره القيصريّ مثالا على تلك الشواهد التي يستدلّ بها من يذهبون إلى جواز دخول (حتى) على الضمير المتصل، كالمبرد^(١).

المقصد الرابع: الحكم والأمثال والأقوال المأثورة

حضر أربعة من شواهد ابن هشام من الأقوال المأثورة في شرح الفضيض، وسقط ثلاثة منها، ثم استشهد القيصريّ بخمسة أخرى من عنده؛ ليصبح مجموع الأقوال المأثورة في هذا الشرح تسعة.

ومن الأقوال المأثورة التي جاء بها القيصريّ من عنده قوله: (وَاللَّهِ أَحْلَفُ لَقَدْ لَعَمْرِي بِتُّ سَاهِرًا)^(٢)، حيث جاء به شاهداً على جواز الفصل بين (قد) والفعل بالقسم^(٣).

المطلب الرابع: مصادر القيصريّ

تحتلّ مصادر الدّراسة اللغوية مكانة خاصّة في الدرس النحويّ، فهي من أهمّ الضوابط التي تحدّد وجهة هذا العلم، وتقوم على حراسته وحياطته، ولسنا نستطيع الإهتمام إلى شيء من دونها، ولذا فإننا سنتجه في هذا المطلب إلى عرض مصادر القيصريّ المختلفة، وذلك في كلّ من المقاصد الآتية:

١- انظر: الفضيض ٩٢.

٢- انظر: المفصل في صنعة الإعراب ٤٢٣ ومغني اللبيب ٢٢٧ وتاج العروس ٢٢/٩.

٣- انظر: الفضيض ١٤٤.

المقصد الأوّل: العلماء

والذين سنتناولهم تحت ظلّ العناوين الآتية:

- ١- النحاة، وقد بلغ عددهم ستة وعشرين، وهم: أبو عليّ الفارسيّ^(١)، وأبو عمرو جمال ابن الحاجب^(٢)، وسيبويه^(٣)، وابن السكّيت^(٤)، وأبو إسحاق الزجاج^(٥)، وابن درستويه^(٦)، والأخفش^(٧)، وابن السراج^(٨)، والكسائي^(٩)، والرّضيّ^(١٠)، وابن مالك^(١١)، والأستاذ أبو عليّ الشّلوّيين^(١٢)، وأبو العباس ثعلب^(١٣)، والدّماميني^(١٤)، وابن عصفور^(١٥)، والرّمّاني^(١٦)، وابن طاهر^(١٧)، والفاضل اليميني^(١٨)، وأبو العباس المبرد^(١٩)، والزّمخشرّي^(٢٠)، والفراء^(٢١)، والخليل^(٢٢)، وأبو حاتم السجستاني^(٢٣)، ويونس بن حبيب^(٢٤)، وابن هشام اللخمي^(٢٥)، وأبو الفتح بن جنّي^(٢٦).

١- انظر: الفضيض ٦، ٨٨، ٩٤، ١٢٢، ١٥٣.

٢- انظر: الفضيض ٦، ٩٢.

٣- انظر: الفضيض ١٤، ١٧، ٢٥، ٣٦، ٣٨، ٧٤، ٨٨، ٩٣، ١٢٤، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٤.

٤- انظر: الفضيض ٣٢.

٥- انظر: الفضيض ٣٦، ٨٤، ٩٨.

٦- انظر: الفضيض ٣٦، ٩٨.

٧- انظر: الفضيض ٣٨، ٦٨، ٧٤، ٨١، ٩٢، ٩٨، ١٥٥.

٨- انظر: الفضيض ٣٨.

٩- انظر: الفضيض ٣٩، ٥١، ١٠٢، ١٠٦، ١٤٧، ١٥٢.

١٠- انظر: الفضيض ٤٦، ١١٥، ١٤٢، ١٥٢.

١١- انظر: الفضيض ٤٧، ٥٢، ٩٢، ١٣٦.

١٢- انظر: الفضيض ٤٨، ٤٩.

١٣- انظر: الفضيض ٥١.

١٤- انظر: الفضيض ٥٤.

١٥- انظر: الفضيض ٦٨، ١٤٠.

١٦- انظر: الفضيض ٦٩.

١٧- انظر: الفضيض ٦٩.

١٨- انظر: الفضيض ٧٢.

١٩- انظر: الفضيض ٨٤.

٢٠- انظر: الفضيض ٨٦، ٩٥، ١٠٧، ١١٠، ١١٧، ١٣٣.

٢١- انظر: الفضيض ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ١٣١، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٤.

٢٢- انظر: الفضيض ٩٨، ١٢٤، ١٦٤.

٢٣- انظر: الفضيض ١٠٢.

٢٤- انظر: الفضيض ١٢٤.

٢٥- انظر: الفضيض ١٣٦.

٢٦- انظر: الفضيض ١٤٦.

- ٢- اللغويون، وقد بلغ عددهم أربعة، وهم: الفاضل عصام الدين الأسفراييني^(١)، وابن دريد^(٢)، والجوهري^(٣)، والهروي^(٤).
- ٣- الأدباء، والحاضر واحد منهم - فقط، وهو: عبد الغفور بن صلاح اللاري الأنصاري^(٥).
- ٤- البلاغيون، وقد بلغ عددهم اثنين، وهما: الجرجاني^(٦)، والتفتازاني^(٧).
- ٥- المتكلمون: لم يأت القيصري على ذكر أيٍّ منهم.
- ٦- القراء، وقد بلغ عددهم ثلاثة، وهم: حمزة^(٨)، وإبراهيم بن أبي عليبة^(٩)، ونافع^(١٠).
- ٧- المفسرون، وقد بلغ عددهم ثلاثة، وهم: الضحاک^(١١)، والفاضل ابن تمجيد^(١٢)، والإمام فخر الدين الرازي^(١٣).
- ٨- الفقهاء، وقد بلغ عددهم خمسة، وهم: الشيخ الإمام أبو محمد بن أسعد الشافعي^(١٤)، والحسن البصري^(١٥)، والشافعي^(١٦)، وزين الدين^(١٧) بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم^(١٨).
- ٩- المحدثون: لم يستدع القيصري أيًّا منهم في شرحه هذا.

١- انظر: الفضيض ٥٥.

٢- انظر: الفضيض ٦٥.

٣- انظر: الفضيض ٨٠.

٤- انظر: الفضيض ١٠٨، ١٠٩.

٥- انظر: الفضيض ١٤٥.

٦- انظر: الفضيض ٦١.

٧- انظر: الفضيض ٦١.

٨- انظر: الفضيض ٥١.

٩- انظر: الفضيض ٧٣.

١٠- انظر: الفضيض ١٠٠.

١١- انظر: الفضيض ٤.

١٢- انظر: الفضيض ٧٢.

١٣- انظر: الفضيض ١١٨، ١٧٤.

١٤- انظر: الفضيض ٥٣.

١٥- انظر: الفضيض ٧٣.

١٦- انظر: الفضيض ٩٦، ١٠٦.

١٧- زين الدين، وليس زين العابدين كما ذكرت المحققة الكريمة في حاشية تحقيقها للفضيض، وأنا لم أعد إلا للكتابين الذين وُثِّقَتْ منهما معلومتها، ويبدو أنَّ الأمر لا يعدو السهولة في النقل. انظر: هدية العارفين ٢٧٨/٥ والأعلام ٦٤/٣.

١٨- انظر: الفضيض ١٢٩.

١٠- الصحابة، وقد بلغ عددهم ستة، وهم: عبد الله بن عباس^(١)، وابن مسعود^(٢)، وأبو بكر الصديق^(٣)، وعلي بن أبي طالب^(٤)، والحسن بن علي بن أبي طالب^(٥)، وعمر بن الخطاب^(٦).

المقصد الثاني: الكتب

بلغت أعداد الكتب التي ذكرها القيصري في الفضيض واحداً وعشرين كتاباً^(٧)، في مختلف العلوم، وهي التي نعرضها تحت ظل الأقسام الآتية:

١- كتب النحو واللغة: المفصل^(٨)، والإفصاح لابن هشام الخضراوي^(٩)، ومفاتيح الأبواب^(١٠)، ومغني اللبيب^(١١)، والقاموس^(١٢)، وتحفة الغريب^(١٣)، وحاشية الفاضل الأسفراييني على الفوائد الضيائية^(١٤)، والمقرب^(١٥)، والكبير^(١٦)، والشروح الشافية^(١٧)، والتسهيل^(١٨).

١- انظر: الفضيض ٣٤، ٤٥، ٨٢.

٢- انظر: الفضيض ٤٥.

٣- انظر: الفضيض ٥٢.

٤- انظر: الفضيض ٥٢.

٥- انظر: الفضيض ٥٢.

٦- انظر: الفضيض ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠.

٧- وليست أربعة وعشرين كما ذكرت المحققة الكريمة، فهي قد ذكرت حاشية لعبد الغفور، والذي ورد اسم العالم في صفحة ١٤٥ في الفضيض، ولم يرد اسم حاشيته، ثم هي عدت ضمن الكتب الواردة شرح الإعراب عن قواعد الإعراب للقوقوي؛ بعد استنتاجها أنّ القيصري قد نقل كثيراً عنه من دون أن يذكره أئمة، إضافة إلى إيرادها كلمة ظنتها اسماً لكتاب، وهي كلمة (المطولات)، وقد وردت في صفحة ٩٤ في الفضيض، ولكنها ليست اسماً لكتاب، وإنما قصد بها الكتب المطولة، أو أمهات الكتب. انظر: الفضيض ٤٣ (الدراسة).

٨- انظر: الفضيض ١٤، ١٤٥.

٩- انظر: الفضيض ٣٠.

١٠- انظر: الفضيض ٣٠.

١١- انظر: الفضيض ٢١، ١١٠.

١٢- انظر: الفضيض ٣٦.

١٣- انظر: الفضيض ٥٤.

١٤- انظر: الفضيض ٥٥.

١٥- انظر: الفضيض ٥٥.

١٦- انظر: الفضيض ٨٠.

١٧- انظر: الفضيض ٩٨.

١٨- انظر: الفضيض ١٠٩.

٢- كتب الأدب والبلاغة: الأمالي^(١)، والإيضاح^(٢)، والتلخيص^(٣)، والمفتاح^(٤)، والمطول^(٥).

٣- كتب التفسير والفقه والحديث: خواص القرآن^(٦)، وحاشية تفسير القاضي^(٧)، وشرح الكشاف للفاضل اليميني^(٨)، والأشباه والنظائر في أصول الفقه^(٩)، والكشاف^(١٠).

المقصد الثالث: اللغات واللهجات

أشير في الفضيض إلى لغات العرب المختلفة سبع مرات^(١١)، أما القبيلتان اللتان ذُكر اسمهما في هذا الشرح فهما: أهل الحجاز^(١٢)، وبنو تميم^(١٣).

المبحث الثاني

مذهب القيصري النحوي

تنوعت آراء القيصري في شرحه هذا، ووافق وعارض المصنّف، وعرض الكثير من الآراء الخاصة بالنحاة، مرجحاً ومحاكياً تارة، ومكتفياً بعرض الآراء من دون ترجيح تارة أخرى، وسنعرض طرفاً من ذلك كله في كل من المطالب الآتية:

المطلب الأول: موافقات القيصري لابن هشام

من الطبعي أن نرى القيصري يكثر من موافقته للمصنّف وهو يقوم على شرح كتابه، كعادة الشارحين في طريقتهم في شرح المتن، وإن لم يغلُ الشرح من بعض الاعتراضات، ولكنها كانت أقل بكثير من الموافقات.

ونقتطف من هذه الموافقات كلاً من الأمثلة الآتية:

١- انظر: الفضيض ٣.

٢- انظر: الفضيض ٦٠.

٣- انظر: الفضيض ٦٠.

٤- انظر: الفضيض ٦١.

٥- انظر: الفضيض ٦٥.

٦- انظر: الفضيض ٥٢. وهو كتاب لليافعي. انظر: الفضيض ٤٢ (الدراسة).

٧- انظر: الفضيض ٧٢. وهي حاشية على تفسير البيضاوي لمصطفى بن إبراهيم المعروف بابن تمجد.

٨- انظر: الفضيض ٧٢.

٩- انظر: الفضيض ١٢٩.

١٠- انظر: الفضيض ١٤١.

١١- انظر: الفضيض ٤٢، ٨٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٤، ١٥٧، ١٥٩.

١٢- انظر: الفضيض ١٠٤.

١٣- انظر: الفضيض ١٠٥، ١٥٧.

١- ذهب القَيْصَرِيُّ إلى كون قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾^(١) -والتي جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾^(٢) - جملة مستأنفة، وليست صفة ولا حالاً، موافقاً ابن هشام في ذلك، حيث قال: والصفة لا تصح؛ لأنه لا فائدة في حفظ السماء منهم؛ لأنهم لا يقدرّون على التسمّع، وكذا الحال لا يصح؛ لأنّ الحالّية صفة في المعنى^(٣).

٢- في أثناء إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ﴾^(٤)، قال القَيْصَرِيُّ: جملة ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ﴾ مفسرة للنجوى؛ لاقتضاء المعنى، فلا محلّ لها؛ لأنها جاءت لمجرد الإظهار؛ فلا يتوجه إليها مقتضى الإعراب. وقيل: هي -أي الجملة الاستفهامية- بدل في محلّ النسب من النجوى، فالتقدير: وأسروا هذا الحديث، إمّا بدل الكلّ من الكلّ، أو البعض منه، والأول أظهر، والثاني ظاهر. ويجوز أن يكون مفعولاً لقول محذوف، أي قالوا: هل هذا إلا بشر مثلكم؟ فهو يوافق ابن هشام في ما ذهب إليه بقوله: والأول أظهر، فالأول هو رأي ابن هشام^(٥).

٣- لدى حديثه عن (الواو) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٦)، والتي عدّها ابن هشام واوًا زائدة، مع أنّه أشار إلى رأي آخر لبعض النحاة وهو كونها عاطفة، ثم زاد القَيْصَرِيُّ رأيين آخرين، وذلك بقوله: وقيل: إنّها حالّية، وقيل: إنّها بمعنى (مع)، إلا أنه وافق ابن هشام فيما ذهب إليه بقوله: وكون الواو فيها زائدة ثابت^(٧).

المطلب الثاني: اعتراضات القَيْصَرِيِّ على ابن هشام

وافق القَيْصَرِيُّ ابن هشام في كثير من المواطن، كما رأينا في المطلب السابق، ولكنه أيضاً خالفه وعارضه في خمس مسائل.

ونعرض هذه المسائل الخمسة التي اعترض فيها القَيْصَرِيُّ على ابن هشام على النحو الآتي:

١- قال القَيْصَرِيُّ: الجملة التفسيرية، أيّ المفسرة -بكسر السين- ولو ترك ياء النسبة لكان

١- سورة الصافات ٢٧/٨.

٢- سورة الصافات ٣٧/٧.

٣- انظر: الفضيض ٢٤.

٤- سورة الأنبياء ٢١/٣.

٥- انظر: الفضيض ٤٣.

٦- سورة الزمر ٣٩/٧٢.

٧- انظر: الفضيض ١٤٩، ١٥٠.

أنسب؛ لأنَّ التفسير مصدر والياء النسابة مع التاء تفيد المصدرية^(١).

٢- أشار ابن هشام إلى أنَّ كون الجملة المفسرة لا محلَّ لها هو المشهور، ثم أردف قائلاً: قال الثلوبين: التحقيق أنَّ الجملة المفسرة بحسب ما تفسره، فإنَّ كان له محلٌّ فهي كذلك، وإلا فلا، وتابع بعد ذلك قائلاً: واستدل بعضهم على أنَّ للجملة المفسرة محلًّا، إنَّ كان لما تفسره محلًّا، بقول الشاعر:

فَمَنْ نَحْنُ نُؤْمِنُهُ بَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ لَا نُجِرُّهُ يَمْسِ مِنْ مَرُوعَا

فظهر الجزم في الفعل المفسر للفعل المحذوف^(٢)، فاعترض القيصريُّ بقدر كبير من اللطف، وذلك بقوله: إنَّ التفسير للفعل بالفعل في الحقيقة، وهما مفردان، وعدَّ ذلك نوعاً من التسامح، ثمَّ أشار إلى أنَّ جزم (نؤمنه) ليس بمسلم به^(٣)، في الوقت الذي بدا فيه غيره أوضح في اعتراضهم على ابن هشام، كما فعل ابن جماعة، والذي علَّل اعتراضه بقوله: لأنَّ المفسر الفعل لا الجملة، وليس الكلام في تفسير الفعل للفعل، وإنما الكلام في الجملة المفسرة المحدودة بقوله: الجملة الكاشفة لحقيقة ما تليه، وما نحن فيه مفرد فسر مفرداً، أي فعل فسر فعلاً، وجاء الفاعل من ضرورته، لا أنه مقصود، فظهر الجزم في الفعل المفسر للفعل المحذوف^(٤). ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ ابن جماعة قد أكد هذا الاعتراض في أوثق الأسباب مرة أخرى^(٥)، ولكن بدون أنَّ يخوض في التفاصيل مرة أخرى. ومع ابن جماعة مضى الأزهرى في نفس الاعتراض^(٦)، وكذلك فعل الزبيبي، ولكن باختصار واقتضاب^(٧)، حتى جاء القيصريُّ أخيراً ليؤكد على هذا الاعتراض.

٣- قال القيصريُّ: لا يخفى عليك أنَّ قول المصنف: كالباء الزائد في ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾^(٨)، ليس على ما ينبغي، حيث قال في آخر رسالته: وينبغي أن يجتنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله سبحانه: إنَّه زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أنَّ الزائد هو الذي لا معنى

١- انظر: الفيض ٤١، والغريب أنه عاد هو نفسه واستخدمها، حيث قال: واعلم أنَّ التفسيرية ثلاثة أقسام. أما الأقسام الثلاثة، فهي: المجردة عن حرف التفسير، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (سورة آل عمران ٥٩/٣)، والمقرونة بـ(أي)، نحو قَطْعَ رِزْقِهِ، أي: مات، والمقرونة بـ(أن)، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (سورة الصافات ١٠٤/٧٣)، فقوله: (يا إبراهيم) تفسير للمفعول المقدَّر لـ(ناديناه)، أي: ناديناه بلفظ هو قولنا: يا إبراهيم. انظر: الفيض ٤٣، ٤٦. وانظر أيضاً ورود كلمة (التفسيرية): ١١٨، ١٤١.

٢- انظر: الإعراب عن قواعد الإعراب ٤٦، ٤٧.

٣- انظر: الفيض ٤٩.

٤- انظر: أقرب المقاصد ١١١.

٥- انظر: أوثق الأسباب ٧٢. وذلك في قوله: والتحقيق عندي أنَّ هذه المسائل ترجع إلى تفسير المفرد.

٦- انظر: مؤصل الطلاب ٦٥.

٧- انظر: حلِّ معاهد القواعد ١٢٧.

٨- سورة الرعد ٤٣/١٣.

له، وكلام الله سبحانه منزّه عن ذلك^(١). ومما يجدر ذكره أنّ القوّجويّ كان قد سبق القَيْصِرِيّ في هذا الاعتراض^(٢).

٤- في أثناء تعليقه وشرحه لقول ابن هشام: تأتي (كلا) بمعنى (حقاً) أو (ألا) الاستفتاحية، على خلاف في ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾^(٣)، حيث أردف ابن هشام قائلًا: والصواب الثاني؛ لكسر الهمزة في نحو: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى﴾^(٤)، فقال القَيْصِرِيّ: هذا الرأي فيه نظر، فإنّ الأول صحيح، وإنّ كان الثاني ظاهر^(٥).

٥- تعليقًا على قول ابن هشام: من وجوه (لو) أنّ تكون حرفًا مصدرياً مرادفًا لـ(أنّ)، إلا أنّها لا تنصب، وأكثر وقوعها بعد (ودّ)، نحو: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهِنُ﴾^(٦)، أو (يودّ)، نحو: ﴿يُودُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يَعْمُرُ﴾^(٧)، قال القَيْصِرِيّ: «ولو قال: (ويودّ) مكان (لو يود) لكان أنسب»^(٨).

المطلب الثالث: مذهب القَيْصِرِيّ النحوي

تنوع أسلوب القَيْصِرِيّ في تعامله مع المسائل النحويّة وآراء النحاة، وتنوعت اختياراته واجتهاداته وإعراباته، والتي نعرضها على النحو الآتي:

المقصد الأول:

حرصه على إطلاع الطلاب على التنوع في مسائل الإعراب وآراء النحاة

ونلمس ذلك من كلّ من الأمثلة الآتية:

١- في إعرابه لقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^(٩)، قال: (هذا): مبتدأ، (ويوم): خبر؛ فجمله (ينفع) في محلّ جرّ لإضافة (يوم) إليها، ويجوز بناء (يوم) على الفتح لإضافته إلى جملة^(١٠).

٢- لدى إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١١)، قال القَيْصِرِيّ: (يومًا):

١- انظر: الفضيض ٦٥، ٦٦. وانظر: الإعراب عن قواعد الإعراب ٥٦، ١٠٨.

٢- شرح قواعد الإعراب للقوّجويّ ٦٢، ٦٣.

٣- سورة العلق ٩٦/١٩.

٤- سورة العلق ٩٦/٦. انظر: الإعراب عن قواعد الإعراب ٧٤.

٥- انظر: الفضيض ١٠٣.

٦- سورة القلم ٦٨/٩.

٧- سورة البقرة ٩٦/٢. انظر: الإعراب عن قواعد الإعراب ٨٦.

٨- الفضيض ١٢٢. وقد وردت في التحقيق: (ولو قال: ويودّ لكان لو يودّ أنسب)، والصحيح ما أثبتناه. انظر: مخطوطة الفضيض ١٤١.

٩- سورة المائدة ٥/١١٩.

١٠- انظر: الفضيض ٢٤. وانظر: التصريح على التوضيح ١/٧٠٥، ٧٠٦.

١١- سورة البقرة ٢/٢٨١.

منصوب بنزع الخافض، أي: على المفعول به أو المفعول فيه، والتقدير على الأول: واتقوا في الدنيا مقابل يوم ترجعون فيه، وعلى الثاني: واتقوا عذاب الله يوماً ترجعون فيه^(١).
 ٣- في أثناء حديثه عن (الواو) في الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٢)، والتي صنفها ابن هشام تحت نوع الواو الزائدة، ثم أشار إلى رأي واحد - فقط - وهو لبعض النحاة الذين ذهبوا إلى كونها عاطفة، وعندها يكون جواب الشرط محذوف، زاد القَيْصَرِيُّ بقوله: وقيل: إنها حاليّة، وقيل: إنها بمعنى (مع)^(٣).
 ومن هذه الأمثلة نلمس جلياً حرص القَيْصَرِيِّ على إطلاع طالب العلم على مختلف آراء النحاة، وهو ما يوحي بسعة اطلاعه، وكذلك بمرونته في استعداده الدائم لسير غور الآراء ودراستها وتدبرها.

المقصد الثاني: عرضه لمسائل الإعراب وآراء النحاة من دون ترجيح

ونلاحظ ذلك بشكل واضح في مثل قوله:

- ١- اعلم أنّ النحاة اختلفوا في جازم جواب الشرط، فقال بعضهم: هو أداة الشرط فقط، وقال بعضهم: هو فعل الشرط فقط، وقال بعضهم: هو الأداة والفعل معاً^(٤).
- ٢- الاسم الموصول وصلته معاً، أو الاسم الموصول وحده - فقط - يكون في محل الرفع أو النصب أو الجر^(٥).
- ٣- (إذا) الفجائية: حرف مفاجأة، فلا يحتاج إلى جواب، وهي ظرف مكان عند المبرد، وظرف زمان عند الزجاج، واختار المصنّف الأول^(٦)، من دون أن يعلق على هذه الآراء بشيء.

المقصد الثالث: ترجيحه وحسمه لبعض الآراء

- ١- إعراب (خمسة عشر) علماً على المحلّ باعتباره مبنياً جائز، ولكن إعرابه على أنه ممنوع من الصرف هو الأصح^(٧).
- ٢- ذهابه إلى إعراب الاسم المعرب المضاف إلى ياء المتكلم دوماً إعراباً تقديرياً، في

١- انظر: الفضيض ٢٩، ٣٠.

٢- سورة الزمر ٣٩/٧٣.

٣- انظر: الفضيض ١٥٠.

٤- وأمّا فعل الشرط، فمجزوم بالأداة باتفاق. انظر: الفضيض ٢٦.

٥- انظر: الفضيض ٤٢.

٦- انظر: الفضيض ٨٤.

٧- انظر: الفضيض ٨.

كلّ أحواله: الرفع والنصب والجرّ، وعَدَّهُ الأصح، ثم عَقَّب بقوله: وإنّ ذهب بعضهم إلى إعرابه إعراباً لفظياً في حالة الجرّ؛ لوجود الكسرة فيها^(١).

٢- إعرابه للاسم الموصول مع صلته معاً^(٢)، وذلك في أثناء إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٣)، حيث قال القَيْصَرِيُّ: (الَّذِينَ): اسم الموصول مع صلته (خَلَوْا) في محلّ الجرّ؛ لإضافة (مَثَلٌ) إليها، فلا تغفل^(٤). وهو بقوله: (فلا تغفل) يشعر باختياره لهذا الإعراب وميله له، مع أنّه نفسه قد أشار إلى الإعرابين قبل ذلك بقليل، ومن دون ترجيح^(٥).

٤- قوله: (كلا): بفتح الكاف وتشديد اللام، وهي على أصلها، وليست مركبة، وقيل: هي مركبة؛ لأنّ أصلها (لا كذا)، فقدمت الكاف وحذفت الذال، وشُدِّد (لا) عوضاً عن المحذوف. والصحيح الأوّل^(٦).

٥- واوْرُبُّ لها صدر الكلام على الأصح^(٧).

ولا يملك الناظر في هذا الشرح إلا أن يشعر بموضوعية القَيْصَرِيِّ وتلقائيته، والذي ينم عن صدق وتواضع، فانظر مثلاً إلى قوله: «الياء في الحائيّة والمفعوليّة للمصدرية، أي: كون الشيء حالاً ومفعولاً لا للنسبة والمبالغة؛ لأنّ ياء النسبة مع تاء التانيث إذا لحقت في آخر كلمة تقيّد معنى المصدر، كذا قيل»^(٨). فقوله: (كذا قيل) - من دون ترجيح أو حتى تعليق - يوحي ببعده عن التكلف، فهو لا يتكلف رأياً عندما لا يجد شيئاً يستحق الإدلاء به، ويوحي ذلك أيضاً بأمانته ودقته في عرض هذا العلم وتدريبه.

وتميز القَيْصَرِيُّ كذلك بقسط كبير من المرونة، ونلمس ذلك مما سبق من الأمثلة، وكما فعل عندما ذهب يشرح معنى كلمة (تبييه) فقال: نبّهت تشبيهاً، في اللغة: هي الدلالة على ما غفل عند المخاطب، وفي الاصطلاح: ما يُفهم من مجمل بأدنى تأمل، وقيل: هي قاعدة تعرف بها

١- انظر: الفضيض ٧.

٢- انظر: الفضيض ٥٦، ٧٣، ١١١.

٣- سورة البقرة ٢/٢١٤.

٤- انظر: الفضيض ٤٣.

٥- انظر: الفضيض ٤٢.

٦- انظر: الفضيض ١٠١.

٧- الفضيض ١٤٨. ذهب القَيْصَرِيُّ إلى هذا الرأي وأردف مباشرة: هذا مذهب الكوفيين، فإنهم قالوا: إنّها حرف عطف، ثم صارت قائمة مقام (رُبُّ)، وجارة بنفسها؛ لصيرورتها بمعنى (رُبُّ)، فلا يقدرّون لها معطوفاً عليه؛ لأنّ ذلك تعسف.

٨- الفضيض ٢١.

الأبحاث الآتية مجملة، وقيل: استحضار ما سبق، انتظار ما سيأتي، وقيل: هي إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطب، ثم أردف قائلاً: خذ ما شئت^(١). ففي قوله (خذ ما شئت) إيحاء واضح بمرونته وحرصه على إطلاع الطالب على التنوع.

ونخلص إلى أنّ مذهب القيصريّ هو الدليل، فلم يتبع مدرسة بعينها، ولا عالماً محدداً، وإنما اتبع الدليل والحجة والبرهان، وهي سنة عامة المتأخرين من النحاة، رحمة الله تعالى عليه وعلى سائر العلماء الكرام.

المبحث الثالث

الفُضِيضُ فِي الْمِيْزَانِ

نأتي في هذا المبحث إلى دراسة هذا الشرح بين بعض الشروح التي دارت حول كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب، والذي نعرضه في مطلبين اثنتين، ندرس في الأول منهما مسألة تأثره بالشروح الأخرى، وفي الثاني نوازن بين الفضيض وبين ثمانية شروح سبقته.

المطلب الأول: من تأثر بهم القيصريّ في شرحه

لا بد أنّ يتأثر الإنسان بمن سبقوه، وهو أمر إيجابي ولا شك، ويبدو أنّ القيصريّ قد تأثر بشكل واضح بشرحين سبقاه، وهما شرح قواعد الإعراب للكافيجي، وشرح قواعد الإعراب للقوجوي، وسنعرض إلى ذلك في المقصدين الآتيين:

المقصد الأول: تأثره بالكافيجي

برز تأثر القيصريّ الواضح والجليّ في شرحه هذا بالكافيجيّ في شرحه الشهير، وذلك في مواطن كثيرة في شرحه، ربما يصعب حصرها تماماً، كان القيصريّ ينقل في الكثير منها نقلاً حرفياً، ومن هذه المواطن قول القيصريّ:

١- متحدثاً عن لفظ الجلالة: «ألا ترى أنّ الإيمان اختص بهذا الاسم، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «أمرتُ أنّ أُقاتلَ النَّاسَ حتّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»^(٢) مع أنّ الإيمان بجميع الصفات واجب»^(٣)، وهو الكلام نفسه الذي جاء به الكافيجي، والاختلاف الوحيد هو قول الكافيجي: (النبّي عليه السلام)^(٤) بدلا من (قال صلى الله عليه وسلم).

١- انظر: الفضيض ٧٥.

٢- انظر: سنن الترمذي (رقم ٢٢٤١) ٥/٤٣٩ وسنن الدارمي (رقم ١٠) ٢/٢٨٧ وصحيح ابن حبان (رقم ١٧٤) ١/٣٩٩ وسنن الدارقطني (رقم ٢) ٢/٨٩ وسنن البيهقي الكبرى (رقم ٧١١٦) ٤/١٠٤ وشعب الإيمان (رقم ٩٠) ١/١٠٦ والجمع بين الصحيحين (رقم ٢١٧١) ٣/٨.

٣- انظر: الفضيض ٣، ٤.

٤- انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٣٨، ٣٩.

- ٢- جليلة: أي عظيمة كثيرة، يقال: (ما أجلني ولا أدقتي)، أي: ما أعطاني كثيراً ولا قليلاً^(١). والقول نفسه تقريباً لدى الكافيجي، والذي جاء تفسيراً للكلمة نفسها، وهي كلمة (جليلة)^(٢).
- ٣- الأول: «هو نقيض الآخر، أصله (أوأل)، على وزن (أفعل)، فقلبت الهمزة الثانية واوًا، ثم أدغمت، وقيل: أصله (وؤل) على (فوعل)، فقلبت الواو الأولى همزة»^(٣). والكلام نفسه تقريباً عند الكافيجي^(٤).
- ٤- «في معرفة الجملة: من حيث كونها: اسمية، وفعلية، وشرطية، وابتدائية، وظرفية، واعتراضية، وغيرها»^(٥). وقد ورد الكلام نفسه تقريباً لدى الكافيجي^(٦).
- ٥- «المراد منه (أي من اللفظ المفيد) وهنا: هو اللفظ المركب من كلمتين فصاعداً بالإسناد، سواءً كان خبرياً أو إنشائياً»^(٧). وانظر إلى شبه التطابق بين هذا الكلام وقول الكافيجي: «اللفظ المفيد هنا هو اللفظ المركب من كلمتين فصاعداً، أسند إحداها إلى الأخرى مطلقاً، سواءً كان خبرياً أو إنشائياً»^(٨)، ما يوحي بشبه النقل الحرفي.
- ٦- «نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾^(٩) بمعنى الإيقاظ، والمراد منهم أصحاب الكهف، ﴿لِنَعْلَمَ﴾: اللام للتعليل، وعند الأشاعرة: لام العاقبة أو لام (الحكمة)^(١٠)، ونعلم منصوب بـ(أَنْ) المضمره^(١١). وهو اقتباس تام من قول الكافيجي: «نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم، أي: أصحاب الكهف... ﴿لِنَعْلَمَ﴾: اللام فيه للتعليل، وعند الأشاعرة: مثل هذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الحكمة، ونعلم منصوب بـ(أَنْ) مضمره»^(١٢).
- ٧- قال بعض الأفاضل: إن من أعجب عجائب الكلمات كلمة (لَمَّا)، فإنها إذا دخلت على

١- الفضيض ٥.

٢- انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٤٤.

٣- الفضيض ١٢.

٤- انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٦١.

٥- الفضيض ١٣.

٦- انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٦٢.

٧- الفضيض ١٤.

٨- شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٦٦.

٩- سورة الكهف ١٢/١٨.

١٠- وليس (الملكية) كما ذهب المحققة الكريمة. انظر: مخطوطة الفضيض ٩.

١١- الفضيض ٢٢.

١٢- شرح قواعد الإعراب للكافيجي ١٠٢.

الماضي تكون ظرفاً، وإذا دخلت على المضارع تكون حرفاً، وإذا دخلت على غيرهما تكون بمعنى (إلا)، وفيه ما فيه»^(١). وهو مأخوذ بالضبط من الكافيّجيّ^(٢).

بل وصل تأثر القيصريّ بالكافيّجيّ إلى الحدّ الذي نقل عنه بعض الإشارات الثانويّة، نحو إشارته إلى اختلاف النسخ، فقال: «الأوّل ل (اعلم)، فاختر ما شئت»^(٣)، وهو مقتبس تماماً من قول الكافيّجيّ: «وقع في بعض النسخ (قولنا) مقام (قولك)، فالثاني مناسب لقوله: (ونعني بالمفيد)، والأوّل متصل بقوله: (اعلم)، فيكون أوّل»^(٤).

ونخلص إلى أنّ القيصريّ نقل الكثير الكثير من الكافيّجيّ، وتأثر به إلى حدّ بعيد، بأكثر من تأثره بالقوّجويّ بشكل واضح وجليّ، وليس كما ذهب محققة شرح الفضيض الكريمة إلى أنّ تأثره بالقوّجويّ كان الأكثر والمقدم على من سواه^(٥).

المقصد الثاني: تأثره بالقوّجويّ

تأثر القيصريّ بالقوّجويّ بشكل واضح-أيضاً، ولكن بقدر أقلّ من تأثره بالكافيّجيّ، ومن الأمثلة على ذلك قول القيصريّ:

- ١- «الإمام: أي المقتدى به من حيث العلم والعمل»^(٦). وقد ورد القول نفسه لدى القوّجويّ^(٧).
- ٢- التوفيق: وهو استعداد الإقدام على الشيء، وقيل: جعل الله فعل عبده موافقاً لما يحبه ويرضاه، وقيل: موافقة تدبير العبد لتقدير الحق^(٨). والأقوال نفسها عند القوّجويّ^(٩).
- ٣- «الأول: هو نقيض الآخر، أصله (أوأل)، على وزن (أفعل)، فقلبت الهمزة الثانية واواً، ثمّ أدغمت، وقيل: أصله (وؤل) على (فوعل)، فقلبت الواو الأولى همزة»^(١٠). والكلام نفسه عند القوّجويّ^(١١).

١- الفضيض ٩٠.

٢- انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيّجيّ ٢٩٥.

٣- الفضيض ١٥.

٤- شرح قواعد الإعراب للكافيّجيّ ٦٩. وانظر كلام ابن هشام في متن كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب ٢٥.

٥- انظر: الفضيض ٢٧، ٢٨، ٤٢، ٤٤ (الدراسة).

٦- الفضيض ٤.

٧- انظر: شرح قواعد الإعراب للقوّجويّ ٧.

٨- انظر: الفضيض ١١.

٩- انظر: شرح قواعد الإعراب للقوّجويّ ٩.

١٠- الفضيض ١٣.

١١- انظر: شرح قواعد الإعراب للقوّجويّ ٩.

٤- «ابن درستويه: (درست) لفظ أعجمي مركب مع (ويه)، وفي القاموس: كل اسم ختم بويه كسيبويه»^(١). وهو منقول حرفياً من القُوجوي^(٢).

٥- «قال الفارسي: إن المصادر تقع في الأزمان، فيجعل لسعة الكلام زمان»^(٣). والقول نفسه عند القُوجوي^(٤).

٦- «قول الكريم الخالق: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٥) بعد قوله تعالى: ﴿مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾: هذا من تشبيه الغريب إلى الأغرّب؛ لأنّ الوجود من غير أب أو أم أغرب وأخرق لعادة من الوجود من غير أب»^(٦). والكلام مقتبس بالضبط من القُوجوي^(٧).

ومن الإشارات التي تؤكد عودته إلى القُوجويّ ذكره لبعض المصطلحات التي جاء على ذكرها القُوجويّ، نحو المنطقيين^(٨).

وقد أشارت محققة شرح الفضيض إلى تأثر القيصريّ الكبير بشرح قواعد الإعراب لمحمد بن مصطفى القُوجويّ شيخ زاده (ت ٩٥٠هـ)، وذكرت وجود تشابه كبير بينهما، خرجت فيه بنتيجة مهمة، وهو أنّ شرح قواعد الإعراب للشيخ زاده هو المصدر الأول والمرجع الرئيس للقيصريّ في شرحه هذا، على الرغم من أنّ القيصريّ لم يأت على ذكره ألبتة، وقد أكدت انتشار نقولاته من شيخ زاده من أول الفضيض إلى آخره، ما بين النقل الحرفي، والنقل المتصرف فيه، وما دُعّم رأيا هذا أنّها استعانت كثيراً بشرح زاده في قراءة كلمات كانت مطموسة وغامضة في شرح الفضيض، ثم ساقّت أمثلة على ذلك^(٩).

ونحن نتفق مع المحققة في تأثر القيصريّ كثيراً بالقُوجويّ، ولكن تأثره بالكافيجي كان أكثر، ولذلك، فإنّ المصدر الذي يفوز بالمرتبة الأولى من حيث تأثيره في الفضيض هو شرح الكافيجي، وليس شرح القُوجويّ كما ذهب محققته الكريمة.

١- الفضيض ٣٦.

٢- انظر: شرح قواعد الإعراب للقُوجويّ ٤٠.

٣- الفضيض ٩٤.

٤- انظر: شرح قواعد الإعراب للقُوجويّ ٩٨.

٥- سورة آل عمران ٢/٥٩.

٦- الفضيض ٤٢.

٧- انظر: شرح قواعد الإعراب للقُوجويّ ٤٨. وقد ورد الكلام نفسه عند الكافيجي في شرحه. انظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي ١٨٠، ١٨١.

٨- انظر: الفضيض ١٨ وشرح قواعد الإعراب للقُوجويّ ١٦.

٩- انظر: الفضيض ٢٧، ٢٨، ٤٢، ٤٤ (الدراسة).

المطلب الثاني: الموازنة

يبرز هذا المطلب مكانة هذا الشرح ودرجة أهميته، وذلك من خلال الموازنة بينه وبين ثمانية شروح أُلِّفَتْ حول كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب^(١)، وكلها سابقة عليه، ونعرض هذه الموازنة فيما يأتي:

المقصد الأول: الموازنة في المنهج

نكتفي في هذا المقصد بعرض الموازنة بين المناهج على صورة جدول مختصر، حيث يلقي الضوء إلى حد ما على كيفية تناول هؤلاء العلماء لشروحهم السالفة الذكر، وذلك كما في الجدول الآتي:

جدول (١): الموازنة بين مناهج الشراح

٣	البند المقارن	أَقْرَبُ المقاصد	أوثق الأسباب	حواشي المحلّي	شرح الكافيّجّي	شرح تَعْلِيْقُ لَطِيْف	مُؤَصِّلُ الطلاب	شرح القُوْجُوّيّ	حَلّ المعاهد	الفضيض
	صورة المتن في الشرح	ممزوج	ممزوج	ناقص	ممزوج جداً	ممزوج جداً	ممزوج	ممزوج جداً	ممزوج	ممزوج جداً
	الرجوع إلى النسخ	قليل	لم يعد	لم يعد	كثير	نادر	قليل	متوسط	نادر	نادر
	ضبط المفردات	قليل	متوسط	قليل	كثير	متوسط	كثير	كثير	قليل	كثير
	شرح المفردات	كثير	كثير	كثير	كثير جداً	كثير	كثير	كثير	قليل	كثير
	ذكر الحدود والتعريفات	قليل	كثير	قليل	كثير جداً	كثير	متوسط	متوسط	قليل	كثير
	حضور ألفاظ المعلمين	قليل	كثير	كثير	كثير	قليل	قليل	كثير	قليل	كثير
	أسلوب الحوار	كثير	كثير جداً	كثير	كثير جداً	قليل	قليل	كثير	كثير	قليل
	صيغة السؤال والجواب	نادر	كثير	كثير	كثير	قليل	نادر	نادر	نادر	نادر
	النقل من الآخرين	كثير	كثير جداً	كثير جداً	نادر	كثير جداً	متوسط	كثير	كثير	كثير

١- وكنت قد أجريت موازنة مفصلة حول هذه الشروح الثمانية، حيث كانت مدار دراستي في أطروحة الدكتوراة عام ٢٠١٢م، وهأنذا أقوم بدراسة هذا الشرح التاسع لنتم الفائدة بإذنه تعالى. انظر: قواعد الإعراب وشروحه ١٩٦-٢١٦.

تحديد مواضع النقل	قليل	قليل	قليل	كثير	متوسط	كثير	نادر	كثير	قليل	كثير	قليل
الاستطراد والإطالة	متوسط	كثير	قليل	متوسط	قليل	نادر	كثير	كثير جداً	قليل	كثير	متوسط
إعراب شواهد المصنف	متوسط	قليل	قليل	متوسط	قليل	قليل	كثير جداً	كثير	قليل	كثير	قليل
إعراب متن المصنف	لا يعرب	لا يعرب	نادر	كثير	نادر	كثير	كثير	نادر	كثير	نادر	كثير
استيفاء المسائل	كثير	كثير جداً	نادر	كثير	متوسط	كثير	كثير	نادر	كثير	كثير	كثير
التنبية على الأخطاء	قليل	قليل	نادر	قليل	قليل	قليل	قليل	نادر	قليل	قليل	قليل
الربط مع العلوم الأخرى	قليل	كثير	قليل	متوسط	متوسط	متوسط	قليل	قليل	كثير	قليل	متوسط
الإحالة إلى كتب أخرى	قليل	متوسط	نادر	لم يُجَلِّ	لم يُجَلِّ	لم يُجَلِّ	لم يُجَلِّ	نادر	متوسط	قليل	قليل
الحث على البحث	خافت	كثير جداً	نادر	لم يَفْعَلْ	خافت	نادر	نادر	نادر	كثير جداً	خافت	كثير

المقصد الثاني: في الشواهد

تنقسم الشواهد الواردة في هذه الشروح إلى قسمين، فالأول يعود إلى ابن هشام نفسه، والثاني أضافه الشراح في أثناء شرحهم لمتن المصنف.

وسوف نبين هنا عدد شواهد ابن هشام الحاضرة في كل شرح، إذ لم تحضر كل هاتيك الشواهد كاملة في أي شرح من الشروح، وسنذكر عدد الشواهد التي جاء بها كل شارح من عنده، ثم سنذكر مجموع الشواهد للمصنّف والشارح معاً، وسنرتب هذه الشروح من الأكثر إلى الأقل في كلّ تصنيف من التصنيفات الثلاثة، كما سنرى ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٢): الموازنة بين أعداد الشواهد الكلية

م.	الشروح مرتبة من الأقدم إلى الأحدث زمنياً	عدد الشواهد الواردة في الشرح			ترتيب الشروح تنازلياً من حيث عدد الشواهد	
		للمصنّف	للشارح	لكليهما	للمصنّف	للشارح
١	أقرب المقاصد	١٧١	٢٦٥	٤٣٦	أقرب المقاصد	تعلّيق لطيف

٢	أَوْتَقُّ الْأَسْبَابَ	١٥٦	٩٩	٢٥٥	مُؤَصَّلُ الطُّلَابِ	حَلَّ الْمَعَادِدِ	أَقْرَبَ الْمَقَاصِدِ
٣	حَوَاشِي الْمَحَلِّيِّ	٥٩	١٤٢	٢٠١	تَعْلِيْقُ لَطِيْفٍ	أَقْرَبَ الْمَقَاصِدِ	حَلَّ الْمَعَادِدِ
٤	شرح الكافيّ	١٦٢	٢٣٤	٣٩٧	شرح الكافيّ	شرح الكافيّ	شرح الكافيّ
٥	تَعْلِيْقُ لَطِيْفٍ	١٦٨	٣١٤	٤٨٢	حَلَّ الْمَعَادِدِ	حَوَاشِي الْمَحَلِّيِّ	أَوْتَقُّ الْأَسْبَابَ
٦	مُؤَصَّلُ الطُّلَابِ	١٧١	٧٠	٢٤١	شرح القوّجويّ	أَوْتَقُّ الْأَسْبَابَ	شرح القوّجويّ
٧	شرح القوّجويّ	١٥٧	٩١	٢٤٨	أَوْتَقُّ الْأَسْبَابَ	شرح القوّجويّ	مُؤَصَّلُ الطُّلَابِ
٨	حَلَّ الْمَعَادِدِ	١٥٨	٢٦٩	٤٢٧	الفَضِيضُ	مُؤَصَّلُ الطُّلَابِ	الفَضِيضُ
٩	الفَضِيضُ	١٥٦	٤٧	٢٠٣	حَوَاشِي الْمَحَلِّيِّ	الفَضِيضُ	حَوَاشِي الْمَحَلِّيِّ

يمكننا أن نقرأ أموراً عدة من خلال هذا الجدول، ومن ذلك:

١- جاء الفَضِيضُ منسجماً مع غيره من الشروح في حجم حضور شواهد ابن هشام، ومع أنه الأقل، إلا أنه شابه أوتق الأسباب في العدد نفسه.

٢- جاء الفَضِيضُ في ذيل القائمة من حيث غزارة الشواهد التي أضافها الشارح، فكانت هي الأقل بين الشروح كافة.

٣- نسبة ما أضافه القَيْصِرِيُّ من شواهد من عنده إلى ما أضافه البُصْرِيُّ هي (١) إلى (٦، ٧)، أي ما يقارب سبعة الأضعاف، ما يدل على قلة ما أضافه القَيْصِرِيُّ من شواهد على شرحه.

نتنقل إلى عرض أحوال شواهد ابن هشام في قواعد الإعراب، من حيث حضورها في الشروح أو سقوطها منها، ثم نذهب إلى الإشارة إلى أحوال شواهد الشراح التي أضافوها إلى هذه الشروح:

أولاً: شواهد ابن هشام في الشروح

نعرض هنا إلى الموازنة بين شواهد ابن هشام في قواعد الإعراب وحضورها في الشروح أو سقوطها منها، وسوف نبين عدد شواهد ابن هشام الحاضرة في كل شرح، إذ لم تحضر كل هاتيك الشواهد كاملة في أي شرح من هذه الشروح التسعة-التي نعرض لها في هذه الموازنة، فقد حضر الحديثان فقط في الشروح كلها، واكتمل حضور سبعة الأقوال المأثورة في ثلاثة شروح فقط، وهي: أقرّب المقاصد، وتعليق لطيف، ومؤصل الطلاب، وجاءت العشرون بيتاً شعرياً كاملةً في شرحين فقط، وهما: أقرّب المقاصد، ومؤصل الطلاب، أما الشواهد القرآنية لابن هشام، فلم يكتمل حضورها في أي شرح من الشروح، كما يتضح ذلك كله في الجدول الآتي:

جدول (٢): الحاضر من شواهد قواعد الإعراب لابن هشام في الشروح

الشروح مرتبة من الأقدم إلى الأحدث زمنياً									قواعد الإعراب لابن هشام	الشواهد
الفَصِيض	حَلّ المَعَادِد	شرح التَّوَجُّوِيِّ	مُؤَصَّل الطلاب	تَعْلِيْق لَطِيْف	شرح الكافِيَجِي	حواشي المَحَلِّي	أَوْتَق الأسباب	أَقْرَب المَقاصد	١٤٣	الشواهد القرآنية
١٣٣	١٣٤	١٣٣	١٤٢	١٤١	١٣٨	٤٤	١٣٣	١٤٢	١٤٣	شواهد الحديث
٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢٠	الشواهد الشعرية
٤	٥	٥	٧	٧	٦	٦	٥	٧	٧	الأقوال المأثورة
١٥٦	١٥٨	١٥٧	١٧١	١٦٨	١٦٢	٥٩	١٥٦	١٧١	١٧٢	المجموع

أما ترتيب الشروح من حيث حضور شواهد ابن هشام فيها، فقد سبقت الإشارة إليه في بداية هذا المقصد في (جدول ٢).

ثانياً: الشواهد التي أضافها الشراح

ونأتي في هذا المقصد إلى الموازنة بين شواهد الشراح التي أضافوها - سوى شواهد ابن هشام الواردة في متن قواعد الإعراب، والتي تباينت أعدادها بين شرح وآخر، ولكنها حافظت على التوازنات النسبية بين الشروح، فظل الاستشهاد بالحديث الشريف قليلاً بالمقارنة مع الاستشهاد بالقرآن الكريم، وتقدم الاستشهاد بالقرآن الكريم على الاستشهاد بالشعر، حيث اقتفى الشراح آثار ابن هشام الأنصاري في هذا الصدد، أمّا حال الاستشهاد بالحكم والأمثال والأقوال المأثورة، فهي على حالها عند ابن هشام، كما هو الحال لدى سائر النحاة في ميدان النحو. ونستطيع قراءة ذلك كله، وغيره - بإذنه تعالى، من خلال الاطلاع على الجدول الآتي:

جدول (٤): شواهد الشراح التي أضافوها في شروحهم

الشروح مرتبة من الأقدم إلى الأحدث زمنياً									الشواهد	
الفَصِيض	حَلّ المَعَادِد	شرح التَّوَجُّوِيِّ	مُؤَصَّل الطلاب	تَعْلِيْق لَطِيْف	شرح الكافِيَجِي	حواشي المَحَلِّي	أَوْتَق الأسباب	أَقْرَب المَقاصد	١٧٢	الشواهد القرآنية
٣١	١٩٥	٦٧	٤٠	٢٢٥	١٣٤	٩٤	٤٦	١٧٢	٧	الشواهد الحديث
٤	٩	٢	٢	١٧	١٢	٥	٥	٧	٨٢	الشواهد الشعرية
٧	٥٨	١٥	٢٧	٥٨	٧٦	٣٩	٤٠	٨٢		

٥	٧	٧	١	١٤	١٢	٤	٨	٤	الأقوال المأثورة
٤٧	٢٦٩	٩١	٧٠	٣١٤	٢٣٤	١٤٢	٩٩	٢٦٥	المجموع

أما ترتيب الشروح من حيث أعداد الشواهد التي أضافها الشراح، فقد سبقت الإشارة إليه في بداية هذا المقصد في (جدول ٢).

المقصد الثالث: في المصادر

نأتي في هذا المقصد إلى الموازنة بين أعداد المصادر في كل شرح -من الشروح التي ندرسها في هذا البحث، مع الانتباه إلى أن هذه المصادر تنقسم إلى قسمين اثنين، فالأول يعود إلى ابن هشام، وهي المصادر التي أوردها هو نفسه في الإعراب عن قواعد الإعراب، ثم أثبتتها الشراح في أثناء تأليفهم لشروحهم، أو أثبتوا معظمها على الأقل، والقسم الثاني، هو المصادر التي استدعاها الشراح أنفسهم، سوى مصادر ابن هشام الواردة في متن قواعد الإعراب. وسنعرض إلى هذين القسمين في البندين الآتيين:

أولاً: الموازنة بين الشروح من حيث حضور مصادر ابن هشام

لم يكتمل حضور مصادر ابن هشام -الواردة في قواعد الإعراب- إلا في شرحين فقط، وهما: أقرب المقاصد، وموصل الطلاب، أما سائر الشروح الأخرى، فقد سقط شيء من مصادر ابن هشام في كل واحد منها، كما نلاحظ ذلك في الجدول الآتي، مع الانتباه إلى أننا احتسبنا عدد المرات التي ورد فيها اسم المصدر:

جدول (٥): حضور مصادر ابن هشام في الشروح

عدد المرات الواردة لأسماء مصادر ابن هشام في								قواعد الإعراب لابن هشام	المصادر	
الْفَضِيضُ	حَلَّ	شرح القَوَجَوِيِّ	مُؤَصِّلُ الطلاب	تَعْلِيْقُ لَطِيْفٍ	شرح الكافِيَجِيِّ	حواشي المحلِّي	أوثق الأسباب			أقرب المقاصد
٢٤	٢٣	٢٧	٤٣	٤١	٢٣	١٣	٣٥	٤٢	٤٣	الأعلام
١	١	١	١	١	١	—	١	١	١	الكتب
٢	٢	٣	٣	٣	٢	٢	٢	٢	٢	القبائل
٢٧	٣٦	٤١	٤٧	٤٥	٢٦	١٥	٢٩	٤٧	٤٧	المجموع

ونلاحظ من خلال هذا الجدول أن كتاب التسهيل لابن مالك الطائفي قد حضر في الشروح كلها سوى حواشي جلال الدين المحلّي، أما أسماء العلماء، وكذلك أسماء بعض القبائل، فقد سقط بعضها في معظم الشروح، ولم يكتمل حضور المصادر كلها إلا في شرحين اثنين فقط، كما ذكرنا أعلاه، وكما هو واضح من هذا الجدول.

ونلاحظ هنا أنّ حضور مصادر ابن هشام كانت أحسن حالاً في الفضيض منها في ثلاثة شروح، وهي: حواشي المَحَلِّيِّ، وشرح الكافِيَجِيِّ، وحلّ المَعَاقِدِ؛ ما يوحي بحرصه على استيفاء المتن المشروح، وحضور عناصره، وهي ملاحظة تحسب للقيصريِّ.

ثانياً: الموازنة بين أسماء العلماء الذين أضافهم الشراح من عندهم

ونأتي أخيراً إلى المقارنة بين هذه الشروح بالنسبة لأسماء العلماء التي أضافها الشراح، غير تلك الأسماء التي اعتمد عليها ابن هشام في كتابه قواعد الإعراب، وقام الشراح بإثباتها في أثناء تأليفهم لشروحهم.

وفي أثناء موازنتنا بين أعداد العلماء في كل شرح، سنحتسب التكرار لكل عالم، على أن تشمل هذه الموازنة على أصنافهم العشرة، كما صنفناهم في مطلب المصادر، وذلك على الصورة الآتية:

جدول (٦): الموازنة بين أعداد العلماء بين الشروح

م.	الاسم	عدد المرات الواردة لأسماء العلماء في									
		أَقْرَبُ المَقاصِدِ	أَوْتَقُ الأسباب	حواشي المَحَلِّيِّ	شرح الكافِيَجِيِّ	تَعْلِيْقُ لَطِيْفِ	مُوَصَّلُ الطلاب	شرح القُوْجُوِّيِّ	حَلُّ المَعَاقِدِ	الْفُضِيضُ	الشروح كافة
	النحاة	٢٢٦	٤٩٤	١٤٨	٢٦٥	٧٢٥	١٢٨	٢٨٨	١١٩	٩٢	٢٥٨٥
م.	الاسم	عدد المرات الواردة لأسماء العلماء في									
		أَقْرَبُ المَقاصِدِ	أَوْتَقُ الأسباب	حواشي المَحَلِّيِّ	شرح الكافِيَجِيِّ	تَعْلِيْقُ لَطِيْفِ	مُوَصَّلُ الطلاب	شرح القُوْجُوِّيِّ	حَلُّ المَعَاقِدِ	الْفُضِيضُ	الشروح كافة
	اللغويون	٩	١٧	١	١٨	٢٢	٣	١٨	٣	٧	٩٨
	الأدباء	٨	٦	٧	٤	١٦	٢	٢	٣	١	٤٩
	البلاغيون	-	٣	٦	٢	٢	-	١١	٣	٢	٢٩
	المتكلمون	١	٢	-	-	-	-	-	-	-	٣
	القراء	٥٩	٣٥	١٠	١٢	٥٢	٣٣	١٢	٦	٣	٢٢٢
	المفسرون	١١	٣٣	١٨	١٩	٢٧	١٣	١٤	٧	٤	١٤٦
	الفقهاء	٧	٧	٤	٣	١٤	١	٤	١	٥	٤٦
	المحدثون	٧	٥	٣	-	١٣	٣	٤	-	-	٣٥
	الصحابة	٩	١٢	٧	٨	٢٢	٤	٩	٧	١١	٨٩
	المجموع الكلي للعلماء	٣٢٧	٦١٤	٢٠٤	٣٢١	٨٩٣	١٨٧	٤٦٢	١٤٩	١٢٥	٣٣٠٢

النسبة المئوية لكل شرح من المجموع العام	١٠,٢%	١٨,٦%	٦,٢%	١٠%	٢٧%	٥,٧%	١٤%	٤,٥%	٣,٨%	١٠٠%
الترتيب من الأعلى إلى الأدنى	الرابع	الثاني	السادس	الخامس	الأول	السابع	الثالث	الثامن	التاسع	×

نلاحظ ذلك الفرق بين الحضور الكبير لأسماء العلماء في أغلب الشروح السابقة، وبخاصة تعليق لطيف، ثم أوثق الأسباب، وذلك الحضور الخفيض لها في الفضيض، ما يدل على قلة حرص القَيِّصَرِيِّ على عزو الآراء إلى أصحابها، وكثيراً ما كان يستعمل عبارة: قال بعضهم^(١)، أو: النحويون^(٢)، أو النحاة^(٣).

ولكن ذلك لا يعني أنه ابتعد تماماً عن العزو، فإذا كان أقل من العزو الخاص إلى العلماء، فقد أكثر من العزو العام إلى البصريين^(٤) تارة، وإلى الكوفيين^(٥) تارة أخرى، كما عزا إلى الجمهور^(٦).

١- انظر: الفضيض ٢٦، ٥٢، ٥٤، ١٢٦، ١٦٠، ١٦٦.

٢- انظر: الفضيض ١٤، ٦٧، ١٢٤، ١٢٩، ١٧٤.

٣- انظر: الفضيض ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٧١، ٧٢، ٨٣، ٨٤، ١٠٢، ١١٥، ١١٨، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٥.

٤- انظر: الفضيض ٧٤، ٨٣، ٩٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.

٥- انظر: الفضيض ٢٨، ٧٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٧.

٦- انظر: الفضيض ٣٧، ٩٨.

أ. د. سعدي الضناوي

أستاذ اللغة العربية – جامعة الجنان

هل نحن معولمون؟

إشارة

أقدم هذا البحث للقراء، لا أدعي فيه الاختراع ولا الإبداع، إنما أنا أنتقي، وأنظّم، وأحاول أن أحسن العرض لأقرب المفاهيم.

إنّ ما كتب عن العولمة كثير، من هذا الكثير أقيمت الاختيار، لأن الأبحاث غالباً ما تخلط الظواهر والمبادئ والنتائج. فإذا ما تكاثرت المؤلفات وتزايدت البحوث لاحقة بركب التطور العلمي، ولم يكن في ذهن القارئ وضوح للمفاهيم، وللأصول والوجوه التي تتحرك وفقها العولمة، تظل الصورة في ذهنه ضبابية.

أذكرُ بأنه انتقاء لا إحاطة، فالإحاطة لها مجلداتها.

نتناول في هذا البحث

أولاً: ماهية العولمة

ثانياً: وجوه العولمة

• الوجه الاقتصادي

• الوجه السياسي

• الوجه الاجتماعي

• الوجه التكنولوجي

• الوجه الثقافي

الخاتمة: هل نحن معولمون؟

العولمة Globalisation

في عام ١٩٩١ ، كتبتُ ، في خاتمة بحث عن المجتمعات الكلية :

« إن التفكير بالبشر أينما كانوا، وبالإنسان، أيأ كانت هويته ، وبالمجتمع الانساني الكلي ، متخلصاً من حدود البيئة وحدود الزمان والمكان، لم يعد غريباً في أيامنا ... فمع التقدم العلمي ، وازدهار وسائل الاتصال والانتقال ، ومع تكثف التقارب بين البشر، وازدياد عدد المؤسسات العالمية التي ترعى الانسان المطلق ، وتعاضل حجمها ، راحت المواطنة العالمية cosmopolitisme تقوى وتشتد ، ويقوى معها إحساس كل إنسان ، أينما كان، بأن حدثاً ما ، في أقصى المعمورة ، يتردد صده في حياته هو ، وأن تخلف بلد ما ، إذا استمر ، يكون وصمة في جبين الانسانية جمعاء. لهذا تتصاعد الآن الدعوات الى التعايش السلمي بين الدول ، وإلى ترك كل مجتمع يختار نمط الحياة ونوع الحكم في داخله ، على أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع الدولي ، دون أن يكون لهذا المجتمع تدخل في الشؤون الداخلية للآخرين ، إلا لتقديم مساعدة اقتصادية أو علمية له ، تساعده على اللحاق بركب التطور.

ولعل أبرز مظهر لهذه العالمية هو الاعتراف بالإنسان ، كإنسان ، أيأ كان لونه أو بلده ، أو دينه ، أو عرقه ، وبحقوقه في الحرية والعدالة والمساواة الاجتماعية.»

هذه الاندفاعية نحو العالمية في ذلك الوقت لم تكن مجلوبة ولا مفروضة ، انما كانت تعبيراً عفويًا عن أمل ورجاء ، داعباً أفكار جيل معين أمل بأن يعم الإحساس بالطمأنينة ، ورجا أن ترتقي الإنسانية الى درجة الأخوة الحقيقية في العالم أجمع.

تلك الفترة كانت مفصلية في تاريخ العلاقات الإنسانية ، أمور كانت تتحضر ومولود العولمة ، الذي قُدِّر له أن يخنق الأمل ويقطع الرجا ، كان في المخاض لم يأخذ بعد لا اسماً ولا جسماً.

أولاً : ماهية العولمة

إننا نتجاوز تعبير «التعريف» ، لأن كلمة «العولمة» رجراجة المضمون ، زلقة المفهوم ، نجدكل من تصدى لتعريفها يستبق التعريف بوصف صعوبته ، منهم «موراي» : «اتخذ المفهوم قوة هائلة ، على الرغم من أنه لم يحدد دائماً بشكل جيد ، أو يقوّم بشكل نقدي في الاستعمال الشعبي أو الأكاديمي ...»^(١) ويحاول «تايلور» فيجد أن العولمة مفهومٌ سلسٌ ومرنٌ جداً ، هو في الواقع زبون

١- جغرافية العولمة ص ١٠ (عام ٢٠١٢)

زلق جداً يصعب التعامل معه»^(١) ويجد دانييلز «أنه مصطلح متنازع عليه..»^(٢)

والسبب في رأينا، أن العولمة متشعبة الأصول، متعددة الوجوه، تصعب الإحاطة بها جميعها.

١ - مرتكزات العولمة

أ- البدايات العنوية البريئة الداعية الى الحوار العالمي. هي تطلعات عند الناس والدول نحو التقارب والتعاون، وطي صفحات الحروب، رافق ذلك تكوّن المؤسسات الدولية الحديثة: هيئة الأمم المتحدة، مجلس الأمن، لجنة حقوق الإنسان ...

ومع التطور في التكنولوجيا، وانضباط الزمان/المكان مع وسائل الاتصال السريع، راجت طريقة «دافئة» في النظر الى العالم تجاوباً مع أصداء «القرية الكونية» لماكلوهان، والنظرة الكوزموبوليتانية: «أن تكون مواطناً عالمياً يعني أن تكون لديك نزعة ثقافية لا تقتصر على الاهتمام بالناحية المحلية المباشرة، بل تعترف بالانتماء والمشاركة والمسؤولية العالمية، مع النزعة في دمج هذه الاهتمامات الأوسع في ممارسات الحياة اليومية»^(٣)

ب- تطور وسائل الاتصال

هذا التطور غير الكثير في حياة الناس. في العام ١٩٨٩ جاء في التقرير السنوي لمؤسسة ماركل الأميركية المهمة بالوسائل: «إن تقارب الوسائط أحدث تغييرات في الاتصالات ... فمع توسيع إمكان إقامة خدمات جديدة عملت الوسائط على تغيير طرق حياتنا وعملنا، وتبديل مدرجاتنا و معتقداتنا ومؤسساتنا. ومن الضروري أن نفهم هذه التأثيرات بغرض تطوير المصادر الالكترونية من أجل مصلحة المجتمع»^(٤)

وكتب فرانك كيلش (عام ١٩٩٥) عن الانترنت: «ليست في الواقع شبكة اتصالات تجارية، كما أنها ليست حتى شبكة اتصالات واحدة بالمعنى الضيق، بل هي بالأحرى عدة شبكات اتصالات فردية وكومبيوترات حول العالم، مرتبطة معاً في كتلة لا شكل واضحاً لها بعد»^(٥)

ج- بدايات قصدية

ظهرت ميول إلى جعل العالم، بدوله المختلفة، وحدة تحت إدارة سائس واحد له. في هذا الاتجاه تأتي تصورات جورج سيل: «إن الحرب العالمية الثانية، أكثر من الأولى، لم يعد فيها ما

١- م.ن ص ٢١ (عام ٢٠٠٢)

٢- م.ن (عام ٢٠٠١)

٣- العولمة والثقافة ص ٢٤٨ والكوزموبوليتانية مصطلح يعني المواطنة العالمية، أصلها يوناني

٤- التاريخ الاجتماعي للوسائط ص ١٤١

٥- ثورة الانفوميديا ص ٢٨٠

يشبه وضع الحرب التي كانت تحدث قديماً بين الدول. إنها حرب أهلية في مجتمع واحد، هو المجتمع الدولي بأسره، ويجب أن يكون مخرجها تنظيم نظام فوق الدول... فالعالم لم يعد بوسعه العيش مجزأً إلى دول متعادلة. إنه ناضج من أجل الامبراطورية الكونية. ومن البديهي أن فكرة الامبراطورية الكونية تقدم التبرير لإرادة القوة الأميركية...^(١)

يتوافق ذلك مع تطلعات فئة من المفكرين ذوي الميول العالمية، كالطوباويين مثلاً، يصفهم ادوارد كار (عام ١٩٥٧) فيقول: «هؤلاء قوم مقتنعون أن للولايات المتحدة الأميركية دوراً تقوم به في المجتمع العالمي بسبب موافقها السلمية والديموقراطية»^(٢) هكذا، فيما كانت الشعوب تتطلع الى التقارب الانساني المجرد، كانت السياسة تتطلع الى جمع اجزاء الكون لتنصيب امبراطور عليه.

د- حلم السيطرة عند الولايات المتحدة الأميركية

لا شك في أن الطموح الأميركي الى الهيمنة بدأ يترسخ بعد الحرب العالمية الثانية. ذلك أن الدول الأوروبية كانت منهكة من الحروب وذيولها في حين كانت الولايات المتحدة في حال راحة وتملك أعظم إنتاج في العالم. لكن نشوء القطب المقابل الذي هو الاتحاد السوفيتي، جعل العالم، موضوع الطموح، ثنائي القطبية، وكان من المستحيل توحيده بعد أن وجد نفسه بين مخالب الحرب الباردة، منقسماً الى كتلتين، متعارضتين، صلبتين، ومغلقتين^(٣) وكان على أميركا أن تتنظر عام ١٩٩١ وانهايار الاتحاد السوفيتي لتغدو لاعبا وحيدا فوق القمم. يقول الدكتور محمد نابلسي: «هذا التوجه للعالم نحو العالمية هو ما يحاول النظام العالمي الجديد استغلاله بأدوات العولمة»^(٤) وتنصيب الولايات المتحدة رمزاً له.

وكتب جيمس كورث: «خلال جزء كبير من القرن العشرين، أدعت الولايات المتحدة قيادة الحضارة الغربية والدفاع عنها، ولاحقاً في اوقات أقرب، راحت تزعم أنها زعيمة العولمة...»^(٥) ويضيف: «من أواخر ستينيات القرن العشرين الى أواخر ثمانينياته ظلت الولايات المتحدة قوة قائدة للبلدان الغربية... وبعد ذلك عادت من جديد قوة قيادية على امتداد نحو عقدين من الزمن (من أواخر الثمانينيات في القرن العشرين الى أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين)

١- آفاق الفكر المعاصر ص ٤٤١

٢- مدخل الى العلاقات الدولية ص ٧٩

3- Introduction aux relations internationales 256ص

٤- سيكولوجية السياسة العربية ص ٢٠٥

٥- الحضارات في السياسة العربية ص ٧٢

بالنسبة الى شيء أطلقت عليه اسم عولمة، وبالنسبة الى نوع من الحضارة الكوكبية، مع عودة دورها القيادي الى أن يصبح مقبولاً. الى حد أو آخر، لدى نخب الأعمال في الحضارة الأقدم»^(١) ولكورث مقطع آخر شديد التعبير: «أدت الموجة الصاعدة من التجارة والاستثمارات المزدهرة في بلدان سائرة على طريق التصنيع، خارج أوروبا واليابان، إلى حفز بعض النخب (الأميركية) على التنبُّه إلى نوع من الحاجة لتطوير عقيدة جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية تكون قابلة للتطبيق على طيف واسع من البلدان والثقافات المختلفة، وربما الصعبة، عقيدة تكون أرحب وأوسع على الصعيدين الجغرافي والثقافي من فكرة الحضارة الغربية، والأفضل أن تتمتع هذ العقيدة الجديدة بأفق كوكبي وكوني شامل...»^(٢)

هـ- نظام العرض والطلب وحرية السوق

فاز المحافظون في إنجلترا عام ١٩٧٩ وجاءت تاتشر الى الحكم، وفازوا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ وجاء ريغان وفُوض ميلتون فريدمان مستشار ريغان وفريد ريش فون هايك مستشار مسز تاتشر إيجاد عقيدة مختلفة اقتصادية مع الحفاظ على الإطار العام للنظام الرأسمالي .

أكد المستشاران «أنه، كلما تمتعت المشروعات بحرية أكبر، بشأن استثماراتها واستخدامها للأيدي العاملة، كان النمو أكبر والمستوى الاقتصادي أعلى للجميع. وبناءً على هذا الاعتقاد راحت الحكومات الغربية، وهي ليبرالية النزعة في غالبيتها، تبذل، في الثمانينيات قُصارى جهدها من أجل تحرير رأس المال من القيود فألغت، على جبهة عريضة، ما كان سائداً من رقابة وتدخلات حكومية،... وراحت تضغط على كل الشركاء... لتطبيق هذا النهج، مهددين بالعقوبات التجارية، وبوسائل الضغط الأخرى»^(٣)

« التبادل الحرّ للسُّلع عبر الحدود الدولية، يؤدي، بحسب رأي دعاة التجارة الحرّة، إلى زيادة الرفاهية لدى كلّ الأمم المشاركة، لذا فإنّ فتح الحدود أمام السلع والأموال، وهو التحرير، وإخراج الدولة من أيّ قدرة على التحكم بالمشاريع والإنفاق، وهو الخصخصة، وتطبيق قانون العرض والطلب، و« هو أفضل الأنظمة المتاحة طراً، غدت الثالثو الاستراتيجي في السياسة الاقتصادية الأوروبية والأميركية.»^(٤)

١- م.ن.ص ٧٧

٢- م.ن.ص ١٠٧

٣- فح العولمة ص ١٨٩

٤- م.ن.

و- الشركات عابرة القوميات أو المتعدّية الجنسيات

بعد الحرب العالمية الثانية شهد اقتصاد الدول الغربية انتعاشاً أدى إلى الزيادة في دخل الأفراد، وبسبب الحرب الباردة، راحت الحكومات الرأسمالية تقدّم الدعم والضمانات لشعوبها، في تحديّها لعودة الاشتراكية. وكل هذا جعل دخل الفرد يفوق حاجته إلى الإنفاق على أمور حياته، فمال إلى الادخار، ومن الادخار كذلك كانت تعويضات التقاعد تودع شركات التأمين أو سواها، كاستثمار. فإذا أضفنا تحرر أسواق المال، عام ١٩٧٠ من الرقابة الحكومية في الولايات المتحدة وألمانيا وكندا وسويسرا، فإننا نفهم كيف، دخلت، عبر البورصات العالمية والمصارف وشركات التأمين وصناديق الاستثمار المالي وصناديق معاشات التقاعد، طبقةً سياسيةً جديدةً مسرح القوى العالمية، ولم يعد بوسع أحد، أياً كان، مشرعاً أو مواطناً عادياً، التخلّص من قبضتها. إنها طبقة أولئك المتاجرين بالعملات والأوراق المالية، الذين يوجهون، بكلّ حرّية، (بسبب تحرير الأسواق)، سيلاً من الاستثمارات المالية متزايداً. وهم قادرون على التحكم برفاهية أو فقر أُمم برمتها...»^(١) فهذه الشركات غدت تتصرف بثروات هائلة (سبعة بلايين مارك مثلاً في ألمانيا تديرها صناديق الاستثمار لهذه المدخرات، وعشرة بلايين أخرى للمدخرات الخاصة بصناديق التقاعد، وذلك بحسب دوتش بنك، ومنذ عشر سنوات) هذه الشركات هي عابرة للقوميات أو للجنسيات أو للقارات لأنها تجمع أموالها من جميع أنحاء العالم وتوظفها في أي ناحية من العالم تكون قادرة فيها على إنتاج بضائع أو القيام بخدمات بشرط أن تتصف بتدني الأجور، وبخلوها من مدفوعات الضمان الاجتماعي ومن تكاليف المحافظة على سلامة البيئة. إنها تخفض في الواقع التكاليف المطلقة التي تتحملها عملية الإنتاج^(٢)، والهدف دائماً أكبر ربح ممكن، كما أنها تؤسس شركات عمل ونتاج في أي بلد، وتنقلها منه حين تشاء.

وفيما تكون هذه الشركات، العابرة للقوميات، لا قومية لها، ولا هوية ولا انتماء، فإن مواقع الكبرى منها في العالم «تتمركز في الثالث العالمي: الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي واليابان»^(٣). إنما الشركات المنتسبة إليها، والتي تؤسسها في مجال البلدان المضيفة، تأخذ هوية وطابع البلد الذي تؤسس فيه، وهي في تزايد مستمر إذ بلغ عددها عام ١٩٨٠ ما يزيد عن ٩٨ ألف شركة منتسبة^(٤). ومع التوسع المتزايد، والإفادة من تكنولوجيا الاتصالات والنقل في اتخاذ القرارات عن مسافات بعيدة جداً، أصبحت بعض هذه الشركات عملاقةً أكبر في الحجم المطلق

١- م.ن.ص ٩٩

٢- م.ن.ص ١٩٢

٣- جغرافية العولمة ص ١٥٢

٤- الشركات عابرة القوميات ص ٨٧

من بعض الدول»^(١) «بل هي ترعب الحكومات وناخبها على حد سواء»^(٢).

٢- الضوابط

إن عملية الانفتاح العالمي ، والانتقال من المرحلة القومية الى العولمة، وإن ظهرت اختيارية وإرادية بهدف إنقاذ اقتصاد البلد القومي أو بغية ازدهاره ،هي عملياً قسرية وإلزامية ، بها ترتبط تسهيلات نقدية، واجتذاب رؤوس أموال ، وتحديث ، لكن هذا كله يتم مع تجاوز للحس القومي والشعور الوطني ، ومع تساؤل لقيمة الدولة ومجالات نفوذها على أراضيها . إنها لأمر يصعب تقبلها إلا بالإكراه .

لا بد إذن للعولمة من عصا تهدد المتردد، وتتناول المخالف بالعقوبات . ولهذا ظهرت مؤسسات عالمية تمارس رقابة دائمة ، وتقوم بالتقييم الدوري ، منها مؤسسات مالية مصرفية ، وأخرى قانونية تجارية ، وغيرها تقويمية ...

أ- المؤسسات المصرفية المالية هي : البنك الدولي ، صندوق النقد الدولي والشركات

العابرة للقوميات نفسها التي بيدها إجراء الاستثمار ووقفه عند الإخلال بشروطه .

• **البنك الدولي للإنشاء والتعمير**، وهو كما يدل اسمه أنشئ بعد الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٤٨) لمساعدة الدول المشاركة فيه على تجاوز آثار الحرب وإعادة بناء النظام، وهدفه المحدد توظيف رأس المال في دعم القوة الإنتاجية ، وبذلك يساهم في تنشيط عالمي للتجارة .

• **صندوق النقد الدولي، International Monetary Fund**، وكما يدل اسمه،

أنشئ عام ١٩٤٨ ليكون مشرفاً على أسعار العملات، ومشجعاً على التعاون النقدي العالمي. والهدف هو أيضاً تنشيط وتطوير التجارة العالمية. كان إنشاؤه في أول أمره، بعد الحرب العالمية الثانية لتنظيم العلاقات النقدية بين الدول الكبرى، بتنسيق التعامل بالنقد وتداوله والعمل على تجنب التنافس المؤذي إلى خفض العملات، وبيع النقد الأجنبي للأعضاء . أما خدمته لتطوير التجارة فتأتي في المساعدة على التخلص من القيود على العملات وهي السبب الأول لإعاقة التبادل التجاري، فضلاً عن تقديم القروض^(٣).

فيما بعد، ومع بدايات العولمة ثم توسعها ونموها، غدا البنك الدولي وصندوق النقد

١- جغرافية العولمة ص ١٥٣

٢- فخ العولمة ص ١٩٢

٣- معجم المصطلحات التجارية والمصرفية ص ٢٢٠

مؤسستين متعددتي الجنسيات لهما دور الرقابة على الالتزام بقوانين العولمة. وذلك يأتي من طريقتين: الأول دور المشورة الفنية في حلّ مختلف الاشكالات المالية، وفي تحديد أسعار العملات ومدى الحاجة إلى خفضها أو رفعها.. والثاني المساعدة في دعم الاقتصادات الوطنية ومدّها بالقروض مع شروط تمكنها من التحكم باقتصاد تلك البلدان ، وهي شروط العولمة التي سيأتي تفصيلها.

ب- المؤسسة القانونية التجارية : منظمة التجارة العالمية WTO

عام ١٩٤٤ عُقدت «الإتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة» GAT بين الدول الأوروبية بهدف تخفيض التعريفات الجمركية وتخفيف الحواجز أمام التجارة الحرة ، وشرطها المعاملة بالمثل إذ يكون التخفيض في التعريفات متبادلاً، ومنع ممارسات الاستحواذ كإغراق الأسواق ... عام ١٩٩٥ حُوّلت هذه الإتفاقية الى «منظمة التجارة العالمية» وأعطيت القوة والسلطات الواسعة لضبط حرية التجارة، مكّمة دور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في دعم الليبرالية والاقتصاد الحر.

عملها مراقبة الدول الأعضاء في مدى اتباعها قواعد التجارة الحرة، تقيّد أحكامها جميع الأعضاء ، ولها القوة الكامنة لتفرض سلطانها على الدول والقوى المحلية التي تنظم البيئة والانتاج والأمن الغذائي^(١)، مغطّية ميادين التجارة في السلع المصنّعة والمواد الخام ، والخدمات الزراعية، وحقوق الملكية الفكرية^(٢)، كما ان لها الحق في فرض عقوبات وغرامات على المخالفين .

ج- مؤسسات التقييم وكالات التقييم والتصنيف الدولية

Credit-Rating Agencies

وهي التي تصنف اقتصادات البلاد النامية ما بين صالح وطالح، وبذلك تقوم برفع قيمة البلد أو خفضها، فيتردد صدى ذلك على حياته الاقتصادية، لأن تقييمها هو الذي يعطي الضوء لتحركات الأموال وتدفقات الاستثمار عبر بلدان العالم. من تلك المؤسسات: ستاندرد إند بورز، موديز ، أيبكا . وينقل محمود عبد الفضيل عن فريدمان أن الهند ، حين أجرت تجربتها النووية، متحدية الإرادة العولمية قررت وكالة «موديز» خفض تصنيف الاقتصاد الهندي من مرتبة الاستثمار، التي تعني أنه آمن للمستثمرين العالميين، الى مرتبة «المضاربة» التي تعني «أنه تكتنفه المخاطر». كما غيّرت وكالة «ستاندرد إند بورز» تقريرها عن الاقتصاد الهندي من «مستقر» الى

١- جغرافية العولمة ص ١٦٢

٢- من الحداثة الى العولمة ص ١٥٦

«سلبى» وذلك من شأنه أن يجعل أي شركة هندية، تحاول الاقتراض من الأسواق الدولية، تدفع أسعار فائدة أعلى...^(١)

تعريف العولمة: هي كل ما جرى عنه الحديث سابقاً وما سيأتي عنه لاحقاً.

وقد سبقت لنا الإشارة الى تشعب أصول العولمة، عسى أن نكون ألممنا بمعظمها، وإلى تعدد وجوه العولمة، وهذا ما نحاول عرضه، فنتناول على التوالي: الوجه الاقتصادي فالوجه السياسي، فالوجه الاجتماعي، فالوجه التكنولوجي، فالوجه الثقافي.

أولاً: الوجه الاقتصادي

تقوم العولمة الاقتصادية على مبادئ الليبرالية الجديدة وأبرزها التجارة الحرة وعدم تدخل الدولة في عمل السوق .

ويعتبر فريدمان، مستشار الرئيس ريغان، منظر المبدأ انطلاقاً من «النظرية النقدية Monetarismus»: «إن حرية رأس المال في الانتقال عبر جميع الحدود الدولية هي التي ستحقق استخدامه الأمثل.. فانطلاقاً من الرغبة في تحقيق أعلى الأرباح ينبغي للأموال المدخرة في العالم أن تنتقل دوماً الى تلك المجالات التي تحقق لها أفضل استخدام. ومن منظور النقديين (أصحاب النظرية النقدية) فإن هذه المجالات هي طبعاً ذلك الاستثمار الذي يحقق أعلى عائد. وبهذا ستنتقل الأموال من البلدان الغنية برأس المال الى المناطق الغنية بالفرص الاستثمارية، الامر الذي يحقق للمدخرين أكبر ما يمكن جنيه من عائد، فيما يكون بوسع المقترضين المقارنة بين مقدمي القروض في أرجاء المعمورة واختيار من يقدم أدنى الفوائد، وذلك بدلا من الخضوع للاحتكارات المصرفية المحلية، ودفع الفوائد العالية لها... في المحصلة النهائية ستكسب (بحسب النظرية) جميع الأمم، لأن انتهاج هذا السبيل هو الطريقة التي ستضمن أفضل استثمار، وأعلى معدلات نمو...»^(٢)

«أصبحت التجارة عنصراً مهماً جداً في الاقتصادات القومية، مع فتح الحدود عبر العالم، مع أن التدفقات التجارية مركزة بشكل متزايد. ففي العام ٢٠٠٢ مثلاً، استأثر العدد الصغير من البلدان الكبيرة بالنسبة الساحقة من صادرات العالم. أهمها الولايات المتحدة (٧, ١٠٪) وألمانيا (٥, ٩٪) واليابان (٥, ٦٪)، وعلى الرغم من اتجاهات العولمة، ما زالت البلدان تميل نحو المتاجرة مع الأقاليم الأقرب لدرجة أن كثيراً من التجارة العالمية هي ضمن المنطقة.. ومن حيث

١- مجلة الهلال، فبراير ٢٠٠٠ ص ٢٢

٢- فح العولمة ١٢٠-١٢١

الأهمية النسبية للصادرات والواردات يوجد أعلى فائض في شرق آسيا والشرق الأوسط...»^(١)
وقد «برزت في نهاية القرن العشرين قضية اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية بين بلدان العالم المتقدم والكثير من بلدان العالم الثالث، كما برزت نظرية العمل على استمرارها والتأكيد على فعاليتها من أجل نمو عملية الاقتصاد العولمي...»^(٢)

أما الشركات العابرة للقوميات فقد غدت (في أوائل هذا القرن) تهيمن على ثلثي التجارة العالمية.. من هنا فإن هذه الشركات صارت محور العولمة، والقوة الدافعة لها بلا انقطاع.. ذلك أن طرق الإمدادات الحديثة، وتكاليف النقل المنخفضة، تمكّنها من توحيد مراحل الإنتاج... فشركة جيدة التنظيم مثل الشركة العملاقة AAB تمتلك ألف شركة موزعة على أربعين بلداً، وتستطيع عند الحاجة تحويل إنتاج كل سلعة تنتجها من بلد إلى آخر في غضون أيام قليلة... هكذا لم تعد البلدان وشركاتها الوطنية هي التي تقوم بالمتاجرة بما ينتج عندها من السلع، وبالتالي ليس أمامها أي فرصة للتفاوض على حصة من الأرباح المتحققة في التجارة الدولية، فيما، بالمقابل، صارت اليد العاملة العالمية هي التي تتنافس على فرص العمل الضئيلة التي يتيحها الانتاج المنظم عالمياً.^(٣)

هكذا تبدو العولمة وبالأعلى دول الجنوب ومصدر تهديد للدول الفقيرة والغنية على سواء... فالبطالة تتفاقم فيها كلها، فيما تزداد باطراد دخول أصحاب الثروات. أجور العمال تتراجع، والمشاريع، إن زادت استثماراتها، فهي تفعل ذلك باعتماد تقنيات متطورة مستغنية عن اليد العاملة البشرية، فتتنامى البطالة أكثر فأكثر، ولا يعود بمقدور الدول، حتى الأوروبية منها، إذا اهتزت، أن تتماسك، فضلاً عن أن تتطور وتتجدد.

هذا وقد اعتبرت الولايات المتحدة الاميركية مركزاً لا منافس له في الابتكار والتجديد التكنولوجي وتراكم رأس المال.. وهي إذ تجعل من نفسها راعية للنظام العالمي في السياسة، تسعى إلى إملاء شروطها على جميع شعوب العالم، غير مغفلة العامل الاقتصادي. وهي تخطط للسيطرة على مصادر البترول في العالم، كما تخطط للهيمنة على حقوق براءات الاختراع، فضلاً عن التحكم في وسائل الاتصالات الدولية، بل وفي الاتصالات نفسها.

ومن جملة اهدافها احتكار انتاج البذور المؤصلة جينياً، لضمان السيطرة على انتاج المواد الغذائية في العالم... والسلسلة طويلة. ونريد هنا أن نذكر بالشروط التي تفرضها المؤسسات المالية العالمية كالبنك الدولي وغيره، على كل بلد يرغب في قرض:

١- جغرافيات العولمة ص ١٢٩

٢- من الحداثة الى العولمة ص ٢٥٤

٣- فح العولمة ص ١٩٢

- أن يفتح مصارفه وأسواقه المالية أمام رأس المال الأجنبي
 - أن يخصص معظم المشاريع والخدمات الحكومية
 - أن يُحظر على حكومته التدخل في عملية السوق الحرة وفي أي نوع من أنواع الحماية للإنتاج أو للعمالة: لا دعم لمواد غذائية أو استهلاكية، لا تقديرات، لا ضمانات إلا في أضيق الحدود ...
 - أن يحرر سوق السلع عنده من جميع عوائق الاستيراد والتصدير (كالتضرائب مثلاً) ⁽¹⁾
- وبذا تتقد الحكومة معظم سلطاتها الأساسية وقدرتها على التحكم في السياسة الداخلية، فكأن هذه السياسة باتت «ترسم» من الخارج، عالمياً.

ثانياً: الوجه السياسي: النظام العالمي الجديد

هل يوجد فعلاً «نظام عالمي»؟ البعض يراه سراباً، والبعض يراه مفهوماً غامضاً، والواقع أنه موجود فعلاً ويحقق وجوده بشكل ممارسات مطلوبة من جميع الدول. تتطلبها المؤسسات المالية التي كبرت حتى تحددت الدول، متجاوزة (متعدية) القوميات، بدعم أو بلا دعم من الدول الصناعية الكبرى، إنها، حتماً، برعاية من أمريكا التي تحمل لواء الديمقراطية والسلام، تلوح به عندما تريد، وتدعو إليه وتدعيه، بصورة دائمة. وفي كل مناسبة، لتقرن صورتها في أذهان أناس العالم، بمبادئ الحرية والديموقراطية. والمؤسسات المتحكمة منها من أخذ مواقع رسمية ظاهرة، ومارس نفوذها علناً، يحيي ويمنع الحياة (اقتصادياً)، يُقرض ويحجب الإقراض، يفرض الشروط، كما يفرض العقوبات، دون أن يخرج عن الإرادة الأميركية: إنها مؤسسة البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

ومن هذه المؤسسات ما يعمل في الخفاء، وهدفه الربح الكبير بل أكبر ربح ممكن، مستفيداً من انفتاح السوق العالمية ليقنص فرص الاستثمار المربح. وهذا شأن شركات التمويل المتعدية الجنسيات، وهي، مع عظم نفوذها، تراعي البنك المركزي الأميركي، أكبر منتج للدولار.

ويرى الدكتور محمد نابلسي «أن النظام العالمي الجديد يعني سيطرة القطب الواحد (الأميركي) بعد نهاية الحرب الباردة»، وأن الاتصال الانساني يبحث دائماً عن التسهيلات والابتكارات التي تدعمه.. وفي مقدمتها إرساء النظم الرمزية القابلة لأن تكون مشتركة بين البشر، هذه النظم الرمزية هي «التي يحاول النظام العالمي الجديد استبدالها بالنظم الرمزية الأميركية، حتى بدأ الاستغلال الأميركي للواقع العالمي الراهن كأنه هو صانع العولمة وموجهها،

في حين أن كل ما يملكه النظام العالمي الجديد هو مجرد محاولات فاشلة لاستغلال توجّه العالم نحو العولمة»^(١)

مرتكزات النظام العالمي

١- الديمقراطية هي مطلوب أول في النظام، وعند قطبه الأول أمريكا . وهو مطلوب عند جميع دول العالم . وربما يتبادر سؤال : ما يهم أمريكا من شعب ارتضى لنفسه حاكماً أو وحده وأحبه، فتريد اجتثاثه وفرض الديمقراطية مكانه ؟ هل هي محبة للشعوب المقهورة المظلومة (في رأيها) ؟ ليس هذا ما تثبته المواقف المعروفة لأمريكا . والحقيقة هي أن الديمقراطية مفهوم غير محدد، باسمها يمكن القيام بكثير من الأمور المتناقضة . والديموقراطية المطلوبة من أمريكا، وهي مفروضة عليها من المؤسسات المالية الضخمة المتحكمة بأسواق العالم، هي أن لا يكون للبلد حاكم يتدخل في كل شؤونه . إن النظام غير الديمقراطية لا يكون سلبياً ولا محايداً ، وربما لا يقبل بانفتاح السوق، وحرية سيلان تدفق الأموال، ولا يقبل عدم التدخل في الانتاج ، ولا بأن يكون مشلولاً عن التصرف في أمور الناس، النظام الديمقراطي هو المرادف لحرية السوق والانفتاح على العالم، وهذا ما يهم أمريكا ونظامها .

٢- الانفتاح الإنساني والدولي في العالم كله .

٣- إزالة الحدود الاقتصادية والمعنوية والثقافية بين دول العالم ، الانتقال الحر والشامل .

٤- حق مؤسسات الرقابة التدخل في الأمور الداخلية في أي دولة لمراقبة الانفاق الحكومي (وترشيده) ، والاستهلاك الشعبي .

٥- تصنيف الدول على كل صعيد وخصوصاً حول مراعاة حقوق الإنسان، والحريات .

٦- إمكان إجراء محاكمات وفرض عقوبات من خلال مؤسسات الأمم المتحدة ، وحتى من خارجها .

٧- الدعوة الى السلام العالمي ، ورفض العنف ، ونبذ اللجوء الى القوة لفض النزاعات .

٨- تحريم استخدام أسلحة الدمار الشامل ، وإنشاء مؤسسات للمراقبة والمتابعة .

٩- حماية الأقليات

١٠- في المال: تحديد أسعار السلع الأساسية عالمياً، تحديداً حرماً عن طريق البورصة

١- سيكولوجية السياسة العربية ص ٢٠٤

(أسعار العملات، المواد الغذائية، النفط، المعادن ..)

١١- النظام القانوني العالمي.

١٢- حماية البيئة العالمية والوطنية

وانضمام الدول الى هذا النظام قد يكون عن طريق معاهدات أممية : لجنة حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل، لجنة حظر انتشار الاسلحة الكيماوية ، لجنة حماية البيئة ، العضوية في محكمة العدل الدولية الخ .. والولايات المتحدة الأميركية، راعية النظام والساهرة على تطبيقه ، تلتزم به في حدود مصالحها ، فهي لا تنضم في اللجان المنبثقة عنه كلها ، فهي ليست عضو في معاهدة الاحتباس الحراري مثلاً ، على ما تشكل هذه الظاهرة من خطر على مناخ العالم.^(١)

المفروض بالأمم المتحدة أن ترعى الكثير من عناصر هذا النظام، بمنظمتها ولجانها الكثيرة. لكن لا بد من وجود مخالف أو رافض، أو مقصّر يستحق الردع أو العقوبة، وربما تصدر أحكام عن محاكمها فتكون الحاجة الى الشرطي. فإذا ما فرضت عقوبة وافق عليها مجلس الأمن بالإجماع ، أو صدرت عن جهة قانونية مفوضة من مجلس الأمن، تتطوع دول لتنفيذها عسكرياً واقتصادياً. وهي عادة الدول الكبرى الراعية للنظام.

والواقع أن أي تحرك من هذا النوع لا يتم، جماعياً أو انفرادياً، بلا موافقة الولايات المتحدة الأميركية، فيما تقوم هذه الدولة العظمى بالتفرد أحياناً، وبمباركة أوروبية، باتخاذ القرارات وفرض عقوبات اقتصادية أو عسكرية على دول ناشزة، بحجة الحفاظ على قيمة الحق والحرية والديموقراطية، وبحجة عجز الأمم المتحدة، وبوصفها الراعي الأول للنظام العالمي. وشيئاً فشيئاً، تقضي هذه العولمة الى سيادة أحادية واجهتها زعيمة العالم، الولايات المتحدة الأميركية، وباطنها الشركات المتعددة الجنسية مع نظامها القانوني الجديد بقواعده وقضائه وجزاءاته.

إن الدعوات الى تزعم الولايات المتحدة العالم المعولم، لم تبق مجرد نظريات ولعلها لم تتطلق من العدم ، ولربما يكون كثير منها تسريباً من الادارة الاميركية، وتمهيداً لتحقيق مخططاتها. هذا المخطط غدا ملموسا في سلوك الولايات المتحدة. فهي تتبنى العمل على خلق الاستقرار في العالم ، ومكافحة الارهاب، وارساء حكم الديموقراطية، واحترام القانون الدولي ، مع الفارق الكبير في الحوافز بين الظاهر والخفي في معظم المواقف. فالمصلحة القومية الأميركية فوق كل شيء، وكل ما يهدد هذه المصلحة تشن عليه حرباً، وهي راعية النظام العالمي الداعي الى

١- بروتوكول وقعت عليه ١٦٧ دولة عام ١٩٩٧ وفي العام ٢٠٠٤ صادقت روسيا على الوثيقة فيما كانت أمريكا قد انسحبت من المفاوضات عام ٢٠٠١ لأن شروطه غير عادلة بالنسبة الى البلدان النامية^{١٩}.. جغرافية العولمة ص ٣٩٧

السلام، تكون حرباً لأجل السلام وباسم النظام العالمي. وحروب أمريكا الحديثة معروفة. وفي الأزمة السورية يتجلى الدور الرائد لأمريكا في قيادة العالم، في مواقف وحتى في تصريحات. فهي القائد وهي الشرطي، وهي المدافع عن الأبرياء والمظلومين، فإذا قصّرت في ذلك فقدت مصداقيتها، وتهدّد أمنها القومي، ظاهرياً خوفاً من تعدي الارهاب، وعملياً خوفاً من اهتزاز صورة القائد الرائد. وتطالعنا تصريحات معبرة في نشرات الأخبار. اذ من الطبيعي أن السياسة العليا للدولة لا يفقهها المواطن العادي، والمواطن الأميركي بالذات قلما اهتم بأمور السياسة. تساءلت عدة مواطنات ومن بينها عضوة في الكونغرس: لماذا أمريكا؟ لم عليها أن تعاقب المجرم، هي من دون سائر دول العالم؟ والجواب يأتي من مستشار الأمن القومي للرئيس السابق بوش، في التاسع من أيلول ٢٠١٣، اذ يقول: «اذا لم تتخذ أمريكا اجراء رادعاً ضد الأسد، ستفقد مصداقيتها حول مركزها القيادي للنظام الأممي»

ثالثاً: الوجه الاجتماعي

١- الإنتماء إذا كانت الظاهرة العولمية تدرس على المستوى العالمي، فإن للوجه الاجتماعي نوعين من التجليات: المواطن العالمي، العالمية للمواطن.

المواطنون العالميون فئة من الناس المنفتحون على العالم كله، وذلك ربما ينسيهم انتماءهم إلى مجتمعاتهم الأصلي. «إن الصحفيين، وخبراء برامج الكمبيوتر، والممثلين يقومون برحلات ويتحملون عنثاً أكثر مما يقوم به ويتحمّله الديبلوماسيون والقائمون على شؤون السياسة الخارجية. يبدأ أحدهم نهار عمله على سبيل المثال، في إحدى المدن المجرية الصغيرة لحل مشكلة زبون أصابه اليأس والقنوط، أو في حديث مثير مع أحد الشركاء، ويكون عسراً على موعد في هامبورغ، وفي المساء يسافر الى باريس للالتقاء بالخطيبة الجديدة التي صارت على أهبة تركه، أما في اليوم التالي فإنه سيكون في المقر الرئيس لشركته المقيمة في مكان ما من هذا العالم الفسيح، ليسافر، من ثم، الى الولايات المتحدة الأميركية أو الى جنوب شرقي آسيا. إن من يحتاج الى بعض الثواني، حين يستيقظ من نومه، ليعي في أي قارة قضى ليلته المنصرمة هو بلا شك واحد من تلك الطليعة، الجوّابة للعالم على نحو دائم»^(١)

وبالمقابل تغزو العالمية الناس في عقر دارهم. فالمعروف أن المواطن يتحمس لفريق بلده الوطني في كرة القدم، أو لفريق من الأفرقة المتصارعة على البطولة، ونذكر بالتعريف الذي كان يتم في مصر عند تلاقي شخصين «أنت أهلاوي ولا زمالكاوي»؟ والآن تجري مباراة في كأس

العالم بين الفريق الانكليزي والالمانى، او البرازيلي، او الاسباني ، فتخرج الجموع في شوارع المدن اللبنانية تزق، وتصرخ، وتزمر، وتحمل اعلام بريطانيا أو ألمانيا أو.. ويشتهر بطل الكرة «بيليه» مثلاً فنتشر في دول العالم صورهم، والقمصان التي تحمل تلك الصور، والأحذية الرياضية التي تحمل اسمه، أو نوع الأحذية التي يعرف ببيليه بلبسها ، هنا احساس يرضي الشاب بأنه يتجاوز حدود انتمائه القريب الى انتماء عالمي ..

والأمثلة لا تحصى، ولن أحاول استقصاءها، فنحن نراها ونلمسها.

والاحساس بالانتماء خارج حدود الوطن والقومية واللغة غداً ممكناً ، عن طريق موقع الكتروني، أو يتخذ المرء على صفحات «فايس بوك» أو «تويتر» أو «يوتيوب» أو سواها من الصفحات، يعرض على موقعه ما يشاء مما يتعلق من أحداث و وقائع وآراء وتعليقات وصور من أي نوع، وفي أي موضوع ، يطلع عليها رواد الموقع من أي مكان في العالم، كما يدخل هو الى مواقع الرواد الآخرين ليطلع على ما يعرضونه . إن ما يمضيه هذا الفرد من وقت عند موقعه، وما يتبادلته من حوار ونقاش ومعلومات مع الرواد ، هو أكبر بكثير مما يحظى به أي مكان أولقاء في محيطه القريب . ولعل احساسه بالطيران فوق الحدود يخفف من كثير من انتمائه المألوفة: عائلية، قومية، عصبية، لغوية ، وربما تتكون جماعات على هذا المستوى الواسع، وربما تغدو مجتمعات عابرة للحدود على نمط الشركات المتعدية الجنسيات ، ونحن نرى أهمية هذا الانتماء على الصعيد الوطني والإقليمي ، ونفهم كيف يمكن جمع هذه الحشود الضخمة من المواطنين ، للاحتجاج أو للتأييد ، فيما بات يعرف بالمليونيّات . ولربما يكون لها دور مفاجئ في أي انتخابات تحصل ويكون فيها دخول أول لعدد كبير من الشباب الى عالم السياسة والانتخاب ، ولا شك في ان هذه المواقع بدأت تأخذ أهمية كبيرة في حياة الجماعة المحلية والعالمية حتى بات للسياسيين مواقعهم و أيأ كانت مراكزهم من الرئاسات العليا الى الطامحين .

ب- أثر الاقتصادي في الاجتماعي:

١- إن تحييد الدولة عن إدارة عجلة الاقتصاد وضبط تجاوزاتها، والخصخصة الواسعة التي رهنت الكثير من مقدرات البلد للشركات الأجنبية، وخفض الدعم والضمانات الاجتماعية ، مع صرف اليد العاملة واعتماد التكنولوجيا، هذه آفات أحدثت في جسد مجتمع البلدان النامية تفككاً وانقسامات، ونقمةً واضطراباً، كما أن الفروقات الثقافية بين دول الشمال ودول الجنوب واختلاف التطلعات والأهداف خلقت حالة من عدم الاستقرار، فتكررت الأزمات السياسية، وتعددت مناطق الصراع الاقليمي في العالم. عوضاً عن الرفاه الموعود ، بات الانسان في البلدان النامية مضطرباً نفسياً ، قلقاً معيشياً،

يجهد في تأمين ما يلبي حاجاته الضرورية، فاقداً الثقة في الدولة التي تلزمها شروط وفاء الدين بقره واضطهاده، فالقرار يعود الى المؤسسات متعددة الجنسيات، أو الشركات المتعدية الحدود.

٢- تزايد التوترات الاجتماعية وتتصاعد وتيرتها في مختلف أنحاء المعمورة:

في البلدان الصناعية المتقدمة يتزايد العداء للأجانب، وهذه عنصرية جديدة تسببها المزاحمة على مورد الرزق لأن المؤسسات المُقرضة أو المنتجة، في سعيها الى زيادة الربح، تبحث عن اليد العاملة الرخيصة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالاجنبي الذي يدخل البلد، إن لم يعمل ويُقد من خيرات هذا البلد، يكون عالة عليه، ويتمتع بما يقدمه البلد من ضمانات، وربما انصرف الى تعاطي المخدرات أو الانخراط في عالم الجريمة، وقد باتت الجريمة، كأى مؤسسة أخرى في مجال النظام الحر، تموّل بلا رقابة أو حواجز فاعلة. يقول أحد موظفي الإنترنت: «إن ما هو في مصلحة التجارة الحرّة هو في مصلحة مرتكبي الجرائم أيضاً. بحسب تقديرات مجموعة خبراء شكلتها الدول الاقتصادية السبع الكبرى عام ١٩٨٩ ارتفع حجم المبيعات من السلاح في السوق العالمية الى عشرين ضعفاً خلال عشرين عاماً، أما المتاجرة بالكوكايين فقد ارتفعت إلى خمسين ضعفاً، ومن هو قادر على المتاجرة بالمخدرات يستطيع، بلا ريب، المتاجرة بكل شيء آخر ينافي القوانين»^(١)

ثم راحت فكرة الإرهاب، القادم مع الاجنبي، تدخل في التداول، يروّج لها العنصريون الجدد، وكثر الضغط الشعبي على الحكومات الأوروبية عامة للحد من قبول المهاجرين، وقد غدا هذا «الحد» أحد الشعارات، يتبنّاه مرشحون إلى المناصب التمثيلية أو الرئاسية.

إن تهميش المستضعفين، بلداناً وأفراداً، غدا سمةً غالبيةً في النظام العالمي الجديد. فعندم تدخل الشركات المُقرضة أو المستثمرة سوقَ بلد، فهي تدعى الرغبة في الاستثمار وجني الأرباح. وهذا يكون لمصلحة البلد ولمصلحة الشركات. وهذا، إن تمّ بصورة عادية يؤدي الى أرباح مشروعة ومحدودة، فيما تتطلب هذ الشركات الأرباح الضخمة، لذلك يكون على السوق التي تدخلها أن تكون الضرائب على عائدات الاستثمار فيها شبه معدومة، وكلفة الإنتاج في غاية الانخفاض، وهذا يُترجم استخداماً للتكنولوجيا وحصر الحاجة الى اليد العاملة في أدنى حدود، وأن تكون معدلات التضخم متدنية، والعملة محافظة على سعر صرفها، وهذا يعني عدم وجود فائض مادي بين أيدي الفئة المستهلكة، وهي الطبقة الوسطى على الخصوص والطبقة دون الوسطى، وهذا يضمنه أمران: خفض العمالة الذي أشرنا اليه، وتخفيف الضمانات والمعونات الحكومية على اختلافها للمواطنين، ثم إلغاء الدعم على السلع الاستهلاكية (النفط مثلاً)، والغذائية (القمح مثلاً).

كل ذلك يؤدي الى تهالك المتماusk ، وإفقار المتهاالك ، فيما الطبقة الثرية يزداد ثراؤها لالتحامها برأس المال الوافد.

وردة الفعل الطبيعية ضد البطالة والافتقار والتهميش هي واحدة حتى في الدول الكبرى. لأنها تمارس سياسة التجارة الحرة . هذه الردة تكون على وجهين : سلبي وإيجابي . في الوجه السلبي نجد اليأس من الحاضر وعدم الثقة بالسياسة والسياسيين ، ومقاطعة الانتخابات . فعدت نسبة خمسين بالمئة من الناخبين مستوى ناجحاً ، وربما حتماً بعيد المنال^(١).

وفرض العمل الضائعة ليست محصورة في قطاع الانتاج ، بل إن قطاع الخدمات غدا مهتداً ، والوظائف المكتبية عرضة للتقلص مع تزايد المكننة . «وأضحت الأعمال التي كان المرء يرى فيها مهنة سيستمر العمر كله في تأديتها ، مجرد فرص عابرة . ومن كان بالأمس متخصصاً في مهنة ذات مستقبل واعد غدامهدداً أن تتحول كفاءاته ودراساته وتدريبه قدرات لا حاجة اليها»^(٢) وهذا نشهده بوضوح في قطاع المصارف التي كانت تتوسع فتفتح الفروع في الملحقات وحتى في البلدان الأخرى . فأصبحت الحاجة الى المكاتب والموظفين محدودة بعد أن غدا بإمكان الزبون ، اينما كان في العالم ، القيام بأي عملية مصرفية من حاسوبه الشخصي ، بل من هاتفه الذكي .

وحتى الوظائف الحكومية تغدو لا دائمة ولا ثابتة . ومبدأ الصرف من العمل لتخفيف الأعباء وارد عند الدولة التي تخضع للاقتراض من المؤسسات المالية المتعددة الجنسية . ويمكن للصرف أن يسهل ويسوِّغ بالاستعانة بالحواسيب . وهذا ربما يفسر لنا قراراً اتخذته الحكومة اللبنانية منذ سنوات قليلة ، بالإقلال من الموظفين الثابتين والاستعاضة عنهم بالمتعاقدين ، الامر الذي قامت القيامة عليه فُغِّصَ النظر عنه في حينه ، لكنه ربما يعود الى الظهور ، لأن خفض عدد الموظفين من شروط البنك الدولي لخدمة الدين ، والاستغناء عن المتعاقدين أهون من صرف الموظفين الدائمين ، ناهيك عن قلة الخدمات والضمانات التي تُقدِّم للمتعاقدين بالنسبة الى ما يناله الموظفون الدائمون ... إنها العولمة .

رابعاً : الوجه التكنولوجي : التواصل والاتصال

«في كاليفورنيا ، في الرابع من مارس ١٩٩٦ ، وهو يوم «الشبكة» ، «من أيام المجاز» ، وقع الحدث الرمزي الكبير حيث اشترك كلنتون وغور مع آخرين ، منهم رئيس الوكالة الفيدرالية للاتصالات FCC ، في تركيب أسلاك تلفونية تربط فصول مدارس كاليفورنيا بالانترنت وواعد الرئيس بأن كل فصول المدارس الأميركية سيتم ربطها بالانترنت قبل حلول القرن الجديد ، عن

١- في الانتخابات الرئاسية الاميركية عام ١٩٦٠ بين كندي ونكسون ، لم يصوت سوى ٧٠,٧٪ من مجموع الناخبين ، وفي عام ١٩٩٢ لم يصوت لمصلحة كلينتون سوى ٢٤,٢٪ (م.ن ص ٢٨٢)

٢- م.ن ص ١٧٢

طريق شبكة البنية التحتية المعلوماتية القومية. جاء ذلك في الوقت الذي وصف بها فيه وزير التعليم في حكومة كلينتون بأنها «سيورة المستقبل»^(١)

دخلت الانترنت بقوة عالم التربية والتعليم، ولا تزال تتغلغل فيه حتى غدا الحديث عن المدرسة بلا صفوف ولا كتب أمراً عادياً .

والواقع أن الحاسوب والانترنت كان القمة التي وصل اليها تطور الوسائط، انما هذه الوسائط كانت موجودة وكانت فاعلة في الأفراد والجماعات. «فالتلفزيون والفيديو، وألعاب الفيديو، وأجهزة الحاسب الشخصية تشكل جميعها نظاماً الكترونياً شاملاً تتداخل أشكاله المتنوعة لتؤلف عالماً بديلاً ومطلقاً، يدمج المشاهد/المستخدم بشكل متفرد في دولة غير مركزية مكانياً يضعف فيها تأثير الزمان، متحررة من المادة الى حد بعيد»^(٢)

والذي حاذى الانترنت والحاسوب في الأهمية، ثم انضم الى العائلة فبات جزءاً منها وابناً باراً متفوقاً «ذكياً» لها، هو الهاتف الخليوي. في العام ١٩٨٢ رخص في الولايات المتحدة الأميركية لأول هاتف محمول. وفي العام ١٩٨٩ بلغ عدد المستخدمين المليون. لكن الازدهار جاء بعد ذلك فقد راحت الأعداد تتزايد في أوروبا وآسيا، كما في الولايات المتحدة، ففي بريطانيا كان عدد المستخدمين ستة ملايين عام ١٩٩٦، وفي العام ٢٠٠٠ بيع ما لا يقل عن ٢,٥ مليون تلفون محمول يعني ذلك بيع جهاز تلفون كل ثانيتين. فكتبت إحدى الصحف عنواناً: «نصف الأمة أصابه جنون التلفون: وعنواناً آخر «الوقوع في غرام التلفون المحمول». وكانت بريطانيا في هذه الفترة متقدمة على الولايات المتحدة، في حين كانت فنلندا وإيطاليا متقدمتين على بريطانيا.^(٣)

ونحن نرى كيف يواصل الهاتف المحمول تطوره السريع المذهل ليغدو مع صفر حجمه المتزايد مجموعة أجهزة تواصل، وسكرتاريا، ومنظم عمل شخصي، ومسليا، تقدم من الخدمات ما كان مجرد حلم. بل ربما سبق جميع الأحلام.

تكنولوجيا :

ننقل فيما يلي مقطعاً من كتاب ثورة الانفوميديا. المنشور عام ١٩٩٥ يذكر فيه توقعات للمستقبل: «لن تحتاج الى وجودك في المنزل لكي تعرف ما يفعل الأطفال، كما لن تحتاج أن تكون داخل منزلك لكي تغلق النوافذ اذا ما امطرت السماء... ولنفترض أنك قمت برحلة ونسيت أن تغلق إحدى النوافذ، بل وتركت الباب مفتوحاً... ما عليك إلا ان ترفع سماعة هاتفك وتتصل

١- التاريخ الاجتماعي للوسائط ص ٢٢٨

٢- م.ن.ص ٤٠٧

٣- م.ن.ص ٢٨٦

بالمنزّل (بالمعنى الحرفي) وتأمّره بإغلاق النوافذ والأبواب .. ستصبح حجرات المنزل وكأنّها تحسّ بمن يشغلها، ويتحدّد الجو العام داخل كل حجرة بحسب طبيعة الحجرة نفسها ومن يتواجد فيها، والجو العام في المحيط، فإذا كان اليوم مشمساً .. تفتّح النوافذ من تلقاء نفسها لتسمح بدخول نسيم الهواء العليل، ويأخذ التلفزيون في بثّ أخبار عن الطقس وغيره .. وبمجرد ما ترتفع درجة الحرارة والرطوبة تسارع النوافذ بالانغلاق وتسدّل الستائر تلقائياً وتبدأ أجهزة التكييف بالعمل ... وسيشهد المستقبل قدرة منازلنا على الاستجابة لأصواتنا، تماماً مثل الكومبيوترات والتلفزيون .. سنقوم بإصدار الأوامر للنوافذ بأن تغلق وحدها ولكي نحدّد نوع الجو الذي نرغب أن يسود الغرفة ما علينا إلا أن نخبر بما نريد ... »

طبعاً كل ذلك عن طريق كومبيوترات وموتورات مؤازرة . ونحن نرى أن الكثير من هذه الشطحات الخيالية تتحقّق، طبعاً في البلدان المتطورة، فعدا الصراف الآلي يتعرف الى الزبون من صوته أو من نظراته وبصمة عينه، فكل شيء يمكن أن يستجيب للأتمته حتى ان الحاجة الى الرجل الآلي تتضاءل. والمتابع لأخبار هذا التطور، إذا استطاع اللحاق بأخباره، يسمع الكثير.

الإعلام: والوسيط الآخر الذي يخالط حياتنا اليومية هو الإعلام.

فوسائل الإعلام لم تعد تنقل إلينا خبراً عن حدث جرى ومرّ عليه زمن، أيّ زمن، بل أصبحنا نعيش الحدث، لحظة الحدث، نعاين ما يجري، ونسمع ما يقال، ويتم حوار ونقاش مع العاين أو المراقب أو المسؤول، ويمكننا نحن المشاهدين المشاركة وطرح الأسئلة وإبداء الرأي، أيّاً كان الحدث وفي أي منطقة من العالم . هنا لا يعود العالم قرية بل يصبح كأنه غرفة منزل

ولأن الإعلام غدا بهذه القدرة، ولأن أدوات المتابعة غدت سهلة الاستعمال، وبمتناول معظم الناس، ما عدا المعدمين وسكان البلاد الفقيرة المنهكة بالحروب والجوع، كما في بعض نواحي أفريقية، فإن الإعلام غدا سلطة، لا السلطة الرابعة كما سميت الصحافة، بل هو السلطة الأولى في بعض الأحيان، يشكل الرأي العام برؤية من الزاوية التي تناسبه فيثير، ويجمع، ويحفز، وقد يجيئش ويساعد في بناء المواقف وتحريك الجماعات في اتجاه أو آخر. وهذا ما يجعل دوره، المشكور في ربط أجزاء المعمورة، وتقريب اهتمامات الناس في انحاءها المتفرقة، وتعميم الإحساس بالأخطار والمشاركة في المصائب، هذا الدور يلامس الخطر، ويحرك الكوارث، وغدا بعض رجال الإعلام معروفين، كالممثلين ورجال السياسة، وغدوا محبوبين أو مرهوبين الجانب، يحاورون السياسة وأصحاب المراكز وحتى الرؤساء، فلا يتخلف أحد عن حوارهم، ويتقبلون قساوتهم وتعنتهم في بعض الأحيان، فأى سلطة لهم ؟

نحن لن ندخل في بحث مفصل عن الوسائط. ولكن مما لا شك فيه ان التلفزيون هو الوسيط الإعلامي المميز، ولقد غدا عريقاً في هذا الدور، وتزايدت قيمته بعد إنشاء محطات البث بالأقمار الصناعية، وعُرفت الفضائيات، فتحوّل دور التلفزيون من وسيلة تسلية، ثم تعليم وترفيه، الى دور كائن حيّ، فرد من العائلة في كل بيت، وربما في كل غرفة من بيت، انه يعني «معايشة العالم في غرفة المعيشة الخاصة بالفرد». وهو في علاقة غاية في الحميمية مع الجهاز، يجلس اليه وهو مرتاح في مكانه المفضل وبطريقته الخاصة في الاسترخاء، منفصل عن ألم أو حرارة أو رائحة ما يدور على الشاشة ويراه ويسمعه .. ثم إن فضولية الحاسوب جعلته يدخل في صميم التلفاز، فيعطي نمودجاً مركباً يجمع الى دور التلفاز السلبي في النقل، امكانية للتجاوب مع رغبات المشاهد في التوقيت وفي قدرة هذا المشاهد على الاتصال بمركز البث والتدخل في السرد والحوار.

وللتلفزيون دور تربوي مهم في توحيد أساليب التدريس على مستوى الوطن كله، هذا فضلاً عن كونه أداة تربوية جيدة الأداء تجذب حواس التلميذ المتعددة، وقد غدا وسيلة سمعية بصرية عادية حتى في أبسط المدارس .

إن التطور الذي يصيب الوسائط يجعلها وسائل سفر من الدرجة الأولى، ولا نقصد هنا السفر بوسائل النقل، ولكن سفر القابع في مكانه. «فبالنسبة الى أكثر الناس، ومعظم الوقت يُستشعر تأثير العولمة من خلال البقاء في المنزل، وليس عن طريق الارتحال. هكذا نتحدث عن الفرق بين السفر فعلاً الى أماكن بعيدة وبين السفر اليها عن طريق التحدث عبر الهاتف، أو الكتابة باستخدام لوحة المفاتيح الخاصة بجهاز الكمبيوتر، أو مشاهدة التلفاز»^(١)

إن تفاعلنا الروتيني مع وسائل الاعلام يغيّر عوالمنا الظاهر فيه « فعلى الرغم من أن الكل يحيون حياة محلية، فإن العوالم الظاهرية هي في أكثرها عالمية في الواقع... ولم يعد العالم الظاهراتي يحاذي الإطار المعتاد الذي يتحرك خلاله أحد الأفراد مادياً إلا في حالات قليلة جداً»^(٢)

والملاحظ أن الظاهرة العالمية تتوغل في صميم شبابنا، فلا يعود يكفيهم المحيط الذي يعيشون فيه، بل هم يرغبون في إقامة علاقات حميمية مع آخرين في بلدان بعيدة، قد يكونون أشخاصاً عاديين، فيحسب الشاب أصدقاءه الذين يحيطون به، وأصدقاءه الذين يزورون موقعه

١- ثورة الانفوميديا ص ٤٤٦-٤٤٧

٢- العولمة والثقافة ص ٢٠٤

على الفاييس بوك أو غيره، وأصدقاءه الذين يتواصل معهم عبر الانترنت، وقد يطمح الى الاتصال بأشخاص مشهورين، ممثلين، سياسيين، مذيعين، مطربين، فيجد الأمر عادياً لأن لهم جميعاً مواقعهم الإلكترونية، ومجموعتهم من الأصدقاء أو المعجبين أو المؤيدين، وتُرفع الكلفة بين الجميع.

إن التغيير المتسارع في الوسائط، ودخولها صميم حياتنا بلا استئذان، تجعل لكل جيل من أبنائنا عالمه، بمفهومه الخاص، بكثير من أنماط السلوك التي لم يعرفها الجيل السابق، والتي قد يخالفها الجيل اللاحق الى انماط خاصة به. يكتب جوشوا ميروفتز: «أن تكون اليوم غير متصل يعني أن تكون شاذاً... وأن يعيش الشخص في مكان لا يوجد فيه هاتف أمر كثيراً ما يفهم على أنه إهانة ضمنية للأصدقاء والأقارب وزملاء العمل، كما انه قد يُنظرُ الى ترك السماعه مرفوعة، بعيدة عن الحامل الذي تعلق عليه، على أنه تصرف مزدبر للبشر. ويتوقع من العاملين في بعض المهن أن يحملوا أجهزة تبنيه تجعل من الممكن الوصول اليهم في أي وقت، وأينما يكونون ومهما كانوا يفعلون^(١) ويرسم ماك لوهان هذه الصورة المعبرة:

« يفهم كل من الطفل والمراهق الهاتف، ويعانق السلك وسماعة الأذن كما لو كانا حيوانات أليفة محبوبة...»^(٢)

والحميمية التي كانت مطلوبة عند الحديث الهاتفي لم تعد من نمط هذه الأيام، فحامل الهاتف الخلوي يسير في الشارع متحدثاً بصوت مرتفع وكأنه وحده في غرفة مغلقة. فالاستخدام الشائع للهاتف النقال غدا غير واع، في السيارات في الحافلات، في المطاعم، كما في الشارع، في غرفة النوم كما في الحمام.

لقد حدث تغير ثقافي عدل مفهوم الحميمية المتواسطة، فالحديث مع الآخر، حتى الحميم جداً، يمكن ان يتم بوجود غرباء، دون أي منع أو كبت او حرج.

خامساً: العولمة والثقافة:

«تقع العولمة في القلب من الثقافة الحديثة، وتقع الممارسات الثقافية في القلب من العولمة.. هذا لا يعني أن العولمة هي المحدد الوحيد للتجربة الثقافية الحديثة، ولا أن الثقافة هي، بمفردها، المفتاح المفاهيمي الذي يفكك مغالقات القوة الدينامية الداخلية للعولمة... إن العمليات التحولية الهائلة لعصرنا الحديث، والتي تصفها العولمة... تغير نسيج التجربة

١- م.ن ص ٢١٨

٢- م.ن ص ٢٢٢

الثقافية وتؤثر ، في الوقت ذاته ، في إحساسنا بالهوية الحقيقية للثقافة في العصر الحديث ...»^(١) هذا التأثير هل هو محمود أو هو مشبوه ؟ إنَّ العولمة هي الأدوات و الوسائط و الأهداف . بالنسبة الى الوسائط يرى الدكتور محمد نابلسي أنَّ الوسيط الأول كان اللغة ، و « أن اللغة دعمت ارتقاء العقل البشري وحققت للذكاء الإنساني قفزة مقررّة لأنها مكّنته من تحقيق الاتصال بأقرانه . وبمراجعة تطور وسائل الاتصال نجد أن كلاً منها ساهم في تحقيق زيادة ملحوظة إحصائياً في معدل الذكاء البشري . فمن الطباعة الى الراديو ، فالسينما ، فالتلفزيون ... الخ كانت كل وسيلة من هذه الوسائط تساعد الإنسان على طرح أسئلة جديدة حول معلومات جديدة ، وبالتالي فإنها ساعدته على دعم معدل ذكائه وأسلوب توظيفه لقدراته العقلية . وعليه فإن من الطبيعي أن يقترن ظهور الكمبيوتر والإنترنت بتوقع علماء النفس تحقيق قفزة نوعية هامة للذكاء البشري ...»^(٢)

هذا صحيح ، وأضيف ، مميّزاً بين الإنترنت والكمبيوتر وبين العولمة ، إن الإنترنت وسيلة ، وسيط من الوسائط ، والعولمة هدف وغاية . فالوسيلة يستخدمها الجميع ويفيدون منها ، ومن إمكاناتها الهائلة في عالم المعلومات من تخزين ونقل وبرمجة وتبويب ، وفي التعليم ، وفي الترفيه ، وفي الاقتصاد ، وفي الأعمال ... وكلُّ يضع فيها أو يحملها ما يريد ويأخذ منها ما يريد . عن طريقها يحصل تواصل وتأثيرٌ وتأثرٌ . أمّا العولمة الحقيقية فليست كما تبدو في ظاهرها البريء ، ليست مجرد انفتاح عالمي ، كما كان يُؤمّل للجوار العالمي ، إنما هي خطة عمل هادفة ، لها قطب مهيم فاعل يقوم بتسويقها على أنها برنامج تألف وتقارب بين الشعوب والأمم ، ووسيلة رفاه لهم جميعاً ، فيما يهدف منها الى فتح أسواق البلدان وأجوائها الاجتماعية والثقافية والنفسية ، فضلاً عن المالية والاقتصادية ، أمام الشركات والمؤسسات المالية المتعدية الجنسيات ، يُخضع العالم لأهوائها في جني الأرباح وينشر فيه ثقافة الاستهلاك . إن من أهداف العولمة إلغاء الهوية الوطنية للشعوب واجتذابهم الى قومية عقلانية هي قومية الغرب وعقلانيته ، وتفسيرهم من عقلهم وإقناعهم بقصوره . إن نسخة الغرب العقلانية تقوم على عدم الاعتراف بأية مكتسبات من الماضي عند الشعوب ، فتدعو الى التخلص من جميع المعتقدات والأنظمة السياسية والاجتماعية عندها ...

ونحن لن نناقش آثار العولمة في الثقافة الشاملة ، أي في جميع نواحي التراث الثقافي ، فهذا بحثٌ طويل وقد كتب فيه الكثير . سنكتفي بالإشارة الى ما يمكن للوسائط المتطورة للعولمة إحداثه كتنقلة نوعية في بعض ظواهر التراث الثقافي ، مستعينين باقتباس مقولات من باحثين جادين ، ونتناول بصورة خاصة وجهين من التراث الثقافي في المستوى القابل للتغيير وهما :

١- العولمة والثقافة ص ٩

٢- سيكولوجية السياحة العربية ص ١١٧

التواصل واساليب التعليم ، كما نتناول وجهاً من المستوى القابل للثبات في التراث، وهو اللغة.

١ - التواصل:

لا شك في أن وسائل الاتصال السريع عن طريق الانتقال الجسدي، أو عن طريق النقل الإلكتروني للمعلومة، تحقق ما أشار اليه ماركس على أنه إفناء المكان بالزمان، وما دعاه دايفيد هارفي «انضغاط الزمان-المكان»^(١) فالزمان بات يقضم المكان ويخلخل أبعاده . من الممكن مثلاً القيام برحلة حول العالم في يوم واحد فقط على خطوط الطيران التجارية، فيما كانت الرحلة قبل أقل من خمسين سنة من انجلترا الى أستراليا تأخذ أسبوعاً تقريباً . في العام ١٨٧٠ كان على البريد الأريضي أن يسافر سبعة أيام من لندن الى نيوزيلندا فيما في البريد الإلكتروني أو في التواصل عبر الفيديو ، أصبح التواصل فورياً^(٢) إننا نعيش ، لو صدقتنا المقارنة المبالغ فيها، في «قرية عالمية» بحسب تعبير مارشال ماك لوهان، وهذا يعني تمديد التقارب الذي يتأتى من شبكة العلاقات الاجتماعية عبر قطاعات كبيرة من الزمان-المكان يجعل الأحداث البعيدة تخترق تجربتنا المحلية ، وهو يعني فهم الكيفية التي يمكن أن يتعرض بها شخص ما للبطالة نتيجة قرارات «تقليص العمالة» التي تتخذ في المقر الرئيس للشركة المالية المقرضة ، والذي يقع في قارة أخرى... واحساسنا بالانتماء الثقافي « للوجود في وطن » قد يصيبه تعديل خفي بفعل اختراق أجهزة الإعلام المعولمة حياتنا اليومية .^(٣) إن فكرة الانتماء الى وطن وثقافة قد اهتزت مع تزايد انضغاط «المكان» وضعف الاحساس بحدوده، يقول ميروفيتز: « لقد قلل التطور في وسائل الإعلام من أهمية الوجود المادي في تجربة الناس والأحداث ... الآن أصبحت الأماكن المقيدة مادياً أقل أهمية لأنه صار بإمكان المعلومات التدفق عبر الجدران، والإندفاع عبر المسافات الشاسعة»^(٤) إن وسائل الإعلام غَدَّتْ إمتدادات مكانية للحواس البشرية، والدوائر الكهربائية تغلبت، كما يرى ماك لوهان ،على نظام الزمان والمكان، وهي تمطرنا، بشكل مستمر وفوري، باهتمامات ومخاوف جميع البشر...^(٥)

إلا أن الوسائط لم تبق على هذا الوضع السلبي، الفرد لم يعد مجرد متلق لـ «مطرة» ثقافية أو معلومة، لقد غدا قادراً على الاختيار، نظراً إلى محيط المعلومات المتعدد الأهواء والثقافات

١- العولمة والثقافة ص ١١

٢- جغرافية العولمة ص ١١

٣- العولمة والثقافة ص ٢٠-٢١

٤- العولمة والثقافة ص ٢٠٨

٥- م.ن

المتوافر على الشبكة^(١)، بل غدا بإمكان أي إنسان، صغيراً كان أو كبيراً، أن يدخل إلى الصفحة الالكترونية لأي رئيس دولة في العالم، ويسجل رأياً في حدث أو موقف، بل غدا الأمر مع إختراق الواقع الخائلي لجميع الحدود بما فيها حدود الحجم والصلابة والجاذبية، فغدا حفيدي مثلاً قادراً على إستحضار بلاط هارون الرشيد والتجول بين ردهاته، والتصرف فيها كخليفة بجميع الأحاسيس المصاحبة لذلك. فأين عالمي الثقافي من عالم حفيدي؟

هذه الحركة للصور والرموز التكميلية، والتمدد الهائل لطرق التفكير وطرق التواصل، ليس لها مثل في التاريخ... ليس هنالك ما يعادل تاريخياً الامتداد العالمي وحجم الحركة الثقافية من خلال بنيات الإتصالات. انما ذلك إلى أين؟

يرى البعض أن العولمة هذه تقود حتماً إلى التجانس الثقافي، وهنالك من يرى، كما يدعي «بيتراس» (١٩٩٢) أن الثقافة العالمية مرتبطة مباشرة بالولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا أهداف سياسية وإقتصادية، وهو جزء من جغرافية الرأسمالية السياسية.^(٢)

٢- التعليم :

ان الولد الذي يصل الى الحاسوب في بيته، أو عند جيرانه، أو في المقهى الالكتروني، لم يعد من المعقول أن يُحصر في فصل، بين جدران عازلة، ويطلب منه البقاء ساكناً لتلقي العلم من مدرس يتحكم به ويملي عليه ارادته. إن الجلوس أمام الحاسوب يمنحه حرية اختيار، ومجالاً من التنوع، وامكانية التنقل الذهني، أو الانفعال امام ألعاب الفيديو، والحماس .. إنَّه حياة حافلة بالنشاط الذهني والحركة.

إن التفاعل مع الصور المرئية، وامكانية التحكم بها تستهوي أولادنا، فالصور المرئية هي بالنسبة اليهم «حلول عقلية» ذات نكهة لا تقاوم. فهم يميلون اليها، ويتمتعون بقدر «مدهشة على استيعاب الصور، وعلى التفاعل مع المرئي والمسموع، وهذا غداً أمراً معروفاً. والكومبيوترات تهَيء للطلاب ميادين واسعة، وتمكنهم من الوصول الى المصادر والشخصيات اينما كانوا خارج قاعة الدرس، كما تمكنهم من مشاهدة اشياء متعددة في وقت واحد ومناقشتها، منفردين أو في مجموعات .

«وتتيح الكومبيوترات المتصلة بشبكات، لجميع الأفراد والأسر والطلاب والمدرسين والمسؤولين الاداريين أن يعيدوا النظر في مصطلح «المدرسة» فبدلاً من التفكير في أمر المدارس ستمكّن تلك الأجهزة عملية التعليم من أن تتم خارج الفصل المدرسي. في فصل افتراضي حيث

١- جغرافيات العولمة ص ٢٧٧

٢- ثورة الانفوميديا ص ٤٧٢

يمكن للأطفال أن يتعلموا في منازلهم ، وفي أكوأخهم ، أو أثناء خروجهم في رحلة مع والديهم ، فيظلون في ذلك الوقت كله على اتصال بزملائهم ومدرسيهم في الفصل»^(١)

سوف تصبح كومبيوترات الوسائط المتعددة الوسيلة الوحيدة الأساسية للتعليم ، فهي تتولى طرح الأسئلة ، وتلقي الإجابات ، وإعطاء التقييم ، وحفظ سجل للتلميذ يظهر حركته ، نشاطه ، تفوقه وتقصيره. وهذه الأمنية كانت منذ أكثر من عشر سنوات، فأين نحن منها اليوم ؟ تجاوزها الواقع.

وهناك سؤال مهم يطرح : أَلن تجرّد التكنولوجيا التعليم الرسمي من طابعه الإنساني؟ يُجيبُ «بيل غايتس» : « إن أي شخص شاهد التلاميذ الصغار وهم يعملون معاً حول الكومبيوتر ، أو راقب الحوارات التي تدور بين طلاب في حجرات دراسة تفصل بينها المحيطات ، سيدرك أن التكنولوجيا بإمكانها أن تؤمّن بيئة التعليم. والقوى التكنولوجية نفسها ، التي ستجعل التعليم مطلباً ضرورياً سوف تجعله أيضاً شيئاً عملياً وممتعاً».

فضلاً عن ذلك فإن ما لا يستطيعه المعلم من مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ في الصف الواحد ، يتصدى له الكومبيوتر ، فيرى جاردنر ، الاستاذ بمعهد الدراسات العليا في جامعة هارفرد ، أن الأطفال المختلفين ينبغي تعليمهم بطرق مختلفة لأن الأفراد يفهمون العالم بطريقة مختلفة... بحيث يمكن لكل المتعلمين ، على اختلافهم ، أن يجدوا محتوى التعليم المناسب لهم»^(٢) ذلك أن الكومبيوترات سوف تدخل تعديلات دقيقة على المادة التعليمية لتتيح للطلاب اتباع مسارات متباينة نوعاً ، والتعلم وفقاً لمعدلات أدائهم الخاصّة ...

وسيكون بإمكان الكومبيوترات تخصيص اهتمام فردي للمتعلمين ، كل منهم على حدة ، كما ستقدم خدمة خاصة للأطفال الذين يعانون من صعوبات تعليمية.^(٣)

وعلى صعيد الاختبارات يتغيّر مفهوم النجاح والفشل مع الكومبيوتر. سوف تُتيح الشبكة (والكلام يعود ١٩٩٨) التفاعلية للطلاب أن يمتحنوا أنفسهم في أي وقت، في جوّ خالٍ من أي توتّر، حيث يقوم الطالب في استكشاف ذاته ، وتصبح عملية الاختبار جزءاً إيجابياً من عملية التعليم ، ولن يستدعي الخطأ تأنيباً وإنما سيحفز النظام الى مساعدة الطالب في التغلب على سوء فهمه^(٤) ، وبذا يصبح الاختبار الرسمي مجرد حلقة في آخر السلسلة ، خالياً من المفاجآت. فوداعاً للتسرب المدرسي .

١- المعلوماتية بعد الانترنت ص ٢٩٩

٢- م.ن.ص ٣٠٠

٣- م.ن.

٤- م.ن.ص ٢١٦-٢١٧

٣- اللغة

ننقل عن «كريستال» (١٩٩٧) «هناك ستة آلاف لغة تقريباً في العالم، وقد يهبط العدد الى ثلاثة آلاف في العام ٢١٠٠، نحو ستين في المئة من هذه اللغات لها أقل من ١٠ آلاف ناطق، والرابع لها أقل من ألف ناطق .

أصبحت الانجليزية لغة العالم . . . والانجليزية وسيلة للتواصل في مجالات مهمة متعددة كالسفر جواً ، والمالية ، والانترنت. ثلثا العلماء يكتبون بالانجليزية ، و ٨٠٪ من المعلومات المخزنة في أنظمة الاسترجاع الالكترونية هي بالانكليزية، وفي أي وقت يدرس أكثر من ٢٠٠ مليون طالب الانجليزية لغةً إضافية . وهي لغة رسمية في دول من إفريقيا والمحيط الهادئ وجنوب آسيا . وجنوب شرق آسيا . قد تدعى هذه الهيمنة بـ «الإمبريالية الثقافية الإنجليزية» وتفسر الدور المهيمن الحالي للولايات المتحدة الأمريكية.^(١)

يذكر محمود أمين العالم في كتابه «دفاع عن الخصوصية اللغوية» أنّ «العولمة السائدة أخذت تفضي بالضرورة الى سيادة لغة من لغات الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة ... إن المعنى هو تهميش اللغات والثقافات القومية واحتواؤها، واستتباعها كمقدمة ومدخل لاستتباعها اقتصادياً وثقافياً»^(٢)

ومع الانترنت انفتح «الفيضان أمام تدفق معلوماتي هادر تطفى عليه اللغة الانكليزية، وهو ما أثار الفزع لدى جميع الأمم غير الناطقة بالانكليزية ، ولغتها توشك أن تسحق أمام الاعصار الجارف، تحت ضغوط اقتصادية وسياسية وثقافية هائلة»^(٣)

ويضيف الدكتور نبيل علي أن القوى الاقتصادية الأميركية أدركت الأهمية البالغة لموارد المعلومات، يثبت ذلك ما شهدته الساحة الأميركية من تقدم هائل في علوم اللسانيات وهندسة اللغة، والهدف : جعل شيوع اللغة الانكليزية رأس الحربة في تنفيذ مخطتها لسيادة العالم معلوماتياً وثقافياً واقتصادياً. وهكذا تستعيد الولايات المتحدة حلمها الذي كادت تفقده، بأن يصبح القرن الحالي ، هو الآخر ، قرناً أمريكياً، يكون فيه للرمز واللغة سلطة تفوق جميع السلطات . والولايات المتحدة تمارس حالياً من خلال مؤسساتها الاعلامية والاقتصادية والتكنولوجية أساليب متنوعة ومبتكرة من الضغط، لا ترحم أحداً، لا عدواً ولا حليفاً، ولا كبيراً ولا صغيراً.

هذا هو الوجه القائم ، وهو مشترك بين جميع لغات العالم، غير الانكليزية المحكوم عليها

١- جغرافيات العولمة ص ٢٨٢

٢- الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ٢٢٢

٣- م.ن ص ٢٢٢

بالتبعية أو التلاشي. فما وضع العربية ؟

لا شك في أن تقصير العرب في أمر لغتهم مساعد قوي للاجتياح العولمي. فالكثيرون يتحدثون عن أزمة تعليم اللغة العربية : أزمة الاساليب التعليمية ، أزمة المناهج ، أزمة محتوى المادة المعلمة ، أزمة المدارس الخ... وقد تناول الدكتور نبيل علي الموضوع بإسهاب ومن جميع جوانبه في كتابه القيم «الثقافة العربية وعصر المعلومات»

ومن آرائه أن برامجنا الثقافية اهتمت بصورة كافية بتذوق مآثر اللغة ومظاهر عبقريتها وصلة ذلك بإعجاز البيان القرآني، وأن الثقافة اللغوية في عصر المعلومات تتطلب أكثر من ذلك بكثير. ويذكر بعض الحاجات ، منها : كيفية توظيف اللغة في حياتنا اليومية ، تحديد موقع العربية على خريطة اللغات العالمية ، والتوعية بنظم تعلم العربية آلياً...

كما يذكر مساهمات علماء اللسانيات حالياً في دفع التطوير اللغوي باتجاه آفاق جديدة. ويورد عناوين نماذج نحوية عدّة ظهرت نتيجة التفاعل بين النحويين والدلالين، وبين اللغويين وعلماء الكمبيوتر، منها: نحو الحالات الإعرابية ، نحو وظيفي، نحو وظيفي معجمي، نحو ترابطي، نحو البنية العامة للجملة ، والصرف والنحو الحاسوبيان ، الدلالة الحاسوبية ، المعجمية الحاسوبية....⁽¹⁾

الموضوع واسع ومتشعب ، لن نخوض فيه أكثر . انما السؤال هو الى أي حد يبلغ خطر التهديد المحيق بالعربية؟ هل لغتنا مهددة بالانقراض؟ ماذا يعني قرار منظمة التجارة العالمية بعدم ادراج اللغة العربية في جدول لغاتها الرسمية؟ هل نكتفي باسترجاع الآية الكريمة : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ونستريح؟ (٢) هل نستسلم ، مع المتشائمين العرب الذين يوافقون الامبريالية حول قصور اللغة العربية وجمودها ، وعجزها عن مواكبة التطور العلمي؟ أليست كل عيوب اللغة وأمراضها هي عيوب العرب المتكلمين بها والباحثين، لا عيوبها؟ يكفي أن نذكر أن اللغة العربية قدرتين : القدرة على إبداع الجديد من الكلمات، أو حتى من الدلالات نظراً لما تتمتع به العربية من قابلية للاشتقاق واستخدام المجاز، وهي من القدرات النادرة في لغات العالم، والقدرة الثانية امكانية الاستيعاب اللغوي والفكري الذي أثبتته اللغة لنفسها إبان عصر الترجمة العباسي، فقد كانت لا تزال قريبة من البداوة حين تصدت للتراث العلمي العالمي في ذلك الوقت، تلقفته، وتضمنته، وطوّرتة، ولبّت جميع حالات التعبير فيه، فلسفياً وعلمياً. كل ذلك

١- م.ن ص ٢٥٧-٢٦٧

٢- م.ن ص ٢٧٥

دخل اللغة وأغناها، إنما لم يؤثر في جوهرها، فبقيت عربية الأدب وعربية الفقه، وعاش الى جانبها الفلسفة والعلوم. واليوم لوتفتح العربية على كل جديد في الدنيا، فإن قابلية الاشتقاق، مع ما طرأ من علوم لسانية جديدة تستطيع أن تغطي دلالاته التعبيرية والعلمية، ولا خوف على جوهر العربية، فهو يستضيف الجديد ولا يذوب فيه.

الخاتمة : هل نحن معولمون ؟

طبعاً، نحن في صميم العولمة، نحن في بلد نام من العالم الثالث، بل مقترض خاضع لتحكم المؤسسات والشركات العابرة للقوميات، مجبر على تنفيذ شروطها مهما حاول المقاومة والتسويق.

لقد غزتنا الحداثة، دخلت حياتنا وعشنا غمراتها. فهي تجلت وستجلى في السلوك والتصرف والأفكار والأدب، وفي كل مجال، ويتهم بعض النقاد دعاة التجديد بأنهم دعاة تقليد للغرب، وبأنهم عملاء اختارتهم «رابطة الحرية والثقافة» التابعة للمخابرات الأميركية، فغذتهم ودعمتهم ليخدموا توجهاتها ويكون لهم دور الريادة لأنها اختارتهم من «النخبة». وتهمة العمالة قريبة الى لساننا، نقدف بها المتجرئين على مخالفة الموروث. وسواء كان بعض النخبة عملاء، أو كانوا مجرد متمردين، فمما لا شك فيه أن الحداثة لم تأتأنا عن طريق تطور طبيعي لحياتنا الاجتماعية والفكرية والعلمية، كما حدث في الغرب، إنما جاءتنا بالتقليد، بالاقتباس، بالطفرة المفاجئة، لهذا كانت غير مألوقة، لم تنهياً ظروفنا النفسية والاجتماعية لتقبلها، أما التألف معها فعدا عملاً لاحقاً لتطبيقنا لها، وهذا سبب التناظر والتصادم بين الحداثي والتقليدي.

إنما العولمة لا تعني الحداثة وبكل بساطة. فإذا كانت الحداثة نقلة في أسلوب التصرف والتعلم والتفكير، والتعبير الأدبي وسوى ذلك فإن الانتماء إليها أو اقتباسها يبدو اختيارياً، لذا يعيش الحداثيون الى جانب التقليديين، يتضادون ويتجادلون ويتصارعون، وقد يتفقون، إنما العولمة ليست كذلك، إنها خطة طريق مرسومة، تستخدم أدوات الحداثة والتطور في وسائل الاتصال، وتعمل على ضغط إرادة الشعوب والسيطرة على الدول لتوجيهها نحو الوحدة الاقتصادية العولمية الافتراضية، مدعية أن حاجات العالم ورغباته غدت متجانسة بصورة لا رجعة عنها، وأن تطور التكنولوجيا يقود الناس، ولو غصباً في اتجاه تلك الوحدة التي تؤمن لهم زيادة في الراحة، وتخفيفاً من أعباء الحياة. إنها نقلة نوعية في تنظيم الاقتصاد الرأسمالي، باعتباره نظاماً وحيداً للعالم، وملزماً، والزامه لا يأتي من إرادة المواطنين في بلد ما وإنما من الضغط على حكومات الأوطان، ضغطاً مالية واقتصادية وسياسية، وحتى قانونية لتفتح أسواقها للتبادل العالمي.

وإذا كانت العولمة تدخل البلد عن طريق قوتها التأسيسية ضمن نظام الدولة، فإنها بلا شك، تأتي بالجديد وبالمدحش الذي يستحوذ على عقول الأجيال الناشئة، وبها يكون تسرُّبه،

تسرباً لا يستأذن ولا يدق الأبواب . فإذا كانت هذه الأجيال تسعى الى العولمة لأنها تغذي طموحها ، أو لأنها تريحها ، أو تُسَعِّدها ، أو لأنها تنقذها مما يتبعها ويقسرها أو يربكها في التراث، فهذا يعني أن التراث والقيّمين عليه غافلون ، وعليهم ان يتوقفوا ويتلفوا ويدرسوا ويتحصوا ، بدل ان يحتجوا ويشتموا ويتهموا ، وينعوا على العولمة وعلى الاستعمار وعلى أميركا تدخلها وأطماعها . طبعاً لهذه الدول مصلحة الغازي والمستعمر ، انما علينا استباق أهدافه ، واستباق الجاذب لأولادنا في العولمة . علينا تعديل الظواهر التراثية القابلة للتغيير والتطور في محاولة لجعل الموجة تتوقف أو تأتلف مع التعديل ، فلا تتجاوزها الى النواحي الثابتة والجوهرية في التراث . كما يتوجب علينا توظيف ماتقدمه العولمة والذي يستهوي أجيالنا ، في خطة تربية هذه الاجيال وتعليمها . بذا نفوّت الفرصة على صانعي العولمة في وجه من وجوه خطة طريقهم ، وهو الغاء الهوية الوطنية .

د- تدبيل

تعريفات

التقليص : خفض في المصاريف العمومية (مثلاً في التعليم والصحة والبنية التحتية العمومية) وفي الضرائب ، للرفع من الحوافز للمقاولة والاستثمار الخصوصي ، أو للخفض من العجز في الميزانية .

الخصخصة : بيع مقاولات الدولة ، وجعل الوظائف الحكومية (حيثما يكون ذلك ممكناً) ، قطاعاً خاصاً ، لتحرير دافع الربح المحفّز على الفعالية ، ولتقليص مصاريف السوق الحكومية (يشملّ عمليات الدعم والضمان) .

التحرير : تقليص تدخّل الدولة في الاقتصاد ، مثل السياسة الإقليمية ، أو قطاع الدعم ، وهذا يسمح للسوق بأن تحدّ الدرجة المثلى الطبيعية (للتوازن الطبيعي بحسب العرض والطلب) . وكذلك تقليص الروتين الذي يتطلبه انشاء المقاولة الخاصة .

العولمة : تقليص الرسوم الجمركية ، وكل الاجراءات الحمائية ، بهدف فتح الحدود ، أمام الاستثمار في الداخل من قبل الشركات العابرة للقوميات ، ولتسهيل نقل التكنولوجيا ، والحث على المنافسة مع منتجي العالم ، ولتحقيق اقتصاديات قياسية من الأسواق ذات الحجم الكبير لتعزيز الفعالية والصادرات . ويُعدّ تخفيض العملة المحلية لتحفيزها (أي الصادرات) ميزة إضافية في أحوال كثيرة .

د. أحمد ابراهيم حامد

مدرس الإدارة بالمعهد العالي للحاسبات وتكنولوجيا المعلومات
أكاديمية الشروق

دور الرأي العام في صنع القرارات السياسية: الثورة المصرية نموذجاً

The role of public opinion in the political decision-making: Egyptian Revaluation Model

المبحث الأول

حدود البحث وإطار المعالجة

١-١ المقدمة

يعتبر الرأي العام من الآليات الأساسية في عملية الحراك السياسي الوطني، حيث يؤثر في المشهد السياسي بطريقة تدعم الممارسة الديمقراطية الفاعلة إذا ما أتاحت له مساحة كافية من الحرية والحركة. وقد يتقلب الرأي العام - كنتيجة للإهمال والتهميش وتغليب المصالح الشخصية على مصالح الوطن - إلى مجرد أداة ضغط موجهة تنتقد إلى النضج والشفافية وتؤثر بشكل سلبي على صناعة القرارات السياسية وعلى جودة تلك القرارات. من هذا المنطلق تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الرأي العام وتأثيره بصفة عامة، وعلى الرأي العام المصري، وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه، ودراسة الدور الذي يقوم به في عملية صنع القرارات السياسية في ضوء ما شهدته المنطقة من ثورات الربيع العربي بصفة خاصة.

ففي تونس أطاح الرأي العام التونسي بالنظام السابق في ١٧ ديسمبر عام ٢٠١٠ بعدما استشرى الفساد وزاد معدل الفقر، وفي ٢٥ يناير ٢٠١١ أطاحت الثورة المصرية بالنظام الأسبق الذي استشرى فيه الفساد أيضاً وزاد معدل الفقر طبقاً للمعايير القانونية والاقتصادية المحلية

والعالمية، وزادت نسبة البطالة بالإضافة إلى التهميش الكامل للرأي العام الشعبي على مر عقود النظام الثلاثة. وفي المرحلة الانتقالية الأولى والتي تولي فيها المجلس العسكري الحكم، أثر الرأي العام المصري على مجريات الحياة السياسية فتمّ تغيير وزارتين في مدى زمني قصير نسبياً وتأثرت معظم القرارات السياسية بالرأي العام السائد ومظاهرات الغضب الشعبي. وبعد صعود الإخوان المسلمين لسُدّة الحُكْم، انقسم الرأي العام ما بين مؤيد ومعارض مما زاد من ضبابية الموقف السياسي المصري. وأدى زيادة الانقسام في الرأي العام بعد الإطاحة بالإخوان المسلمين إلى زيادة عدم الاستقرار السياسي والأمني مما يؤكد علي أهمية وتأثير الرأي العام المصري بصورة كبيرة في الاستقرار السياسي.

ومن منطلق تلك الأهمية، سعت هذه الدراسة إلى معرفة تأثير بعض المتغيرات (الحالة الاقتصادية، والتنشئة السياسية، وانتشار الأمية وعدم الوعي السياسي، ودور وسائل الإعلام) على نضج وشفافية الرأي العام، ومدى تأثير كل منها على تشكيل الحياة السياسية وصنع القرار السياسي في مصر. كما سعت الدراسة إلى التعرف على تأثير الرأي العام في صنع القرار السياسي في مصر قبل وبعد ثورة يناير ٢٠١١.

٢-١ إشكالية الدراسة :

تناقش الدراسة إشكالية دور الرأي العام المصري على صنع القرار السياسي بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير وتأثير العوامل سابقة الذكر على نضج وشفافية الرأي العام المصري ومدى قدرة الرأي العام على إحداث التغيير المأمول في ظل حالة من الاستقطاب السياسي بشكل لم تشهده مصر في تاريخها الحديث.

وفي ضوء إشكالية الدراسة تهدف الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات البحثية التالية:

٢-١-١ ماهي درجة تأثير الرأي العام المصري في فترة الدراسة على توجهات صنّاع القرار السياسي المصري؟

٢-٢-١ ما مدى قدرة الرأي العام المصري على لعب دور فاعل في المستقبل لإعادة تشكيل الحياة السياسية في مصر وإحداث التغيير المطلوب؟

٢-٢-١ هل أثر سوء الأحوال الاقتصادية، وانتشار الأمية والفقر، وعدم وجود تنشئة سياسية سليمة للأحزاب والأفراد، على نضج وشفافية الرأي العام المصري؟

٣-١ فرضيات الدراسة :

كما ناقشت الدراسة عدداً من الفرضيات التي حاولت إثبات صحتها من عدمه وهي كما يلي:
الفرضية الأولى: هناك علاقة معنوية طردية بين الحالة الاقتصادية (ضعف المرتبات

وانتشار البطالة وازدياد الفقر) وبين نضج وشفافية الرأي العام.

الفرضية الثانية: هناك علاقة معنوية طردية بين ارتفاع نسبة الأمية وضعف الوعي السياسي وبين نضج وشفافية الرأي العام.

الفرضية الثالثة: هناك علاقة معنوية طردية بين وجود التنشئة السياسية السليمة للنخب والأفراد وبين نضج وشفافية الرأي العام.

الفرضية الرابعة: هناك علاقة معنوية طردية بين كفاءة وفعالية الرسالة الإعلامية وبين نضج وشفافية الرأي العام.

٤-١ متغيرات الدراسة:

١-٤-١ المتغير التابع: نضج وشفافية الرأي العام المصري.

٢-٤-١ المتغير المستقل:

- الحالة الاقتصادية.
- نسبة الأمية وضعف الوعي السياسي.
- التنشئة السياسية.
- كفاءة وفعالية الرسالة الإعلامية.

٥-١ أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من كونها تناقش قضية تأثير الرأي العام على صنع القرارات السياسية في ظل الأحداث المتتالية والسريعة التي شهدتها مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، وفي ظل ضعف القوى السياسية الموجودة على الساحة والحالة الضبابية التي تكتنف عمليات الإصلاح السياسي والاقتصادي وفي ظل الغياب الأمني والاعتصامات السياسية والفئوية التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة وما صاحب ذلك من انهيار للوضع الاقتصادي مما يزيد الأمر سوءاً ويضيف غموضاً للمشهد. وتظهر أهمية الدراسة أيضاً في تسليط الضوء على العوامل التي يمكن أن تحول الرأي العام من آلية لتعميق ونشر الممارسات الديمقراطية السليمة إلى رأي عام مُنقاد يُسلط دون هدى على صناعات القرارات السياسية ويجعل الحكومات مرتعشة الأيدي وتصبح قراراتها المصيرية على المحك.

٦-١ أهداف الدراسة:

وتهدف الدراسة بشكل أساسي إلى:

- تحليل التطورات التي طرأت على الرأي العام المصري والتي غيرت من شكل الحياة

السياسية في مصر خلال فترة الدراسة.

- إلقاء الضوء على الخصائص المُميّزة للرأي العام المصري ومدى تأثيره على صناعة القرارات السياسية بمصر.

- إلقاء الضوء على العوامل التي يمكن أن تؤثر على نضج وشفافية الرأي العام المصري.

٧-١ منهجية الدراسة :

قام الباحث باستخدام منهج التحليل الوصفي باعتباره الأكثر شيوعاً ومناسبة لدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية وإعطاء وصف دقيق وتحليلي للظاهرة محل الدراسة، مرتكزاً بذلك على البيانات والمعلومات التي يتم جمعها وتصنيفها وتحليلها بمصداقية والمتعلقة بموضوع البحث.

٨-١ أدوات الدراسة :

٨-١-١ الاستبانة من خلال استمارة تستطلع رأي المواطنين في محافظات مختلفة في جمهورية مصر العربية والتي تمثل البيئات والثقافات المختلفة بأنحاء الجمهورية.

٨-١-٢ مقابلات مع المتخصصين والأكاديميين ذوي العلاقة والقادرين على تفسير وتوضيح ظاهرة الدراسة من منظور سياسي ومنظور اجتماعي.

٩-١ مجتمع الدراسة :

أجريت هذه الدراسة في المحافظات الآتية: محافظة القاهرة (تمثل المحافظات ذات الطبيعة الحضرية)، ومحافظة الشرقية (تمثل المحافظات ذات الطبيعة الريفية)، ومحافظة المنوفية (تمثل محافظات الدلتا)، ومحافظة السويس (تمثل محافظات القناة)، ومحافظة الاسكندرية (تمثل المدن الساحلية الشمالية) ومحافظة أسيوط (تمثل محافظات الوجه القبلي والصعيد). كما تمّ اختيار محافظة شمال سيناء لتمثل المحافظات ذات الطبيعة البدوية والصحراوية.

١٠-١ عينة الدراسة :

تمّ أخذ عينة عشوائية من كل محافظة من المحافظات السابقة طبقاً لقانون حساب حجم العينة والتي قدرت بإجمالي ٥٩٠ مفردة.

١١-١ حدود الدراسة :

الحدود المكانية : تمّ اقتصار مجتمع الدراسة على المحافظات التي تمثل ثقافات مختلفة، لصعوبة ضم جميع محافظات الجمهورية.

الحدود الزمانية: تمّ اقتصار الدراسة على الفترة من ٢٥ يناير عام ٢٠١١ إلى ٣ يوليو ٢٠١٢، مع التنبيهات الضرورية لَحَقْبَة ما قبل الثورة فيما يخص الرأي العام المصري، لتوضيح تداعياتها والتي أدت لقيام تلك الثورة، ولمقارنة تأثير الرأي العام قبل وبعد الثورة.

١٢-١ تقسيم الدراسة

تقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة. يُناقش المبحث الأول حدود البحث وإطار المعالجة. ويُناقش المبحث الثاني تعريف الرأي العام وعناصره والعوامل المؤثرة فيه، وتطور دور الرأي العام المصري، وتعريف عملية صناعة القرار السياسي وعناصره والعوامل المؤثرة فيه، ودور الرأي العام المصري في عملية صناعة القرار السياسي خلال فترة الدراسة. ويُناقش المبحث الثالث بمدخل تحليلي للتوصل إلى استنتاجات محددة والإجابة على التساؤلات البحثية وإثبات الفروض، وتناقش الخاتمة نتائج وتوصيات الدراسة والدراسات المستقبلية المقترحة.

المبحث الثاني

الرأي العام وصناعة القرارات السياسية

أولاً : مفاهيم الرأي العام

٢-١ تعريف الرأي العام: يُعرّف الرأي العام بأنه «مجموعة المعتقدات التي يشترك فيها عدد من الأفراد والتي تعبر عن آرائهم تجاه إحدى المشكلات أو القضايا». (١) (أو هو «الاتجاه العام المشترك بين مجموعة من الأفراد الواعين حول قضية معينة (تحقق مصلحة مشتركة) في فترة محدّدة» (٢).

٢-٢ عناصر الرأي العام: هناك مجموعة من العناصر التي لا بد من توافرها في الرأي العام، وهي:

٢-٢-١ «أنّ يمثّل الرأي العامّ مدىّ واسعاً بين المعارضة والتأييد.

٢-٢-٢ أن يختلف الرأي العام في درجة العمق والقوة.

٢-٢-٣ أن يختلف الرأي العام في درجة الثبات». (٣)

1- Barbara A. Bardes, Mack C. Selley, Steffen W. Schmidt. American Government and Politics Today: The Essentials, USA, Cengage Learning, 2008, P193.

٢- عبد الحليم، محي الدين، الرأي العام: مفهومه وأنواعه، عوامل تشكيله، وظائفه، وقوانينه، طرق قياسه وأساليب تغييره، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩، ص ٢١-٢٢

٣- ربيع، حامد، مقدمة في نظرية الرأي العام، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ٢٠٠٧، ص ٦٨.

٢-٣ العوامل التي تؤثر على الرأي العام:

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر بشكلٍ واسعٍ على الرأي العام، ومن أهمها:

٢-٣-١ الإعلام: تعتبر وسائل الإعلام من أهم العوامل المؤثرة على الرأي العام، فهي تمثل وسائل الضبط الاجتماعي الهامة في أي مجتمع والتي تعمل على غرس قيم وممارسات اجتماعية تتحول إلى تعديلات في المفاهيم والسلوك الفردي والمجتمعي من أجل إحداث تغييرات مرغوبة في طريقة التفكير وتعمل على خلق معايير جديدة تُؤطر السلوك المرغوب وتعمل على حشد الرأي العام تجاه أحد القضايا. وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة أن يتسم الإعلام بالصدق والحيادية والشفافية في القضايا العامة من جميع الأطراف حتى تأتي مواقف الشعب تعبيراً عن فهم واضح لتلك القضايا وليس كنتيجة لمواقف عشوائية ومشوشة.^(١) وفي مصر زاد تأثير الإعلام على الرأي العام بصورة كبيرة وغير متوقعة بعد أن اكتسبت بعض أدواته حرية حركة وحيادية نسبية بعد سقوط النظام الأسبق. ففي الآونة الأخيرة أصبح الإعلام هو من يقرر مسيرة الأحداث وتحولت فضائيات مصرية ومقدمو برامج سياسية إلى قادة للرأي العام لهم تأثير أكبر من تأثير قادة الأحزاب. ويُعَلَّل بعض المراقبين ذلك إلى وجود فراغ سياسي كبير بعد الثورة على مستوى القيادات السياسية وعلى مستوى الأحزاب، «فيرجع الفضل إلى وصول حركة تمرد والتي قام بها شباب مجهولون بسرعة كبيرة إلى الرأي العام بواسطة القوة الإعلامية والتي نجحت في صناعة حدث ٣٠ حزيران المُزلزل»^(٢) ولقد أكدت إجابات أكثر من ٥٠٪ من مفردات عينة الدراسة على تأثير نوعية الرسالة الإعلامية على نضج وشفافية الرأي العام والقدرة على توجيهه من خلال هذا التأثير، كما أفادت نسبة ٤١٪ من مفردات العينة بوجود دورٍ مؤثرٍ لوسائل الإعلام التفاعلية في اتجاهات صنّاع القرار من خلال تعريفهم بالمواقف والقضايا التي تتطلب إتخاذ قرارات بصدها وموقف الرأي العام من هذه القرارات. بينما أكدت نسبة ٦٠،٩٥٪ من المفردات على ضعف المواد الإعلامية التي وفّرتها وسائل الإعلام المصرية بالإضافة إلى عدم المصدقية والحياد في عرض القضايا السياسية المطروحة.

٢-٣-٢ التنشئة السياسية: هي مصطلح يشير إلى عملية التعلّم التي تنتقل من خلالها الأعراف والسلوكيات المقبولة في نظر نظام سياسي ناجح من جيل لآخر، ومن خلال أداء

١- د. محمد صلاح أبورجب، تأثير الإعلام على الرأي العام وانعكاس ذلك على السياسة الأمنية، الوفد، ٢١ إبريل ٢٠١٢، على

الرابط الإلكتروني: <http://www.alwafd.org/9>

٢- طاهر العدوان، الإعلام المصري ثورة داخل الثورة، الرأي، ٢ يوليو ٢٠١٢ على الرابط الإلكتروني:

www.alrai.com/article/594087.html

هذه المهمة يتم إدخال الأفراد في الثقافة السياسية ويتم تشكيل توجهاتهم بشأن الموضوعات السياسية.^(١) وطبقاً لهايمان (Hyman) فهي: «عملية تعلّم الفرد المعايير الاجتماعية عن طريق مؤسسات المجتمع المختلفة. ومعنى ذلك أنّ التنشئة السياسية ماهي إلا جزء من التنشئة الاجتماعية التي يكتسب من خلالها الفرد الاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع.»^(٢) وعندما تُبنى التنشئة السياسية على مضمون ديمقراطي تُكسبُ المواطنين أفكار المساواة والحرية والعدالة والاستعداد للمشاركة السياسية الإيجابية والثقة بالآخرين وتقبُّل الآخر والفكر القائم على أساس التسامح والتعددية الفكرية والمواطنة والولاء للوطن.^(٣) وبالنسبة للحالة المصرية، يعتبر غياب التنشئة السياسية خلال العقود السابقة سبباً رئيسياً في تأخر ثورة ٢٥ يناير، كما يُعتَبَر سبباً هاماً لتعثّر تلك الثورة حتى الآن. فغياب الأساق في الرأي العام المصري في الآونة الأخيرة، وعدم تقبل الآخر وظاهرة التخوين لمجرد اختلاف رأي عن رأي تعتبر نتائج مباشرة لغياب التنشئة السياسية السليمة في المجتمع المصري.

٢-٣-٢ الأمية وعدم الوعي السياسي: لا يحظى الأميون في الغالب بأي قدر من التنشئة السياسية ويمكن أن يتمّ استغلال عدم قدرتهم على فهم وإدراك الأمور وضعف الوعي السياسي لديهم وتعلق معظمهم بطريقة فطرية بالدين والقيم المجتمعية الموروثة أسوأ استغلال أثناء حشد الرأي العام.^(٤) وفي الحالة المصرية تعتبر الأمية وعدم الوعي السياسي مثلاً واضحاً في التأثير على نضج وشفافية الرأي العام ويتم استغلاله من النخب السياسية وبشكل غير أخلاقي سواءً على مستوى الإعلام الرسمي أم الإعلام المعارض.

٢-٣-٤ الحالة الاقتصادية: تُؤثّر الحالة الاقتصادية على نضج وشفافية الرأي العام للأفراد، فمن جهة يعزّف الأفراد في حالات سوء الأحوال الاقتصادية عن المشاركة في الحياة السياسية بصفة عامة لانشغالهم بتوفير متطلباتهم الأساسية، أو أنّ ينقلب الإحباط الذين يعانون منه إلى سُخْطٍ على السياسة والقادة السياسيين، وينعكس ذلك بالضرورة على رأيهم العام. ومن جهة أخرى تُؤثّر الحالة الاقتصادية على نضج وشفافية الرأي العام حين يتم استغلال احتياج وفقير الناس لتحقيق مصالح شخصية من قبل بعض الجماعات السياسيّة عبر ما يعرف بشراء الأصوات

1- Varkey,k.(2003), Political Theory APhilosophical Perspective Indian Publisher Distributors.

٢- المرجع السابق.

٣- الأزعر، محمد: النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للدراسات الديمقراطية. ١٩٩٦ م.

ص.٤٤

٤- المرجع السابق.

أو حشد الرأي العام كما ذكرنا من قبل^(١).

٢-٤ التطور التاريخي لدور الرأي العام المصري

ظل رجال الدين في مصر يتحدثون باسم الشعب لما كانت عليه مكاتتهم في نفوس الشعب، حتى جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت والذي قام بإنشاء «الديوان العام» عام ١٧٩٨ للاستفادة من آراء أصحاب الخبرات والمعارف لإدارة شؤون البلاد لأنهم الأجدر بذلك في حدود معرفتهم بواقع الحياة المصرية. وقد شكل نظام الديوان فيما بعد اللبنة الأساسية الأولى لتوفير نظام الشورى في مصر وهو ما تم اعتباره علامة فارقة في تطور الرأي العام المصري ومنحه قوة أكثر للتأثير في الحياة المصرية على كافة المستويات وخاصة السياسية منها. وأصبح الرأي العام المصري منذ ذلك الوقت أحد القوى المؤثرة وخاصة مع التطور الكبير الذي بات يشهده عبر مراحل التاريخ المختلفة، وهو ما ظهر بوضوح من خلال الثورات التي قام بها الشعب المصري علي مر تاريخه لإزاحة الاستعمار الفرنسي والاستعمار العثماني (والذي أجبره الرأي العام المصري الثائر على تولية «محمد علي» على مصر في ١٢ مايو عام ١٨٠٥ والذي جاء بإرادة شعبية خالصة)، وذلك بالإضافة الي الثورات التي قام بها الشعب فيما بعد للتخلص من الاستعمار الانجليزي.

ورغم العديد من الشواهد التاريخية التي تؤكد على الدور الذي كان يلعبه الرأي العام المصري، إلا أنه ظهرت بوادر لتراجع هذا الدور خلال السنوات الستين الماضية وبالتحديد منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢. فلقد شبّه بعض الكتاب هذه الحِقْبَة ببدء فترة «التجريف السياسي» من خلال عزل المصريين عن العمل السياسي والتهميش التام للرأي العام المصري، مما أدى إلى اتسامة بالضعف وأدى إلى عزوف غالبية المواطنين عن المشاركة السياسية، وعن مجرد إبداء الرأي في كل ما يتعلق بالأمور السياسية، بل وصل الأمر إلى قناعة كاملة لدى عدد كبير من المصريين أن الأمور السياسية هي حق أصيل للنخبة الحاكمة فقط دون سواهم^(٢). وكانت الأحداث واضحة لمحاولات اغتيال الرأي العام المصري وتهميشه علي مر تلك العقود، فطبقاً لإحدى الدراسات السابقة بعنوان «الرأي العام وقياسه: الأسس النظرية والمنهجية»، أن الرأي العام المصري وإن كان موجوداً إلا أنه عديم التأثير لعدة أسباب أهمها طبيعة النظام السياسي السائد والذي يعمل على قمع وتقييد الحريات العامة، وممارسة الديمقراطية بصورة شكلية حتى اختفى تأثير الرأي العام المصري بدرجة كبيرة على كلا من المستويين الداخلي

١- د. محمود حسين، قراءة في نتيجة الاستفتاء، الأهرام المسائي، الخميس، ٢ يناير، ٢٠١٣.

٢- أ.د. محمود بسيوني، محمد هلال. الجمهورية الثانية في مصر، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢ ص. ٢٧-٢٩

والخارجي»^(١). ولقد دُلَّ صاحب تلك الدراسة على ذلك (على سبيل المثال لا الحصر) بوجود رأي عامٍّ معارض للعمل بقوانين الطوارئ والقوانين الاستثنائية ورغم ذلك تمَّ استمرار العمل بها، ووجود رِفْضٍ شعبيٍّ كبيرٍ للتطبيع مع اسرائيل ورغم ذلك تمَّ استمرار عمليات التطبيع بطريقة ممنهجة. فالأمثلة كثيرة ومعروفة على تهميش الرأي العام المصري بطريقة متتابعة منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو وحتى قيام ثورة ٢٥ يناير. فالأحزاب التي أنشأها السادات في منتصف السبعينيات من القرن الماضي وزاد عددها في عصر مبارك حتى وصلت إلى ٢٤ حزباً أتمت جميعها بعدم وجود جذور لها في المجتمع أو شعبية تُذكر أو وجود حقيقي في المشهد السياسي وخصوصاً مع إصرار النظامين على تكبيل يد تلك الأحزاب والاحتفاظ بها كديكور سياسي وعدم السَّمَّاح للرأي العام أن يأخذ مكانه الطبيعي ضمن آليات صنع القرار السياسي في مصر.^(٢)

الأمر الذي تغير تماماً بعد ثورة يناير ٢٠١١ فأصبح الرأي العام بمثابة بوصلة تُوجِّهه عمليات اتخاذ القرارات السياسية في مصر، وأصبح المواطنون أكثر حرصاً على المشاركة السياسية وحضور الانتخابات البرلمانية والرئاسية. إلا أنه في ظل الظروف الدقيقة التي تمر بها مصر في الوقت الراهن من تطاحن وانقسام وانهايار الاقتصاد والأمن يمكن أن يشكّل الرأي العام أداة ضغط غير رشيدة علي توجهات صناع القرار السياسي على صناعة السياسة العامة. فعلى سبيل المثال لا الحصر اضطرت الحكومة المصرية إلى وقف مشروع مصنع أجريوم في ميناء دمياط، نتيجة للضغوط الشعبية علي الرغم من تبنيها للمشروع والترويج له على أنه مشروع تنموي. وحتى يصبح الرأي العام آلية بناءة في صناعة القرار السياسي وأن يلعب دوراً محورياً في المستقبل ليعيد تشكيل الحياة السياسية وإحداث التغيير المأمول بمصر، يجب الاهتمام بتحسين الحالة الاقتصادية للمواطنين ومحاربة الفقر والبطالة والأمية والاهتمام بالتنشئة السياسية وعمل نَقْلة نوعية في الأداء الإعلامي المصري.

ثانياً: عملية صنع القرار السياسي:

تعريف عملية صنع القرار السياسي:

يُقصدُ بعملية صنع القرار السياسي العملية التي يتم من خلالها الاختيار ما بين عدة بدائل لتحقيق الأهداف الوطنية. وإنَّ كانت كافة القرارات تحتاج إلى جمع وتحليل المعلومات وعمل الحسابات الدقيقة قبل اتخاذها، فإنَّ القرارات السياسية بصفة خاصة تحتاج إلى دراسة مُتأنية ومنظمة ومدروسة ومتعمقة لأنها تخص كيان دولة ومستقبل أمة، فكثيراً من القرارات رفعت من

١- مجاهد، جمال، الرأيا لعمومقياسه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤ م.

٢- أ.د. محمود بسيوني، محمد هلال. الجمهورية الثانية في مصر، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢ ص. ٢٧-٢٩

شأن دول، وكثيرٌ من القرارات أيضاً أفقدت الدول مصداقيتها وحطت من شأنها.^(١١)

العوامل المؤثرة في عملية صنع القرار:

هناك عوامل تؤثر تأثيراً كبيراً في عملية صنع القرار وأهمها مايلي:

١-٦-٢ البيئة الخارجية للقرار: القرارات السياسية بوجه خاص تتأثر تأثيراً كبيراً بالضغوط والمؤثرات الخارجية التي يتعرض لها صانعي القرارات السياسية، ومن أبرز تلك الضغوط والمؤثرات ضغوط الدول والمؤسسات العالمية المانحة للمساعدات المالية، والتهديد بقطع تلك المساعدات، وعمليات الحصار الاقتصادي، أو التهديدات باستخدام القوة العسكرية.^(١٢)

٢-٦-٢ البيئة الداخلية للقرار: هناك مجموعة من العوامل الداخلية التي يكون لها تأثير واضح وكبير على عملية صنع القرار السياسي، ومنها: وسائل الإعلام، طبيعة النظام السياسي القائم، الأحزاب السياسية المؤثرة والموجودة في الساحة السياسية، جماعات المصالح، المؤسسات الدينية، وطبيعة الهيكل التنظيمي الرسمي لعملية صنع القرار.^(١٣)

دور الرأي العام في عملية صنع القرار السياسي:

رغم وجود إطار قانوني محدد للرأي العام إلا أنه من الآليات التي تتسم بقدرة عالية على تعديل وتغيير مسار القرارات والقوانين، لأنه ببساطة يوفر تفسيراً واضحاً لرد الفعل الجماهيري على القرارات المتخذة، وهو ما يعد مؤشراً لصانعي القرارات حتى يقوموا بتعديل تلك القرارات والقوانين وما يتفق مع مصلحة الشعوب ولا سيما في ظل وجود مناخ ديمقراطي يتيح للرأي العام المسارات التي تعبر عن اتجاهاته وميوله بصراحة دون قيود أو شروط.^(١٤) ويختلف دور وتأثير الرأي العام في عملية صنع القرار السياسي بين الدول طبقاً لحجم ومساحة الديمقراطية التي تمارس في كل دولة. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، يمثل الرأي العام الأمريكي أهمية بالغة في صناعة واتخاذ القرارات السياسية. «في عام ١٩٦٨م اضطر الرئيس ليندون جونسون الي عدم الترشح لفترة رئاسية ثانية لأن استطلاعات الرأي العام حينها كانت قد أظهرت عدم شعبيته بسبب حرب فيتنام. وفي عام ١٩٧٤م اضطر الرئيس ريتشارد نيكسون إلى الاستقالة من منصبه بعد أن أظهرت استطلاعات الرأي عدم شعبيته بالإضافة إلى احتمالية محاكمته في الكونغرس»^(١٥)

١- يحيى علوان الحجامي، السياسة والعلاقات الدولية، الحوار المتمدن، العدد ٣٩٦٤، يناير ٢٠١٢، على الرابط الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339925>

٢- المرجع السابق.

٣- محمد صالح، دور جماعات الضغط في صناعة القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، الحوار المتمدن، العدد ٣٧٥٥، يونيو ٢٠١٢، على الرابط الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=311313>

٤- بدر، أحمد، الرأي العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة، القاهرة، مكتبة غريب، ص ١٥.

٥- سلام المشهداني، «صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية»، رساله ماجستير، كلية القانون والسياسة بالأكاديمية

الأحداث والمؤشرات التي توضح دور الرأي العام المصري في صنع القرار السياسي بمصر قبل وبعد ثورة يناير ٢٠١١:

٢-٨-١١ الأحداث السياسية

إن خروج الملايين من أفراد الشعب المصري في ثورة شعبية غير مسبوقه والنجاح في إسقاط النظام البوليسي لدولة مبارك والذي استمر ثلاثة عقود في ثماني عشر يوماً فقط يعتبر فرصة حقيقية لإثبات قوة وتأثير الرأي العام المصري في المشهد السياسي.

فمع انطلاق شرارة الثورة وتزايد المتظاهرين يوماً بعد يوم في جميع محافظات الجمهورية بدأ النظام في تقديم التنازلات واحداً تلو الآخر. فتنازل الرئيس الأسبق عن مشروع التوريث وعدم ترشحه لفترة ثانية، «وقام بتشكيل وزارة جديدة، بقيادة الفريق أحمد شفيق، وأدخل بعض التعديلات على الحزب الوطني الحاكم، وأحال بعض قيادات الوزارة السابقة إلى المحاكم بتهم الترتب والفساد، وقام بتعيين نائب للرئيس، ووافق على تعديل بعض مواد الدستور، كما وافق على قبول الأحكام الخاصة بصحة العضوية في مجلس الشعب، وأمر الحكومة برفع الأجور والمعاشات بنسبة ١٥٪، كما أمر الحكومة بتثبيت العمالة المؤقتة، ووافق على الاستماع للمعارضة وللشباب المتظاهرين، وقام مؤخراً بتفويض سلطاته لنائب الرئيس». (١١) ومع استمرار الثوار في ميدان التحرير بالقاهرة وباقي ميادين مصر لمدة ثمانية عشر يوماً بطريقة سلمية أذهلت العالم، من ناحية الشكل والمضمون، أجبر النظام الحاكم آنذاك على الانصياع والتخلي عن الحكم، ونجح الرأي العام في أول جولاته في تلك الثورة.

واتسمت الفترة الانتقالية الأولى- التي تولى فيها المجلس العسكري حكم البلاد- بالبطء الذي لم يخدم مسار الثورة أو يحقق أهدافها، فلم يتم إقالة حكومة أحمد شفيق التي عينها مبارك إلا بعد شهر من الضغط الشعبي، وتم تعيين عصام شرف رئيساً للحكومة. ولم يقدم المجلس العسكري على توقيف الرئيس الأسبق إلا بعد ضغوط شديدة من الشارع أيضاً. ونتيجة لضغوط المحتجين قام رئيس الوزراء عصام شرف بإقالة كثير من الوزراء السابقين من عهد الرئيس مبارك، وقام وزير الداخلية في ذلك الوقت بالعمل على تطهير الوزارة من رموز الفساد السابقين، وأعيد تشكيل مجلس القضاء الأعلى، وأعلن عن بدء إجراءات محاكمة «مبارك» ووزير داخلية «حبيب العادلي» وحل المجالس المحلية، وأعلن عن تغيير عدد من المحافظين. وكنيجة لاستمرار الضغط الشعبي والمظاهرات الفئوية والاعتصامات تم إقالة حكومة شرف؛ وكلف

العربية المفتوحة في الدنمارك، ٢٠١٢، ص. ١٩٢

١- علاء عربي، التنازلات الوهمية:، الوفد، ٢٤ يناير ٢٠١٢. على الرابط الإلكتروني: <http://org.alwafd.www/>

المجلس الأعلى للقوات المسلحة دكتور «كمال الجنزوري» بتشكيل حكومة إنقاذ وطني، إلا أن كل ذلك لم يلبّ طموحات الشعب الذي انقلب على المجلس بعد أن كان يؤيده (وخصوصاً بعد الأحداث التي نتج عنها استشهاد العشرات) وهو ما يؤكد على مدى التأثير الكبير للرأي العام في تلك المرحلة^(١)، والتي انتهت بالانتخابات الرئاسية وصعود جماعة الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم.

ولقد أوجدت جماعة الإخوان المسلمين أرضية شعبية لها لانتباها جيداً إلى أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الرأي العام في التأثير على القرارات السياسية والمصرية، ومن هذا المنطلق ومنذ سنوات عديدة مضت، كانت جماعة الإخوان المسلمين بتنظيمها الفائق تعمل على الأرض لحشد الرأي العام لصالحها، وقد ساعدت الجماعة على حشد واستقطاب عددٍ غير قليل من المصريين عوامل عديدة لعل أهمها أن الشعب المصري يميل إلى التدين بصورة فطرية. ويرى البعض أن ارتفاع نسبة الأمية وعدم الوعي السياسي وعدم وجود تنشئة سياسية سليمة وخاصة في القرى والأحياء الشعبية بالمدن ساعد في نجاح الجماعة في حشد رأي مؤيد لها، فقد أفادت نسبة تصل الي ٩٥% من مفردات عينة الدراسة بإقتناعهم أن جماعة الإخوان قد استغلت أمية وضعف الوعي السياسي وعدم وجود تنشئة سياسية لبعض شرائح المجتمع وقدمت نفسها على أنها من يحمي الإسلام والشريعة ويحارب الكفر والعلمانية للتأثير على اتجاهاتهم واختيارتهم السياسية. بينما أكدت نفس النسبة تقريباً (٩٤% من مفردات العينة) ان ارتفاع معدلات الفقر والبطالة قد ساعد الإخوان على اجتذاب أعدادٍ غفيرة من المواطنين المهمشين والمنسيين من الحكومات المختلفة، من خلال قيام عناصر الجماعة المنتشرة في ربوع مصر بتوزيع السلع التموينية الأساسية للأسر الفقيرة والمُعْدمة وتوفير المساعدات الطبية وصرّف العلاجات والأدوية المدرسية مجاناً بصفة شهرية. وعلى الرغم من اكتساب تعاطف شرائح كبيرة من المصريين والذي ساهم إلى حد كبير في وصول الإخوان إلى سدة الحكم، فقد فشلت جماعة الإخوان في الاحتفاظ بثقة قطاع كبير من الشعب المصري لأسباب كثيرة منها على سبيل المثال وليس الحصر: عدم تحقيق وعود الرئيس السابق التي قطعها على نفسه، واتباع سياسة التمكين بطريقة متسرعة، والتحول للديكتاتورية الدينية والفاشية، والعداء مع جميع مؤسسات الدولة، وعدم إطلاق يد القوات المسلحة في القضاء على الإرهاب في سيناء، والإفراج على المسجونين الأمنيين مما زاد من التوتر الأمني، وغير ذلك من أحداث أدت إلى تزايد سخط جانب كبير من الرأي العام والإطاحة بحكم الإخوان، وإسقاط الإعلان الدستوري المكمل وإلغاء المسودة

١- مصر ومرسي... حكومة رئيس شامل، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس، ٦ سبتمبر، ٢٠١٢، على الرابط الالكتروني:

<http://www.annabaa.org/nbanews/2012/09/078.htm>

النهائية للدستور وإعادة تشكيل الجمعية التأسيسية^(١). وهو ما يؤكد أهمية الرأي العام المصري في تعديل المسار السياسي بمصر.

٢-٢-٨ المؤشرات التي تُدلل على دور الرأي العام المصري في صنع القرار السياسي مصر

قبل وبعد الثورة

وهناك مؤشرات كثيرة يمكن أن تُدلل على هذا التأثير ومنها مدى استجابة الحكومات المتعاقبة للرأي العام، ومقارنة أداء الاحتجاج الشعبي، ومشاركة الشباب في الحياة السياسية العامة قبل وبعد ثورة يناير ٢٠١١. فبمسؤال مفردات عينة الدراسة عن تأثير الرأي العام على الحياه السياسية في مصر قبل الثورة، أفادت نسبة تزيد عن ٩١% من المفردات أن تأثير الرأي العام كان ضعيفا وأن هذا التأثير قد زاد على النقيض بعد الثورة. كما أفادت نسبة تزيد عن ٩٤% أن حكومات ما قبل الثورة لم تكن تعبأ بالرأي العام وبالتالي لم تكن جادة في عمليات قياس الرأي العام بل كان بعضها يلجأ إلى لّي الحقائق في عمليات القياس، ولم يتم تغيير السياسات العامة طبقاً لتوجهات الرأي العام بالصورة التي يجب أن تكون عليها، بينما أفادت نسبة تصل إلى ٥٨% من مفردات العينة أن الأوضاع قد تغيرت بعد الثورة حيث زادت حساسية الحكومات للرأي العام والتي استخدمت الحقائق في قياس الرأي العام لتكون مناسبة لتعديل السياسات العامة. وهذا ما أكدته نسبة تصل إلى ٦٣% من مفردات الدراسة بأن معدل التغيير في السياسات العامة قد زاد بعد الثورة ليناسب اتجاهات الرأي العام.

وفيما يخص مقارنة الأداء الاحتجاجي قبل وبعد الثورة، كشف مؤشر^(٢) الديمقراطية الصادر عن المركز التنموي الدولي في دراسة مقارنة عن وجود هوة كبيرة بين الحالتين. فالأداء الاحتجاجي في الشهور القليلة التي سبقت ثورة يناير وفي العامين التاليين للثورة مقارنة بما قبل الثورة، يمثل ظاهرة غابت ليسقط عن مصر بل عن العالم العربي بصفة عامة. فلعمود طويلة لم يكن معهوداً أن تخرج الشعوب العربية في مسيرات عارمة تطالب بمطالب سياسية واجتماعية واقتصادية. وطبقاً لذلك المؤشر فإن الاحتجاجات في مصر قد تضاعفت أكثر من أربعة أضعاف، حيث شهد عام ٢٠١٠ (والذي مثل تمهيداً مناسباً لثورة يناير ٢٠١١) متوسط احتجاجات بلغ عددها ٢٢١٠ احتجاجاً سنوياً بمعدل ٦ احتجاجات يومياً. وزاد معدل الاحتجاج في عام ٢٠١٢

١- خط زمني للثورة المصرية ٢٠١١ تحت حكم الإخوان المسلمين، علي الرابط الالكتروني:

<http://www.marefa.org/index.php>

٢- استخدمت عينة الدراسة تسعة شهور لرصد الإحتجاجات خلال السنوات الثلاث وهي يناير فبراير مارس ٢٠١٠، وابريل مايو

يونية ٢٠١٢، ويناير فبراير مارس ٢٠١٢

بنسبة ٢٠٪ حيث شهد متوسط احتجاجات بلغ عددها ٢٥٣٢٢ احتجاجاً بمعدل ٧ احتجاجات يومياً. بينما مثل عام ٢٠١٣ حتى نهاية مارس من نفس العام ، طفرة في الاحتجاج الشعبي حيث بلغ متوسط الاحتجاجات ٢٧٨٢ احتجاجاً بمتوسط ٩٢٧ احتجاجاً شهرياً و ٣٠ احتجاجاً يومياً ، وتوقع التقرير أن تشهد نهاية عام ٢٠١٣ عدد ١٢٨، ١١ احتجاجاً لو استمرت السلطه الموجودة آنذاك انتهاج نفس السياسات، (مما يعني زيادة الاحتجاجات لأكثر من ثلاثة أضعاف عن عام ٢٠١٢ وبنسبة ٣٤٠٪، ولأكثر من أربعة أضعاف عن عام ٢٠١٠ وبنسبة ٤٢٦٪).^(١)

وبالنسبة لمشاركة الشباب في الحياه السياسية في مصر قبل وبعد الثورة، أَوْضَحَ تقرير التنمية البشرية لمصر عام ٢٠١٠ أن عزوف الكثير من الشباب قبل الثورة عن ممارسة العمل السياسي وعدم السعي إلى لعب دور مؤثر في صناعة القرار أوحى مجرد التعبير عن الرأي من خلال التنظيمات السياسية أو الأهلية أو الطلابية رغم أهمية الشباب في عملية التنمية الشاملة للمجتمع جاء كنتيجة للتحديات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي يواجهها الشباب المصري مما أدى إلى التأثير سلباً عليهم ودفعهم إلى دوامة الإحباط. وأكد التقرير أن أقل من ٢٥٪ ممن لهم حق التصويت قد شاركوا في انتخابات عام ٢٠٠٥، وكانت نسبة الشباب الذين شاركوا في الانتخابات ضئيلة للغاية طبقاً لمسح النشء والشباب في مصر. وبمقارنة مصر عالمياً أورد التقرير أن نسبة مشاركة الشباب في العمل السياسي المعارض قبل الثورة قد بلغت ٦٪ بفارق ١٢ نقطة مئوية عن النسبة عالمياً، وبلغت نسبة اشتراكهم في المظاهرات ٢٪ بفارق ٨ نقطة مئوية عن النسبة عالمياً، وانخفضت النسبة في مجال الاعتصامات إلى ٢٪ بفارق ثلاثة نقاط مئوية عن النسبة عالمياً. وفيما يتعلق بالمشاركة المحتملة في المعارضة السياسية احتلت مصر - طبقاً للتقرير - ترتيباً متأخراً يتأرجح بين السادس عشر والأخير عالمياً في كافة مجالات العمل السياسي المعارض.^(٢) وفيما يتعلق بنسب مشاركة الشباب في الأحزاب السياسية أوضح تقرير « شباب مصر بناء المستقبل»، والصادر عن الأمم المتحدة عام ٢٠١٠ ضعف نشاط الأحزاب السياسية وضعف عدد المنضمين لعضوية تلك الأحزاب حيث لم يتعد عدد المنضمين لأي حزب عن ٢٪ فقط من العينة المأخوذة في التقرير، وقد شكلت عضوية الأحزاب السياسية ٢، ٢٪ فقط من أنشطة مشاركة الشباب المجتمعية في مصر. وشكلاً لمشاركون في الأحزاب السياسية ١٢، ٠٪ فقط من إجمالي الشباب في الفئة العمرية من (١٨-٢٩) سنة.^(٣) وإن كانت تلك المؤشرات لاتتفي - طبقاً لإحدى الدراسات السابقة- أن مصر شهدت موجة من الحركات الاجتماعية استطاعت إحداث

١- مؤشر الديمقراطية ، التحرير، يناير ٢٠١٤ علي الرابط الإلكتروني <http://tahrirnews.com/news/view.aspx?cdate>

٢- واقع مشاركة الشباب قبل ٢٥ يناير، ادمير على الموقع الإلكتروني:
<http://www.adelamer.com/vb/showthread.php?t=12313>

٣- المرجع السابق.

حالة من الحراك السياسي والاجتماعي مما كان له أثره في نشر ثقافة الاحتجاج، وكسّر حاجز الخوف والمطالبة بالحقوق وهو ما أفضى بدوره الي قيام ثورة ٢٥ يناير.^(١)

إن أسباب عدم مشاركة الشباب بصفة خاصة ومعظم المصريين على وجه العموم في الحياة السياسية قبل الثورة متعددة وعلى رأسها عملية التجريف السياسي الممنهجة التي تم الإشارة إليها آنفاً، مما أدى إلى يأس المصريين من إمكانية تحقيق ديمقراطية سليمة والحصول على مستقبل أفضل. إلا أن ثورة يناير قد بددت هذا اليأس نتيجةً لشعور غالبية المصريين بالأمل في التغيير بعد نجاح الثورة في عزل مبارك وتولي المجلس العسكري قيادة المرحلة الانتقالية الأولى وهو ما كان واضحاً من استعداد وتحمس المصريين للمشاركة في الحياة السياسية بعد طول عزوف.^(٢)

المبحث الثالث

الإطار العملي للدراسة

١-٣ المقدمة

يتناول هذا البحث دور الرأي العام في عملية صنع القرارات السياسية، وقد ركزت الدراسة على دور الرأي العام المصري بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ والتي أثبتت أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به الرأي العام المصري لتغيير الأوضاع القائمة والمطالبة بحقوقه إذا ما أحس بالتهميش والإهمال.

٢-٣ منهج (أسلوب) الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والذي يحاول وصف وتقييم ذلك دور الرأي العام بوجه عام والرأي العام المصري بوجه خاص في صنع القرار السياسي، بالإضافة لمقارنة وتفسير وتقييم بهدف التوصل إلى تعميمات ذات معنى يزيد بها رصيد المعرفة عن الموضوع.

وقد استخدم الباحث مصدرين أساسيين للمعلومات:

أ- المصادر الثانوية: حيث اتجه الباحث في معالجة الإطار النظري للبحث إلى مصادر البيانات الثانوية والتي تتمثل في الكتب والمراجع العربية والأجنبية ذات العلاقة، والدوريات والمقالات والتقارير، والأبحاث والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض من المواقع الالكترونية التي تتضمن معلومات عن موضوع الدراسة.

١- المشاركة السياسية للشباب بين البنى الحزبية والحالة الثورية - الحالة المصرية نموذجاً، ماعت للسلام والتنمية وحقوق الانسان، ديسمبر ٢٠١٢، علي الرابط الالكتروني: <http://www.maatpeace.org/node/3962>

٢- المرجع السابق.

ب- المصادر الأولية: لمعالجة الجوانب التحليلية لموضوع البحث؛ حيث لجأ الباحث إلى جمع البيانات الأولية من خلال الإستبانة كأداة رئيسية للبحث، والتي تمّ تصميمها لتوفير المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، ووزعت على الفئات المختلفة.

وقد تمّ إجراء الدراسة الميدانية على النحو التالي:

٣-٣ مجتمع وعينة البحث

أ- مجتمع البحث: أجريت هذه الدراسة على عدد من المحافظات المصرية وتمّ مراعاة أن تكون هذه المحافظات تمثل بقية المحافظات تمثيلاً جيداً حيث تمّ مراعاة أن يتم اختيار كل محافظة لتكون ممثلة لقطاع أو شريحة من المجتمع المصري بمختلف فئاته..

ب- عينة البحث: تألفت عينة البحث من (٥٩٠ شخصاً) وقد تمّ مراعاة العينة ان تتنوع العيّنة من حيث الجنس (ذكر - أنثى) الفئة العمرية (الشباب - كبار السن) المستوى التعليمي (أمي - دبلوم - مؤهل عالي - دراسات عليا) كما تمّ مراعاة أن يكون التمثيل محايداً ودون أي انتقاء.

٣-٤ الأداة: بهدف بناء الأداة، تمت الإجراءات التالية:

قسم هذا البحث إلى قسمين كالآتي:

خصائص العينة.

التحليل ومناقشة مجال الأداة للدراسة وتفسير النتائج.

الوصف الإحصائي لعينة الدراسة وفقاً للخصائص والسمات الشخصية:

وفقاً للتوزيع السكاني لجمهورية مصر العربية في العام ٢٠١٢ - ٢٠١٣ يوضح الجدول

التالي (جدول رقم ١) توزيع السكان على محافظات الجمهورية:

جدول رقم (١): التوزيع السكاني لجمهورية مصر العربية في العام ٢٠١٢-٢٠١٣ (مقسماً

بالمحافظات)

المحافظة	عدد السكان	المحافظة	عدد السكان	المحافظة	عدد السكان
الإسكندرية	4,362,168	المنيا	4,481,879	المحافظة	عدد السكان
أسوان	1,258,882	المنوفية	4,762,568	الفيوم	2,721,478
أسيوط	3,701,392	الوادى الجديد	199,810	الغربية	4,262,200
البحيرة	5,071,346	شمال سيناء	374,071	الجيزة	6,107,365
بنى سويف	2,470,960	بورسعيد	604,451	الإسماعيلية	1,029,136
القاهرة	20,968,723	القليوبية	4,546,564	كفر الشيخ	2,798,942
الدقهلية	5,338,831	قنا	3,209,982	مطروح	352,885
				السويس	549,759

484,132	الأقصر	306,722	البحر الأحمر	1,180,991	دمياط
4,004,613	سوهاج	5,736,644	الشرقية	154,941	جنوب سيناء

وقد تم اختيار سبع محافظا تتمثل القطر المصري (تم تظليلها بالجدول السابق) ، حيث تم اختيار محافظة القاهرة لتمثل المحافظات ذات الطبيعة الحضرية ومحافظة الشرقية لتمثل المحافظات ذات الطبيعة الريفية ومحافظة المنوفية لتمثل محافظات الدلتا ومحافظة السويس لتمثل محافظات القناة ومحافظة الاسكندرية لتمثل المدن الساحلية ومحافظة اسيوط لتمثل محافظات الوجه القبلي والصعيد كما تم اختيار محافظة شمال سيناء لتمثل المحافظات ذات الطبيعة البدوية والصحراوية.

وبحسب قانون حجم العينة لتقدير الوسط الحسابي الذي يُعطى بالعلاقة التالية:

حجم المجتمع	N	$n = \frac{N \times \left(\sigma \times \frac{\alpha Z}{2} \right)}{\left(\sigma \times \frac{\alpha Z}{2} \right)^2 + (N-1) d^2}$
الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالة ٠,٩٥ وتساوي ١,٩٦	$\frac{\alpha Z}{2}$	
نسبة الخطأ في التقدير وتساوي ٠,٠٥	D	
الانحراف المعياري للمجتمع	σ	
حجم العينة	N	

وبحسب مستويات الدراسة السالفة الذكر سوف يكون لدينا سبع عينات:

وبالرجوع إلى جدول (١) وباعتبار أن الانحراف المعياري للمجتمع يساوي ٠,٦٢ وقد تم حسابه على أساس المقياس المستخدم في استمارة الاستقصاء وهو مقياس (ليكرت) الخماسي يكون حجم العينة بالمحافظات:

$$n_1 = \frac{40455325 \times (0.62 \times 1.96)^2}{(0.62 \times 1.96)^2 + (40455325 - 1) \times 0.05^2} = 590$$

جدول رقم (٢): توزيع العينات

العينة	عددها
العينة الأولى محافظة القاهرة	$306 = 40455325 \div 590 \times 20,968,723 =$
العينة الثانية محافظة الشرقية	$= 5,736,644 \times 590 \div 40455325 = 84$
العينة الثالثة محافظة أسيوط	$= 3,701,392 \times 590 \div 40455325 = 54$
العينة الرابعة محافظة السويس	$= 549,759 \times 590 \div 40455325 = 9$
العينة الخامسة محافظة الاسكندرية	$= 4,362,168 \times 590 \div 40455325 = 64$

$= 4762568 \times 590 \div 40455325 = 69$	العينة السادسة محافظة المنوفية
$= 374,071 \times 590 \div 40455325 = 4$	العينة السابعة محافظة شمال سيناء
٥٩٠ مواطن	الإجمالي

أداة الدراسة: بعد الاطلاع على المادة النظرية والدراسات والآراء الخاصة بموضوع الرأي العام المصري ودوره في عملية صنع القرار السياسي، قام الباحث بتصميم أداة الدراسة وإعدادها (الاستبانة/ملحق رقم ١) ثم توزيعها على أفراد العينة الدراسة ثم تم تحليلها ومعالجتها إحصائياً.

- صدق الأداة: تأكد الباحث من صدق الأداة (الاستبانة)، من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في موضوع الدراسة لتحكيمها وإبداء مقترحاتهم وآرائهم عليها، وأوصى المحكمون ببعض الاقتراحات على صياغة الفقرات والأسئلة سواءً بحذف بعض الفقرات أو بإضافة فقرات جديدة، وبعد إتمام التعديلات الموصى بها، أشار المحكمون بصلاحيّة الأداة (الاستبانة) واعتمادها لإكمال الدراسة.

- ثبات الأداة: يُقصد بثبات الاستبيان أن تعطى هذه الاستبانة نفس النتيجة لو تمّ إعادة توزيعها أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط، أو بعبارة أخرى أن ثبات الاستبانة يعنى الاستقرار في نتائج الاستبانة وعدم تغييرها بشكل كبير فيما لو تمّ إعادة توزيعها على أفراد العينة عدة مرات خلال فترات زمنية معينة. قام الباحث باستخراج معامل الثبات بواسطة معادلة (كرونباخ ألفا) ونتائج الجدول رقم (٢) تبين ذلك.

الجدول رقم (٢) نتائج معادلة كرونباخ ألفا لثبات الأداة

المجالات	الثبات
مجال الاعلام	٠,٩٣
مجال التنشئة السياسية	٠,٨٥
مجال الأمية وعدم الوعي السياسي	٠,٩١
مجال الحالة الاقتصادية	٠,٩٠
الدرجة الكلية	٠,٩٠

يتضح من الجدول رقم (٢) أن معاملات الثبات لمجالات الاستبانة تراوحت بين ٠,٩٣ و ٠,٨٦، وبلغ معامل الثبات الكلي (٠,٩٥) وجميعها تعبر عن معاملات ثابتة جيدة تقي بأغراض الدراسة.

- مضمون أداة الدراسة: تضمّنت أداة الدراسة (الاستبانة) خمسة أجزاء تقيس كلٌّ منها مؤشراً من مؤشرات الرأي العام المراد دراستها في مصر، وهنا ولكي يتم الحصول على إجابات موضوعية حسب واقع الرأي العام، وتضادياً من تأثير عنونة الأجزاء على

المبحوثين، وكذلك لعدم المبالغة الإيجابية أو السلبية من قبل العينة في الإجابة لم يتم توضيح أجزاء الإستبانة وقد كانت فقرات الإستبانة كمايلي:

الأسئلة من ٥ إلى ١١ تخص مؤشر الاعلام.

الأسئلة من ١٢ إلى ١٦ تخص مؤشر التنشئة السياسية.

الأسئلة من ١٧ إلى ٢٤ تخص مؤشر الأمية وعدم الوعي السياسي.

الأسئلة من ٢٥ إلى ٣٢ تخص مؤشر الحالة الاقتصادية.

الأسئلة من ٣٣ إلى ٤٠ تخص مؤشر أثر الرأي العام قبل وبعد الثورة علي صنع القرارات السياسية.

وقد تمّ استخدام مقياس (ليكرت لقياس) الإستبانة كما هو موضح في الجدول رقم (٤) (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة) في تحديد إجابات كل فقرة من فقرات المجالات الخمس، حيث يعبر الرقم (٥) عن أكبر درجة (موافق بشدة) ويعبر الرقم (١) عن أقل درجة (غير موافق بشدة).

جدول رقم (٤) مقياس ليكرت الخماسي

التصنيف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
الدرجة	٥	٤	٣	٢	١

ب - إجراءات الدراسة :

- تم إجراء الدراسة وفقا للخطوات الآتية:
- تصميم الإستبيان وإعدادها بصورتها النهائية.
 - تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.
 - توزيع الإستبيان على أفراد العينة.
 - جمع الاستبيانات من أفراد العينة، وترميزها وإدخالها إلى الحاسب ومعالجتها إحصائياً باستخدام برنامج (SPSS)
 - تفرغ إجابات أفراد العينة.
 - استخراج نتائج الاستبيانات وتحليلها ومناقشتها.

المعالجات الإحصائية :

من أجل معالجة البيانات استخدم الباحث برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية

(SPSS) وذلك باستخدام المعالجات الإحصائية الآتية:

١- المتوسطات الحسابية والنسب المئوية.

٢- اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين. (Independent Test)

تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA) واختبار شقبيها لمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية عند اللزوم.

وتوضح الجداول التالية ارقام (٥) و(٦) و(٧) و(٨) و(٩) فقرات الإستبيان ولتحديد ذلك استخدمت المتوسطات الحسابية، والنسب المئوية لكل فقرة ولكل مجال للدرجة الكلية كما سيتم الإشارة.

ومن أجل تفسير النتائج اعتمدت النسبة المئوية الآتية:

٨٠٪ فأكثر درجة واقع المؤشرات كبيرة جداً.

٧٠-٧٩,٩٪ درجة واقع المؤشرات كبيرة.

٦٠-٦٩,٩٪ درجة واقع المؤشرات متوسطة.

٥٠-٥٩,٩٪ درجة واقع المؤشرات قليلة.

أقل من ٥٠٪ درجة واقع المؤشرات قليلة جداً.

الجدول رقم (٥) وسائل الاعلام: المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجة واقع

المؤشرات المفاهيمية ووسائل الإعلام (ن = ٥٩٠)

درجة الواقع	النسبة المئوية (%)	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المجالات
كبيرة جداً	٨٨,٢٪	٤,٤١	٥	٢٤	٦٥	١٢٤	٣٧٢	هل أنت مؤمن بالدور الذي يمكن أن يلعبه الاعلام المصري في التأثير علي الرأي العام المصري
قليلة	٥١٪	٢,٥٥	٧١	٢٤٨	١٨٣	٥٣	٣٥	هل توفر لك وسائل الإعلام المصرية معلومات صحيحة ومحايدة عن كافة القضايا والموقف في الدولة وفي كافة المجالات (اجتماعية - سياسية - ...).

كبيرة جداً	٨٠٪	٤	١٧	٥٣	٨٣	١٩٥	٢٤٢	هل تؤثر وسائل الإعلام المصرية التفاعلية في اتجاهات صناعات قرار من خلال تعريفهم بالمواقف والقضايا التي تتطلب قرارات بصددها واتجاهات وآراء الافراد منها.
كبيرة	٧٣,٢٪	٣,٦٦	٦	٦٥	١١٨	٣٣٦	٦٥	هل تعتبر وسائل الاعلام المصرية المختلفة (اذاعة وتلفزيون وراديو وشبكات تواصل الاجتماعي...) قنوات اتصالية فعالة لتشكيل رأي عام حول احد القضايا.
متوسطة	٦٠٪	٣	١٠٦	١٢٤	١٤٢	١٠٠	١١٨	هل وفرت وسائل الاعلام المصرية المختلفة فرصة للافراد للتعبير عن آرائهم.
قليلة	٥٠٪	٢,٥	١٥٩	١٧١	١٠٦	١١٢	٤٢	هل كان للمواد الإعلامية التي وفرتها وسائل الاعلام المصرية التفاعلية دور في تحفيز الجماهير للمشاركة فيثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١.
كبيرة جداً	٨٨,٧٪	٤,٢	٧	٥٣	١٢٢	١٠٨	٣٠٠	هل الإعلام الموجه من قبل الحكومة أو من قبل إحدى الجماعات وأصحاب المصالح يمكن أن يؤثر على نضج وشفافية الرأي العام؟

الجدول رقم (٦) التنشئة السياسية: المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجة واقع المؤشرات

المفاهيمية التنشئة السياسية (ن=٥٩٠)

درجة الواقع	النسبة المئوية (%)	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المجالات
كبيرة جداً	٨٤,٤٪	٤,٢٢	١٢	٤١	٥٩	١٧١	٣٠٧	هل تشجع الأسرة المصرية مشاركة الأبناء في المناقشة الجماعية واتخاذ القرارات والتعبير عن رأيهم.
قليلة جداً	٣٧,٢٪	١,٨٦	٣٢٤	١٢٤	٦٥	٥٣	٢٤	هل تلعب المدرسة دوراً في تفعيل الوعي السياسي لدى الطلاب وتتيح لهم قنوات للتعبير عن آرائهم.
كبيرة	٧٩٪	٣,٩٥	٢٣	٤١	٧٧	٢٤٨	٢٠١	هل توفر المؤسسات الدينية في مصر فرصة للأفراد للتعبير عن آراء الافراد واتجاهاتهم.

متوسطة	٦٤,٦%	٣,٢٣	٦٦	٩٤	١٧١	١٥٩	١٠٠	هل تعتقد أننا الاحزاب السياسية في مصر تمثل مصدراً فعلاً لخلق رأي عام محايد وموضوعي وغير متأثر بتوجهات الحزب.
كبيرة جداً	٨٠,٩%	٣,٩٧	٥٢	١٠٥	٥٩	١٧٢	٢٠٢	هل عدم وجود تنشئة سياسية جديده يمكن أن تؤثر على نضج وشفافية الرأي العام؟

الجدول رقم (٧) محور الأمية و عدم الوعي السياسي: المتوسطات الحسابية والنسب

المئوية لدرجة واقع المؤشرات المفاهيمية الأمية (ن=٥٩٠)

درجة الواقع	النسبة المئوية (%)	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المجالات
كبيرة جداً	٩٢,٢%	٤,٦٦	0	٦	١٢	١٥٩	٤١٣	هل نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي في المجتمع المصري مرتفعة.
قليل	٥٢%	٢,٦٥	١٠٦	٢١٢	١١٨	٨٩	٦٥	هل أنت علي دراية بالسياسات التي تتخذها الحكومة في كافة شئون إدارة الدولة.
متوسط	٦٧,٤%	٣,٣٧	٥٨	٩٤	١٤٨	١٤٨	١٤٢	هل أنت علي دراية و ملم باهم القضايا والاحداث في الدولة.
قليل جداً	٣١,٨%	١,٥٩	٣٦٥	١٢٤	٨٣	١٢	٦	هل تقوم بدور في تلك القضايا.
كبيرة	٧٠,٦%	٣,٥٢	٤٨	٩٤	١١٨	١٥٩	١٧١	هل تعتقد ان الامي يمكنه القيام بدور في عملية صنع القرار السياسي
كبيرة جداً	٨٧,٩%	٤,٣٧	٥٢	٢٢	١٨	١١٩	٣٧٨	هل عدم الوعي السياسي والامية يمكن ان يؤثران علي نضج وشفافية الراي العام؟
كبيرة جداً	٩٦,٧%	٤,٩٢	٠	٢	١	١٧٢	٤١٥	هل استغلال احد الاحزاب او الجماعات لامية المواطنين وعد وعيهم السياسي يمكن ان يؤثر علي نضج وشفافية رأيهم العام؟
كبيرة جداً	٨٩,٧%	٤,٥٣	٤	٨	١٨	٢٠١	٣٥٩	هل تري ان الاخوان المسلمين قد استغلوا عدم الوعي السياسي و امية بعض شرائح المجتمع المصري في التأثير علي اتجاهاتهم واختيارتهم السياسية؟

الجدول رقم (٨) الحالة الاقتصادية: المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجة واقع

المؤشرات المفاهيمية الحالة الاقتصادية (ن=٥٩٠)

المجالات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	النسبة المئوية (%)	درجة الواقع
هل تتمتع مصر بمستوى معيشة مرتفع؟	0	0	٦	٥٩	٥٢٥	٢,١٢	٢٢,٤%	قليلة جداً
هل يلعب الفقر دوراً في التأثير على دور الرأي العام المصري في صنع السياسات؟	٣٧٢	١٠٦	٧٧	٣٠	٥	٤,٢٣	٨٧,٤%	كبيرة جداً
هل تتم عمليات لشراء الأصوات في منطقتك؟	١٧٧	٢٠١	١٨٢	١٢	١٧	٣,٧٤	٧٧,٢%	كبيرة
هل تعرضت لعروض لشراء صوتك؟	١٥٩	٢٦٦	١١٢	٤١	١٢	٣,٧٨	٧٧,٦%	كبيرة
هل اختلف الوضع في مصر بعد الثورة عن قبلها من خلال عمليات شراء الأصوات؟	٦٥	١٥٩	٢٧١	٥٩	٣٦	٣,٥٤	٦٥,٤%	متوسطة
هل الحالة الاقتصادية السيئة للمواطنين يمكن أن تؤثر على نضج وشفافية الرأي العام؟	٣٧٠	١٩٨	١٤	٤	٤	٤,٢١	٨٧,٨%	كبيرة جداً
هل استغلال أحد الأحزاب أو الجماعات للحالة الاقتصادية السيئة للمواطنين يمكن أن يؤثر على نضج وشفافية رأيهم العام؟	٣٦١	١٠٩	٥٥	٣٥	٣٠	٣,٨٧	٨٤,٥%	كبيرة جداً
هل ترى أن الإخوان المسلمين قد استغلوا الحالة الاقتصادية السيئة للشرائح الفقيرة والمهمشة من المجتمع المصري في تكوين قاعدة شعبية لهم؟	٤١٩	١٣٥	١٥	٠	٢١	٤,٥٩	٩٠,٢%	كبيرة جداً

الجدول رقم (٩) تأثير الرأي العام المصري قبل وبعد الثورة: المتوسطات الحسابية والنسب

المئوية لدرجة واقع المؤشرات المفاهيمية لتأثير الرأي العام المصري قبل وبعد الثورة (ن=٥٩٠)

المجالات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	النسبة المئوية (%)	درجة الواقع
هل هناك تأثير للرأي العام على الحياة السياسية قبل الثورة؟	٥	١٥	٣٠	١٢٢	٤١٨	١,٢٣	١١,٤٠%	قليلة جداً
هل كان هناك حساسية لدي حكومات ما قبل الثورة للرأي العام	٢	٨	٢٣	١٧٧	٣٨٠	١,٥٦	١٧,٤%	قليلة جداً
هل استخدمت حكومات ما قبل الثورة (أو بعضها) لي الحقائق في أساليب قياس الرأي العام	٣٧٧	١٢٢	٨٧	٣	١	٤,٩٤	٩٣,٢%	كبيرة جداً

قليلة جدا	٢١,٦٪	١,٧٨	٣٨١	١١٩	٦٠	١٨	١٢	هل حدث تغير للسياسات العامة قبل الثورة؟
كبيرة جدا	٩٧,٤٪	٤,٨٧	٠	٠	٦	٤٥	٥٣٩	هل هناك تأثير للرأي العام على الحياة السياسية بعد الثورة؟
كبيرة	٧٧,٨٪	٣,٢١	٤٥	٣٩	١٦٥	١٠٩	٢٣٢	هل كان هناك حساسية لدي حكومات بعد الثورة للرأي العام
متوسطة	٦٤,٥٪	٢,٨٧	١٣٦	٩٠	١١٢	١٣٠	١٢٢	هل استخدمت حكومات ما بعد الثورة الحقائق في أساليب قياس الرأي العام لتكون مناسبة لتعديل السياسات العامة؟
كبيرة	٨٠,٢٪	٤,٢٣	٤٦	٩٥	٧٨	١٦٤	٢٠٧	هل زاد معدّل تغيير السياسة العامة بعد الثورة ليتناسب مع اتجاهات الرأي العام؟

٣-٥ اختبار فرضيات الدراسة :

معايير تحديد كفاءة النموذج: هناك معايير كثيرة يمكن استخدامها لتحديد ملاءمة الانحدار التقديري في تمثيل الظاهرة قيد التحليل بدلالة المتغيرات المفسرة.

يتم استخدام اختبار (F) لقياس معنوية معلومات النموذج في أن واحد إذ يعتبر الفرضية

$$H_0: B_1 = B_2 = \dots = B_m = 0$$

$$H_1: B_1 = B_2 = \dots = B_m \neq 0$$

لتحديد ما إذا كانت هناك علاقة معنوية بين المتغير المعتمد (Y_i) والمتغيرات المفسرة

$$X_1, X_2, \dots, X_m \text{ حيث تستخرج قيمة } F$$

حيث أن: $M.S.R(X_1, \dots, X_m)$ تمثل متوسطات مربعات الانحدار العائد إلى (X_1, X_2, \dots, X_m)

والذي يساوي مجموع مربعات الانحدار العائد إلى (X_1, X_2, \dots, X_m) مقسومة على درجة الحرية n .

$M.S.R$ تمثل متوسطات مربعات الأخطاء والتي تمثل مجموع مربعات الأخطاء

(SS_{error}) مقسومة على درجة الحرية $(n-m-1)$. وتقارن هذه القيمة بقيمة F الجدولية بدرجتى حرية $(n-m-1)$ و (m) .

معامل التحديد لقياس التفسيرية للنموذج: وهو نسبة مجموع مربعات الانحرافات الذي

يعزى إلى التأثير الخطي للمتغيرات المفسرة على إجمالي مجموع مربعات الانحرافات الكلي أي أنه يبين مساهمة معادلة الانحدار في وصف الاختلافات الكلية للمتغير المعتمد وبالتالي يبين نسبة

الاختلافات الكلية الحاصلة للمتغير المعتمد (Y) من قبل المتغيرات المفسرة.

ولأخذ بعين الاعتبار عدد المتغيرات المفسرة يتم حساب معامل التحديد المصحح كما يلي:
إن R2 معامل يستخدم لمعرفة جودة التوفيق لخط الانحدار المقدر للمتغير التابع على المتغير المستقل وبما أنه مربع معامل الارتباط فإن قيمته تكون محصورة بين الصفر والواحد وهو يقيس نسبة التغير في المتغير التابع نتيجة تغير المتغير المستقل أي أنه يوضح نسبة مساهمة المتغير المستقل في التغير الحاصل في المتغير التابع. ويكون التقدير جيد كلما اقتربت قيمة R2 من الواحد وهو يعني أنه توجد علاقة خطية تامة بين المتغير التابع والمتغير المستقل.

١-٥-٣ اختبار الفرضية الأولى: هناك علاقة معنوية بين الحالة الاقتصادية (ضعف المرتبات وانتشار البطالة وازدياد الفقر) وبين نزوح وشفافية الرأي العام. لدراسة فرضية وجود علاقة معنوية بين الحالة الاقتصادية (المتغير المستقل)، وبين نزوح وشفافية الرأي العام (المتغير التابع)، يتم استخدام اختبار بيرسون PersonCorrelation لإثبات نوعية العلاقة بين المتغيرين (طردية أم عكسية). وحيث أن معامل الارتباط بين الحالة الاقتصادية وبين نزوح وشفافية الرأي العام = ٠,٩٨٤ (طردية قوي) والفرضية الصفرية: لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين الحالة الاقتصادية ونزوح وشفافية الرأي العام $\rho = 0$ والفرضية البديلة: يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين الحالة الاقتصادية وبين نزوح وشفافية الرأي العام $\rho \neq 0$. وقيمة الاحتمال sig(0.016), وبما أن قيمة sig أقل من ٠,٠٥ إذن نقبل الفرضية البديلة ونرفض الفرضية الصفرية وبالتالي يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين الحالة الاقتصادية وبين نزوح وشفافية الرأي العام. ومن الجدول (١٠) يتضح أن قيمة (F) قد بلغت (٢٢, ٢٩) ويمكن حساب معامل التحديد للنموذج (R2) والذي بلغ (٠,٩٦٨) وبذلك فإن النموذج يفسر أن ٩٦,٨٪ من قيم المتغير التابع مما يعني أنه توجد علاقة خطية قوية بين الحالة الاقتصادية وبين نزوح وشفافية الرأي العام بما ينمنا نلاحظ أن مدى تشتت الخطأ العشوائي حول خط الانحدار وهي القيمة (MSE) قد بلغت (٣, ٢٧) وهي صغيرة تعني تركيز البيانات حول خط الانحدار وهو ما يعني قبول الفرض البديل حيث يؤكد وجود علاقة بين الحالة الاقتصادية (ضعف المرتبات وانتشار البطالة وازدياد الفقر) وبين نزوح وشفافية الرأي العام.

جدول رقم (١٠) اختبار الفرضية الأولى

Sig	F	R2	R	MSE
0.016	29.22	0.968	0.984	3.27

٢-٥-٣ الفرضية الثانية: هناك علاقة معنوية بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي وبين نضوج وشفافية الرأي العام. لدراسة فرضية وجود علاقة معنوية بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي (المتغير المستقل) وبين نضوج وشفافية الرأي العام (المتغير التابع)، يتم استخدام اختبار بيرسون Person Correlation لإثبات نوعية العلاقة بين المتغيرين (طردية أم عكسية). وحيث أن معامل الارتباط بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي وبين نضوج وشفافية الرأي العام = ٠,٩٧٤ (طردية قوي)، والفرضية الصفرية: لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين ارتفاع نسبة الأمية ونضوج وشفافية الرأي العام $p = 0$. والفرضية البديلة: يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين ارتفاع نسبة الأمية ونضوج وشفافية الرأي العام، وقيمة الاحتمال sig:(0.024), وبما أن قيمة sig أقل من ٠,٠٥, إذن نقبل الفرضية البديلة ونرفض الفرضية الصفرية: إذن يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي وبين نضوج وشفافية الرأي العام ومن الجدول (١١) يتضح أن قيمة (F) قد بلغت (٦٧, ٢٤) ويمكن حساب معامل التحديد للنموذج (R2) والذي بلغ (٠,٩٤٩). وبذلك فإن النموذج يفسر ٩٤,٩% من قيم المتغير التابع، مما يعني أنه توجد علاقة خطية قوية بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي وبين نضوج وشفافية الرأي العام، في حين أن ١,٥% من الاختلافات ناتجة عن عوامل عشوائية بينما نلاحظ أن مدى تشتت الخطأ العشوائي حول خط الانحدار وهي القيمة (MSE) قد بلغت (١,٨٢) وهي صغيرة وتعني تركيز البيانات حول خط الانحدار وهو ما يعني قبول الفرض البديل حيث يؤكد وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الأمية و عدم الوعي السياسي وبين نضوج وشفافية الرأي العام.

جدول رقم (١١) اختبار الفرضية الثانية

Sig	F	R2	R	MSE
0.024	24.67	0.949	0.974	1.82

٢-٥-٣ الفرضية الثالثة: هناك علاقة معنوية بين وجود التنشئة السياسي للخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام علي صناعة القرار السياسي: بالنسبة لدراسة فرضية وجود علاقة بين التنشئة السياسي للخب والأفراد (المتغير المستقل) وبين وقوة وتأثير الرأي العام علي صناعة القرار السياسي (المتغير التابع)، يتم استخدام اختبار بيرسون Person Correlation لإثبات نوعية العلاقة بين المتغيرين (طردية أم عكسية). وبما أن معامل الارتباط بين وجود التنشئة السياسية للخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام علي صناعة القرار السياسي = ٠,٩٣٤ (طردية قوي)، والفرضية الصفرية: لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين وجود التنشئة السياسية للخب والأفراد

وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي $\rho = 0$. والفرضية البديلة: يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين وجود التنشئة السياسية للنخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي $\rho \neq 0$. وقيمة الاحتمال (sig: 0.019) ، وبما أن قيمة sig أقل من 0,05 ، إذن نقبل الفرضية البديلة ونرفض الفرضية الصفرية، وبالتالي يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين وجود التنشئة السياسية للنخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي ومن الجدول (١٢) يتضح أن قيمة (F) قد بلغت (١٢, ٣٨) ويمكن حساب معامل التحديد للنموذج (R2) والذي بلغ (٠, ٨٧٢) ، وبذلك فإن النموذج يفسر أن ٨٧,٢٪ من قيم المتغير التابع، مما يعني أنه توجد علاقة خطية قوية بين وجود التنشئة السياسية للنخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي. وفي حين أن ٨,١٢٪ من الاختلافات ناتجة عن عوامل عشوائية، بينما نلاحظ أن مدى تشتت الخطأ العشوائي حول خط الانحدار وهي القيمة (MSE) قد بلغت (٤, ٨٧) وهي صغيرة وتعني تركيز البيانات حول خط الانحدار وهو ما يعني قبول الفرض البديل حيث يؤكد وجود علاقة بين وجود التنشئة السياسية للنخب والأفراد وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي.

جدول رقم (١٢) اختبار الفرضية الثالثة

Sig	F	R2	R	MSE
0.019	12.38	0.872	0.934	4.87

٣-٥-٤ الفرضية الرابعة: هناك علاقة معنوية بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي: بالنسبة لدراسة فرضية وجود علاقة بين دور الإعلام (المتغير المستقل) وبين قوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي (المتغير التابع) ، يتم استخدام اختبار بيرسون PersonCorrelation لإثبات نوعية العلاقة بين المتغيرين (طردية أم عكسية). وبما أن معامل الارتباط بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي = ٠,٩٥٨ (طردية قوي). والفرضية الصفرية: لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي $\rho = 0$. والفرضية البديلة: يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي $\rho \neq 0$. وقيمة الاحتمال (sig: 0.028) ، وبما أن قيمة sig أقل من 0,05 ، إذن نقبل الفرضية البديلة ونرفض الفرضية الصفرية، وبالتالي يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي. ومن الجدول (١٣) يتضح أن قيمة (F) قد بلغت (١٨, ٩٧) ، ويمكن حساب معامل التحديد للنموذج (R2) والذي بلغ (٠, ٩١٨) ، وبذلك فإن

النموذج يفسر أن ٨, ٩١٪ من قيم المتغير التابع مما يعني أنه توجد علاقة خطية قوية بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي. وفي حين أن ٢, ٨٪ من الاختلافات ناتجة عن عوامل عشوائية، نلاحظ أن مدى تشتت الخطأ العشوائي حول خط الانحدار وهي القيمة (MSE) قد بلغت (٦, ٤٩) وهي صغيرة وتعني تركيز البيانات حول خط الانحدار وهو ما يعني قبول الفرض البديل حيث يؤكد وجود علاقة بين دور الإعلام وقوة وتأثير الرأي العام على صناعة القرار السياسي.

جدول رقم (١٣) اختبار الفرضية الرابعة

Sig	F	R2	R	MSE
0.028	18.97	0.918	0.958	6.49

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج الدراسة

تختلف درجة تأثير الرأي العام في عملية صناعة القرار السياسي من نظام سياسي لآخر ومن حصة لأخرى. ففي الحكم الديمقراطي يكون للرأي العام وصناع القرار علاقة تبادلية يتأثر ويؤثر كل منهما في الآخر. بينما يقبع الرأي العام حبيساً ومهمشاً في ظل الحكم الديكتاتوري والأنظمة الشمولية، وبظل هذا التهميش والتجاهل حتى يثور الرأي العام ويقتل تلك الأنظمة من جذورها كما حدث مؤخراً في دول الربيع العربي.

يؤثر الإعلام السياسي على توجيه الرأي العام وحشده، فيلعب الإعلام الحر في الدول الديمقراطية دوراً إيجابياً في نضج وشفافية الرأي العام، بينما يلعب الإعلام الموجه من السلطات وجماعات المصالح دوراً سلبياً وخطيراً على نضج وشفافية الرأي العام وتتسبب عدم حياديته إلى الانقسام والفرقة بين أبناء الوطن الواحد وهو ما كان وواضحاً بعد ثورة يناير ٢٠١١ وحتى الآن في الحالة المصرية.

يؤثر ارتفاع نسبة الأمية وعدم الوعي السياسي (والناتجة عن عدم الاهتمام بالتنشئة السياسية السليمة للمواطنين) على نضج وشفافية الرأي العام. وتتمثل الخطورة في هذه الحالة في سهولة توجيه وحشد الرأي العام لتحقيق مصالح وامتيازات خاصة. فلقد تمّ التفرير بآلاف البسطاء من القرى والنجوع المصرية التي ترتفع فيها نسب الأمية وعدم الوعي السياسي تحت ستار الدفاع عن الدين تارة وعن الشرعية تارة أخرى.

يؤثر سوء الأحوال الاقتصادية وارتفاع نسبة البطالة وازدياد معدل الفقر على نضج وشفافية

الرأي العام بصورة مباشرة وخطيرة، فمن جانب تساعد تلك الظروف على سهولة إغواء كثيراً من الفقراء والمهمشين للقيام بأحداث اضطرابات وتظاهرات وأعمال الشغب وهو ما حدث منذ قيام ثورة يناير ٢٠١١ ويحدث حتى الآن. ومن الجانب الآخر يمكن أن تؤثر تلك الظروف بالسلب على مدى استعداد المواطنين للمشاركة السياسية بجميع أشكالها لأنشغالهم بتوفير الاحتياجات الأساسية الخاصة بهم.

أظهرت النتائج أن تأثير الرأي العام على الحياة السياسية قبل الثورة كان ضعيفاً مقارنة بتأثيره بعد الثورة، وأنه لم تكن هناك حساسية لدى حكومات ما قبل الثورة لاتجاهات الرأي العام، وكانت قياسات الرأي العام لا تؤخذ على محمل الجد بل كان بعض تلك الحكومات يلجأ إلى لِيّ الحقائق في أساليب قياس الرأي العام وبالتالي لم تكن تهتم بتغيير السياسات العامة بما يتوافق مع اتجاهات الرأي العام. في حين تسبب قيام ثورة يناير ٢٠١١ في تغيير جذري في ثقافات الحكومات المتعاقبة بعد الثورة. فأظهر معظمها حساسية لاتجاهات الرأي العام والانصياع له، كما أظهروا ميلا الى استخدام الحقائق والموضوعية في أساليب قياس الرأي العام، حتى يتمكنوا قدر الإمكان من التوافق مع اتجاهاته ورغباته. وسوف يؤثر ذلك بالضرورة على معدل تغيير السياسة العامة لإحداث هذا التوافق.

في ظل الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية الضرورية التي تمر بها مصر حالياً، يصبح الرأي العام أهم آليات صناعة القرار السياسي والسياسات العامة بعد ارتفاع درجة اهتمام المصريين بالمشاركة السياسية وارتفاع سقف مطالبهم، وبعد أن وجدوا أكثر من طريقة للضغط على صناع القرار وإقالة الحكومات بل والرؤساء.

مع استمرار وجود العوامل التي تؤثر على نضج وشفافية الرأي العام والتي سبق الإشارة إليها في تلك الدراسة، وفي ظل حالة الاستقطاب السياسي وانقسام الرأي حول جميع القضايا بين مؤيد ومعارض، تكمن خطورة كبيرة في الانصياع الكامل للرأي العام في اتخاذ القرارات المصرية دون دراسة جديّة ومتأنية لتلك القرارات حتى تتحقق مطالب الوطن والمواطنين على حد سواء.

ثالثاً: توصيات الدراسة

ضرورة ايجاد مناخ ديمقراطي حقيقي تنشأ فيه علاقة تبادلية من التأثير والتأثر بين الرأي العام ومتخذ القرارات، ليتم من خلالها دراسة آراء ورغبات وميول المواطنين وايصالها بكل أمانة الى متخذي القرارات السياسية لصنع واتخاذ القرارات السياسية التي تحقق تلك الرغبات والميول وتحقق صالح الوطن في نفس الوقت.

لتحقيق تلك العلاقة التبادلية بين القائمين على اتخاذ القرارات السياسية والرأي العام

المصري يتحتم الاهتمام بقياس الرأي العام بجدية وحيادية وشفافية، وبطريقة علمية عن طريق تدعيم مراكز استطلاع الرأي القائمة، وإنشاء مراكز جديدة وخاصة في الأماكن البعيدة والمهمشة، وإتاحة الوسائل والتقنيات والبرامج الحديثة للقياس والتحليل لضمان توصيل النتائج بشفافية لصناع القرار.

إنشاء مراكز تكنولوجية خاصة لقياس وتحليل الرأي العام من خلال تحليل مشاركات المواطنين علي مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة (فيس بوك - تويتر - بلوجرز - غرف الدردشة -، WhatsApp-Viber وهي وسائل الاتصال الأكثر استخداماً بواسطة الشباب مع الاستعانة بالمتخصصين في الطب النفسي وعلم الاجتماع فيتحاللمراكز وتحليل الرأي العام مع استخدام السلاسل الزمنية والبرامج الإحصائية للتعرف على مقدار واتجاهات التغيير في الرأي العام حول القضايا المثارة وتحليل أسباب التغيير وحيثياته.

تطوير مراكز الأبحاث الموجودة فنياً وتكنولوجياً وتطوير القدرات الفنية والتحليلية للعاملين فيها لتصبح إحدى آليات دعم القرارات السياسية من خلال إجراء الدراسات والبحوث المتعمقة حول الظواهر السياسية والاقتصادية والقضايا القومية عموماً وعلاقتها بالمتغيرات والتطورات الدولية، وتوقع تطور الأحداث وطرح السيناريوهات المختلفة ودراسة ردود الأفعال المتوقعه للرأي العام حول تلك السيناريوهات وتجهيز تقارير للقيادة السياسية حول جميع القضايا المثارة والمتوقعة.

إلغاء وزارة الإعلام وتحرير المنظومة الإعلامية من سيطرة الدولة مع إعادة صياغة ميثاق الشرف الإعلامي بالطريقة التي تلزم جميع العاملين بالمنظومة الاعلامية بنود هذا الميثاق، حتى تتسم التغطية الاعلامية بالحيادية والشفافية والنزاهة والصدق، تعود ثقة المواطن المصري في الإعلام الوطني.

الاهتمام بالتنشئة السياسية للشباب والأحزاب السياسية وتعليمهم وتنقيفهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وبروتوكالياً؛ من خلال قيام جميع وسائل الإعلام والمراكز البحثية بدور فعّال في التنشئة السياسية وزيادة الوعي السياسي للمواطنين وتنمية ولائهم للوطن. كما يمكن إنشاء مدارس وطنية لذلك الغرض والتركيز على المتميزين منهم لإعدادهم كقادة للمستقبل في جميع المجالات.

الاهتمام بسياسات التعليم واعتبار القضاء على الأمية قضية أمن قومي والتعامل معها على هذا الأساس من خلال رصد الميزانيات وعقد البرامج المركزة والجادة؛ ومنح حوافز مادية ومعنوية لمن يتم محو أميتهم.

تحسين الأحوال الاقتصادية للمواطنين والقضاء على البطالة والفقر وسرعة تحقيق العدالة

الاجتماعية التي طالبت بها الجماهير خلال ثورة يناير ٢٠١١ مما ينعكس بالإيجاب على المزاج العام وينتهي حالة السُّخط والاستياء بين المواطنين.

الدراسات المقترحة :

التداعيات السياسية لعمليات الإصلاح والديمقراطية.

٢- دور استطلاعات الرأي العام في صُنْع السياسات العامة.

الفهرس

- مقدمة العدد السابع أ. د. علي لاغا
نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي ٨
- المحور الأول إسلاميات:
- ◆ ضوابط الفتيا
أ. د. ماجد الدرويش ١١
- ◆ العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً
د. ثابت أبو الحاج ٣١
- ◆ قبول المعلومات الأمنية وردّها في ضوء مناهج المحدثين
أ. هشام سليم عبد الله المغاري ٦٣
- المحور الثاني إدارة أعمال:
- ◆ «أثر مبادئ الحاكمة المؤسسية على إستقلالية مدققي الحسابات الداخليين
في البنوك التجارية الأردنية»
أ. أحمد بوعانة ٩٠
- ◆ مدى فاعلية نظام التكاليف المبني على أساس الأنشطة كأساس لقياس وتحديد تكلفة الخدمات
التعليمية في الجامعات الاردنية الحكومية والخاصة
أ. بكر الطراونة ١٢١
- ◆ رأس المال الفكري وأثره على المصارف
أ. زكية عريقات ١٤٨

– المحور الثالث تربية:

◆ درجة تمكين معلمي الفيزياء للمهارات المخبرية اللازمة لتدريس الفيزياء

د. عمران الدرايسة ١٦٨

◆ فاعلية وحدات تعليمية مقترحة قائمة على الثقافة العربية في تنمية مهارتي التحدث والكتابة

د. رياض عثمان / أ. ادريس محمود ربابعة ١٨٤

◆ فاعلية برنامج تعليمي قائم على اللعب في تحصيل أطفال الروضة للمفاهيم البيئية وتنمية

اتجاهاتهم نحو البيئة

أ. رهام المهدي ٢١٦

◆ L'ENSEIGNEMENT DE LA MODÉLISATION ET SES EFFETS SUR LES PRODUCTIONS DES ÉLÈVES

Dr. Nawal abou Raad ٢٤٩

– المحور الرابع لغويات:

◆ دار الإمارة الأموية في القدس

د. عبد الرحمن المغربي ٢٦٥

◆ الفُضَيْضُ فِي الْمِيزَانِ

د. أسامة خالد محمّد حمّاد ٢٩٣

◆ هل نحن معولمون؟

د. سعدي ضناوي ٣٢٧

– المحور الخامس إعلام:

◆ دور الرأي العام في صنع القرارات السياسية: الثورة المصرية نموذجاً

د. أحمد ابراهيم حامد ٣٥٦